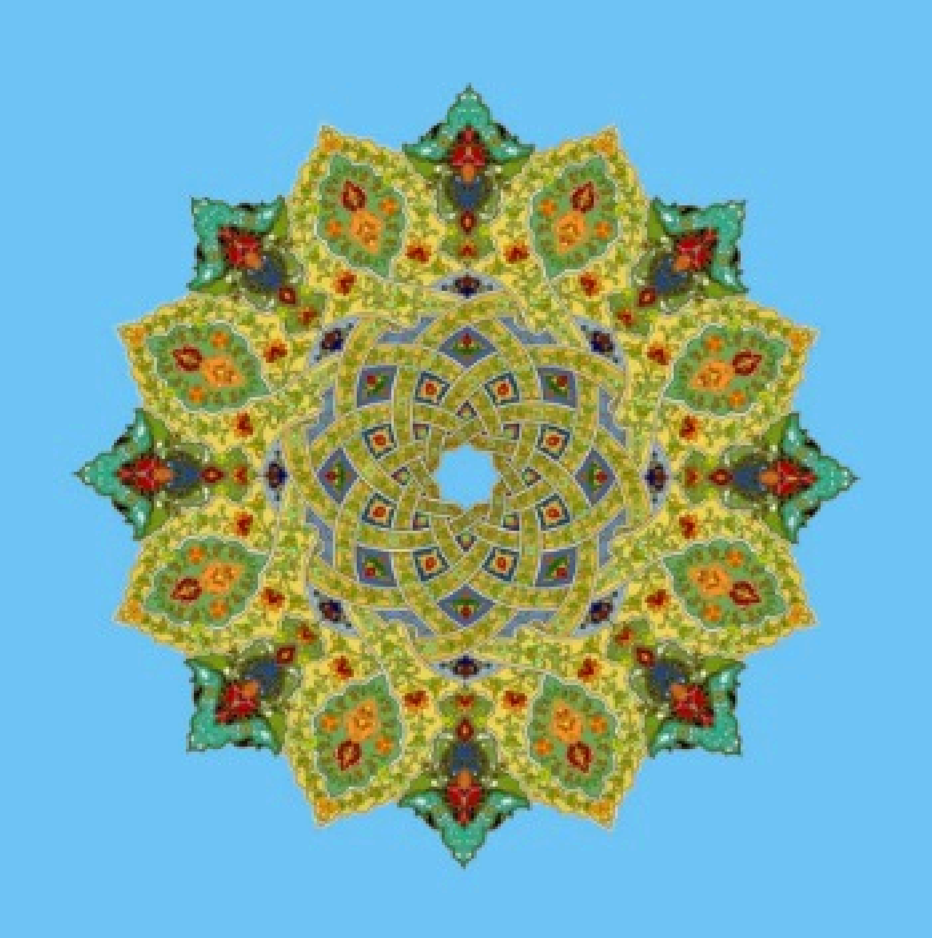


مجلة المجمع العلمي العراقي



فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م
الجزء (الأول) المجلد (السبعون) شباط ٢٠٢٣م - رجب ١٤٤٤هـ



مجلة المجمع العلمي العراقي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الأول ــ المجلد السبعون

شباط ٢٠٢٣م ــ رجب ١٤٤٤هـ

(شروط النشر وضوابطه)

١- تنشرُ المجلةُ البحوثَ العلميّةَ ذات السّمة الفِكريّة والشموليّة بما يسهمُ في تحقيقِ أهدافِ المَجمَع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويُراعي الباحثون والكتّابُ في صياغتهم الوضوحَ وسلامةَ اللغة إملاءً وأسلوباً .

٣- يُشترط في البحثِ ألّا يكون قد نُشر أو قُدِّمَ للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته أو ثبتَ أنّهُ مسروق ، وَيُقَدِّمُ الباحثُ تَعَهُّداً بذلك ضمنَ استمارةٍ أُعِدَّت لهذا الغرضِ يقومُ بملئِها ويتحَمّل المسؤوليّةَ القانونيّة إن ظَهَرَ خلاف ما قدَّمَهُ من معلوماتٍ تخصُّ بحثَه.

٤- تُعرَضُ البحوثُ المقدّمةُ للنشرِ في المجلّة على مُحَكَّمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر ، ويتمُّ اعتمادُ استمارةٍ رَقميّةٍ تُدوّنُ فيها ملاحظاتُ كلِّ مُحَكَّم.

٥- هيأة تحرير المجلّة غيرُ ملزمةٍ بإعادةِ البحوثِ إلى أصحابها في حالة عدم نشرها.

٦- لا تنشر المجلةُ الدراساتِ السياسية التي تمسُّ كياناً معيناً أو تنظيماً خاصاً ، أو البحوث الّتي تَمَسّ العقائدَ والمذاهبَ الإسلاميّة أو الطوائف والأديان الأخرى ، ولا تنشرُ المجلّةُ البحوثَ الّتي تتحدَّثُ عن الفسادِ الماليّ والإداريّ لأيّ مؤسّسةٍ من مؤسّساتِ الدولة.

٧- يُقدّمُ الباحثُ مع بحثه ورقة الاستلال الخاصة ببرنامجِ الاستلال الرّقميّ ؛ للتأكُّدِ من أنَّ البحثَ لم يتجاوز المقدارَ المُحَدَّد من الانتحالِ بحسبِ تعليماتِ وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ .

٨- تتعهّدُ المجلّة في حالِ نشرِ البحثِ بالحفاظِ على حقوقِ الملكيّةِ الفِكريّةِ للبحثِ ويُعَدُّ جزءاً من وثائقها ، ولا يُسمَحُ لأيِّ شخصٍ أو جهةٍ بإعادة نشر البحث أو الأخذ منه من دون موافقة هيأة تحرير المجلّةِ .

٩- يُرسلُ البحثُ إلى المجلةِ بالمواصفاتِ الآتية :

أ. أن يكون مطبوعاً على الحاسوب ومخزوناً على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية تحملُ اسم الباحث وعنوانه الكامل باللغة العربيّة .

ب. أن يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثّقة توثيقا تاماً بحسب الأصول المعتمدة في التوثيق العلميّ .

ت. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على أن يوضح في كل ورقة مكانها من البحث ويُشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ث. يرفق بالبحثِ ملخّصٌ باللغتين العربيّة والانكليزيّة بحدود نصف صفحة لكلِّ مُلخّص .

ج. تُكتب الكلمات الدالّة باللغة الإنكليزية .

ح. أن تستخدم في البحث المصطلحات العربية أو المقرّة عربيّاً .

١٠ - يُعطى صاحبُ البحث (عند نشره) نسخة واحدة من المجلّة مع ثلاثِ مستلّات من بحثهِ .

البحوث المنشورةُ في مجلَّةِ المَجمَعِ العلميِّ العراقيّ لا تعبّر بالضرورةِ عن رأيِ المَجمَعِ العلميّ العراقيّ

تُرسَلُ البحوثُ إلى السيّدِ رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي العراقيّ

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠) الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

مجلة المجمع العلمي العراقي

المحتويـــات

الجزء الأول/المجلد السبعون

وقائع الاحتفال الكبير بالعيد الماسي للمجمع العلمي (مجمع الخالدين)

كلمات رؤساء المجامع العربية (عن بعد)

كلمات أعضاء المجامع العربية الذين حضروا الاحتفال

بحـوث المجلـة

كلمة معالي الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين . رئيس المجمع العلمي العراقي المرتجلة . في افتتاح فعاليات العيد الماسي للمجمع العلمي يوم الخميس ٢٠٢٢/١١/٢٤

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أهلا بكم علماء الأمة أخوتي أعضاء المجامع اللغوية العلمية العربية في مصر والأردن وتونس وليبيا، أهلا بكم في رحاب مجمعكم العراقي مجمع الخالدين بالدلالتين: الخالدين بانجازهم العلمي الباذخ الذي شعَّ في كل مجالات العلم والأدب، والخالدين بالمعنى القانوني الوارد في قوانين المجمع العلمي العراقي، فعضوية المجمع العلمي العراقي لا عمر لها؛ فهي عضوية دائمة ما دامَ العضو فيه. فهم خالدون بالمعنى الذي عناه الجواهري العظيم في قوله:

يموتُ الخالدون بكلِّ فجٍّ ويستعصي على الموت الخلودُ

وخالدون ببقائهم أبداً أعضاء في المجمع العلمي العراقي على الرغم من التقلبات الاجتماعية والسياسية ، فعضوية المجمع لا تسقط عن العضو أبداً وهذا دأبي والتزامي منذ أن توليتُ رئاسة المجمع العلمي العراقي ؛ فكلٌّ من حصل بمرسوم جمهوري أو أمر ديواني على عضوية المجمع فهو عضوٌ عندي مادام حياً. إلاّ إذا أنتهت عضويته قانونيا لأن القانون فرض على العضو أن يكون سكنه الدائم في العراق، فإن اختار سكناً دائماً خارج العراق فقد سقطت عضويته من الناحية القانونية لا السياسية ولا الاجتماعية. فأهلا بأعضاء المجمع العراقي أيضا في رحاب مجمعهم.

أحبتي كما عرفتم فنحن نحتفل بانقضاء خمسة وسبعين عاماً من عمر المجمع العلمي العراقي باسمه الحالي، هذه المدة هي مدة المجمع باسم المجمع العلمي العراقي، وإلاّ فلو تحرينا عمر المجمع من حيث أنه مجمع يضم الأفذاذ من علماء الأمة الذين تنادَوا لتأسيس مجمع بهذا الاسم، مجمع علمي عراقي لخدمة اللغة العربية وبهذا المعنى، فهو أطول عمراً من عمره الماسي. فبدأ التنادي بين العلماء إلى تأسيس مجمع علمي يخدم العربية عام ١٩٢١. وفي ذلك توثيقٌ موجود لدينا وصحفٌ نشرت الأخبار وسلطت الضوء على هذا التنادي وهذه الاجتماعات والتفكير بالفكرة الأولى للتاسيس والأسماء الحاضرة للعلماء والنظام والأهداف وما يتصل بذلك. فلو عُدنا إلى هذا التاريخ فنحن اليوم نحتفل بعيده المئوي على وجه الدقة.

وتطوَّرت ثم تردّدتْ اموره بين اسم يتصل بالمجمع العلمي ولجنةٍ للتأليف والترجمة والنشر إلى أن استقر على هذا الاسم عام ١٩٤٧حين صدرت الإرادة الملكية بتأسيس المجمع. ولعل

بعض أحبتنا العلماء من المجامع أدرك ذلك فالكلمة المسجلة شريطاً التي وردتنا من العلامة الشيخ الدكتور حسن الشافعي – رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية – يُهنىءُ بها المجمع العلمي العراقي باحتفاله والتي ستبث يوم السبت وهو اليوم الذي نحتفل به الاحتفال المركزي الكبير، كان يُردد في هذه الكلمة تهنئته بالعيد المئوي للمجمع العلمي العراقي ولم يذكر العيد الماسي، وانما الذكرى المئوية (العيد المئوي) تكرر ذلك في كلمته التفاتا لهذا المعنى الذي ذكرتهُ من تاريخ التنادي الأول لتأسيس المجمع العلمي العراقي.

من رموز العراق وعلمائه وأفذاذه ما تفخر بهم الأمة لا العراق وحده وانما هم أعلام الأمة عبر هذا التاريخ الطويل كما أتلمَّس ذلك حين ألتقي في مناسبات كثيرة بأشقائي المجمعيين. كالذي صار أخيرا عندما التقينا في الشارقة مع رؤساء المجامع العربية وأمناء هذه المجامع وبعض أعضائها يُعبرون عن هذا المعنى: أَنَّهم نشأوا عاكفين على انجازات المجمع العلمي العراقي وكتبه ومعجماته ومخطوطاته المحققة. فقد أنجز المجمع خلال هذه المدَّة مكتبةً عامرةً بالبحوث والدراسات التي تُثري وتُغني الدرس اللغوي العربي، والمعجمات المختلفة، وتعريب المصطلحات العلمية وقد طُبِعَت في مجلدات، وتحقيق المخطوطات، وتأصيل الاستعمالات اليومية في الحياة العامة، والاجابة على الاستفتاءات المختلفة التي ترد إليه من الجهات العلمية حتى الجامعات وغيرها لأنه هو مرجعها الأعلى في العربية فقوله الفصل فيما أُختلف فيه حتى بين المختصين والأساتذة. لو جُمِعَ كل ذلك لكان مفخرةً للأجيال كلها، فنحن نحتفل بصرح العربية ومنار اللغة الذي شعَّ خمسة وسبعين عاماً أو مئة عامٍ بهذا الاسم الذي نفخر به.

شكراً لكم على حضوركم البهي، شكرا لوجود أقمار المجامع العربية بيننا، شكراً لحضور أحبتي من أعضاء المجمع العراقي الذين اشتقنا إليهم وكل من حضر من رؤساء الجامعات وعمداء الكليات والأساتذة الأكارم الأفاضل، والشكر موصول بأعلى درجاته لكل من مدَّ يد العون الذي لولاه ما كان الاحتفال بالعيد الماسي ولا كان المجمع وقاعاته بهذا البهاء وأخص بالذكر هيأة الحشد الشعبي والعتبات المقدسة الحسينية والعباسية والكاظمية، ولا حرمنا الله هذه اليد أبداً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة معالي الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين – رئيس المجمع العلمي العراقي – التي ارتجلها في افتتاح احتفال المجمع بعيده الماسي يوم السبت ٢٠٢٢/١١/٢٦

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرحب بكم أحبتي الحضور بدءا من أخي الأستاذ المفكر الكبير مستشار السيد رئيس الوزراء وممثله في هذا الاحتفال الأستاذ الدكتور عبد الجبار الرفاعي الذي شَرَفَنا بحضوره وأضاءَ محفلنا.

وأُجدّد ترحيبي باخوتي الأشقاء المجمعيين العرب الذين شرفونا بحضورهم ممثلين لمجامعهم العربية المختلفة، وأشكر من حضر من الأساتذة العلماء في هذا المحفل الذي تُتوج به احتفالنا بالعيد الماسي لمجمعنا العريق الذي تأسس بهذا الاسم الذي نذكره الآن وهو المجمع العلمي العراقي قبل خمسة وسبعين عاماً، وإلا فهو أطول عمراً من ذلك، منذ أن كان بأسماء أخرى، إذ بدأ التفكير بتأسيسه عام ١٩٢١، ولهذا قال الأستاذ الدكتور حسن الشافعي –رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية – في كلمته المتلفزة التي سترونها وتسمعونها على الشاشة، يبارك للمجمع العلمي العراقي مئويته الأولى كما يقول هو، ويتمنى للمجمع العلمي في مئويته الثانية أن ينجز ما يتمنى ويطمح إليه من انجازات علمية، إشارةً منه من دون تصريح إلى ان العمر أطول والتأسيس أبعد من خمسةٍ وسبعين عاماً، وكانت هذه الأعوام على طولها حافلة بالانجاز الذي تفخر به الأمة لا العراق وحده ، وانما الأمة تفخر بأصداء السمعة العلمية الرصينة العالية في كل مكان. واستطاع أفذاذ المجمع هؤلاء الذين استطاعوا بانجازهم أن يكون مجمعنا مجمع الخالدين بالمعنى الدقيق للخلود الذي عناهُ الجواهري العظيم في قوله:

يموتُ الخالدون بكلِّ فجٍّ ويستعصي على الموت الخلودُ

استعصى الموت على كل هؤلاء وقد انجزوا ما يبقى بقاء الدهر من العطاء العلمي المتمثل بالأبحاث والدراسات وبوضع المعجمات وبتعريب المصطلحات وبتحقيق المخطوطات وبتأصيل الاستعمالات وبالاجابة على الاستفتاءات والمؤتمرات والندوات ، فكانت حصيلة كل ذلك تاريخاً من الابداع والانجاز الذي نفخر به ويفخر به العالم أجمع.

نعم المجمع العلمي العراقي الآن كما كان قبل خمسة وسبعين عاماً صرحُ العربية المُشع ومنارُ اللغة والتراث الذي يملأ الآفاق ضوءاً وإبداعاً وعطاءً علمياً ثراً. انه ثالث المجامع العربية في التأسيس فقد سبقه مجمعا القاهرة ودمشق، وعندما أُسس المجمع العراقي قامت هذه المجامع الثلاثة بالتنادي إلى تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العربية فاجتمعوا عام (١٩٥٧) وقرروا انشاء اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ولكن لم يُفَعّل ذلك على أرض الواقع ولم يكن الاتحاد

فاعلاً قادراً على الجمع والانجاز إلاّ في عام ١٩٧١، وهو منذ ذلك الحين إلى اليوم يفخر بأنه انجاز ثلاثة مجامع هي مجمع القاهرة ودمشق وبغداد.

صلتي المباشرة بالمجمع بدأت عام ١٩٦٥ العام الذي صرتُ فيه طالباً في كلية الآداب الملاصقة من الظهر للمجمع لا يفصل بين كلية الآداب التي درستُ بها والمجمع إلاّ جدار في وسطه باب كنا ننتقل عبره من الكلية إلى المجمع، وأرى أساتذتي ينتقلون من الكلية إلى المجمع من ظهر الكلية إلى ظهر المجمع لأن كُلّاً منهما يُطل على شارع مختلف لكن يلتقيان بظهريهما بباب ننتقل عبره من أحدهما إلى الآخر. وكان في تلك السنة أستاذي بالكلية الدكتور يوسف عز الدين أميناً عاماً بالمجمع في بدء رئاسة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين للمجمع في عام ١٩٦٥ بعد وفاة الشبيبي (رحمه الله) رئيسه الأسبق. وحضرت في هذه السنة لأول مرة في نشاطات المجمع (المؤتمر العلمي) الذي أقامه المجمعان العراقي والمصري في بغداد، واشترك به عدد كبير من أعضاء المجمعين ببحوث رصينة عالية مؤثرة ، ولكن كان لبحث السيد محمد تقي الحكيم (رضوان الله عليه) المُسمى أو المُعنون بـ (الوضع)، ولعلَّ كثيراً من الموجودين قد وقف على هذا البحث الذي أصبح كتاباً بعد ذلك تتداوله أيدي العلماء. هذا البحث كان مشاركته في هذا المؤتمر وقرأه بنفسه فأثار من الاعجاب والملاحظات والمداخلات ما صار ظاهرةً نتحدث بها في كليات الآداب والتربية وأقسام اللغة العربية في كل مكان، إن المؤتمر المجمعي شهدَ بحثاً أثار ضجة لرصانتهِ وجِدّته وإضافته وإبداعه .

واستمرت القافلة تسير وكان المجمع قد ضمَّ في تشكيلته الأولى التي أسسته عام ١٩٤٧ علاّمة التاريخ الكبير الدكتور جواد علي، والمجمع طبع كتابه المشهور (تاريخ العرب قبل الاسلام) طبعته الأولى في ثلاثة أجزاء قبل أن يتوسع به مؤلفه فيكون عشرة مجلدات فرضت نفسها علمياً على العالم فتُرجمَ إلى عشر لغاتٍ حية فصار اليوم، تتداوله عشر لغات، ولا يعرف المستشرقون والأجانب عن تاريخ العرب قبل الاسلام إلاّ ما قدمه جواد علي في هذا الكتاب الكبير وهو كتاب عجيب، عجيبٌ في دلالته على علم الرجل وعمقه في تناول الموضوعات. وقسمه تقسيماً منهجياً رائعاً تاريخ العرب السياسي قبل الاسلام، تاريخ العرب الاقتصادي، تاريخ العرب الاجتماعي وتاريخ العرب اللغوي. وكنتُ أتأبط هذا الجزء من الكتاب الخاص بتاريخ العرب اللغوي لأنه يسلط الضوء على لهجاتنا العربية اليمنية السبئية والحميرية والقتبانية والمعينية باتقانٍ عجيب لأن جواد علي (رحمه الله) كان هو المختص الأول بين العرب بالخط المُسند وله الفضل كما يعترف اليمن السعيد في قراءة ما اكتشف من الكتابات وتصحيح ما دونه المستشرقون من هذه القراءة وكانت له تصحيحات كثيرة كانت تحتاج إلى عربي يعرف روح العربية ليصل إلى المقصود من التعبير. ومن أمثلة ذلك ما كان من:

(ميم قاف ميم) قرأها المستشرق، قال: السياق يدلُ على أنها بمعنى منزلة أو مكانة. قال جواد علي في تعليقاته على قراءة المستشرقين : العربية منذ ذلك اليوم لا تَرسِمُ حروف المد وتقرؤها كما نفعل نحن في هذا وهؤلاء وذلك والرحمن وإلى آخر هذه الكلمات التي يسقط منها حرف المد في الرسم ويقرأ في القراءة وقال هذه الكلمة تقرأ مقام ولا نحتاج حينئذٍ إلى القول بأنها بمعنى مكانة أو منزلة وهكذا تَتَبع ذلك بعلم غزير. بل انما أُفَصّلُ الكلام لتعرفوا معنى "عضو مجمع". إذ كان أعضاؤه كلُّ واحدٍ منهم مجمعاً يمشي على رجليه بما يحتفظ به من علم غزير. ثم وضع الدكتور جواد علي معجمًا اشتركت جامعة باريس وصنعاء في طبعه اسمه (معجم اللغة السبئية)، ويرى ان أقدم صورة للعربية هي الحبشية لأنها ما زالت تحتفظ بالأصل المفترض للأفعال الجُوف. نحن نقول ان قالَ من قولَ وبانَ من بينَ وهكذا يقول: إن الناطقين بالحبشية إلى الآن يستعملون قَوَلَ وبَيَنَ، وتحتفظ الحبشية بالأصل. نحن كنا نظن انها أبنية مفترضة لم ينطق بها أحد وهكذا في سائر أدلته على رأيه في ان الحبشية أقدم صور العربية.

ثم يأتي العالم الآخر من أعضائنا الذين من حقهم أن نستذكرهم ونستلهمهم (طه باقر) نائب رئيس المجمع إلى وفاته في كتابه الذي طَبعه المجمع (ما يُسمى في عربيتنا بالدخيل)، هذا الرجل الذي أتقن الخط المسماري وقرأهُ وترجمهُ واختص بالحضارات العراقية. وضع كتاباً مجمعياً رائعاً لذيذاً ممتعاً يؤصل فيه استعمالاتنا العامية، فإذا بها ليست عامية بالمعنى المحلي ولا مُقترضة من اللغات المجاورة، فيفاجِئنا بأنها كلمات عمرها سبعة آلاف سنة وستة آلاف سنة، ما تزال في التداول من أيام السومريين والبابليين والأكديين وأشهرها بيننا (كُبة وكَباب) كلمتان دالتان على أكلتين بابليتين بالاسمين نفسيهما، البابليون أكلوا كبة وكباب بالاسمين نفسيهما المستعملين إلى اليوم . وما يتداوله الناس من (أكو)، (ماكو) بمعنى يوجد ولا يوجد: أكديتان بالمعنى نفسه ، هذا استعمال عمره سبعة آلاف سنة. من كشفه لنا؟ ومن ترجمه لنا؟ فذٌّ من أفذاذ المجمع. المجمع كان يضم أمثال هؤلاء . قال إنَّ هذه الأداة التي يصعد بها صاعد النخل الطوق الحديدي الذي يُسمى لدى أهل المهنة بـ (التبلية) الاسم والأداة سومرية وعمرها سبعة آلاف سنة. كتاب ممتع أنا عندما أمسكت بالكتاب أقرؤه لم أستطع أن أتركه دون أن أنهيه فهو لذيذ، إذا بي أتحدث بلغات ابائي وأجدادي قبل سبعة آلاف سنة في العراق، وأنا أقول آبائي وأجدادي لا على سبيل التكلّف أو الخيال . يقول الدرس العلمي انه: كان السومريون الذين سكنوا العراق من شمال سامراء – وظهر ان كلمة سامراء مشتقة من سومر لا سُرَ من راى ولا ساء من رأى لأننا وجدنا حولها آثار سومرية. من شمال سامراء إلى الخليج ومن مدينة سومار التي هي سومر أيضا دخلت ايران إلى غرب العراق، في هذه البقعة كان يعيش ثلاثون مليون سومري، في تحليلات علمية مستشرقية عربية. أين ذهب هؤلاء ؟ لم يتبخروا، هم آباء وأجداد رضينا أم أبينا تغيرت لغتهم وتغير دينهم لكن هم الآباء والأجداد فتعبيرنا آباؤنا وأجدادنا دال على هذه المفارقة العلمية.

اقتنص فرصة وجود أخي الدكتور المفكر الأستاذ الرفاعي المحب للعربية وللمجمع ممثل رئيس الوزراء بيننا الآن لأشكو له الموقف الرسمي من المجمع خلال عشرين عاما بل أكثر. هو بدأ من سنة ١٩٩٦ موقف يعمل على تهميشه وعلى نسيانه وعلى عدم الالتفات إليه وكأنه غير موجود ، فوجئت منذ أن تسلمت رئاسة المجمع أن المجمع بلا ميزانية إلى حد الفلس، لا تصدقون إلى حد الفلس. لا يأتي من وزارة المالية إلا رواتب الموظفين ، فإذا عطل جهاز من أجهزتنا في المطبعة أو الحاسوب فاننا لا نملك مبالغ إصلاحه ومثله السيارات والمولدة التي يجيء الصيف بدرجة حرارة ٥٢ مئوية وتتوقف الأجهزة والمولدة عاطلة. وهكذا شؤون كثيرة. واليسير من الأشياء الضرورية يتبرع بها الموظفون من جيوبهم، هذا من الجانب المادي، لماذا لا أعلم؟ وعندما صدر أمرٌ ديواني يُكلفني برئاسة مجلس أمناء بيت الحكمة إضافة لرئاسة المجمع، رأيتُ انه مُدلل قياساً إلى المجمع، يعني إذا أرادت الجهات الرسمية المالية أن تلتفت فتستطيع أن تلتفت وتُعطي وتُغدق كما فعلت مع بيت الحكمة. فلماذا يكون هذا الاهمال للمجمع؟ على كلٍّ أرجو أن يُعاد النظر في ذلك بما يتناسب وقيمة المجمع.

وقيمة المجمع أحبتي ترونها في عيون من كُتِبَ له أن يخرج من العراق، ويذكر اسم المجمع أمام العرب فيرى كيف هي منزلته وقيمته أضعاف قيمته ومنزلته في داخل العراق. خرجتُ إلى مؤتمرات فيُعبِرون ان المجمع العراقي هو الأستاذ وأعضاء مجامع عربية يقولون نهلنا من كُتِبِ مجمعكم وانجازكم وأفدنا منها كثيرًا. فبهذه الروح المستحقة يجب أن يكون الالتفات، واستغرب أن تكون مثل سوريا والأردن اللتان هما أقل قدرةً مالية من العراق تلتفتان إلى المَجمعَيْن التفاتا باهراً.

زرتُ المجمعين ورأيت كيف تهتم الحكومة السورية بمجمعها والحكومة الأردنية بمجمعها. لماذا لا أعلم؟ ألا تريدون المجمع؟ اغلقوا الباب فذلك أكثر كرامةً في مسيرة المجمع من الإهمال. نعم كان أسلافنا في المجمع ينجزون ويقاومون العقبات ونحن على خطاهم ننجز ونقاوم ، ولكن نرجو أن يكون الالتفات – ولو متأخرا – قادماً إلى المجمع.

لا أريد أن أطيل ولكن أدعو إلى رعاية المجمع والاهتمام به مؤملاً من الأستاذ الدكتور الرفاعي ممثل رئيس الوزراء الذي كان وجوده يشجعني على مثل هذه الأفكار، أن ينقل الصورة لتدارك هذه الهنات والنواقص. ولا يسعني في الختام إلّا شكر من عضد المجمع وهبَّ للمساعدة ومدَّ يد العون وأخص بالثناء الكبير والامتنان الوفير هيأة الحشد الشعبي والعتبات المقدسة الحسينية والعباسية والكاظمية ، وأدعوه سبحانه أن يجزيهم عنّا خير جزاء المحسنين وأن لا يحرمنا منهم أبداً.

شكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة اللجنتين (التحضيرية والعلمية) لمؤتمر المجمع العلمي بمناسبة عيده الماسي
ألقاها الأستاذ الدكتور مهدي صالح الشمري (رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر)

الحمد لله .. والصلاةُ والسلام على رسول الله .. وعلى آله وصحبه ومن والاه .. ثمَّ الحمدُ لله الذي شرّفنا بالانتماءِ لهذه اللغةِ الكريمةِ الخالدة .. التي رَفَعَها الرحمنُ بنزولِ القرآن .. ثمّ الحمدُ لله الذي جعلنا من الذين يحرُصون عليها .. ويدافعون عنها .. ويَسعَونَ جاهدينَ جادِّينَ في تقديمها لأبنائهم غضّة طريّة ..... إنّها العربيةُ .. هُوِيَّتُنا .. وذاكرتُنا الحضاريّة .. وأملُنا لمستقبلٍ واعد .. وجامعتُنا على مصير واحد إن شاء الله ..

السيّد رئيس الوزراء المحترم .. السادة الوزراء المحترمون .. السادة رؤساء الجامعات المحترمون .. السادة عمداءُ الكليات المحترمون... ضيوفنا الكبار... وأساتذتِنا الفضلاء.. والحضور الكريم من الباحثين الأجلّاء .. مع حفظ المقاماتِ والألقاب ..

السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ..

أُحيّيكم باسمِ اللجانِ التحضيريّة لمؤتمرنا العِلميّ .. بمناسبةِ العِيدِ الماسيّ للمجمعِ العلميّ العراقيّ وشعارنا : مجمعُنا .. هُوِيَّتُنا .. وانتماؤنا .. وفي هذه المناسبةِ العزيزةِ ونحنُ نبذِلُ ما استطعنا في تهيئةِ ما يُناسبُ بهاءَ مجمعنا العتيد.. ويليقُ بمكانةِ علماءِ العراقِ .. ومنجزاتِ أعضاءِ مجمعه .. بدءًا من تأسيسه برئاسةِ الشبيبي الكبير ومرورًا بالعطاء المتواصل والسيرة العطرة الممتدة لخمسةٍ وسبعين عامًا.. عطاءً متواصلًا أسهم فيه الأعضاء الأجلاء من القامات العراقيّة السامقة.. وصولًا إلى رئاسةِ آلِ ياسينَ المبدعِ الذي يحاولُ بهمّةٍ عالية إعادةِ الحياةِ لهذا الصرحِ العراقيّ العظيم وسيرته الوضّاءة .. بعدَ أن اعترضها من الفتورِ والتراخي وربما الجفاء ..

أيُّها الحضور الكريم إنّ التفكيرَ في تأسيسَ المجمع العلميّ العراقيّ كان قد بدأ في عشريناتِ القرنِ الماضي، وتحديدًا في السادس والعشرين من تشرينِ الثاني سنةِ واحدٍ وعشرين وتسعمئة وألف.. إذ دعا وزير المعارف حينذاك إلى وجوبِ تعزيزِ لسانِ الأمّةِ والدولة بإنشاء (لَجنةِ الترجمةِ والتعريب) ، لوضع الأسماء للمسمّياتِ الأجنبيّة ، التي لا اسمَ لها في اللغة العربيّة ، ثمّ أعيدت المحاولة بعد نحوِ خمسِ سنين بتسمية الأعضاء الذين سَعَوا إلى وضع الأسسَ العلميّةَ المناسبة التي تجعلُ العلوم بلغةِ المجتمعِ وتوسيعِها وإنهاضِها لتستوعبَ المُستجدّات والمُستحدثات..

أمّا التأسيس الرسميّ فكان أيضًا في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني لكن من عام ١٩٤٧ أي بعد تأسيس مجمع اللغة العربيّة في دمشق ١٩١٩، ومجمع اللغة العربيّة في القاهرة

١٩٣٢، فكان مجمعنا معلمًا عراقيًّا من معالمِ الثقافة والفكر ورمزًا من رموز شموخه الحضاريّ ونهضته الحديثة .. يُعنى بسلامة اللغة العربيّة وآدابها ومخطوطاتها وتاريخها وحضارتها.. وبإصدار الكتبِ والمجلاتِ والوثائق والنشريّات وبوضعِ المعجمات العلميّة واللغويّة .. وتوثيق الصلة بالجامعاتِ العراقيّة وبالمجامعِ والمؤسّساتِ العلميّة والثقافيّة العربيّة ومؤسساتِ الاستشراقِ وأفراده .. وتعضيدِ البحوث الأصيلة وتشجيع الترجمة وإقامة الندوات ..

وكان المجمع قد عُنِيَ بالمحافظة على اللغة العربيّة وأخواتها من اللغات العراقيّة القديمة والحديثة ، ولاسيّما اللغة الكرديّة والسريانيّة والتركمانية والمندائيّة وغيرها ..

ولا بُدَّ لي أن أشكرَ الجُهودَ الطيّبَة لحَشدِنا المُقدّسِ الذي أعاد تأهيل بناية المجمع العلمي العراقي الذي لولاهُ لما تهيَّأ لهذا المُؤتمر المستلزمات الأساسيّة للنجاح .. بالهمّة العراقيّة الاستثنائيّة التي عُرِفوا بها .. والغَيرة التي غيّرت ما لا يتصوّرُ أن يتغير في مُدّةٍ قصيرة .. شبابٌ مُلِئوا إخلاصًا وتفانيًا .. أعادوا الحياةَ والبهجةَ لكلِّ زاوية من زوايا هذا المجمع .. فلهم منّا كلَّ التقدير والاحترام .. والشكر موصول للعتبة الحسينيّة التي دعمت هذا الاحتفال ..

إذ نحسبُها بادرة طيبة للحكومة الجديدة .. نرجو أن تكون مقدمة لتنفيذ توصيات هذا المؤتمر.. وتحقيق مستلزمات تطبيق قانون المجمع العلمي العراقيّ الجديد ٢٢ لسنة ٢٠١٥، والذي حدد أهداف المجمع وجعله المرجعيّة العلميّة في حقل الاختصاص في إحياء الإرث العراقي والعربي والإسلاميّ في العلوم والآداب والفنون ، ومواكبةِ التقدّمِ العلميّ الحديثِ والنهوضِ بالدراساتِ والبحوثِ العلميّةِ والتقنيّاتِ الحديثة ، وإعداد الدراسات والبحوث الهادفة إلى التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة ومكافحة الفكر المتطرّف ، وإقامة المؤتمرات الوطنيّة والعربيّة والدوليّة وعقد الندوات والمواسم الثقافيّة ، وترجمة ما يصدر من كتب وبحوث باللغات الأجنبيّة ... إلخ .

ونقولُ : إنّ المجمع العلميّ العراقيّ مؤسسة علميّة لغويّة رسميّة ترتبط بمجلس الوزراء ماليًّا وإداريًّا تتأثّرُ بحركة الدولة وواقع المجتمع وبالتطورات الثقافيّة والسياسيّة الداخليّة والخارجيّة ، بها حاجة لتحقيق أهدافها إلى إسناد دولة .. وإنّ لغتَنا تستحق الكثير.. لأنها حاملة حضارة من جيل إلى جيل مستقبل أمّة .. وأخيرًا ندعو إلى تهيئة ما يجعلُ المجمع قادرًا على أن يؤدّي رسالته ومهماته أداءً يليق بالعراق وبتاريخه ومقام رجاله .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمات السادة العلماء الأعلام رؤساء المجامع العربية المرسلة على أشرطة بثت على شاشة الاحتفال:

تحية المجمع اللغوي العلمي العراقي في عيده المئوي الأول

الأستاذ الدكتور حسن محمود الشافعي

رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف/ القاهرة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ومن تبع هواهم وسلك نهجهم، إلى يوم الدين – آمين– وبعد:

ففي المدينة المنورة بسكناه –عليه السلام– تَمَّ نزول القرآن الكريم، فولد عصر جديد للحضارة الإنسانية، ودور مجيد للغة القرآن الكريم، ونَهَضَتِ الأمةُ الاسلامية– في قلب العالم القديم– بهذه الرسالة الحضارية الإنسانية، وأهدتها إلى العالمين.

وفي هذه المدينة المباركة: بدأت الفتوحات العلمية العربية وخصوصًا في علوم اللغة والبيان، وعلوم الفقه والتشريع، على يد الصحابة والتابعين، ثم انتقلت راية البحث العلمي، والإبداع العربي إلى مدينتين زاهرتين بحلقات البحث والنظر، ومجالس الفكر والأثر: في البصرة والكوفة، واتسعت رقعة الإبداع العلمي فشملت: علومَ القرآن وبحوثَ الإعجاز، وعلومَ السنة ونقدَ الأسانيد والمتون، وبحوثَ العقيدة والتصوف وغيرها من علوم الدين والحياة.

وأفضى ذلك كله إلى عاصمة العالم الإسلامي– بل حاضرة العالم كله حينذاك: بغداد وما أدراك ما بغداد: خمسة قرون من عمر العالم، في عصره الوسيط.

وحين أدت تقلبات الزمان، ونوازل الحدثان، إلى ما عرف "بالنهضة الغربية الحديثة"، فى القرنين الأخيرين: التاسعَ عشرَ والعشرين الميلاديين: كانت بغداد فى قلب هذه النهضة: فكرًا ونظرًا ،وشعرًا ونثرًا، وتضحيةً وصبرا، وتجسَّدَ ذلك كله في قيام المجمع العلمي اللغوي العراقي، في مطلع العقد الثالث من القرن العشرين، متزامنًا مع مجمع دمشق، وسابقًا بعقد واحد لمجمع القاهرة الرسمي، الذي كان قد أقيم أهليا في العقد الأول من القرن نفسه، وحق لنا أن نحتفي الآنَ بالعيد المئوي الأول لهذا المجمع البغدادي العتيد.

لقد استمد المجمع العراقي في بغداد عراقته من عراقه العراق وبغداد نفسها، ولم يكن عجبا أن تعود فكرة المجمع العلمي العراقي إلى أكثر من قرن مضى من الزمان، كما قلت في كلمتي التي حظيت بصدارة "مجلة هذا المجمع" في عددها الممتاز، بريادة رجل الفكر واللغة، الحسيب النسيب الدكتور محمد حسين آلِ ياسين (حفظه الله) وعدت بذاكرتي إلى إنجازات المجمع العراقي ودورِهِ الخاص المتميز في إنشاء "اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية" في القاهرة ودور الزميل

الكريم والراحل العزيز الدكتورَ أحمد مطلوب –رحمه الله– رئيس المجمع السابق فى هذا الصدد، ولعله الأنَ، وإخوانَه المجاهدين الراحلين، يتابع من عالم الخلود، ما أصدره هذا الاتحاد من المجلدات الستة والثلاثين، من المعجم التاريخي لَلَغة العربية، وتُمِثل ثلث المعجم تقريبا، محققًا بذلك أمل الأمةِ، وعلماءِ العربية، وباحثيها –على المستوى العالمي– بإصدار هذا العمل الكبير "المعجم التاريخي للغة العربية– بحمد الله.

هنيئًا لكم –أيها الإخوة الكرام– في العراق العزيز، بهذه المناسبة الكريمة، العيد المئوي الأول، للمجمع العراقي العتيد، بل هنيئًا لأمتكم كلها بتلك المناسبة، وبالتاريخ العلمي المشرف لهذا المجمع في إطار حركة المجامع اللغوية العلمية المعاصرة.

وإذ أتطلع إلى أن أرى رأى العين، وأصافح بجمع اليد، رجال المجمع البغدادي الكرام، مقدما إليهم التهنئة الواجبة، في مدينتهم الخالدة أقنعُ الآنَ بهذا التواصل، وهذا التراسل عن بعد، بين ضفاف النيل وأرض الرافدين، مكررًا التهنئة، ملقيًا بعين الخيال، على ما سيقوم به "المجمع العراقي" في مئويته الثانية، من إنجازاتٍ علمية، وإسهاماتٍ فكرية في خدمة العربية، والثقافة الإسلامية، وعودة الزمام الحضاري –بإذن الله– إلى أيدى هذه الأمة الخاتمة، لتبث مكارمَ الأخلاق ومحاسنَ الشيم، في عروق الحضارة المعاصرة، التي تكاد تعصف بها رياح الحيرة، وعواصف الأنانية، وشهوة التغلب على الآخرين، وتهدد من جديد بحروب عالمية، تشقى الناس وتؤجج الصراع بينهم، وتريق دمائهم، بلا وازع من خلق أو ضمير وكأنى بصوت من ذرا الكاظمية والأعظمية وأكنافهما المباركة يلوح، مما نحا:

ملكنا فكان العدل منا سجيةً ***

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

فحسبكمو هذا التفاوت بيننا ***

فكل إناء بالذي فيه ينضح

أيها الإخوة في العراق العزيز: إليكم التهنئة ولنا أيضًا، وليست هذه خيالات شيخ عجوز، صاحب الزمان قرابة قرن كامل، بل هي – إن شاء الله – بشائر الغد، وقرائن التاريخ، ودورة الحضارة الإنسانية. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

والحمد لله رب العالمين

تحرير في ١٤٤٤/٤/٢٨هـ

٢٠٢٢/١١/٢٢م

العيد الماسي للمجمع العلمي اللغوي في العراق

الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيّد

رئيس مجمع اللغة العربية/ بدمشق

المحتويات

أولًا– توطئة:

إنّ مجمع اللغة العربية بدمشق يهنئ أخاه المجمع العلميّ العراقيّ رئيسهَ، وأعضاءه، وعاملين فيه، بهذه المناسبة السعيدة مناسبة الاحتفال بالعيد الماسيّ للمجمع، وهي مناسبة ليست بعزيزة على قلوب شعبنا العربيّ في العراق وحدَه، وإنما هي عزيزة على قلوب أبناء الأمّة كافة، ما دامت مسيرته تجلّت في خدمة موحّدِة كلمتنا، ورابطة شملنا، ولسان قرآننا المبين، والمعبّرة عن

ذاتيتنا الثقافية، وهويتنا الحضاريّة، ومحبوبتنا الأثيرة، ورحم الله الشاعر العربيّ السوريّ نزار قبانيّ القائل:

إنّـي أحبّـك كـي أبقـى علـى صـلـة   بـالله، بـالأرضِ، بالتـاريخِ، بـالزمنِ

أنـت الـبلادُ التـي تعطـي هويتـهـا   مـن لا يحبّـك يبقـى دونمـا وطـنِ

لا شيء أجمل ولا أبهى ولا أكمل من لقاء الفكر بين الأشقاء، ووحدة الرؤية، وتنسيق الجهود في سبيل تحقيق الغايات النبيلة، والأهداف الجليلة، وأيّ غاية أسمى من خدمة الروح والهويّة والوطن ؟ وما كانت لغتنا العربية إلا روح هذه الأمة الواحدة، وهويتها الحضارية، ووطنها العريق، وإعجاز قرآنها الكريم، والمعبرة عن ذاتية ثقافتها، ونبل مقاصدها.

ولكم يفرح أحدُنا حينما يجد كوكبةً من علماء أمتنا في مجمعي اللّغة العربيّة في العراق والشام، يكمّل بعضهم بعضهم الآخر في التأليف، والتحقيق، والبحوث، والدراسات، وإنجاز المقالات، وإلقاء الكلمات، والقصائد الشعريّة، والمقطوعات، والتعريف بالنتاج الفكريّ لبعض من الأعضاء المجمعيين في العراق على صفحات مجلة المجمع العلميّ اللغويّ في دمشق.

وما كان الشعبان العراقيّ والسوريّ إلا شعبًا واحدًا في بلدين، ورحم الله شاعرنا العربيّ السوريّ بدويّ الجبل القائل:

لـيس بـين العـراقِ والشـامِ حـدٌّ   هـدّم الله مـا بَنـوا مـن حـدودِ

<u>ثانيًا – لمحة تاريخية:</u>

من الصروح العلميّة التي نعتزّ بها على الصعيد القوميّ مجمع اللغة العربيّة بدمشق الذي أُنشئ عام ١٩١٩ بعد حصول سورية على استقلالها، وتحرّرها من الاستبداد التركي البغيض الذي ابتليت به بلاد الشام والعراق، وكان أول رئيس لمجمع دمشق – وكان اسمه آنذاك المجمع العلمي العربي– هو الأستاذ المفكر الكبير الدكتور محمد كرد علي رحمه الله.

وتجلت أهدافه فيما يأتي: [١]

١– النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصريّة، ونشر آدابها، وإحياء مخطوطاتها، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربيّة، وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة الموضوعات على نمط جديد.

٢– جمع الكتب مخطوطة، ومطبوعة، وتأسيس متحف لها.

---

[١] مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق– المجلد الأول– الجزء الأول– كانون الثاني عام ١٩٢١ ص٦.

٣- جمع الآثار القديمة عربيّة، وغير عربيّة، وتأسيس متحف لها.

٤- إصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها أفكاره وأعماله، وتكون رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة.

وغنيّ عن البيان أن دار الكتب العامة التي ارتبطت بالمجمع هي المكتبة الظاهريّة، وأن موضوع الآثار، وتأسيس متحف لها كان مرتبطًا بالمجمع قبل إحداث وزارة الثقافة إبان الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨.

وأضحى اسم المجمع «مجمع اللغة العربية» في عهد الوحدة بين سورية ومصر بدلًا من تسميته بالمجمع العلمي العربي، وذلك على غرار تسمية مجمع اللغة العربية في القاهرة.

وثمة صرح علمي آخر هو المجمع العلمي العراقي الذي صدرت الإرادة الملكية في العراق عام ١٩٤٧ بإنشائه، وكان الملك العراقي آنذاك فيصل الثاني بن غازي، وهو آخر ملوك العراق من الأسرة الهاشميّة. ومن أهدافه:

١- العمل على العناية بسلامة اللغة العربيّة، ونبش تاريخ علمائها وأدبائها ومخطوطاتها.

٢- العناية بالعلوم الحديثة وفنونها تأليفًا وترجمة.

٣- العناية بكل ما له صلة بذلك من مباريات ثقافية، واتصال بالجامعات، والمجامع العلمية، وعقد مؤتمرات، وإنشاء دار طباعة، ومجلة، ودار كتب.

وقد جعل أعضاؤه أربعة أصناف: عاملين ومساعدين وفخريين ومراسلين، وحدّد عدد أعضائه العاملين بخمسة عَشَرَ عضوًا، وكان رئيسه معالي محمد رضا الشبيبي وزير المعارف آنذاك، وثمة نائبان للرئيس هما توفيق وهبيّ، والدكتور هاشم الوتريّ، وأمين مجمع هو الدكتور جواد عليّ.

<u>ثالثًا- مجالات التعاون بين مجمعي اللغة في بغداد ودمشق:</u>

ونحاول فيما يأتي تسليط الأضواء على ما جرى من تعاون بين مجمعي اللغة العربية في دمشق وبغداد في العقود السابقة، وتجلّى هذا التنسيق والتعاون في أمور متعددة من أهمها ما يأتي:

<u>أولًا- الكتب التي ألفها أعضاء في المجمع العلميّ العراقيّ، ونشرت ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق:</u>

بلغ عدد الكتب التي ألفها أعضاء في المجمع العلميّ العراقيّ، ونشرت ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ثلاثة كتب، مرتبة ترتيبًا زمنيًا وهي:

١- سفر خالد بن الوليد من العراق إلى الشام لمؤلفه طه الهاشميّ عام ١٩٥٣.

٢- مدرسة سالرنو الطبية، لمؤلفه فيصل دبدوب عام ١٩٦٦م.

٣- مزاعم بناء اللغة على التوهم لمحمد بهجة الأثريّ لمؤلفه محمد حسن آل ياسين عام ١٩٧٥م.

ثانيًا- الكتب التي حققها أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سبعة كتب، مرتبة ترتيبًا زمنيًا وهي:

١-فُتيا فقيه العرب لأبي الحسن أحمد بن فارس اللغوي لمحققه حسين علي محفوظ عام ١٩٥٨م.

٢-المقدمة من كتاب المسائل والأجوبة (مسألة رب) للبطيلوسي لمحققه إبراهيم السامرائي عام ١٩٦٣.

٣-مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لأحمد بن فارس لمحققه فيصل دبدوب عام ١٩٦٧م.

٤-من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة لابن حبّوبة لمحققه محمد حسن آل ياسين عام ١٩٧٥م.

٥-كتاب المتوارين للحافظ الأزدي لمحققه محمد حسن آل ياسين عام ١٩٧٥م.

٦-تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع لابن جني لمحققه محمد بهجة الأثري عام ١٩٨٠م.

٧-كتاب الدواهي لمعمر بن المثنى التيمي، ومحمد بن الحسن الهاشمي لمحققه هلال ناجي عام ٢٠٠٩م.

ثالثًا- المقالات التي كتبها أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وتناولت بحوثًا، ودراسات في اللغة والأدب والنحو والصرف، والمعاجم، والتاريخ، والعلوم، والمصطلح، واللهجات فضلا عن التراجم، والقصائد، والاستدراكات، والملاحظات، والتعليقات، والنقد، والتعريف بالكتب، وقد بلغ عدد هذه المقالات ٣٣٩ مقالًا على النحو المبين فيما يأتي؛ وقد رتبت تنازليًا في ضوء كاتبيها:

أ- أعضاء راوح عدد مقالاتهم بين ثلاثين مقالة وما فوق، وهم:

١-انستاس ماري الكرملي، وكان أكثر الأعضاء غزارة في الكتابة، إذ بلغ عدد مقالاته المنشورة في مجلة مجمع دمشق ثمانية وخمسين مقالةً.

٢-مصطفى جواد، وبلغ عدد مقالاته المنشورة في مجلة مجمع دمشق ثلاثًا وأربعين مقالة.

٣- عباس العزاوي، وبلغ عدد مقالاته المنشورة ثلاثين مقالة.

ب- أعضاء راوح عدد مقالاتهم بين العشر والعشرين مقالة، وهم على النحو الآتي:

١-صفاء خلوصي، وبلغ عدد مقالاته المنشورة عشرين مقالة.

٢-أربعة أعضاء بلغ عدد مقالات كل منهم المنشورة تسع عشرة مقالة، وهم:

محمد بهجة الأثريّ، داوود الجلبي الموصلي، علي جواد الطاهر، كوركيس عواد.

٣-إبراهيم السامرائي، بلغ عدد مقالاته المنشورة ثماني عشرة مقالة.

٤-طه الراوي، بلغ عدد مقالاته المنشورة أربع عشرة مقالة.

٥-محمود شيت خطاب، بلغ عدد مقالاته المنشورة إحدى عشرة مقالة.

٦-حسين علي محفوظ، بلغ عدد مقالاته المنشورة عشر مقالات.

ج- أعضاء راوح عدد مقالاتهم بين الخمس وأقل من عشر، وهم:

١- هلال ناجي، بلغ عدد مقالاته المنشورة سبع مقالات.

٢-ثلاثة أعضاء بلغ عدد مقالات كل منهم ست مقالات، وهم:

محمد رضا الشبيبي، محمود الملاح، ميخائيل عواد.

٣-فيصل دبدوب، بلغ عدد مقالاته المنشورة خمس مقالات.

د- أعضاء راوح عدد مقالاتهم بين اثنتين، وأقل من خمس، وهم:

١-اغناطيوس يعقوب الثالث، وقاسم السامرائي، بلغ عدد مقالات كل منهم أربعًا:

٢-جميل صدقي الزهاوي، بلغ عدد مقالاته ثلاثًا.

٣-حازم الحلي، ساطع الحصري، محمود شكري الألوسي، بلغ عدد مقالات كل منهم اثنتين.

٤-أعضاء نشر كل منهم مقالة واحدة، وهم: إبراهيم الواعظ، أحمد حامد الصراف، بهيجة باقر الحسني، حارث طه الراوي، عبد العزيز الدوري، علي القاسمي، محمد باقر علوان، محمد تقي الحكيم، محمد حسين آل ياسين، محمد صديق الجليلي، منير القاضي، ناجي معروف.

رابعًا – المقالات التي كتبها أعضاء في مجمع اللغة العربية بدمشق عن أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت في مجلة المجمع بدمشق، وبلغ عددها ثماني مقالات، وأغلبها في الرثاء لبعض الأعضاء الراحلين، وهي:

١– حفلة تأبين محمود شكري الألوسي، ومصطفى المنفلوطي نشرت في مجلة المجمع العلمي اللغوي عام ١٩٢٤م.

٢– نشر الدكتور محمد عدنان الخطيب أربع مقالات عن أعضاء راحلين في مجمع بغداد، وهم:

- فقيد العروبة ساطع الحصري نشرت في مجلة المجمع عام ١٩٦٩.
- مجمعي افتقدناه: ناجي معروف العبيدي– نشرت في مجلة المجمع عام ١٩٧٧م.
- فقيدان مجمعيان جليلان: أحمد ناجي القيسي وجواد علي، نشرت في المجلة عام ١٩٨٧.

٣– نشر الدكتور عز الدين التنوخي عام ١٩٦١ مقالة عن محمود شكري الآلوسي وآرائه اللغوية.

٤– نشر الدكتور عبد اللطيف الطيباوي مقالة عن معروف الرصافي والاستقلال العربي، نشرت في مجلة المجمع عام ١٩٧٨.

٥– نشر المرحوم الدكتور ممدوح خسارة مقالة في مجلة المجمع عام ٢٠١٧ عن الشيخ محمد رضا الشبيبي.

خامسًا – المحاضرات والبحوث والكلمات والقصائد الشعرية التي ألقاها أعضاء من المجمع العلمي العراقيفي مؤتمرات مجمع اللغة العربية بدمشق، وندواته، واحتفالاته:

١– **بحوث وكلمات الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب:**

- بحث «تيسير البلاغة» ألقي في ندوة «اللغة العربية معالم الحاضر وآفاق المستقبل» عام ١٩٩٧م.
- بحث عن «معجم الحضارة الحديثة» ألقي في ندوة «المعجم العربي» عام ٢٠٠١م.
- بحث «تيسير النحو» ألقي في المؤتمر السنوي الأول لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٢م.
- بحث «المصطلح نشأته وتطوره» ألقي في المؤتمر السنوي الثالث لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٤م.

- بحث «التشريع اللغوي» ألقي في المؤتمر السنوي الرابع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٥م.

- بحث «عالمية اللغة العربية» ألقي في المؤتمر السنوي الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٦م.

- بحث «لغة الطفل» ألقي في المؤتمر السنوي السادس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٧م.

- بحث «الطفل واكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق» ألقي في المؤتمر السنوي السادس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٧.

- بحث «تجديد البلاغة» ألقي في المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٨م.

- بحث «علم الحيل عند العرب» ألقي في المؤتمر السنوي الثامن لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٩م.

- بحث «دور التعريب في الكتابة العلمية باللغة العربية» ألقي في المؤتمر السنوي التاسع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠١٠م.

- **أما الكلمات التي ألقاها الدكتور مطلوب فهي:**

- كلمة في افتتاح المؤتمر السنوي الثاني لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٣.

- كلمة في افتتاح المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٨.

- **وألقى الدكتور علي القاسمي البحثين الآتيين في مؤتمرات مجمع اللغة العربية بدمشق:**

- بحث «لسانيات المدونة الحاسوبية وصناعة المعجم العربي»، ألقاه في المؤتمر السنوي السادس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٧م.

- بحث «معالجة الرموز والمعادلات والمختصرات والمختزلات في الكتب المدرسية العلمية والمعربة في الأقطار العربية– دراسة مقارنة مع مقترحات منهجية»، ألقي في المؤتمر السنوي التاسع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠١٠.

- بحث «مدونة اللغة العربية: مشروع تأسيس بنية تحتية للغة العربية» ألقاه الدكتور عدنان عيدان في المؤتمر السنوي الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٦.

- بحث «تذليل العقبات لتطوير مؤشرات صناعة المحتوى الرقمي» ألقاه الدكتور علي حسن طارش في المؤتمر السنوي العاشر لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠١٩م.

ولقد شارك المجمع العلمي اللغوي ببغداد في الاحتفالية التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق بمناسبة ذكرى مرور ألف سنة على مولد أبي العلاء المعري عام ١٩٤٥، وكان ممن شاركوا في هذه المناسبة:

- الشاعر الكبير «محمد مهدي الجواهري» في قصيدة شعرية .
- الشاعر الكبير «معروف الرصافي» في قصيدة شعرية عنوانها «شاعر البشر».
- الشاعر « محمد مهديّ البصير» في بحث عنوانه «على قبر أبي العلاء».
- العضو «طه الراويّ» في بحث عنوانه «سر الخلود في شعر أبي العلاء».
- الشاعر «محمد رضا الشبيبي» في بحث عنوانه «لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي».
- الشاعر «كاظم الدجيلي» في قصيدة عنوانها «الناس تخطب في علاك وتنشد».
- **أما الكلمات التي ألقيت في احتفالات متعددة أقيمت في مجمع اللغة العربية بدمشق فهي:**
- كلمة محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العراقي في المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربية عام ١٩٥٧م.
- كلمة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين بمناسبة مرور خمسين عامًا على تأسيس مجمع دمشق عام ١٩٦٩.
- كلمة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في افتتاح ندوة «المصطلح القانوني» عام ١٩٧٣.
- كلمة محمد بهجة الأثري وقصيدته في الذكرى المئوية لمولد محمد كرد علي عام ١٩٧٧.
- كلمة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في الذكرى المئوية لمولد محمد كرد علي عام ١٩٧٧.
- كلمة الدكتور ناجي معروف، وعنوانها «محمد كرد علي من علماء العرب الخالدين» عام ١٩٧٧.
- كلمة الدكتور عبد الرزاق الهلالي، وعنوانها «محمد كرد علي وعلاقته بالعلماء والكتاب العراقيين» عام ١٩٧٧.
- كلمة ناجح الراوي في افتتاح ندوة «إقرار منهجية وضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده» عام ١٩٩٩.

- كلمة الدكتور أحمد مطلوب رئيس المجمع العلمي العراقي في افتتاح المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٨م.

<u>سادسًا – المقالات التي كتبها أعضاء في مجمع اللغة العربية بدمشق عن المجمع العراقي:</u>

ثمة ثلاث مقالات كتبها أعضاء في مجمع اللغة العربية بدمشق عن المجمع العلمي اللغوي في بغداد، وعناوينها هي الآتية:

- إنشاء المجمع العلمي العراقي، مجلة المجمع عام ١٩٤٨.
- عارف النكدي «مجلة المجمع العلمي العراقي» عام ١٩٥١.
- مصطفى الشهابي «المصطلحات العلمية العربية في بغداد» مجلة المجمع عام ١٩٦٣.

<u>سابعًا – الكتب التي ألفها عراقيون من المجمع العلمي اللغوي في بغداد وغيره،</u> وعرَّف بها أعضاء من مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد بلغ عددها «٤٥» خمسة وأربعين تعريفًا على النحو الآتي:

١ – عمر رضا كحالة، وقد بلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثمانية، وهي:

- خزائن الكتب القديمة في العراق لمؤلفه كوركيس عواد، وكان نشره في المجلة عام ١٩٤٨م.
- المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين لمؤلفه كوركيس عواد، ونشر عام ١٩٦٧م.
- الأمثال البغدادية المقارنة (ج١) لمؤلفه عبد الرحمن التكريتي، ونشر عام ١٩٦٨.
- عقبة بن نافع الفهري لمؤلفه محمود شيت خطاب، ونشر عام ١٩٦٨.
- الأمثال البغدادية المقارنة (ج٢) لمؤلفه عبد الرحمن التكريتي، ونشر عام ١٩٦٩م.
- مشاركة العراق في نشر التراث العربي لمؤلفه كوركيس عواد، نشر عام ١٩٧٠م.
- معجم المؤلفين العراقيين لمؤلفه كوركيس عواد، ونشر عام ١٩٧٠.
- التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق لمؤلفه إبراهيم السامرائي، ونشر عام ١٩٧١م.
- النقد الأدبي الحديث في العراق لمؤلفه أحمد مطلوب، ونشر عام ١٩٧١م.
- بغداد لمؤلفه طاهر مظفر العميد، ونشر عام ١٩٧١.

٢ – جعفر الحسني: وبلغ عدد الكتب التي عرّف بها سبعة، وهي:

- تاريخ العراق بين احتلالين (ج١) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٤٣م.

- مأساة هندسية أو النهر المجهول لمؤلفه أحمد سوسة، وقد نشر عام ١٩٤٨م.
- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٢ وج٣) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٠م.
- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٤) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٠م.
- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٥) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٥م.
- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٦) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٥م.
- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٨) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٨م.

٣- مصطفى الشهابي: وبلغ عدد الكتب التي عرَّف بها أربعة، وهي:

- جغرافية العراق الثانوية لمؤلفه طه الهاشمي، ونشر عام ١٩٣٠م.
- تطور الري في العراق لمؤلفه أحمد سوسة، ونشر عام ١٩٤٦م.
- المباحث اللغوية في العراق لمؤلفه مصطفى جواد، ونشر عام ١٩٥٥م.
- أصول ألفاظ اللهجة العراقية لمؤلفه محمد رضا الشبيبي، ونشر عام ١٩٥٨م.

٤- شفيق جبري: وقد بلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثلاثة، وهي:

- أبو العلاء في بغداد لمؤلفه طه الراوي، ونشر عام ١٩٤٥م.
- نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر لمؤلفه محمد مهدي البصير، ونشر عام ١٩٤٦م.
- أدب الرصافي لمؤلفه مصطفى علي، وقد نشر عام ١٩٤٨م.

٥- **عبد القادر المغربي**، وقد بلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثلاثة وهي:

- الأدب العصري في العراق العربي لمؤلفه روفائيل بطي، ونشر عام ١٩٢٣م.
- أعلام العراق لمؤلفه محمد بهجة الأثري، وقد نشر عام ١٩٢٧م.
- ذكرى جمال الدين الأفغاني لمؤلفه عبد المحسن القصاب، ونشر عام ١٩٤٥م.

٦- عارف النكدي، وبلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثلاثة، وهي:

- نظام الحكم في العراق لمؤلفه مجيد خدوري، ونشر عام ١٩٤٨م.
- خزائن الكتب القديمة في العراق لمؤلفه كوركيس عواد، ونشر عام ١٩٤٩م.
- تاريخ العراق السياسي الحديث لمؤلفه عبد الرزاق الحسني، ونشر عام ١٩٥١م.

٧-أحمد الجندي، وبلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثلاثة، وهي:

- الشعر العراقي الحديث لمؤلفه يوسف عز الدين، ونشر عام ١٩٦٢م.
- العراق في الشعر العربي والمهجري لمؤلفه محسن جمال الدين، ونشر عام ١٩٦٦م.
- الأمثال البغدادية المقارنة لمؤلفه عبد الرحمن التكريتي عام ١٩٦٩م.

٨-محمد كرد علي، وبلغ عدد الكتب التي عرّف بها اثنين، وهما:

- تجارة العراق قديمًا وحديثًا لمؤلفه يوسف رزق الله غنيمة، نشر عام ١٩٢٣.
- تاريخ مساجد بغداد وآثارها لمؤلفه محمود شكري الألوسي نشر عام ١٩٢٨.

٩-عز الدين التنوخي، وبلغ عدد الكتب التي عرّف بها اثنين، وهما:

- الصحافة في العراق لمؤلفه روفائيل بطّي، ونشر عام ١٩٥٥.
- تاريخ الأدب العربي في العراق لمؤلفه عباس العزاوي، ونشر عام ١٩٦٣م.

١٠-عبد الكريم زهور عدي، وبلغ عدد الكتب التي عرّف بها اثنين، وهما:

- الشعر العراقي الحديث لمؤلفه يوسف عز الدين، وقد نشر عام ١٩٦٢م.
- العراق في الخوارط القديمة لمؤلفه أحمد سوسة، وقد نشر عام ١٩٦٤م.

١١-ثمة أعضاء في مجمع دمشق عرّف كل منهم بواحدٍ من الكتب التي ألفها مجمع العراق، وهؤلاء الأعضاء هم:

- أنيس سلوم، وقد عرّف بكتاب عنوانه «تاريخ يهود العراق» لمؤلفه «يوسف رزق الله غنيمة»، ونشر عام ١٩٢٤م.
- محمد حسني الكسم، وقد عرّف بكتاب عنوانه «مخطوطات الموصل» لمؤلفه «داود الجلبي الموصلي»، ونشر عام ١٩٢٨م.
- محمد ظهير جمران، وقد عرّف بكتاب عنوانه «معجم أمثال الموصل العامية» لمؤلفه «عبد الخالق الدباغ»، ونشر عام ١٩٥٨م.
- منير الشريف، وقد عرّف بكتاب عنوانه «اقتصاديات العراق» لمؤلفه عبد الرحمن الجليلي، وقد نشر عام ١٩٥٩م.
- وجيه السمان، وقد عرّف بكتاب عنوانه «مصطلحات مقاومة المواد في القطر العراقي»، وقام بوضعه المجمع العلمي العراقي، ونشر في مجلة مجمع دمشق عام ١٩٧١م.

- عبد الإله نبهان، وقد عرّف بكتاب عنوانه «معجم النسبة بالألف والنون» لمؤلفه أحمد مطلوب، ونشر عام ٢٠٠٩م.

رابعًا – خاتمة:

يتبدّى من عرض مجالات التعاون بين مجمعي اللغة في بغداد ودمشق أن هنالك تعاونًا وثيقًا بينهما تجلّى في أمور عدة، وذلك في العقود السابقة، وأن ثمة اهتمامًا عاليًا من أعضاء المجمعين في تسليط الأضواء على الكتب المحققة والمؤلفة والتعريف بها، والبحوث المنجزة والمنشورة، والكلمات الملقاة في المؤتمرات والندوات، والقصائد الشعرية في المناسبات..

ولقد جرى ذلك كله في عقود لم تكن قد تدفقت فيها وسائل التواصل بغزارة كما هي عليه الحال في أيامنا، ومع ذلك كان اللقاء بين المجمعين في الفعاليات والمناشط تتسم بالجودة.

ونأمل بعد الأحداث الأليمة التي مرّت بها بلادنا في العراق والشام أن تعود العافية إليها، وأن يستأنف مجمعانا نشاطهما في أجواء من التكامل والتنسيق والتعاون تنعكس إيجابًا على مسيرتهما بمشيئة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجمع العراق مجمع الخالدين

الأستاذ الدكتور بكري محمد الحاج

رئيس مجمع اللغة العربية/ السودان

الحمد لله متم النعم والصلاة والسلام على نبيه الأكرم سيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد

معالي الأستاذ الكبير والشاعر النحرير الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين رئيس المجمع العلمي العراقي ، السادة والسيدات من الحضور الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من بلاد النيلين إلى أرض الرافدين ترتفع التحيات محييةً جمعَكم الكريم في هذه المناسبة العظيمة، مرور خمسة وسبعين عاما، على تأسيس المجمع العلمي العراقي، هذ الصرح الكبير، وسعيد بالأصالة عن نفسي، ونيابة عن مجمع اللغة العربية السوداني: مجلسه العلمي، ومنسوبيه، أن أخاطب جمعكم الكريم، وكم كان شوقي متعاظمًا ان ألتقيكم كفاحا في بغداد، وأنا أتمثل شوق أهلها وشعرائها إليها:

سَلامٌ على بغداد لا مثلَ شمسِها   وَلا كَدُجاها، دارَةٌ تَتَلألأُ

ولا كَثَرى بغداد في الأرضِ واحَةٌ   ولا دَجلَةٌ أُخرى لها الرُّوحُ تَظمأُ

سَلِمتِ فَما في الأرضِ إلاكِ مَفزَعٌ   ولا مِن يَدٍ في الأرضِ إلّاكِ تَكْلأُ

وإن حالت الظروف دون شهودنا بالحضور، فإن الحب لهذا البلد الكريم ولأهله الأوفياء قد قرَّب بيننا المسافات، ومكنت التقنية الحديثة من تحقيق التواصل المشهود المرئي؛ فلله الحمد والثناء أن أتاح لي هذه الفرصة الغالية السعيدة.

كان من فضل الله تعالى أن يكون المجمع العلمي العراقي من أوائل المؤسسات العلمية التي زادت عن العربية، وعملت على خدمتها وحمايتها، وهو رابع المجامع اللغوية نشأةً، ومن المجامع الأولى التي أسَّست اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في عام ١٩٧١ م، وهذا ليس بمستغرب على بلد ضارب في أعماق الحضارات التليدة لبلاد الرافدين، وها هو شاعرها الرصافي يعبر عن دور العلم في بناء هذه الدولة الفتية:

بالعلم تنتظم البلادُ فإنه   لرقي كل مدينة مرقاةُ

إن البلاد إذا تخاذل أهلُها   كان منافعُها هي الآفاتُ

ولم يتخاذل أهل هذا البلد الكبير عن خدمة العربية والدفاع عنها؛ فقد ظفر مجمعها العلمي بالرعاية من المسؤولين في الدولة في أعلى مستوياتها، وذلك بالتقنين لأوضاعه، وإجازة قانونه مبكرا في عام ١٩٤٧م و ١٩٦٣م، و ١٩٧٨م، وانتظمت أعماله وفق أهدافٍ تمثلت في المحافظة على سلامة اللغة، وإحياء التراث العربي والإسلامي، ونشر البحوث وتشجيع الترجمة والتأليف. وقد جاءت وسائلُ المجمع معبرةً عن أهدافه؛ وقد

انعكست في وضع المعجمات اللغوية العلمية، وإصدار المجلات والنشرات، ونشر الكتب والوثائق، وإقامة المؤتمرات والندوات.

وقد كان لهذا المجمع المرموق نصيب مقدر ومشهود في كل هذه المجالات على المستوى المحلي والإقليمي والدولي؛ فحظيت الساحة اللغوية والثقافية بمؤلفات وإصدارات مؤلفة ومترجمة مدعومة من المجمع العلمي العراقي، كما وفق في عقد الندوات والمؤتمرات، وقد سعدت في العام الماضي بدعوة كريمة للمشاركة في مؤتمره الافتراضي الثاني في ديسمبر ٢٠٢١م.

ومن أسباب نجاح هذا المجمع في تحقيق أهدافه أن تولى رئاستَه علماءُ مرموقون وأستاذة أجلاء على رأسهم الأستاذ الشيخ محمد رضى الشبيبي أولُ رئيس لهذا المجمع؛ ثم تتابعت الرئاسات وتهادَت فرحةً إلى أن وقع الاختيار على العالم الجليل الشاعر الكبير معالي الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين، وهو من هو علمًا وفضلًا وأدبا، وحضورًا في المحافل والساحات جميعها، ولا غرو فهو سليل العلماء والمحققين. وقد سعدت به في العام الماضي في المؤتمر الافتراضي للمجمع، وتوثقت الصلة به هذا العام، وازدادت محبتنا أن أتاحت دولة الإمارات العربية المتحدة اللقاءَ به في رحابها في جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية في مؤتمر اللسانيات الحاسوبية، في جلسة ضمت عددا من رؤساء المجامع وممثليها ، وقد أسعد معالي الأستاذ الدكتور آل ياسين الحضورَ بمشاركة رصينة في مضمونها، وفي تقديمها بلغة معبرة عن صدق الانتماء لهذه اللغة العربية التي شرفها المولى سبحانه وتعالى بحمْل الرسالة الخاتمة لأفضل خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تجدد اللقاء وتأكدت السعادة في شارقة العلم والثقافة والحضارة في حضرة صاحب السمو العالم الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو الاتحاد وحاكم الشارقة والرئيس الأعلى لمجمعها، في رحاب مجمع اللغة العربية بالشارقة؛ احتفاءً بإصدار تسعة عشر مجلدا من المعجم التاريخي للغة العربية، معجم الأمة الذي يعد أعظم مشروع علمي في تاريخ اللغة العربية، وهو يؤرخ لميلاد ألفاظها على ألسنة الشعراء والكتاب، موثقًا لاستخدامها عبر عصور العربية، بشواهد نثرية وشعرية، ولم تقتصر لقاءاتنا بمعاليه عند هذا، بل توالت بشهودنا معًا افتتاحَ مَعْرِض الشارقة للكتاب في دورته الحادية والأربعين وتكريم الشخصية الثقافية للمعرض سعادة الأستاذ الدكتور يوسف فضل حسن المؤرخ السوداني الكبير والمدير الأسبق لجامعة الشارقة، وجامعة أم درمان الإسلامية وجامعة الخرطوم. ويمثل تكريمه نموذجا لتقدير صاحب السمو الشيخ الدكتور القاسمي حفظه الله لأهل العطاء من العلماء.

أيها الحفل الكريم والجمع المرموق من العلماء والضيوف لا يتسع المجال للمزيد من القول في هذه المناسبة السعيدة، ولكن لابد أن أتوجه في الختام بالشكر الجزيل لمعالي رئيس المجمع العلمي العراقي لتشريفه لي بهذه الكلمة في ترسيخ هذه الذكرى السعيدة الخالدة بالبذل والمثابرة، وشكري يمتد إلى سعادة الأستاذ الدكتور محمد حسين علي زعيِّن رئيس اللجنة التحضيرية لهذا الاحتفال المشهود، ولجميع الزملاء الذين أسهموا في الإعداد له وإخراجه على هذه الصورة البهية، والشكر للحضور جميعًا، وللمتابعين على الوسائط، والتحيةُ المستحقةُ لرئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور حسن الشافعي والزملاء الكرام المشاركين في هذه الفاعلية من مجامع اللغة العربية العلمية في مغرب الوطن العربي ومشرقه.

وأدام الله عليكم جميعا توفيقَه لخدمة العربية وأعزكم بها.

والسلام عليكم ورحمة الله بركاته.

المجمع العلميّ العراقيّ واتّحاد المجامع ومآلات المستقبل(*)

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة/ الجزائر

ـ **الدّيباجة:** السّلام عليكم جميعاً، من الجُمهوريّة الجزائريّة أنقل لكم تحايا الجزائر في هذه المُناسبة الكبيرة للمَجمع العلميّ العِراقيّ الذي قطع شوطاً كبيراً في النّهوض باللّغة العربيّة رغم بعض المُعيقات التي لم تكن إلاّ وسيلة للتّحدّي والمثابرة، والعمل على رفع العَراقيل من أجل أن يكون المَجمع العِلميّ واقفاً. وأنقل لكم تحياتي الخاصة مع فريقي العلميّ في المجلس الأعلى للّغة العربيّة، وكلّنا شوق للتّواصل والتّكامل لخدمة جلالة المَلكة (اللّغة العربيّة) التي تنتظر منّا الكثير. ونسعد أن نكون معكم في هذا الاحتفال المَهيب والوقور؛ وقارة أعضائه ومُسيّريه، وكلّ الحضور هنا الذين جاؤوا لحضور هذه المراسيم الفخمة؛ فخامة رئيس المجمع؛ العالم الأريب، والأديب اللغويّ، المَشهود له بالعِلْمِيّة والتّحرّز والتّحرّج والوثوقيّة الكبرى التي لا تتوفّر إلاّ في مَنزلة المَرجعيّة القُدوة (مُحمّد حُسين آل ياسين) شيخ العربيّة الذي نفتخر به مع أنداده الذين قضوا، والذين هم أحياء، ونسأل الله أن يُطيل عمْرهم وينفعنا بعلمهم. ولا أخفيكم بأنّني نظرت في بعض مُؤلّفات هؤلاء، ووجدت (مُحمّد حُسين آل ياسين) مِنهم، وكأنّ لسانه ينثر درراً، فأراه فارسَ المَنابر يصنع الفرق في مَعرفته مَتى يبذل الجهد، ومَتى يكون الأوّل ومَتى يتأخّر، ومَتى يأخذ استراحة مُحارب، ومن ذلك يصنع الفرق وهو في ابتسامته التي لا تحمل همّ الحاضر، ولكنّها تتفاءل لمستقبل فاخر، وتعجبني فيه الأخلاق والتّواضع، وهي سمّة العلماء، فأبشرْ أستاذنا بما أنعم اللهُ عليكم! والفرح يأتيكم مِثلما أفرحتمونا اليوم في هذا المحفل البهيج، ومن خلالكم جميعاً أبشروا بأنّ الماضي الذي كان مُغدقاً، سيكون الحاضرُ مُشرقاً بفضل العاملين في هذه المؤسّسة التي تُشَرِّع لتطوير العربيّة في مُختلف المَجالات، وأَنْعِمْ بها من مؤسّسة المَجمع العلميّ العِراقيّ! ولهذا وسمت مُحاضرتي المَجمع العِلميّ العراقيّ واتّحاد المَجامع ومَآلات المستقبل، وأتوسّم فيكم المرجعيّة المجمعيّة العربيّة؛ مَرجعيّة الإنتاج العِلميّ، مَرجعيّة مَآلات التّحديث والتّخطيط نحو مُستقبل أفضل، مرجعيّة ربط القول بالفِعل، لما للعِراق مِن أقدام راسخة في البحث العِلميّ، وهو الرّهان الذي نعلق عليه آمالَ أن نكون بلغتنا، أو لا نكون. والعِوَل على مَجمع العِراق لما له مِن عُلماء كبار، يشهد لهم العالم بسلاحهم العِلميّ فأكثِرْ بهم من عُلماء!

١ـ بلد العِراق أوّل الأوائل: في أوّل دولة الاستقلال في الجزائر يأتينا الأساتذة العِراقيّون

(*) المُحاضرة التي ألقيتُها في المَجمع العِلميّ العراقيّ بمُناسبة العيد الماسي (٧٥) سنة على تأسيس المَجمع. بتاريخ ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٢م.

ليُعلمونا العربيّـة، وحصـل أن تتلمذتُ علـى كثير مِنهم، وحتـى فـي المَرحلـة الجامعيّة كنتُ أحدَ طلبتهم. أساتذة عمالقة من الوزن العلميّ الكبير كانوا أساتذتنا فأعطوا جَهْدهم، وعلّمونا الحقيقة والواقع بأنّ الحضارة من بلاد الرّافدين، وأنّ العِراق بلدُ أوّلِ الأوائلِ، وبحثنا ووجدْنا الدّليل قائماً. وتذكرُ كتبُ التّاريخ أنّ العِراقَ بمُسمّى (سومر) كان أوّلَ من تأسّست فيه أوّلُ مدرسة، وأوّلَ هيأة تشريعيّة، وأوّلَ رزنامـة فلاحيّة، وأوّلَ دستور للأدويّـة، وأوّلَ حالـة مُسجّلة للتّملّق والتّزلّف، وأوّلَ مناظرة أدبيّـة، وأوّلَ وأوّلَ وأوّلَ... ودرسنا (ملحمـة جلجامش) واطّلعنا علـى صُوَر ألواح القانون لـ (حمـو رابـي) وتعلّمنـا أوّلَ قصّـة خرافيّـة تقوم ببطولتهـا الحيوانـات... ولا نـدخل التّـالي لكثرة الأوائل. هي عراقُ التّاريخ، هي بلادُ الرّافدين باسم (ميزوبوتاميا) إذ بلغ البلدُ العصرَ الذّهبيَّ فـي العهد الإسلاميّ، وقد انتشرت المدارسُ والجامعاتُ الإسلاميّةُ في بغداد، وصارت قِبْلَةً للعالم من حيث التّطـوّر العِلمـيّ والثقـافيّ، ومـن حيـثُ ازدهـار العلـوم والاكتشـافات المنوّعـة علـى كافـة الأصعدة: فـي علم الفلك والرّياضيات والطبّ والبصريات والكيميـاء والتّاريخ والفلسفة وغيرهـا، وانتشـر وذاع صـيتُ علمـاءِ بغـداد فـي كافـة المَجـالات؛ إسـهاماً مـنهم فـي الثّقافـة العالميّـة، وقد ابتكروا رسم الخرائط، وعملوا على مجاري الماء صعوداً وهبوطاً دون خلل الفيضان، وادّعوا العلمَ وحصل لهم، في مشاهد العِراق القديم والحديث. وبقي العِراقُ عِراقَ التّنوّع الثّقافيّ والعادات والأديان، وكان التّعايش سيّد المَقام.

وتخونني العباراتُ ولا أفي هذا البلدَ حقَّه من جوانب أكثر ديمومة في الثّقافة العاليّة، وأرانـي تتـزاحم الكلمـات فـي داخلـي لتقـول: إنّ العِـراقَ مهـدُ الحضـارة لكثـرة الاختراعـات والابتكـارات الحضاريّة التي ظهرت فيه قبل غيره من البلاد مُنذ مَطلع الألف العاشر قبل المِيلاد حتى القرن السّابع المِيلاديّ. عراقُ الهـلال الخصـيب، بخيراتـه ومُنجزاتـه الثّقافيّـة والتّقنيّـة والتـي تضـمّنت: التّقنيات الزّراعيّة، تدجين الحيوانات، مَفهوم الوقت، صناعة العجلة، فنّ الكتابة والأدب، مَيدان العلوم والتّكنولوجيـة، علم الأديان، الرّياضيات وعلم الفلك، تجارة المَسافات البعيدة، المُمارسات الطّبيّة... بالفعل العِراق أوّلُ الأوائل. وعِراقُ اليوم يُواصل تألّقه عبر تاريخه المَديد، عراقُ الشّعب الذي يقرأ أكثر، عراقُ الفنّ، عراقُ شارع أبـي نـوّاس، والمتنبّي، وجامعة العِراق والمُستنصـريّة، وبغداد الحضارة في المَنصور والرّشيد...

٢ـ المَجمـع العِلمـيّ العراقـيّ: أيّها الزّملاء، ما جئتكم إلاّ لردّ بعض الأفضـال التـي لكم فيها السّبق أنّكم علّمتمونا تشفير الحروف إلى تفكيك البنويّة، وأخذنا منكم العلوم والأدب والمصطلح، ومنكم تعلّمنا قواعد العربيّة، فأنتم أهلها. واعذروني إن قلتُ عندما تشرب ماء دجلة لا يمكنك ألاّ تعود، وتشـتاق إلـى العراق، وأرجـو العذر يـا عِراق إن خـانتني حروفـي ومَشـاعري تجاهك، فأنـا صغير وأنت كبير، أعطيتنا العلم. ومن البصرة كان شيخُ العربيّة ومَدرسة البصرة والكوفة. عتبتُ هذا البلد أوّل مرّة وأجد رئيسَه في الوزيريّة العالم (أحمد صالح العليّ) ويَمُدّني بما طلبتُ من كتبٍ

لبلدي، ويُحَمِّلُني الجواهر. وأزور البلد ثانيّة، وأجد الفاضل الدّكتور (ناجح محمّد الرّاوي) وثالث زيارة أجد الدّكتور (داخل حسن جريو) وينقطع التّواصل، وألتقي الرّئيس (أحمد مطلوب النّاصري) في بلاد العرب مراراً، مع الفضلى الزّوجة العالِمة (خديجة الحُديثي) وقد دَرَسْنا عليهما في الجزائر، كما دَرَسْنا على يد (محمّد حسن الأعرجي) و (هادي نهر) وثلّة عالمة من أهل الفضل هم من العِراق الذين تناسلوا فيكم أيّها العلماء العِراقيّون. وأنا أزوركم هذه المرّة، وأقف على هذا المَجمع الصّامد الذي اعتمدنا مَراجعه ومَجلاته مَصادر لوضع المُصطلحات في إطار تعميم استعمال العربيّة في العلوم والتّكنولوجية، ومنها أُفِدْنا علماً حديثاً يعيش واقع المُتغيّرات وعالم الحواسيب، والذّكاء الاصطناعي، وقراءة OCR. بلد العالم التّكنولوجي (باسل كبّة) مُعَرَّب الحاسوب والأجهزة الإلكترونيّة... وها أنذا أشارككم فرحتكم التي هي فرحة الجزائر، فرحة العيد الماسي لمَجمعنا الذي يكبر بِكِبَر أعضائه وعلمائه، ونكبر معاً في اتّحاد المَجامع اللغويّة العربيّة، نكبر ونكبر ونحن في بلدنا الحبيب؛ بلد الخلافة ومَنبت العلم والعلماء والفِقْه والفُقهاء، والحِكمة والحُكماء، بلد (مُحمّد رضا الشّبيبي) أوّل رئيس لهذا المَجمع، وبلد الأدباء الكبار على غرار البياتي، والجواهري، وخليل حاوي، ومَعروف الرّصافي، ومُصطفى جواد، والأب الكرملي... ولا أملك إلاّ تلك الكلمات التي حفظتها عن (نزار قباني) وهو يقول:

بغداد عشتَ الحسنَ في ألوانه	لكن حسنُك لم يكن بحسابي
ماذا سأكتبُ عنكِ يا فيروزتي	هواكِ لا يكفيهِ ألفُ كتابِ
قبل اللّقاء الحُلوِ كنتِ حبيبتي	وحبيبتي تبقين بعد ذَهابي

وأنا أحضر هذا الاحتفال، ولا أريد أن أغادر لما لقيته من استقبال الجميع، وعلى رأسهم صاحب الفضل العالم الثّبت (مُحمّد حُسين آل ياسين) وشاعر الكلمات الصّداحة، وصاحب الأعمال النّطاحة الذي غمرني بالتّرحاب، وأنا عاجز عن الكلام يا إخوان. فماذا عساني أقول في بلد القول الفصل في شريان العربيّة الأصل، ولا أملك الكلمات المُناسبة، ولا أُحدّثكم عن المَجمع العلميّ العِراقيّ ولا عن مَهامه، وهي المَهام التي تستهدف العناية بسلامة اللّغة العربيّة، والبحث والتّأليف في آداب اللّغة العربيّة، والتّاريخ، ودراسة علاقات الشّعوب في ما بينها، وحفظ المَخطوطات والوثائق ونشرها، والبحث في العلوم والفنّون الحديثة، وتشجيع التّرجمة والتّأليف، وبثّ روح العلم في البلاد العربيّة... هي مَهام مَعروفة يقوم المَجمع العلميّ على إنجازها، وعندي أنّ المَجمع العلميّ العراقيّ قيمةٌ مضافةٌ من ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧م، بما ينماز به عن باقي المَجامع بتخصّصه في قضايا المُصطلح، وتعريب العلوم، وترجمَة الكُتُب التي يحتاجها في البحث والدّراسات، إضافة إلى مِيزة لا توجد إلاّ في هذا المجمع من دمْج مَجمعيْ: اللّغة السّريانيّة والكرديّة، وبذلك توسّعت أهدافه لتشمل كافة التّخصّصات. وهذا ما تنصّ عليه المادة الثّانيّة من نظامه (رقم ٢٦ لسنة ١٩٤٧) والتي تقول: "العناية بسلامة اللّغة العربيّة، والعمل على جعلها

وافية بِمَطالب العلوم، والفنّون، وشؤون الحياة الحاضرة". وهكذا حمَل المُجمع العبءَ الثّقيلَ حمْلاً بسيطاً؛ بما قدّم مِنْ مَنتوج في شتّى المَعارف؛ بهدف إثراء المَعرفة الإنسانيّة، وتوظيف هذه المَعارف لخدمة التّنمية في العِراق والبلاد العربيّة والإسلاميّة، وبذلك يقترب عملُ المَجمع أكثر فأكثر إلى مَفهوم عمل ما يُعرف في دُول العالم المُتقدّمة بأكاديميات العلوم التي تضمّ في العادة كِبارَ العُلماءِ والمُفكّرين والمُبدعين.

٣ـ المَجامع العربيّة ومَآلات المُستقبل: هي هموم أنقلها لزملائي الأعضاء، وإن كانت المُناسبة مُناسبة أفراح واحتفاء، ولكن تتطلّب مِنّا أحياناً الوقوف للتّقويم والتّقييم، ولا بدّ أن تحصل النّقود لنسير على الصّواب بمَبدأ "نعم للمُراجعة لا للتّراجع" هي وَقْفات ضمير تستدعي حُسْن التّدبير لما نراه اليوم من ضعف أجرأة التّفكير، بين المَسؤول والرّعيّة، بين التّخطيط والتّطبيق، بين السُّلطة التّشريعيّة والسُّلطة التّنفيذيّة... تُلْكُم مُتلازمات لم تتكاتفْ عندنا في الوطن العربيّ في مَسألة التّعريب الذي يعيش القَهْقَرَى لضياع دَمِه بين واجبِ العلماء العرب، ونوايا الدّول العربيّة؛ وذلك ما أوْجدَ ثغرةً في جسم الأمّة العربيّة التي حصل لها الانجذاب اللغويّ للأجنبيات، فمالتْ في التّطبيق إلى كفّة اللغات الأخريات، وفي دساتيرها إلى شرعيّة دستور لغات الأمّهات. قولٌ دون فِعْل؛ أضَعْنا من خلاله مَجْدنا اللغويّ التّليد، كما أضعْنا الفردوسَ المفقودَ، فَبَكَيْنا ضياعَ الأندلس، ولم نُحافظْ عليه كالرّجال، فهل نبكي حالَ التّعريب الذي يُراوح مَكانه منذ سبعين (٧٠) سنة، وحالت دونَه الحِوَلُ، وما حصل له مُستقرّ عليه العِوَل. هي حقيقةٌ يجب أن تُقال بأنّ الفراغ يكمن هنا، فغيابُ الرّجلِ الرّشيدِ، وضعفُ الجمْع بين الفكر العربيّ والمال العربيّ والقرار السّياديّ؛ أضاع مَجدَ العربيّة في هذا الزّمن، فلا يصلُح الحالُ إلاّ بِتَغَيُّر الأحوال. ولكن كيف بصاحب الدّار؛ إذا كان للدفّ ضارباً، فمن نلوم؟

بالمِلْح يصلحُ ما يُخشى تغيّرُه فكيف بالمِلْح إنْ حلّتْ به الغِيرُ

وإنّه لو يحصُل التّغيير في سنّة التّسيير، إلى مَرجعيّة مَجمعيّة لها حُسن التّدبير؛ ستكون المَآلات إلى المَأمُولات، ويمكن الخروج من **مِئة** (١٠٠) سنةٍ وتزيد، مرّت على تأسيس هذه المَجامع، مِئة عامّ والحديث عن البدائل العربيّة المُناسبة للمُصطلحات الأجنبيّة هي هي. **مِئة سنةٍ** والحديث نفسُه عن الهُويّة اللّغويّة التي لا تأتي. **مِئة سنةٍ** وفقهاء المَجامع يفتون دون رجْع الصّدى. **مِئة سنةٍ** والحديث يتكرّر عن سلامة العربيّة، وجعلها وافيةً بِمَطالب الآداب والعلوم والفنّون ومُلائمة لحاجات الحياة المُتطوّرة، ووضع المُصطلحات العلميّة والتّقنيّة، ودراستها وفق مَنهج مُحدّد، والسّعي لتوحيدها. **مِئة سنةٍ** والكلام ذاتُه عن استصدار المَعاجم الكبرى، والدّوريات المُتخصّصة، والمَوسوعات، والمَعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة. **مِئة سنةٍ** والأعضاء يتناسلون، وفي أجسامهم يتثاقلون، وينتظرون القرار السّياسيّ. **مِئة سنة** والكلام عن عظمة العربيّة التي نقلت إلى الغرب علوماً ضخمة أفادوا منها في لغاتهم ونحن لها جاهلون. **مِئة سنةٍ** والمُرافعات عن

الانتقال من تحقيق المَخطوطات إلى مُواكبة التّطوّرات العلميّة العالميّة؛ فحقّقنا ما حقّقنا بفضل منهجيات الغربيين. **مِئة سنةٍ** ونحن نحلم بفتوحات التّقنيّة التي تحلّ قضايانا اللغويّة، ولا نزال في الانتظار. **مِئة سنةٍ** ونحن نحتفي بالأعياد الماسيّة والذّهبيّة للمَجامع والمُؤسّسات، وننفق عليها فقدّمت أقلّ من المُنتظر. **مِئة سنةٍ** مرّت فماذا أنتجت من الجديد؟ **مِئة سنةٍ** ولا يأتي الجديد، فهل المَجامع والمُؤسّسات ذات العلاقة لا تريد العيش مع الجديد؟ ولهذا لا يمكننا تبليغ المقاصد؛ لأنّ الطّبيعة تكره الفراغ، ولا يمكن **أن نرتقي ونُبدع إلاّ من خلال استخدامنا للّغة الأمّ والاعتزاز بها**، وهل يمكننا إقناع أنفسنا ومُحيطنا بأنّ اللّغة التي يتعلّم بها قومٌ ما هي إلاّ اللّحام الذي يجمع بينهم، ويربط حاضرهم بماضيهم وبمُستقبلهم، ويجعل من تراكم المَعْرفة حقيقةً متّصلة. ومع أنّ المعارف العلميّة (science) عالميّة؛ إلاّ أنّ اختيار مَيادينها هو شأن مَحليّ؛ يتعلّق بما يُريده شعبٌ أو أمّةٌ وما يقدر عليه. وهي الحال اليوم في كبرى دول العالم كالولايات المتّحدة واليابان وألمانيا وفرنسا وروسيا والصّين والإسبان والبرتغاليين. وإنّ تعليم الطبّ في ألمانيا هي بالألمانيّة، وبالرّغم من ذلك نجد التّفوّق الصّحي في ألمانيا، ولغة تعليم الهندسة في اليابان هي اليابانيّة، ورغم ذلك نجد التّفوّق الهندسيّ الكبير لليابانيين، وكذلك الطبّ في فرنسا وروسيا، وغير ذلك من الدّول المُسمّاة بالعمالقة الثّمانيّة G٨، والكبار الاثنتين والعشرين ٢٢ G يتفوّقون في اختصاصات مُعيّنة بلغاتهم القطب، وليس باللّغات الأجنبيّة التي ينظرون من خلالها إلاّ لما تُضيفه للغاتهم كلغة **استفادة وإفادة، وليست لغات هُويّة**. وإنّ هذه الأُمم ما فكّرت في هَجْر واهتِجار لغاتِها بدعوى التّخلّف أو الفقر أو العولمة بقدر ما تُفكّر بأنّ للغاتها المَقام الذي تكون فيه مُنتجة، ولها مَوقع بين اللغات، فلا نمَطيّة لغويّة ولا احتكار العلم في لغة واحدة، بل هناك توزّعٌ للأدوار العلميّة لكلّ اللغات، وتسعى هذه الأمم أن تكون بلغاتها لا بلغات الغير.

٤. أهميّة التّعريب في الوطن العربيّ: لا يمكن الاختلاف في أنّ اللّغة العربيّة الجامعة عامل من عوامل الاستقرار والأمْن والدّفع بالمُجتمع العربيّ إلى الاطمئنان والإنتاج، وإنّ الذين يتكلّمون بلغة واحدة يكونون كُلاً مُوحّدين؛ مُرتبطين بروابط متينة وإن كانت غير مَرئيّة، ونعلم أنّه إذا علّمتَ شخصاً بلغته فقد نقلتَ العلمَ إلى تلك اللّغة، أمّا إذا علّمته بلغة أخرى، فإنّك لن تفعل شيئا سوى أنّك نقلتَ الشّخصَ إليها. ومن هنا نقول: إنّ مسألة التّعريب والنّهوض باللّغة العربيّة هي في صلب قضيّة الأمن الثّقافيّ، الذي هو جزء من الأمن القوميّ العامّ، وهو الهاجس الذي يثير الكثير من القلاقل والتّحدّي لواقع الأمّة العربيّة ومُستقبلها، فإذا ارتقينا بقضية التّعريب إلى مُستوى سدّ هاجس الأمن القوميّ لا بدّ أن تتغيّر النّظرة إلى هذه القضيّة، وتصبح همّاً مشتركاً لدى الجميع تقضّ مَضجع ضرورة استكمال مسار التّعريب العامّ والشّامل، بحيث لا تتوقّف للمُناداة بضرورة استكمال تعريب التّعليم العالي، بل تتعدّاه إلى المُؤسّسات البحثيّة والإعلاميّة والثّقافيّة، وإلى الوعْي الجمْعيّ لحصول الاعتزاز اللغويّ للعربيّة بصورة عامّة. وإنّ التّعريب تنميّة مستديمة،

وهو مطلب الشّعوب العربيّة، والهدف من ذلك التّغيير الإيجابيّ النّفعيّ بالمقاييس اللّغويّة العالميّة أنّه لم ترتقِ أمّةٌ بغير لغاتها، فلمَ التّعطيل في التّطبيق؟ علماً بأنّ التّعريب يؤدّي إلى جمْلة نتائج إيجابيّة في التّنميّة المُستديمة، ويظهر ذلك في:

"١/٤. التّعريب يؤدّي إلى وَحْدة فكريّة، وذلك يُسهم في وَحْدة ثقافيّة للأمّة العربيّة، ومنْحها شخصيّةً متميّزةً وكياناً غير قابل للذّوبان.

٢/٤. التّعريب يربط ربطاً ثقافياً وعملياً ماضي الأمّة وحاضرها ومُستقبلها، ويُيسّر لها الاستفادة من تراثها الحضاريّ الهائل، ويمْنحها نديّة للحضارات البشريّة الأخرى، ويُكسبها الاحترام العالميّ.

٣/٤ التّعريب يؤدّي إلى استيعاب العِلْم، ويُساعد على مَحْو الأميّة العلميّة. وهذا شرط للثّورة العلميّة الصّناعيّة التّكنولوجيّة، بما يوفّر من كوادر بشرية مؤهّلة. ويعاني عالمنا العربيّ مما سمي (هجرة الأدمغة) أي هجرة الكوادر البشريّة المُؤهّلة، وهي بمئات الألوف، وقد كلّفت البلايين في بلدانها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه. وكأنّنا نُدعّم تقدّم الأمُم الأخرى على حسابنا، وصار الفقير داعماً للغنيّ.

٤/٤. التّعريب يؤدّي إلى مُجتمع مُتعلّم مُثقّف، يقدّر دور العلم، ويكون القاعدة الأساسيّة لمُجتمع صناعيّ مُتقدّم قادر على المنافسة العالميّة. ونذكر أرقاما قديمة (من بيانات المؤتمر الإسلاميّ حول العلم والتّكنولوجيا ١٩٨٣). إذ يوجد في الكيان الصّهيوني ٣٤٨٠٠ باحثاً علمياً مقابل ٤٥٠٠ لدى الدّول الإسلاميّة جميعاً، مع أنّ نسبة السّكان هي ١ : ٢٠٠. ويمكن مُراجعة ترتيب الدّول في قائمة المُنافسة العلميّة كما رتّبها المُنتدى الاقتصاديّ العالميّ لسنة ٢٠١٢. فقد جاء ترتيب الكيان الصّهيوني ٢٦، وجاء الأردن بعده في التّرتيب ٦٤، وأخيراً مصر في المَنزلة ١٠٧.

٥/٤. التّعريب يرفع من مُستويات التّعليم الجامعيّ والبحث العلميّ. وفي هذا الزّمان، الذي يجهد الطّالب فيه للحصول على درجة فارغة من المَضمون العلميّ، يتخرّج فلا يتقن العربيّة أو الإنگليزيّة نحتاج إلى بحوث تطبيقيّة في العربيّة يستفيد منه المُزارع والصّناعيّ...

٦/٤. التّعريب يُسْهم في رِفْد اللّغة العربيّة، ولغات الشّعوب الإسلاميّة بالمُصطلحات العلميّة والتّقنية، ويُعيد للغة العربيّة مَجدها وانفتاحها على اللغات الأخرى، ويُقوّي الرّوابط العلميّة والثّقافيّة بين الشّعوب الإسلاميّة.

٧/٤. التّعريب يُسهم في توفير أموال طائلة تُنفق على استيراد الكتب الأجنبيّة الغاليّة الثّمن ويؤدّي إلى تكنولوجيا عربيّة متقدّمة في الطّباعة، وإخراج الكتب والنّشر وتوسيع آفاق الثّقافة والمعرفة".

وفي كلّ هذا نُضيف؛ إنّ التّعريب يعمل على الحدّ من هجرة الأدمِغة، فلماذا نتسامح في أدمِغتنا العربيّة؛ نتسامَح في (أحمد الباز، ومَجدي يعقوب، ومايكل عطيّة، وأحمد زويل، والزّرهوني)... مَواهب عربيّة وصلوا إلى القمّة العالميّة في غير مُجتمعاتهم الأصليّة، والأحرى أن تستفيد منها مُجتمعاتهم لو تواصلت عمليات تعميم استعمال اللغات الوطنيّة. ولدينا تجربة (كورية الجنوبيّة) التي تقدّمت باللّغة الكوريّة بعدما تخلّصت من هيمنة اللّغة اليابانيّة، بل انتقل مُتوسّط مُعدّل الوفيات من ٣٩ سنة أيام استعمال اليابانيّة إلى ٨٠ سنة، والكوري أصبح يُعمَّر، والسّبب هو تكافؤ الفرص للجميع، فلا نخبويّة في المُجتمع، وتعميم استعمال اللّغة الوطنيّة واجب قوميّ، وإلغاء النّخبة التي كانت تستعمل اليابانيّة؛ وهي سلطة حاكمة، والشّعب الكوريّ مَحكوم وهو الذي يستعمل الكوريّة في مُحيطه. لقد غاب الانسجام الجمْعيّ، وتخلَّف الكوريّون بسبب العائق اللغويّ، ولكن لمّا توحّد التّعليم باللّغة القوميّة، وزال نظام النّخبة، وعمّ التّعليم المَجانيّ بالكوريّة إلى جانب مَجانيّة الطبّ، زالت الفوارق الفئوية بين الكوريين، وزال الفرقُ بين الرّيف والمَدينة، وأصبح الكوريّ سيداً في بلده بلغة بلده، وينتج بها ويستعملها ويقوم على تطويرها، تقدّمَ بشكل مذهل، ويحتلّ الآن الرّتبة الثّانيّة عشرة في الاقتصاد العالميّ، يعني أعلى رتبة من فرنسا+ إسبانيا+ إيطاليا... ومثال آخر لبلد (رواندا) التي خرجت من طوق الفرنكفونيّة؛ فهي الآن في الرّتبة السّادسة أفريقياً في النّمو الاقتصاديّ. علماً أنّ هذا البلد عاش مَأساة الحرب الأهليّة، ومرّ بظروف صعبة، وأنّ الجزائر مَسحت عليها الدّيون، ولكن حكمة مُسيّريها نقلوها نقلة نوعيّة في إطلاق القمر الصّناعيّ الخاصّ بها، وبناء بنية قاعديّة متكاملة.

٥- واجب العلماء: مِن الأهميّة بمكان تحديد واجبات العلماء؛ لنكون على طريقة واحدة في تحديد الواجب المُلقى على هذه الفئة في مَجال صناعة خدمة العربيّة. ومن المَعروف أنّ واجب العلماء يتمثّل في إرشاد النّاس إلى الخير، ودّلهم على إتيانه، وقول الحقّ، والنّصيحة، والتّضحيّة والإباء، وفِعْل المَرجعيّة. ولعلّ أهمّ مَسألة في هذا الأمْر تبصير النّاس بأبعاد القضيّة اللغويّة التي هي أخطر قضيّة إذا وقع سوءُ استغلالها، فلها مَخاطرُ على المُجتمع في إثارة القلاقل، وبثّ عدم الثّقة في الهويّة اللّغويّة، وما يتبع ذلك من النّخر الذي يُصيب المُجتمع في الانهيار النّفسيّ تجاه لغته التي لا يعتزّ بها. فواجب العلماء هنا يكون التّركيز على الشّباب، وتكون جلُّ الاهتمامات للاستثمار في تربيّة وطنيّة، وتحبيب اللّغة العربيّة، وغرس حبّ اللغات الوطنيّة، والاعتزاز بها وتبيان الطّريق السّليم لخدمتها وتطويرها، والأخذ بالمَنهج السّليم الوسطيّ، فنحن أمة وسط تمثّل الاعتدال في كلّ الأمور. هنا يظهر دور النّخبة الثّقافيّة في الحفاظ على المُواطنة اللغويّة وزرع الأمْن اللغويّ، فعلى النّخبة أن تخرج من (أنا أفكّر) إلى (أنا أمارس) إلى (أنا ألتزم) بقضايا المُجتمع وتقديم الحلول لمشكلاته اللغويّة. تلكم مسؤوليّة المثقّف الذي تعلق عليه صورة الاعتزاز اللغويّ وتبدأ منه، وهذا يدخل في الحفاظ على السّلم الاجتماعيّ، لا إذكاء الفتن في

كتاباتها أو في إعلامها، وكان عليها العمل على التّعايش بين المختلفين ليس محالاً. فوضع المثقّف يتحدّد بنوع "علاقته بالفكر والثّقافة، لا لكونه يكسب عيشه بالعمل بفكره لا بيده؛ بل يتحدّد وضعه بالدّور الذي يقوم به في المُجتمع مُشرّعاً ومُعترضاً ومُبشّراً بمَشروع، أو على الأقلّ صاحب رأي وقضيّة، إنّه ضمير المُجتمع[1]".

٦- **مواصفات العالم العضويّ:** لقد ذكرت في البدء واجبَ العلماء؛ فلهم مَنزلة عظيمة في المُجتمع، وأنّ غياب أثرِهم مَدعاةٌ لتصدير غير الأكفاء الذين يُضلون النّاس بغير علم، وحينذاك يتعرّض المجتمع للهلاك. وكان القول عامّاً، وهنا يقع التّنصيص على مُواصفات العالم العُضْويّ الذي تعلق به واجبات خدمة المواطنة؛ لأنّ مُصطلح (العالِم) فضفاضة، وأريد التّركيز على تلك النّخبة الصّفوة التي تحمل همّ المُجتمع، ويصبح همّها الدّفاع عن المُجتمع حتى تحقيق كلّ قضاياه وبخاصّة ما له علاقة بقضايا الهُويّة. ولذا كلامي مُوجّه لنخبة أريدها أن تتميّز بقدرتها على التّأثير أكثر من غيرها، بما يربطها بقضايا النّاس مثل التّنميّة المُستديمة، والنّهضة، وخدمة الشّأن العامّ. نريد نخبة عربيّة تجمَع بين الذّكاء والإبداع والاجتهاد والطّموح؛ للتأثير في النّاس وفي صاحب السّلطة. نخبة من صفوة فئات المجتمع القادرة على التّوجيه، والواعيّة بمُستقبل الأمّة والعارفة بتحدّيات الوطن العربيّ، وما يجب العمَل لرفع المُضايقات. ولا نريدها نخبة النّخب التي تعيش منكفئة على نفسها وفق المَقولة التّهكميّة الخاصّة بالأبراج العاجيّة، نخبة مُغتربة وعدوانيّة تجاه وسطها الاجتماعيّ الطّبيعيّ. وأريد تأكيد مُسلّمة مُهمّة في هذا المجال للتّفريق بين العالم والمُثقّف، فيقع تركيزي على **النّخبة المُثقّفة (الأنتيلجنسيا):** والتي تشمل جميع الأشخاص الذين حازوا على تعليم عالٍ بمَشمولات: النّخبة السّياسيّة+ النّخبة البيروقراطيّة+ نخبة رجال الأعمال+ النّخبة العسكريّة+ النّخبة الدّينية+ النّخبة الرّمزية+ النّخبة النّسويّة. وما يهمّنا فيها صفات التّميّز والتّنظيم واقتراح الأفكار ومَعرفة تصريفها وإيجاد الحلول، إلى جانب معرفتها الجيّدة تجاه خدمة تطلّعات منتظّمات المجتمع المدني. ومن خلال هذا نريد مثقّفاً عُضواً يمارس العمَل الذّهنيّ والتّفكير الإيجابيّ، وينتج الآداب والعلوم والفنّون، ويخترع التّكنولوجيا، ونريد رجل الاختيار الذي يرسم البدائل لشعبه وأمّته، ويعمل بمَوضوعيّة على خلق حالة من الوعي لدى المُواطنين؛ للوصول إلى موقف معيّن يتفاعل معه في صياغة الوعيّ المجتمعيّ؛ لإحداث تغيير في الأوضاع السّائدة. ومن أهمّ صفات المثقّف المقصود –لا العالم– الدّور النّقديّ التّنويريّ ومَدى الاندماج المُجتمعيّ. ومن هنا تأتى أهميّة الرّسالة المَنوطة بالمثقّف العضويّ الذي يجب أن يُعبّر عن طبقته الاجتماعيّة، ويُناضل من أجلها، ويخلق المَشروع اللّغويّ النّهضويّ. نريده

---

[1] محمّد عابد الجابري، المثقّفون في الحضارة العربيّة، مِحنة ابن حنبل، ونكبة ابن رشد. بيروت: ٢٠٠٠، مركز دراسات الوَحْدة العربيّة، ص ٢٤.

مُثقّفاً عالماً لا يُعادي السّلطة، بل يكون من أصحاب القرار، فبقدر ما يعتبره مواطنوه أداة للتّغيير الإيجابيّ ترى فيه السّلطة عنصراً من عناصر الاستقرار، ولمّ الشّمل والدّعوة إلى التّكامل.

٧. واجبات المَجمعيين: إنّ المجمعيين يتحمّلون قسطاً من المَسؤوليّة في عمليّة التّعريب؛ فهم يتحرّكون ببطء؛ فحركتهم ليست على المستوى السّريع الذي يواكب ٥٠ مصطلحاً يومياً تقذف به الحضارة الغربيّة، فلو تحرّكت المَجامع والمَجمعيّون بشكل سريع يمكن أن يؤدّي ذلك إلى مُواكبة العرب التّطوّر العلميّ بشكل لحظيّ ويوميّ، ولا يكون هناك أيّ شكل من أشكال التّأخّر العلميّ. إنّ مشكلة المَجمعيين ينتظرون القرار السّياسيّ الذي لا يصدر، ولا يعملون على استصداره، وإلى حدّ كبير هناك حسّ وطنّي وغيرة، ولكن يحتاج الأمر إلى تقديم الجهود الجبّارة التي تجعل أمر التّعريب من المَسائل التي يُطوى ملفّها بالعمل الدّؤوب، لحلحلة أوضاع العربيّة، مع تقديم الأفكار النّوعيّة التي تجعل العربيّة تنال موقعاً في العلوم. نريد من المجمعيين التّحرّك ضمن تقنين قرار لغويّ صالح لكلّ الدّول العربيّة التي تعيش وضعاً غير طبيعيّ، باختلاف لغات المستدمر، واختلاف البيئة والجيرة، وما يتعلّق بوجود اللّغات المَحليّة في بعض البلاد العربيّة، وعدم وجودها في بعضها مع مَسألة العاميات والتّهجين اللغويّ. يتحمّل المَجمعيّون بعض التّريّث والضّعف في العمَليات التّعليميّة التّعلّميّة في جميع الأقطار العربيّة في السّكوت عن ضعف التّخطيط اللغويّ. يتحمّل المَجمعيّون عدم مسايرة الوضع اللّغويّ العولميّ في استقبال الآلات بمُصطلحاتها التي لا يقدّمون المُصطلح العربيّ إلاّ بعد أن يفرخ الأجنبيّ، ويصعب أن يقتلع بعد ذلك من ذهن المُواطن العربيّ. يتحمّل المَجمعيّون ذلك الهجين اللّغويّ الذي يُشوّه العربيّة، ويبقى المَجمعيّون يعالجونه في أعمدة (قلْ ولا تقلْ) دون النّزول إلى مُنتجي هذا الهجين للمرافقة أو تقديم دورات تكوينيّة. يتحمّل المجمعيّون ضعف التّكامل أو التّنسيق بين المجمعيين ومُؤسّسات الدّول لخدمة المُواطنة اللغويّة، فتحصل في بعض الدّول فجوات بين ما تنتجه المَجامع، والوزارات التي يفترض أن تتعاضد معها. قد يتحمّل بعضُ المَجمعيين تلك العثرات التي حدثت في عمليّة التّعريب من خلال الجُهود المَبذولة والتي لم تكن مُتطابقة لمُلاحقة التّطوّر الهائل في العلوم والتّكنولوجيّة المُعاصرة.

ثامناً: اهتمام الدّول: يمكن أن نُدخل في هذا الموضوع واجبات الدّول العربيّة في تعريب العلوم، وتتحمّل الدّول العربيّة قسطاً كبيراً في عديد من النّجاحات أو الإخفاقات، فالبناء الصّحيح والتّبصر بأبعاد القضيّة اللّغويّة، وتفنيد الادعاءات الزّائفة، وكشف الزّيف، والحسم في القرار السّياسيّ، والعمل على التّوحيد اللغويّ، والإعداد الجيّد، والتّخطيط اللغويّ، والإنفاق الماديّ والتّشجيع المعنويّ... كلّها تصبّ في خانة اهتمامات الدّول، وهي مِن الواجبات المَنوطة بالسّلطة التّشريعيّة والتّنفيذيّة. فشركاء كثيرون في هذه المَسألة عندما تتحدّد أبعاد القضيّة اللّغويّة، وتديرها السّلطة بمنهج:

١. إيلاء اللّغات الوطنيّة القيمة الرّمزية والاستعماليّة المَكانة العليا في سلطة الدّولة. وفي هذه النّقطة أليس جديراً بنا التّذكير بفعل السّابقين في هذا المَجال، وكم من مُؤسّسات عربيّة تنادت إلى أفعال ذات قيمة وأهميّة: ألم ينصّ "(إعلان لننهض بلغتنا على: ... لمْ يُسجّل التّاريخ نهضة علميّة لشعب من الشّعوب بغير لغته الوطنيّة، ما يجعل من اللّغة العربيّة قضيّة أمن قوميّ بلا منازع. وأداة مَعرفيّة لا يمكن الاستغناء عنها في أيّ مَشروع عربيّ للتنميّة. وأنّ مُوجبات إعلاء شأن اللّغة العربيّة ودعمها لا يتعارض مع اعتبارات الانفتاح على الثّقافات العالميّة وتعلّم اللغات الأجنبيّة".

٢. التّخطيط اللّغويّ السّليم: من مَهام الدّولة العمل على سنّ سياسة لغويّة وفق المَنهجيات والمَرجعيات الوطنيّة والحضاريّة والتّاريخيّة، وإقرار سياسة لغويّة واضحة المَعالم والأهداف ومن ورائها سياسة تربويّة يقع فيها الرّبط بين الأمل والطّموح، وبين ما هو على أرض الواقع؟ فما كان يجب على مُؤسّسات الدّولة/ الوزارات أن تتقاعس عن أداء دورها في تحقيق تلك التّخطيطات؟ والعمل بها لسدّ كلّ الفجوات، ووضع الحلول لتجاوز الصّعوبات.

٣. الاستثمار في التّربيّة والتّعليم: يعني الاستثمار في الفرد، وأساس تقدّم الشّعوب ليس في استيراد التّقانات، بقدر ما يكمن في مَنْ يصنع هذه التّقانات، وخلق بيئة لغويّة مُنسجمة تعمَل على الإنتاج العلميّ بلغة البلد. وإنّ الفرد هو أساس البناء كلّه؛ إذ لا أمل في إقامة بناء سليم متين، إذا كانت لبناته واهية أو فاسدة، وأوّل ما يبنى به الإنسان هو الإيمان والصّدق والعمل والأمل والطّموح والمنافسة. وهنا من واجبات الدّولة أن تعمل على بناء فرد سويّ متّزن ضمن مشروع متكامل تؤمن به الأمّة، وتتربّى عليه، وتعمل وفقه على السّير على نهجه، وتتعاون كلّ المؤسّسات على تحقيقه: الجامِع والجامعة، والكتاب والصّحيفة، والتّلفاز والإذاعة، فلا تُشرّق مُؤسّسة في حين تُغَرّب أخرى ولا يهدم مَجال غيره من مُؤسّسة عضيد.

٤. الدّعم المَعنويّ من أجهزة الدّولة للحفاظ على اللّغة الوطنيّة في: التّدريس+ الإعلام+ الاستعمال الرّسمي+ الإدارة. فلو أنّ الأمم العربيّة تنفق على التّربيّة والتّعليم كما تنفق على الفنّ والرّياضة لحصّلت المراتب الأولى في كلّ شيء.

٥. تجنيد الإعلام لقضيّة المواطنة اللغويّة، وهي مسألة نوعيّة على غرار ما تقوم به الفرنكفونيّة أو اللوزوفونيّة أو الإسپانوفيّة من تجنيد وسائل الإعلام التي تضخّ يومياً ما يجعلك تتعمّق في لغتهم وتتعلّمها. أرمادة من جيوش الإعلاميين في كلّ بلاد العالم يُقدّمون الخِدْمات بالمَجان لصالح لغاتهم لكي يكون لها الانتشار القويّ في الدّاخل وفي الخارج.

٦. الاستماع إلى العالم الذي ينتج الأفكار، والسّلطة من خلالها قد تَصْنع القرار.

٧. خوض مَجالات المُحتوى العربيّ الرّقميّ: وهذا لا يستطيع الأفراد القيام به لما يتطلّب من تجنيد ومال. فالدّور على الحكومات للسّعي على إحداث تغييرات على المستوى التّنظيميّ

لخدمات المعلوميات والاتّصالات، وتوفير الدّعم الحكومي للمشاريع ذات العلاقة، مَع مَزيد مِن مُؤسّسات التّعليم والتّدريب للوصول إلى بيئة عربيّة مُحوسبة.

٨. ضرورة استكناه تجارب الأمم النّاجحة في المواطنة اللغويّة واقتباس ما ينفعنا: ولنأخذ في هذه النّقطة تجربة فرنسا، فلا يخفى أنّ فرنسا كانت تعيش مخاضاً كبيراً في عصر الضّعف، ولكنّها أرادت النّهوض الصّناعيّ، فبدأت بالتّفكير في النّهوض اللغويّ وبدأ ذلك إنّ بداية النّهوض الأوربّي بدأ من أوساط القرن XVI الميلاديّ، حيث اهتمّت أولاً بالعلوم الإنسانيّة، وركّزت على مَوضوعات: فتح الحريات البحثيّة+ مَنْع التّعصّب+ التّسامح+ الاهتمام بالتّراث+ خوض ميدان ثورة البخار. وكان مفتاح التّطوّر في كلّ ذلك مبنياً على:

- إحياء التّراث الكلاسيكيّ، وكان مَوطنه في إيطاليا، فعملت على إحياء تراث الرّومان وموطن إيطاليا الذي جعلها على اتّصال بحضارات البحر الأبيض المتوسّط؛
- رعاية أمراء إيطاليا للآداب والفنّون وللحركات الإنسانيّة والنّهضة المُعاصرة بصورة عقلانيّة؛
- نظرة الأوربّيّ إلى العُصور الوُسطى التي قهّرته وخلّفته، والرّغبة في التّغيير؛
- الإجماع على ضرورة إحياء العلوم الإنسانيّة، فهي باب العلوم، وإخراج الكنيسة من حدود المُمانعات في الاجتهاد.

ونرى في هذه الخريطة النّهضويّة أنّ البداية بالعلوم الإنسانيّة؛ لأنّها تقوِّم الجانب الرّوحيّ؛ حيث يصبح إنساناً مُبدعاً للآلة التي يستعملها، ولا يكون عبداً للآلة. ومن ذلك تحدّدت مَراتب النّهضة عندهم وفق الآتي:

ـ أولاً: الاهتمام بالتّراث الكلاسيكيّ: الأدب+ الفنّ+ الفلسفة. وبرع في ذلك: دانتي إليجري ١٣٢١م، وبترارك ١٣٧٤م، وبوكاشيو ١٣٧٥م. وكانوا يقولون "لا خوف على مسيحيّة الشّاعر إذا استلهمَ تراث اليونان والرومان".

ـ ثانياً: الاهتمام بالشّعر: وكان على يدّ (جفري شوسر/ Geoffrey Chaucer ١٤٠٠م)، و(ليوناردو سير دافنشي/ Leonardo Ser Piero Da Vinci ١٥١٩م)، و(توماس مور/ Sir Thomas More ١٥٤٠م) و(فرانسوا رابليه/ François Rabelais ١٥٥٣م). ويعدّ (مايكل أنجلو بوناروتي/ Michelangelo Buonarroti) من أعظم فنّاني عصر النّهضة، وقد برع في فنّ التّصوير والنّحت إلى درجة مُذهلة، ومن أعماله المشهورة تمثاله الرّخاميّ (التّقوى) وهو يُصوّر العذراء مَريم وهي تحمل ابنها على حجرها. وقد وضع هذا التّمثال في كنيسة مُلوك فرنسا. ثمّ ظهور الطّباعة على يدّ الألماني (يوهان جوتنبرغ/ Johannes Gutenbererg ١٤٣٨م)، والفلك على يدّ البولندي (نيكولاس كوپرنيك/ Nicolaus Copernius ١٥٤٣م)، وفلسفة الحكم بأحكام (نيكولو دي برنادرو دي ما كيافيلي/ Niccolo Di Bernardo Dei

Machiavelli ١٥٢٧م)، وإصلاح الكنيسة كانت بظهور كتابات (مارتن لوثر كينغ/ Martin Luther King ١٥٤٦)، واكتشافات جغرافيّة جديدة (كريستوف كولومبس/ Christophorus Columbus ١٦٩٢م) وقد شكّل عمله الجغرافيّ انقلاباً في طُرُق التّجارة الدّوليّة، وفي الاقتصاد العالميّ، بظهور طريقين: طريق الحرير+ طريق المِلْح. وكان في كلّ هذا برعاية دائمة من:

١ـ الأمراء: أمير إيطاليا (كارلو دي كوزيمو ميدشي/ Karlo Di Cosimo Midichi) وهو أمير وشاعر.

٢ـ البابويين: وفي مقدّمتهم الباب (نيقولا V والمولود باسم (Tommaso Parentucelli) والمتوفّي ١٤٥٥م.

٣. المهاجرين القدماء: فقد وجدوا جوّاً جديداً أبدعوا فيه لوجود حريّة الفكر والبحث.

٤. النّاشرين: تأسيس المطابع من أثرياء إيطاليا مثل مطبعة فلورنسا+ مطبعة البُندقيّة.

ـ ثالثاً: بناء المُؤسّسات؛ فمن مَجمع اللّغة الفرنسيّة سنة ١٦١٢، على يدّ (أرماند چان دو بلاسيس دو ريشيليو/ Armand Jean Du Plessis De Richelieu) إلى تأسيس مَجمع اللّغة القشتاليّة في إسپانيّة، إلى مُؤسّسات كبيرة أضحت مَرجعيات عالميّة، وإلى أكثر من خمسين (٥٠) جمعيّة تناصر اللّغة الفرنسيّة وإلى منظّمة الفرنكفونيّة، وما ينطبق على فرنسا ينطبق على إيطاليا التّاريخ، وعلى اليونان الحضارة، وعلى البرتغال المغامرة، والإسپان ملوك البحر، ومالطا الأمجاد...

ـ رابعاً: الإغداق على المَجامع والمُؤسّسات: وهذا مِن مُستلزمات إجراء البحوث والتّجارب وتحقيق مختلف الصّناعات. وفي كلّ ذلك تعضدها مِئات مِن مَراكز البحوث العِلميّة العالميّة بما لها من عُلماء تنفق عليهم بسخاء، وتوفّر لهم العيش الرّغيد، والمهم أن يبدعوا في ذات لغاتهم وبلغاتهم.

. خامساً: توفير وسائل النّجاح: وفي هذا كان التّعلّق على البشر العلميّ المتعلّم الذي تكوّنه أو الذي يأتيها مُكوّنا، فتوفّر له شروط النّجاح والاستثمار في مَشروعه، وتقدّم له كلّ المطالب. وقد حقّقت الكثير من استقطاب الكفاءات الوطنيّة والأجنبيّة، واستثمرت في التنميّة البشريّة أيّما استثمار.

. سادساً: الاستفادة من خبرات الآخرين: ولقد كانت النّهضة الأوربيّة تجربة إنسانيّة جيّدة وفذّة وخصبة، وكان محورها الإنسان في تقويم سلوكه قبل منتوجه الآليّ، وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق التّراث اليونانيّ والرّومانيّ، ودرس دراسات وافيّة أخضعته للنّقد، واستلهام قيم وأفكار جديدة أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأوربيّة. دون أن ننسى أنّ هذه النّهضة قد استلهمت من الحضارة العربيّة الإسلاميّة علم اللّغة العربيّة، ويقول الفرنسي (لويس ماسينيون/ Louis Massignon) "اللّغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة

التّعبير العلميّ، وهي من أنقى اللغات؛ فقد تفرّدت في طُرُق التّعبير العلميّ والفنّي".

٩ـ أهميّة استعادة تجارب نهضويّة عربيّة بمُراعاة المُستجدّ، وقبول التّكيّف: وفي كلّ هذا لا نعدم بدايات النّهضة العربيّة التي حصلت بمنطلق الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة عند الطّهطاوي+ الأفغاني+ محمد عبده... وهذا الرّعيل قطع شوطاً كبيراً في عملية التّحديث في البنيات الفكريّة العربيّة العتيقة بفكر مُستنير؛ عبر خلْق توافق بين مُتطلّبات الحياة المَدنيّة المُعاصرة وبين الدّين الإسلاميّ وقيَمه السّمحة. وكانوا يرفعون شعار "الإسلام دين مدنيّ يقبل المُتغيّرات ويتفاعل معها" ويغرسون الثّقافة العربيّة الوسطيّة من خلال الشّعر العربيّ واللّغة العربيّة؛ كوْن العرب كتلةً قوميّةً اغتنت بالتّأثير اللّغويّ دون الذّوبان في فكر فارس أو تركمان أو هنود... وهكذا استلهم العرب حضارتهم في جانبها الإنسانيّ بداية بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ الفلك والطبّ والرّياضيات والجغرافيّة، وكان العقل العربيّ مُبدعاً مُنفتحاً على مَعارف مُتنوّعة. وحصلت عظمة عربيّة إسلاميّة استثنائيّة ارتكزت على التّعبئة النّفسيّة المُصاحبة بالفكر الفلسفيّ والرياضيّ من أرسطو إلى بطليموس، وكانت حركة التّرجمة واعيّةً، ووصلت مع نهاية القرن العاشر إلى نهايتها بعد أن استنفذت مَوادها، وبدأت الأعمال الأصليّة تظهر وتزداد. وكان توسّع الفكر العلميّ مُتمشياً مع انتشار الإسلام واللّغة العربيّة بصفتها لغة تواصل جديدة بامتداد كبير وصلت إلى الصّين، وأزاحت لغات كانت قويّة مثل السّريانيّة واليونانيّة. وفي كلّ ذلك حصل الامتداد العربيّ في كلّ القارات وهي مُحصّلة نوعيّة إذا أردنا النّهوض مرّة أخرى، بمَجامعنا وبمؤسّساتنا وبالمُجتمع ككلّ؛ فالعمل النّهضويّ صناعة جماعيّة والعبرة بالخواتيم، كيف كانت أوربا متخلّفة، وعملت بمبدأ حتميّة التّغيير، كما أنّ العرب الأوائل عملوا بالتِماس الأسباب، وحصلت لهم نواة النّقلة النّوعيّة في تأسيس العلوم النّظريّة التي أخدها الغربيّون وطوّروها وأفادوا بها لغاتهم، وتطوّروا بتنظيراتنا التي أهملناها ضمن بوتقة العلوم المُعاصرة التي تُربّي فينا الآليّة الصّماء.

١٠. إنتاج مَشاريع نهضويّة مُعاصرة: وهنا نترك للمُبادرات الفرديّة والجماعيّة أن تتناطح في من يُقدّم الأفضل، والمُهمّ في الأمر تقديم تصوّر عن وضع آليات مُعاصرة للنّهوض العربيّ الثّانيّ بخصوص الاهتمام باللّغة العربيّة اهتماماً أولياً؛ باعتبارها لغة الانسجام الاجتماعيّ، والتّناغم البينيّ، ولغة المستقبل، إضافة إلى الشّرعيّة التي نالتها من خلال الدّساتير العربيّة، وما يتبع ذلك مِن مُستلزمات النّصوص القانونيّة. فلا جدالَ في القضايا الشّرعيّة في اللغات الوطنيّة من حيث موقعُها الاجتماعيّ، بقدر ما يكمن المُشكل في زحزحتها الفعليّة والقصديّة من قبل بعض الأفراد الضّعاف الذين لم يقتنعوا بالواقع اللغويّ، ولا يرضون للعربيّة أن تكون لغةَ التّعليم، ولا اللّغة اليوميّة للمُواطن. إذاً المُشكل في كيفيّة الاقتناع بها كلغة لا بديلَ عنها، وهي القَدَر الذي لا يمكن التّنازل عنه أو التّسامح فيه أو تركه للزّمان، وهذا ما تحرص عليه الأمم الحيّة التي تقدّمت بلغاتها، **ويشهد التّاريخُ بأنّه ما تقدّمت أمّة بغير لغتها البتّة**، وهذا ما يجب

أن نقومَ على تجسيده من خلال بثّ هذه الفكرة لدى كلّ الفئات العربيّة. والعِوَلُ في هذا الأمر على النّخبة العُضْوَة في المُجتمع العربيّ، وهي الفئة المثقّفة والمُسمّاة (النّخبة) يجب أن تضع في وعْيِها خدمة الشّأن العامّ، وإلا لا فرقَ بينها وبين الدّهماء. ومن هنا نُريد نُخَباً تعمل على أن تُضيف للعربيّة قيمةً جديدةً، نُخباً تنقل العلم إلى العربيّة، لا نُخباً تنتقل إلى اللغات الأجنبيّة. وندعو النّخب العربيّة إلى إنجاز مَشاريع في مُستوى عظمة العربيّة فهم مَعنيون بالمَسألة اللغويّة؛ إن لم يكن لهم الضّلعُ الكبير في عودة الوعيّ اللغويّ إلى مَقامه، فهم يُعدّون بمَثابة المَرجِع القيميّ، **فيزع بأوامِرهم ما لا يزع بالوَعْظ والقرآن.**

ـ **تاسعاً: ضرورة الاستهداء بتقرير حالة اللّغة العربيّة ومستقبلها:** هو تقرير لعمل فريق متخصّص من إعداد وإشراف وزارة الثّقافة والشّباب في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة. شمل التّقرير تغطيّة مجالات اللّغة العربيّة في سنوات ٢٠١٨– ٢٠٢٠. ونصّ التّقرير في الخاتمة على ما يلي "تقرير حالة اللّغة العربيّة ومستقبلها، هو نتيجة عمل فريق استثنائي قدّم الفكر والوقت والجهد بشغف لا مثيل له بلغتنا الأمّ، والتزام ملهم بمستقبلها. عمل على التّقرير ثلاثة وعشرون باحثاً من الإمارات المتّحدة ومختلف الدّول العربيّة، وأسهم فيه خمسون خبيراً في مجال اللّغة العربيّة يعملون في كبرى المؤسّسات الحكوميّة والجامعات والشّركات التّقنيّة في الإمارات العربيّة المتّحدة والسّعوديّة وعُمان ولبنان وكوريا وأستراليا والصّين والبرازيل وألمانيا والولايات المتّحدة وغيرها". وأقدّم لكم زبدة ما يمكن العول عليه في مستقبل تطوير العربيّة من متن العمل.

١ـ عن العربيّة في بُعدها السّياسيّ: لا يخفي عن أحد أنّ المنطقة العربيّة تعجّ بالأحداث السّياسيّة، وقد فتحت تلك الأحداث الأبواب واسعةً لزيادة الاهتمام بالمَنطقة ولغتها. وبينما تتفاوت طبيعة هذا الاهتمام وأسبابه من بلد لآخر، يبقى البُعد السّياسيّ طابعًا يميّز منطقة الشّرق الأوسط وشمال أفريقيا ويدفع الآخر للاهتمام بها. ويمكننا القول إنّ البُعد السّياسيّ للّغة العربيّة ناجمٌ عن أربعة عوامل أساسيّة تتفاوت وتختلف بحسب البلاد المُهتمّة بتدريسها. فهو إمّا: (١) نابع من الفُضول الثّقافيّ والمَعرفيّ تجاه الأحداث في المَنطقة العربيّة، وهذا حاضر في النّموذج اليابانيّ على سبيل المثال، إذ إنّ الاهتمام بسياسة الشّرق الأوسط هناك مَحصور في المَعرفة الثّقافيّة، أو (٢) ناجم عن الفرص المِهْنيّة المُتاحة في مَجال الإعلام ودراسة الشّرق الأوسط مثل ألمانيا– على سبيل المثال لا الحصر، أو (٣) مُنبثق من الحاجة العسكريّة والأمنيّة، وهذا حاضر في الولايات المتّحدة والمملكة المتّحدة، أو (٤) حاضر لأسباب إنسانيّة واجتماعيّة نتيجة لمَوْجات الهجرة العربيّة، ولا سيّما إبان أحداث ٢٠١١ وما عُرف بالرّبيع العربيّ. وفي هذا المَحور سنركّز اهتمامنا على العاملين الأخيرين، الحاجة العسكريّة والأمنيّة، والدّواعي الإنسانيّة والاجتماعية؛ نظرًا لأهمّيّتهما ولغلبة حضورهما من حيث البُعد السّياسيّ لتعلّم العربيّة في العوالم الجديدة. وانطلاقًا من هنا نقول إنّ تعليم اللّغة فعلُ سياسيّ بامتياز، فتعلّم العربيّة العابر للقارّات اليوم ليس

بمنأى عن علاقات المِنطقة العربيّة الدّيبلوماسيّة وتأثير القوى الإمبرياليّة والاستعماريّة عليها، وهو ليس بمَعزلٍ أيضًا عن مُستجدّات السّاحة السّياسيّة وسفر اللّغة مع مَوجات الهِجرة لكثير من الدّول. إذًا تعليم العربيّة في العوالم الجديدة بات ضرورة سياسيّة من مَنظورين، عسكريّ وأمنيّ أوّلاً، وإنسانيّ واجتماعيّ ثانيًا.

٢. في مَجال القوانين والتّشريعات والمُبادرات:

١/٢. تزايد الاهتمام بتمكين اللّغة العربيّة في مُجتمعاتها عبر مَجموعة من القوانين والتّشريعات التي تمّ سنّها في بعض الدّول العربيّة في العقد الأخير، وعبر إنشاء مُؤسّسات تهدف إلى ترسيخ دعائم اللّغة في هذه الدّول ومُجتمعاتها.

٢/٢. ظهور عدّد من المُبادرات على المُستويّين الحكوميّ والخاصّ؛ تعكس تنامي الاهتمام باللّغة العربيّة على تفعيل وجودها في كافّة مَناحي الحياة. ونخصّ بالذّكر هنا المُبادرات اللّغويّة في القطاع التّكنولوجيّ التي يعمل بعضها على الجانب التّعليميّ والتّأصيل العلميّ والأكاديميّ للّغة العربيّة، وبعضها الآخر على تطوير حوسبة اللّغة العربية، وإغناء المُحتوى العربيّ في الشّبكة العالميّة، وتعزيز استعمال اللّغة العربيّة في الشّبكات الاتصال والتّواصل.

٣/٢. إنشاء الجوائز التي تهدف إلى مُكافأة الإبداع باللّغة العربية بمُختلِف أشكاله آدابًا وفنونًا، وترجمات، ودراسات علميّة، وأسهمت هذه الجوائز في دعم الجهود الهادفة إلى تطوير اللّغة العربيّة بشكل عامّ، وإلى إنعاش الإنتاج اللّغويّ بشكل خاصّ، والدّفع به إلى فضاءات جديدة من التّوزيع والانتشار.

٣. في مَجال القوانين والتّشريعات:

١/٣. افتقار غالبيّة الدّول العربيّة إلى سياسات لغويّة واضحة تُحدّد فلسفة الدّولة تجاه اللّغة أو اللّغات التي يستعملها أبناء البلد الواحد، وتَحكُم الجهود التّشريعيّة ذات الصّلة بحماية اللّغة العربيّة. وما نراه اليوم، في الغالب، لا يعدو كونه نصوصاً عامّة مُتفرّقة لا يجمعها خيطٌ ناظمٌ أو رؤيةٌ واضحةٌ.

٢/٣. ضعف مُواكبة الجهود التّشريعيّة اللّغويّة لما يشهده العالم من تحوّلات سياسيّة وثقافيّة واتّصاليّة مُتسارعة، وما تفرضه كلّ هذه المُستجدّات من واقع جديد يلقي بظلاله على مُستقبل اللّغة العربيّة. فالكثير من التّشريعات اللّغويّة التي تحتكم إليها الدّول العربيّة في عصرنا الحاليّ يعود إصدارها إلى سنوات سابقة للعشريّة المُنصرمة، حتى إنّ بعضها قد صدر في أربعينيّات القرن الماضيّ. وإذا ما نظرنا إلى التّشريعات اللّغويّة الحديثّة التي صدرت خلال السّنوات العشْر الماضيّة نلاحظ أنّها لم تُواكب الثّورات التّقنيّة الحديثة؛ فلا نجد قوانين تنظّم الاستعمال اللّغويّ في الأنماط الاتّصاليّة الرّقميّة التي فرضتها مُستحدثات العصر، أو القوانين تنظّم عمل الاتّصال الجماهيريّ، كالمنصّات الإعلاميّة الإلكترونيّة، ومَواقع المؤسّسات الحكوميّة والمُؤسّسات

الخاصّة، وغير ذلك من أشكال الاتّصال القائمة على النّشاط اللّغويّ.

٣/٣. انحسار الدّور المِحوريّ الملقى على عاتق مَجامع اللّغة العربيّة نتيجة لأسباب عدّة؛ يأتي في مُقدّمتها غياب التّنسيق بين هذه المَجامع، وبين مَراكز الأبحاث والعلوم في مُختلف المَيادين العلميّة والاجتماعيّة، وانكفاء المَجامع على ذاتها، مُغرّدة بعيدًا عن سِرْب المَراكز العلمّية والمُؤسّسات البحثيّة، والنّتيجة غياب للتكامليّة المُتوخّاة لدخول اللّغة العربيّة في مختبرات العلم والتّقانة المتجدّدة، كما أنّ جزءًا من المُشكلة يعود إلى عدم إلزاميّة القرارات المَعجميّة، فليس لها صفة قانونيّة توجِب على غيرها من المُؤسّسات والأجهزة الحكوميّة والخاصّة الالتزام بقراراتها اللّغويّة، وهو ما يجعل قراراتها اللّغويّة غير فاعلة على الصّعيد الرّسميّ. ومن جانب آخر، لا يخفى على أيّ مُتابع غياب غالبيّة المَجامع اللّغويّة عن التّواصل الفعّال مع المُجتمع الخارجيّ، وغياب بعضها شبه التّامّ عن التّواصل المُؤثّر في الشّابكة.

٣/ ٤. غياب البُعد التّخطيطيّ ومَحدوديّة التّنسيق بين مُؤسّسات العمل العربيّ المُشترك في خدمة اللّغة العربيّة، إذ لا نجد مَشروعات الصّياغة سياسات لغويّة مشتركة، أو قيادة للتّغيير في واقع اللّغة في أرجاء الوطن العربيّ، وإن وجدت بعض المؤتمرات والوثائق الرّاميّة إلى تحقيق هذا الهدف، فإنّها غالبًا لا تتّسم بصفة المواثيق التي تستوجب مسؤولية الالتزام المشترك، وإنما هي مجرّد نبرات خطابية لا تكاد تظهر حتى تخبو وتتلاشى.

٤. في مجال القوانين والتّشريعات والمَرجعيّات المؤسّسيّة: نقترح رؤية تصوّريّة عمادها ثلاثة عناصر أساسيّة:

(أ) سياسة لغويّة حاكمة، **(ب)** ومُؤسّسات مَرجعيّة راسمة، **(ج)** وإرادة سياسيّة فاعلة.

(أ) سياسة لغويّة حاكمَة: ونعني بها الرّؤيّة الشّاملة التي ينبغي أن تحتكم إليها الجهود التّشريعيّة التي تبذلها الدّولة لتدبير الشّأن اللّغويّ، وصياغة سياسة لغويّة واضحة المَعالم، مُكتملة الأركان، ضمانةً قانونيّة لانسجام التّشريعات اللّغويّة المُختلفة داخل الدّولة الواحدة، وإذا ما أردنا لسياساتنا اللّغويّة النّجاعة والنّجاح، فإنّه يجب علينا أن نُراهن على تحقّق عدّة عوامل لصياغة هذه السّياسات منها: ١) أن تتمّ وفقًا لرؤية استراتيجيّة؛ ٢) وتنطلق من مُعطيات البيئة الواقعيّة لتراعي التّنوّع الاجتماعيّ، وتضمن العدالة اللّغويّة لأبناء الوطن الواحد؛ ٣) وتكون قائمة على المُشاركة المُجتمعيّة؛ و٤) وتكون مُنفتحة على مُعطيات العصر؛ و٥) وتكون قابلة للتّحقّق على أرض الواقع.

(ب) مُؤسّسات مَرجعيّة راسمَة: لصياغة السّياسة الحاكمة، نحتاج إلى وجود مُؤسّسات مَرجعيّة تضطلع بمَهمّة التّخطيط، ورسم السّياسات اللّغويّة. ونقترح بناءً على ذلك:

- إنشاء مُؤسّسات عُليا في كلّ دولة تكون مَهمّتها الأولى التّخطيط اللّغويّ، ورسم السّياسات اللّغويّة العامّة، والعمل على مَشروعات القوانين، ومُتابعة تنفيذها.

- أن يقوم على شأنها أساتذة ومُفكّرون مَشهودٌ لهم بالكفاءة، والدّراية والتّخصّص، والخبرة في مجـال رسـم السّياسـات والتّشـريعات، يعضـدهم فـي ذلـك لسـانيّون وقـانونيّون وتربويّـون واقتصاديّون.
- أنّ تعمل مُؤسّسة التّخطيط اللّغويّ في كلّ دولةٍ عربيّة على التّنسيق –في ما يخصّ السّياسة اللّغويّة – بين: (١) جميع مُؤسّسات الدّولة ذات الصّلة: كمُؤسّسات القضاء والإعلام والتّعليم، (٢) والمُؤسّسات المُتخصّصة في اللّغة العربيّة: كالمَجامع اللّغويّة، وكلّيّات اللّغة العربيّة؛ (٣) ومُؤسّسات العلوم الأخرى: كالجامعات، والمُختبرات، ومَراكز البحث.
- أن تؤول إلى مُؤسّسة التّخطيط اللّغويّ قيادة الجهود اللّغويّة في الدّولة، بحيث تصبح كالمايسترو الذي يضمن أداء جميع المُؤسّسات والمُبادرات بإيقاع مُتكامل، وهذا يتطلّب أن تعمل على التّقويم المُستمرّ للمُؤسّسات اللّغويّة القائمة، وإنشاء ما يتطلّب إنشاؤه من مُبادراتٍ ومُؤسّسات، والعمل على تضافر جهودها على نحوٍ يخدم الرّؤية الوطنيّة المُتكاملة تجاه اللّغة.

(ج) إرادة سياسيّة فاعلة: لا يمكن لأيّ مَشروع لغويّ أن يستقيم دون إرادة سياسيّة مُؤمنة بأهمّيّة القضيّة اللّغويّة، تأخذ بمَضامين التّشريعات والقوانين، وتكفل تحقيقها، حتى تصبح واقعاً معيشاً، إذ ليست العبرة في وجود سياسات لغويّة في الأوراق، وبُنى مُؤسّساتيّة تبذل جهوداً في التّخطيط، دون وجود إرادة تنتقل بالخُطط إلى واقع التّنفيذ.

٥. تطوير آليات عمَل مَجامع اللّغة العربيّة، بحيث تصبح أكثر فاعليّةً في مَيادين البحث العلميّ والتّرجمة والتّعريب؛ مُتواكبةً مع مُستحدثات العصر في مَجالات العلوم والتّقانة والابتكار، مُتفاعلةً مع التّحوّلات الاجتماعيّة والثّقافيّة والاتّصاليّة. ولا يتأتّى ذلك إلا بالتّنسيق الوثيق بين مَراكز الأبحاث والمُختبرات والجامعات والمَراصد الاجتماعيّة من جهة، وبين المَجامع اللّغويّة من جهة ثانيّة.

٥/١ـ العمل على تعزيز التّنسيق بين الجوائز العربيّة بهدف تبادل الخبرات في ما بينها، ورفع كفاءتها. ونقترح إلى جانب ذلك العمل على استحداث جوائز عالميّة لأفضل البحوث والدّراسات في مَجالات العلوم والتّكنولوجيّات الحديثة المكتوبة باللّغة العربيّة؛ وذلك لفتح باب التّشجيع والتّنافس على الإنتاج العلميّ باللّغة العربيّة، إلى جانب الإنتاج الأدبيّ والفنّيّ.

٦. في مَجال البحث العلميّ وتعريب العلوم:

٦/١. رفع مستوى الجودة في المُنتَج العلميّ العربيّ باللّغة العربيّة عن طريق توفير قياس عربيّ لمُعامل التّأثير، واستحقاق الامتياز في مُستوى جودة تعليم العلوم والبحث العلميّ في الجامعات ومَراكز البحث وقنوات النّشر، والقصد من هذا الارتقاء بالمنتج العلميّ بالعربيّة إلى

مُستوى من التّنافسيّة العربيّة إقليميًّا؛ يضمن في مَرحلةٍ أولى تشبيكًا عربيًّا داخل المُجتمع العلميّ العربيّ وفق مَعايّير توفّر حاجات المُجتمعات العربيّة التّنمويّة، ثمّ تُراجَع هذه المَعايّير تدريجيّاً لتكييفها مع المُستوى العالميّ وفق خطّة زمنيّة تدريجيّة.

٦/٢- **توفير الانتشار والتّلاقح للمُنتَجات العلميّة العربيّة باللّغة العربيّة** من خلال توفير شبكة الشّراكة العلمّية بين مُؤسّسات التّعليم العالي ومَراكز البحوث العربيّة. وقد تكون هذه الشّراكة من مُتطلَّبات التّخرّج الجامعيّ أو التّرقيات في التّدريس والعمَل البحثيّ، وهو ما يتطلّب نصوصاً قانونيّةً واتّفاقيّات تمنح الشّراكة العلميّة العربيّة –العربيّة صفة الإلزام من حيث الاعتماد الجامعيّ. وتُنظِّم هذه النّصوص والاتّفاقيّات –وفق خُطّة مُسبقة مُتَّفَق عليها على مُستوى الوزارات والمُؤسّسات العلميّة –المُنتَج العلمي العربيّ باللّغة العربيّة وفق حاجات كلّ بلد وبما يستثمر مَوارده أحسن الاستثمار.

٦/٣- **تفعيل الشّراكة مع الأطراف الأجنبيّة لرسم استراتيجيّات إدارة المَعرفة اللّغويّة واستثمارها في سوق العمل**، وتسخيرها لخدمة تطوير المَعرفة العلميّة العربيّة باللّغة العربيّة على مستوى تعليم العلوم أو البحث العلميّ. وتمتدّ الشّراكة إلى التّلاقح العلميّ؛ ليتزوّد منه الباحث العلميّ العربيّ في نقله للمَعرفة إلى اللّغة العربيّة.

٦/٤. **توفير الانتشار للمُنتَج العلميّ البحثيّ العربيّ عبر ضمان المرئية** (أو الإتاحة في قنوات النّشر العالميّة) من خلال توفير جهاز ترجميّ علميّ ينقل الأبحاث العلميّة مِن العربيّة إلى اللّغات الأجنبيّة. وهذا الأمر يسمَح بمُواكبة المنتَجات العلميّة باللّغة العربيّة لمَعايّير الجودة العالميّة والدّخول إلى مُعترك التّصنيف العالميّ.

٦/٥. **إقامة مَراكز عربيّة محليّة مُتخصّصة في التّرجمة العلميّة من وإلى العربيّة**، وتكون من لجانها هيأة تعني بالتّكيّيف الاصطلاحيّ، واقتراح مُدْخلات علميّة جديدة في اللّغة العربيّة ونشر اعتمادها بين المُؤسّسات الجامعيّة والمَراكز البحثيّة.

٦/٦- **العمل على مشروع لمنهج عربيّ مُوحَّد في الكتابة العلميّة البحثيّة** أو الكتابات الوظيفيّة الأخرى، تجري مراجعته دوريًّا لتطوير أساليب التّحرير والتّوثيق في الكتابة العلميّة في العلوم البحتة أو في العلوم الإنسانيّة. وهذا على غرار منهج APA لجمعيّة علم النّفس الأمريكيّة أو منهج Turabian لجامعة شيكاغو.

٦/٧. **إنشاء بنك مَعرفة عربيّ ذي سيادة استراتيجيّة، تُناط به مَسؤوليّتا إدارة المُنتجات المَعرفيّة باللّغة العربيّة وتدويرها.** أمّا الإدارة فتُعنى برصد مُنتَجات العلوم بالعربيّة، وإتاحة الوصول إليها وتنظيم الاستفادة منها بين المُؤسّسات التّعليميّة ومراكز البحث العلميّ. وأمّا التّدوير فيُعني بالعمل على تحويل المُخْرِجات البحثيّة من البحث النّظريّ إلى الإنتاج المادّيّ، ويتمّ ذلك عبر دعم قطاعات التّعليم والبحث العلميّ من خلال توفير الرّعاية المادّيّة للباحث

العربيّ العلميّ بتشبيك الجامعات والأفراد بصنّاع القرار السّياسيّ وبموارد التّمويل، وإشراك القطاع الخاصّ في الإنتاج العلميّ بالعربيّة بدل إلقاء الحمل كلّه على القطاع العامّ المثقَل أساسًا بالالتزامات السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والأمنيّة.

٨/٦. إنشاء وزارة تعريب العلوم؛ وهي جهاز سياديّ تنفيذيّ ينظّم مُجتمع المَعرفة العربيّ ويُدير الإنتاج العلميّ باللّغة العربيّة. ومن مَسؤوليّته رصد حاجات المُجتمع العربيّ وتقدير مَوارده الطبيعيّة ورأس ماله البشريّ واللّغويّ من أجل رسْم خُطّة زمنيّة مُوجَّهة لتنفيذ مشاريع العلوم باللّغة العربيّة في المجتمع العربيّ وفق برنامج بحثيّ واقتصاديّ واجتماعيّ مَدروس. ومن الأهداف المَنُوطة بهذه الوزارة: إدارة المَوارد البشريّة والمَقدّرات المادّيّة؛ وفق برامج اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة وعلميّة؛ ومُراجعة المَناهج والأهداف في مَجال تعليم العلوم؛ وإعادة تحديد الأولويّات البحثيّة؛ وتنظيم الشّبكة التّنمويّة في استثمار رأس المال اللّغويّ مَعرفيًّا لخدمة المُجتمع العربيّ؛ وتسيّير النّشاط العلميّ ومَجالات استثماره في مُجتمعات المَعرفة بشكل فعّال ومُستمرّ يُنظّم ويربط بين التّعليم الأساسيّ والمُؤسّسات الجامعيّة، ومَخابر البحث ومُختلف القطاعات الأخرى التي لها علاقة بتعريب العلوم.

ـ **الخاتمة:** اسمحوا لي بأنّ المقام مقام إشادات بعمل المَجامع العربيّة في شتّى أقطار الدول العربيّة، ولا يمكن نكران ما قَدّمته في مَجال العربيّة، وأحقّ بنا اليوم الافتخار بها وبمُؤسّساتها التّابعة، ويكون لنا الكعب العالي في الحديث عن سموّ شأن العربيّة بكلّ مَرافقها، ويتطلّب منّا المَقام أن ننظُرَ في قضاياها المُعاصرة، وأن نتدارسَ في ما بيننا شؤونَها وأحوالَها. وعلينا جميعاً أن نشدَّ على أيادي بعضنا البعض لتجسيد الآمال المَعقودة، وأن نجعل الأمر في يدّ شيخ المَجمع العلميّ العراقيّ مع صُحْبه مِن مَجمعي اتّحاد المَجامع اللغويّة والعلميّة العربيّة، ونعلّق عليهم آمال نُشدان الحاضر والمُستقبل وما يُقدّمونه من برامج وتطبيقات ومَشاريع لهذا الجيل الطّامح الطّافح. جيل يحتاج إلى مُرافقة دائمة، وأن نُيسّر لهم سُبُل البحث في العربيّة في ذاتها ولذاتها. جيل ينتظر مِن المَجمعيين الكثير الكثير، فهل يمكن أن تكونوا أيّها المَجمعيّون في مُستوى مَآلات هذا الجيل الذي يطلب زيادة عن العتبة. وأنا أعلّق أغراضي على أعمال المجمع العلميّ العراقيّ وصحبه من اتّحاد المجامع اللغويّة في القاهرة؛ لما لهما من بُعد النّظر، ومَنتوج حَضَر، ورأي جاهز لاستقبال أمْر مُنتظر. يجب أن نكون على وعي لغويّ جديد؛ بوضع بين يد هذا الجيل برامجَ ومشاريعَ كبيرة وعمليّةً في اللّغة العربيّة؛ تُيسّرُ لهم سُبُلَ استعمالها وتوظيفها والتّحدّث بها. وعلينا أن نمْدح أعمالنا، وكلّنا نحبّ المَدح، كما نحبّ الأمل؛ ولولا الأملُ لما علا بنيانٌ، ولا اخضرَّ الجنانُ، ولا تسامتِ الأغصانُ، ولا تمايلتِ الأفنانُ، ولا زُوّجتِ النّسوانُ، ولا اشتاقتْ أنثى الى الرّضعان، ولا تاقَ إنسٌ إلى الرّضوان. وكما قال الشّاعر (أبو اسماعيل الحسين بن علي الطّغرائي ت ٥١٤هـ) في لاميته العجمية:

أُعَلِّلُ النّفسَ بالآمالِ أَرْقُبُها   ما أضيقَ العيشَ لولا فُسْحَةُ الأملِ

ومن هنا، كان من ميزة الحياة العمَل، المَقرون بالعمَل؛ فالأمَل بلا عمَل كجسد بلا روح، وعمَل بلا أَمل كآلة خرساء، ومن تلاحمِهما يتولّد النّورُ، ولولا أمَلُ (توماس أديسون ١٨٤٧-١٩٣١م) المَشفوع بالعمَل والتّجارب المُضنية لما اقترن اسمُه باختراع المِصباح الضّوئي، وكلّ مُفردة في حياة الإنسان هي سيف ذو حدّين؛ كالزّمن إنْ لمْ تقْطَعْه قَطَعَكَ، والأمَل الأجوف هي بَطالة مُقنَّعة وإن أشغله بالعمَل، والأمَل المُفعم بالحياة يُحيل البَطالة إلى حركة وإن عزّ العملُ وندر، لأنّ الأملَ المثبتَ هو في حدّ ذاته سعيٌ وحركةٌ غير ظاهرة، والأمل السّلبيّ هو موت سريريّ وإن كان صاحبُه كثيرَ الحركة، فالأمَل الأوّل مُنتج والثّاني مُحبط، والبركة في الحركة الهادفة. وعلينا أن نكون المُبادرين، ونتذكّر أن النّجاح صِناعةٌ جماعيّةٌ، وأنّ الغدَّ يعتمد على عَمَل اليوم، ونتوكّل على الله، وفي ذات الوقت علينا غلقَ البابِ بإحكام. ونرجو أن نستفيد مِن كلّ ما هو جَديدٌ في المَجال التّكنولوجيّ والرّقميّ؛ لخِدمة هذه اللّغة المُشتركة الجامعة (العربيّة الفصحى) وعلينا فتحَ نوافذِنا على البحوث الجاريّة عند الآخرين، لا قلعَ سقوفِ بيوتِنا للرّيح العاليّة، ونستفيد من الأساليب العلميّة للآخرين، وكيف خدموا لغاتهم، ونعتبر من نجاحهم، ويكون ذلك قُدوة للتّحدّي، وثبات رَفْع التّصدّي.

. **التّوصيات:** هناك قضيّة أساسيّة لا بدّ من الانتباه إليها، وهي ضرورة رفع القابليّة للاستعمار اللغويّ من ذواتنا، ومن ثمّ جعْل الشّعوب العربيّة والإسلاميّة المُستعملة للحَرْف العربيّ تُمارس استعمالَ اللسان العربيّ في الحياة اليوميّة على مُستويات نفسيّة وسلوكيّة فرديّة وجماعيّة، وندعو إلى:

أولاً: التّفعيل العمَليّ في اتّجاه آليّة بناء الوعيّ اللغويّ وتأسيسه، وهو ما يعالجه فحص علاقة اللسان العربيّ بالهُويّة اللغويّة، وبناء التّصوّرات، ورؤية العالم، وعلاقة اللّغة بالأمْن القوميّ من مَنظوره الواسع، وإشاعة حقائق هذا المَسار بين جموع الشّعوب العربيّة.

ثانياً: الحركة في اتّجاه آليّة الضّبط التّشريعيّ، وتفعيل المَواد الدّستوريّة الكاشفة عن وضع اللّغة العربيّة في سياق تصوّر الدّول العربيّة عن نفسها ونظامها الأساسيّ، ومُقوّمات بنائها، وتنقّيّة ما هو قائم من التّناقضات.

ثالثاً: الحركة في اتّجاه الضّبط المُؤسّساتيّ، هو ما يُحقّق العمَل على المَسار الضّابط لأدوار المُؤسّسات المَعنيّة بالحفاظ على العربيّة، وتطويرها، وضبْط عدم التّداخل في الاختصاصات بين: التّخطيط والتّنفيذ والمُتابعة.

رابعاً: مُراجعة أدوار مُؤسّسات المَجامع اللغويّة، والمَجامع العلميّة، والمَجالس الوطنيّة والعربيّة المُتخصّصة، والمُؤسّسات الثّقافيّة، ووزارة الثّقافة، ووزارات الأوقاف والشّؤون الدّينيّة.

خامساً: الحركة في اتّجاه آلية التّخطيط اللّغويّ، في مَراحله المُختلفة من: التفّكير والتقّرير والتّطبيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة العيد الماسي للمجمع العلمي العراقي

كلمة الأستاذ الدكتور محمد سعيد ربيع الغامدي

عضو مجمع اللغة العربية في مكة المكرمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين وبعد...

أودُ ابتداءً أن أنقلَ إلى الجمعِ الكريم هنا تحياتِ سعادةَ رئيسِ مجمعِ اللغةِ العربيةِ بمكة المكرمة الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن علي الحربي وتهنئتهُ للصرحِ الشامخِ وحصنِ العربية المجمع العلمي العراقي بعيدهِ الماسي ومرورِ خمسةٍ وسبعينَ عاماً على انشائه. فباسمي واسمهِ ونيابةً عن مجمعِ اللغةِ العربية بمكةَ المكرمة والعاملينَ فيه أباركُ للمجمعِ العريقِ وأهنئهُ بهذه المناسبة وأدعو للقائمين عليه وعلى رأسهم سعادة الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين رئيس المجمع – حفظه الله ورعاه – بدوامِ التوفيقِ والسداد.

وأُثني بالشكرِ لسعادتهِ وللقائمينَ على هذا المجمعِ العريق للدعوةِ الكريمة ، وكمْ كانَ سعادة الأستاذ الدكتور عبد العزيز يتمنى أن يكونَ معكم اليوم. وكمْ تمنيتُ أنا أن أحظى أيضا بلقاءِ الأحبة من الأصدقاءِ والزملاء ، وأن أشاركَ الجميع فرحتَهم بهذهِ المناسبةِ السعيدة كما كان مقرراً لولا أن الظروفَ حالت دونَ تحقيق هذه الأمنية الغالية وعسى أن تتحقق هذه الأمنية في قابلِ الأيام .

الحقيقة أن الحديثَ عن المجمعِ العلميِّ العراقي بتاريخهِ وانجازاتهِ وبأعلامهِ حديثٌ يطول، وحديثٌ ذو شجون . للحديثِ عن المجمعِ جوانبُ كثيرة لابدَ أن الزملاءَ غَطوا منها ما أسعفهم بهِ الوقتُ خلالَ أيامِ هذه المناسبة وهذا الاحتفال السعيد.

أنا هنا مضطر في هذا الوقت القصير المحدودِ بدقائقَ معدودة ، وفي هذه العُجالة مضطرٌ إلى الاكتفاءِ بنقطتينِ اثنتينِ فقط. وأرجو أن لاتكونَ النقطتان قد أُثيرتا من قبل وأن لايكونَ حديثي تكراراً لبعضِ مضامين الكلماتِ والأوراقِ المقدمةِ في الجلسات.

أكتفي بالتنبيه أولا على أن ما أُنجزَ في تاريخِ هذا المجمعِ العريق على أيدي القائمينَ عليه منذ انشائهِ وعلى أيدي أعلامهِ الكبار من العلماء ، ما استطاع هؤلاءِ وغيرهم من الأجيالِ السابقة إنجازهُ وما استطاعوا التغلبَ عليه من عوائقَ وتحديات كانت قائمة في العصورِ الماضية ، إلى أن وصلَ المجمعُ إلى ماوصل إليه وما أصبحَ عليه اليوم . ذلك كلّهُ يضعُ القائمينَ على المجمعِ اليوم من الأجيالِ اللاحقة ومن العلماء أمامَ مسؤوليةٍ كبيرة ، وعليهم مواجهةُ تحدياتٍ جديدةٍ غيرِ تلكَ التي كانت تواجهُ الجيلَ السابق، أعني تحدياتِ هذا العصر؛ عصر التقنيةِ وعصر التحول الرقمي. وهي بلا شك تحدياتٌ تقنيةٌ بالضرورة. أقولُ هذا الكلام لأنني حرصتُ على أن آتي في كلمتي بما يشبهُ التوصية التي يمكن أن تُضم إلى توصياتِ هذا اللقاء المبارك وأرجو أن تكونَ كذلك. فأقول هنا إن هذه التحديات اليوم : تحديات العصر وتحديات التقنية، وإن كان هذا الكلام لا يخصُ مجمعَ اللغةِ العربيةِ في بغداد وحدهُ بل هو مُوجّهٌ لجميع المجامعِ العلميةِ العربية . هنا لا أترددُ في القول يجبُ، ويجبُ هذه تُوجِبها طبيعةُ

المرحلة الرقمية التي نعيشها حاضراً الآن قبل أن تكونَ مخصوصةً بالمستقبل. يجبُ في نظري أن يضطلع المجمعُ العلميُّ العراقي بمشروعاتٍ تقنيةٍ مشتركةٍ مع المجامعِ العربيةِ الأخرى. أي أن هذا مما يَلزمُ أن تقوم به المجامعُ العربيةُ اليوم . أقصد الأعمال والمشاريع المشتركة التقنية أي التي تستفيدُ من الثورة التقنية ، وتقومُ عليها وتستندُ إليها. وهذا الأمر بكلِ تأكيد هو أهمُ تحديات العصر التي تواجهُ المجمع العلمي العراقي ومجامعَ اللغةِ العربيةِ الأخرى. أرجو أن يكون هذا توصيةً وأن تُضمنَ التوصيات في هذا الملتقى شيئا من هذا.

قلت إن هذه النقطة نقطة القيام بمشاريع تقنيةٍ حديثةٍ ومشتركة هي واحدةٌ من نقطتين اكتفي بهما لضيق الوقت.

النقطةُ الأخرى هي أنه قد لفت نظري على المستوى الشخصي منذ زمنٍ بعيد تسميةُ هذا المجمع بالمجمعِ العلمي ، وكذلك الحال في بعضِ مجامع اللغة منها مجمعُ دمشق . مفردةُ العلميّ كانت تؤدي معنى ظاهراً قارّاً في الأذهان أصبح الاسمُ يُحيلُ عليه بصورةٍ مخصوصة حينما صدر تنظيمٌ للمجمع يُوسِعُ دائرةَ اختصاصاته لتشملَ بعضَ حقولِ العلوم التطبيقية كالفيزياء مثلا لضرورات أهمها ربما ما تتطلبهُ المصطلحات العلمية. غيرَ أن هناك دلالةً أخرى لوصفِ المجمعِ بالعلميّ أرجو أن تكونَ هي حاضرةً دائماً. هذه الدلالة وهي أنَّ الوصفَ بالعلميَّ يكونُ وصفاً للخطاب، بمعنى أنه لابدَ أن يكونَ الخطابُ الذي يتبناهُ المجمع موصوفاً بأنه خطابٌ علميٌّ معرفي .

الخطابُ العلميِّ المعرفي يقابلُ بالضرورة الخطابَ الفكري وهذهِ في نظري مسألة مهمة في عملِ المجامعِ اللغوية ينبغي أن تكون حاضرةً في الأذهان كما قلت. الوصفُ بالعلميةِ اذن وصفٌ مهمٌ يُذكّرُ دائماً بوجوبِ استحضارهِ عند كلِ عملٍ وعند كلِ معالجةٍ لشأنٍ من شوؤنِ اللغة. إذ إن شوؤنَ اللغة بما أن اللغة مكونٌ من مكوناتِ الهوية كثيراً ما تستجلِبُ عند الحديثِ عنها ألواناً من التحيزات غيرِ العلمية، التي لابد أن تُوصف في هذه الحالة بأنها فكرية، والخيطُ قد يكون رفيعاً لايُرى إلا بالعينِ المجردة بين ما هو فكري وماهو علميٌّ معرفيّ يُرى بالعينِ المجردةِ فقط .

الانتاجُ العلميُّ اذن هو مايميزُ المجمعَ العلمي والتعاطي بعلميةٍ ومنهجيةٍ صارمة لا تُسيرها الانحيازات الفكرية، والخط الذي ينبغي أن تسيرَ عليهِ المجامعُ كلُّها هو الخطُ الذي يجبُ أن يحرصَ على الالتزامِ به. ولهذا نقول أن المجامعَ كلَّها يجب أن تكونَ علميةً بهذا المعنى وليس مجمعَ العراق وحده .

هاتان النقطتان أردتُ بهما في هذا الحديثِ المقتضب أن تكونَ ما يشبه التوصية التي يمكن أن تضمَ إلى التوصياتِ التي سينجمُ عنها هذا اللقاء المبارك. الحقيقة هذه الكلمة لن تضيفَ لكم شيئا ولكنها مساهمة أردتُ أن أنوبَ بها عن مجمعِ مكة العلمي أيضاً، وأرجو أن يكون هو أيضا مجمعاً علمياً بهذا المعنى، وأن أشارككم هذه الفرحة .

ليس لدي في ختام هذا الكلام إلا تكرار الشكر والعرفان للمضيفين الكرام وأدعو الله العلي القدير بدوامِ التوفيقِ والسدادِ لمجمعنا العريق ولجميعِ القائمينَ عليه انه سميعٌ مجيبُ الدعاء والحمد لله رب العالمين.

كلمات الأساتذة الأعلام أعضاء المجامع الذين حضروا ممثّلين لمجامعهم العربية:

كلمة الْأُسْتَاذ الدُّكْتُور حَافِظ شَمْس الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّاب

عُضْوِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِيِّ التَّوفِيقِ وَالنِّعَمِ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الَّذِي أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ.

الْعَالِمُ الْأَجَلُّ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُور مُحَمَّد حُسَيْن آل يَاسِين رَئِيسَ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ الْمُوَقَّرَ.

السَّادَةُ الْأَعْلَامُ النُّجُبُ، عُلَمَاءَ الْأُمَّةِ، أَعْضَاءَ مَجَامِعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ.

السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ شُهُودَ هَذَا الْحَفْلِ الْكَرِيمِ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .. وَبَعْدُ،

فَلَابُدَّ مِنْ كَلِمَاتِ التَّحَايَا الطَّيِّبَةِ الْعَاطِرَةِ لِشَعْبِ الْعِرَاقِ الْعَرِيقِ، أَحْمِلُهَا مَعِي مِنَ الْقَاهِرَةِ مِنَ الشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ، كَذَلِكَ أَنْقُلُ أَحَرَّ التَّهَانِي وَأَصْدَقَ الْأُمْنِيَاتِ الْعِذَابِ لِمَجْمَعِكُمُ الْمُوَقَّرِ، وَلِكُلِّ مَنْ يَنْتَمِي إِلَيْه، مِنَ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُور صَلَاح فَضْل رَئِيسِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بالْقَاهِرَةِ، فَهُوَ يُزْجِي إِلَيْكُمْ كُلَّ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ، وَلِكُلِّ وُجُوهِ الْحَاضِرِينَ الَّتِي أَضَاءَتْ جَنَبَاتِ هَذَا الْمَكَانِ. وَقَدْ شَرَّفَنِي مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ بِتَكْلِيفِي بِالْحُضُورِ إِلَى بَغْدَادَ عَاصِمَةِ الْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ وَالتَّنْوِيرِ لِأَنُوبَ عَنْهُ فِي الاِحْتِفَالِ بِالْعِيدِ الْمَاسِيِّ، لِلْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، الَّذِي وُلِدَ عِمْلَاقًا مُنْذُ تَأْسِيسِهِ عَامَ سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَتِسْعَمِئَةٍ وَأَلْفٍ، بِصِفَتِهِ مُؤَسَّسَةً عِلْمِيَّةً ثَقَافِيَّةً تَنْوِيرِيَّةً، تَهْدِفُ لِلْعِنَايَةِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَرِعَايَتِهَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَالاعْتِنَاءِ بِالتُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ أَيْضًا. وَيُعَدُّ الْمَجْمَعُ الْعِلْمِيُّ الْعِرَاقِيُّ بِمَثَابَةِ الْوَاحَةِ الظَّلِيلَةِ الَّتِي يَفِيءُ إِلَيْهَا الْبَاحِثُونَ وَالدَّارِسُونَ، وَمَنْ يُؤَرِّقُهُمُ الشَّوْقُ إِلَى الْمَعْلُومَةِ الْوَاثِقَةِ الصَّادِقَةِ، بَعْدَ أَنْ يَشْتَدَّ لَفْحُ الْجَدَلِ وَالنِّقَاشِ، وَكَانُوا يَجِدُونَ الْجَوَابَ الشَّافِيَ الدَّافِعَ النَّافِعَ فِي إِصْدَارَاتِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ.

فِي عَامِ سِتَّةٍ وَتِسْعِينَ وَتِسْعَمِئَةٍ وَأَلْفٍ، انْتَشَرَ أَرِيجُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، لِيُعَبِّقَ التَّخَصُّصَاتِ الْعِلْمِيَّةَ وَالتِّقْنِيَّةَ كَافَّةً، بَعْدَ أَنْ جَدَّدَ الْهَوَاءَ فِي رِئَتَيْهِ، وَانْطَلَقَ مِنْ أَسْرِ الرُّؤْيَةِ الضَّيِّقَةِ فِي حَصْرِ إِنْجَازَاتِهِ وَاهْتِمَامَاتِهِ فِي تَخُصُّصَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْكُرْدِيَّةِ وَالسُّرْيَانِيَّةِ وَالتُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ. وَنَشَرَ الْمَجْمَعُ مِظَلَّتَهُ الرَّصِينَةَ لِتَحْتَضِنَ تَخَصُّصَاتِ الْعُلُومِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ وَالْهَنْدَسِيَّةِ وَالزِّرَاعِيَّةِ وَالْفَلْسَفِيَّةِ وَالْقَانُونِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالْمَعْلُومَاتِيَّةِ وَشَتَّى مَنَاحِي الْمَعْرِفَةِ بِضُرُوبِهَا الْحَدِيثَةِ، أَوِ الَّتِي هِيَ وَلِيدَةُ السَّاعَةِ، وَكَانَ جَنَى هَذِهِ الاهْتِمَامَاتِ مَحْصُولًا ثَرًّا فِي دَعْمِ الْمَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِخِدْمَةِ التَّنْمِيَةِ فِي إِطَارٍ عِلْمِيٍّ ثَقَافِيٍّ ثَرِيٍّ، وَبِذَا أَصْبَحَ الْمَجْمَعُ الْعِلْمِيُّ الْعِرَاقِيُّ بَحْرًا زَاخِرًا تَتَلَاطَمُ أَمْوَاجُهُ بِكُلِّ صُنُوفِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ.

الْجَواهِرُ الْفَرِيدَةُ لَهَا تَأَلُّقٌ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ وَيُبْهِرُ الْأَلْبَابَ، وَمِنْ أَسْرَارِهَا تَعَدُّدُ وُجُوهِهَا، فَالْمُتَطَلِّعُ إِلَيْهَا مِنْ أَيٍّ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ، يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ بَرِيقِهَا، وَلَكِنَّ الْبَدِيعَ فِيهَا أَنَّ كُلَّ وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِهَا لَهُ تَلَأْلُؤٌ خَاصٌّ مُتَمَيِّزٌ، هَذَا هُوَ الْحَالُ مَعَ إِصْدَارَاتِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، الَّذِي أَسْعَدَنِي الْحَظُّ بِالاطِّلَاعِ عَلَى شَيْءٍ غَيْرِ قَلِيلٍ مِنْهُ، وَلِهَذَا فَأَنْتَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُقَدِّرَ جُهُودَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَفْرَزُوا هَذَا الْإِنْتَاجَ الْمُتَمَيِّزَ لِلْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، وَأَرَدْتَ أَنْ تُوَفِّيَهَا حَقَّ قَدْرِهَا، كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَجْمَعَ انْطِبَاعَاتِ كُلِّ مَنْ قَرَأَ، أَوْ أَفَادَ، أَوْ تَسَلَّحَ بِزَادٍ عِلْمِيٍّ أَدَبِيٍّ ثَقَافِيٍّ تَنْوِيرِيٍّ، اعْتَصَرَهُ مِنْ ثَنَايَا إِصْدَارَاتِ مَجْمَعِ الْعِرَاقِ الْعَظِيمِ، وَهَيْهَاتَ.

وَالْمَجْمَعُ الْعِلْمِيُّ الْعِرَاقِيُّ، هُوَ ثَالِثُ أَقْدَمِ الْمَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، حَيْثُ يُعَدُّ مَجْمَعُ دِمَشْقَ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّذِي تَأَسَّسَ عَامَ تِسْعَةَ عَشَرَ وَتِسْعَمِئَةٍ وَأَلْفٍ هُوَ أَقْدَمَ الْمَجَامِعِ عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، وَتَبِعَهُ مَجْمَعُ الْقَاهِرَةِ الَّذِي تَأَسَّسَ عَامَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَتِسْعَمِئَةٍ وَأَلْفٍ، لَكِنَّهُ بَدَأَ أَعْمَالَهُ عَامَ أَرْبَعَةٍ وثَلَاثِينَ وَتِسْعَمِئَةٍ وَأَلْفٍ.

وَمُنْذُ إِنْشَاءِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ عَامَ سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَتِسْعَمِئَةٍ وَأَلْفٍ، قَامَ بِطَبْعِ مَجْمُوعَةٍ رَائِعَةٍ ثَرِيَّةٍ مِنَ الكُتُبِ؛ تَأْلِيفًا وَتَرْجَمَةً وَتَحْقِيقًا؛ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ وَمَنَاحِي التُّرَاثِ وَالتَّارِيخِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمُعْجَمَاتِ وَالْأَدَبِ وَالدِّيَانَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّخَصُّصَاتِ الْحَدِيثَةِ؛ مِثْلِ التِّقَانَةِ وَالْعُلُومِ الْبَيْنِيَّةِ، وَمَبْلَغُ عِلْمِي أَنَّ أَوَّلَ كِتَابٍ أَصْدَرَهُ مَجْمَعُ الْعِرَاقِ سَنَةَ خَمْسِينَ وَتِسْعَمِئَةٍ وَأَلْفٍ هُوَ "تَارِيخُ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ"، وَمِنْ كُتُبِهِ الَّتِي أَصْدَرَهَا حَدِيثًا كِتَابُ "صُحُفٌ مَجْمَعِيَّةٌ" عَامَ سَبْعَةَ عَشَرَ وَتِسْعَمِئَةٍ وَأَلْفٍ. إِضَافَةً إِلَى الْجُهُودِ الْمَشْكُورَةِ الْحَمِيدَةِ لِمَجْمَعِ الْعِرَاقِ، مِنْ إِصْدَارَاتِهِ لِكُتُبٍ خَاصَّةٍ تَضُمُّ أَعْمَالَ الْمُؤْتَمَرَاتِ وَالنَّدَوَاتِ الْمَفْتُوحَةِ وَالْمُغْلَقَةِ، وَغَيْرَهَا مِنْ أَنْشِطَةِ الْمَجْمَعِ الْعِرَاقِيِّ وَالْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ.

عَلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَصْدَرَهَا الْمَجْمَعُ قَدْ نَفِدَتْ، الْأَمْرُ الَّذِي دَفَعَ الْمَجْمَعَ إِلَى إِعَادَةِ طَبْعِ اثْنَيْ عَشَرَ كِتَابًا مِنَ الدُّرَرِ النَّفِيسَةِ الَّتِي تُرَصِّعُ إِصْدَارَاتِ الْمَجْمَعِ.

الْحُضُورُ الْكَرِيمُ!

إِنَّ احْتِفَالَنَا الْيَوْمَ بِالْعِيدِ الْمَاسِيِّ لِلْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، يُعَدُّ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْعُمْرِ الْخَالِدَةِ، فَقَدْ تَحَقَّقَ لِلْمَجْمَعِ شَرَفُ الاِسْتِمْرَارِيَّةِ فِي إِنْجَازَاتِهِ الرَّائِعَةِ بِفَضْلِ أَعْضَائِهِ وَعُلَمَائِهِ، الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ أَعْلَى مِنْبَرٍ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ وَالْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ، وَيُجَسِّدُونَ أَسَاطِينَ الْعِلْمِ وَقِمَمَ الْبَيَانِ فِي صَوْمَعَةِ حُمَاةِ اللُّغَةِ وَأَصْحَابِهَا، الَّتِي لَا يَفُوزُ بِعُضْوِيَّتِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ. أَقُولُ لِحَضَرَاتِهِمْ: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ وَرَعَاكُمْ وَأَعَانَكُمْ وَأَمَدَّكُمْ بِقَبَسٍ مِنْ نُورِهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، لِيَظَلَّ عَطَاؤُكُمُ الْمُتَمَيِّزُ خَفَّاقًا رَقْرَاقًا مَوْثُوقًا فِي صِدْقِهِ وَأَصَالَتِهِ، فَأَنْتُمُ الْعَاكِفُونَ فِي عَرِينِكُمْ تَتَوَفَّرُونَ عَلَى تَحَرِّي مَنَاهِجِ الدِّقَّةِ وَالصَّوابِ، لِتَقْوِيمِ الْكَلِمِ، وَحُسْنِ صِيَاغَتِهِ، تَأْكِيدًا لِنَقَاءِ ذِكْرِهِ وَصَفَاءِ وِجْدَانِهِ، وَسَبِيلًا لِتَأْكِيدِ ذَاتِهِ، وَلَمَعَانِ ثَقَافَتِهِ وَثَبَاتِ خُطُوَاتِهِ عَلَى سُلَّمِ الْحَضَارَةِ، حَمَاكُمُ اللهُ يَا حُرَّاسَ عَرِينِ اللُّغَةِ، فَأَنْتُمُ الصَّفْوَةُ الْمُخْتَارَةُ مِنَ الْكِبَارِ الَّتِي لَا يَحْظَى بِالاِنْتِسَابِ إِلَيْهَا، وَلَا يَرْقَى إِلَى عَالِي مَقَامِهَا، إِلَّا مَنْ أُوتِيَ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْوَفَاءِ بِالرِّسَالَةِ السَّامِيَةِ لِلْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ تَحُوطُكُمْ عَزِيمَةٌ لَا تَفْتُرُ، وَإِرَادَةٌ لَا تَلِينُ، لَا يَعْتَرِيهِمَا كَلَالٌ وَلَا مَلَالٌ.

إِنَّنِي أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ الْمَجْمَعَ الْعِلْمِيَّ الْعِرَاقِيَّ لَهُ فَضْلُ الرِّيَادَةِ وَالْقِيَادَةِ وَالسَّبْقِ مَعَ مَجْمَعِ دِمَشْقَ وَمَجْمَعِ الْقَاهِرَةِ، فِي إِغْنَاءِ اللُّغَةِ بِكُلِّ مَا هُوَ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ مُصْطَلَحَاتٍ لِأَسْمَاءِ اكْتِشَافَاتٍ وَاخْتِرَاعَاتٍ تَظْهَرُ عَلَى السَّاحَةِ الْعَالَمِيَّةِ، فَإِنَّنِي أُقَدِّرُ كَثِيرًا الْجُهْدَ الْخَارِقَ الَّذِي يَبْذُلُهُ الْأَعْضَاءُ وَالْخُبَرَاءُ، وَالَّذِينَ يَخْتَارُهُمُ الْمَجْمَعُ بِكُلِّ عِنَايَةٍ وَحِيَادِيَّةٍ، وَالْكُلُّ يَتَعَاوَنُ فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ اتِّحَادِ الْمَجَامِعِ الْعِلْمِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، بِالرَّغْمِ مِنَ الْعَقَبَاتِ وَالصُّعُوبَاتِ الَّتِي يَتَجَشَّمُهَا أَعْضَاءُ الْمَجْمَعِ وَخُبَرَاؤُهُ، وَشَوَاهِدُ هَذِهِ الْإِنْجَازَاتِ الْمُبْهِرَةِ لِمَجْمَعِ الْعِرَاقِ الشَّامِخِ، تَتَجَسَّدُ فِي إِصْدَارَاتِهِ وَمَعَاجِمِهِ الَّتِي تُلَاحِقُ التَّطَوُّرَ الْمُتَسَارِعَ لِطُوفَانِ الْمُصْطَلَحَاتِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي تُولَدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى الصَّعِيدِ الْعَالَمِيِّ، وَالْكُلُّ يَشْهَدُ لَهَا بِالتَّمَيُّزِ وَالْجَدَارَةِ.

السَّادَةُ الْحُضُورُ الْكِرَامُ:

إِنَّ كُلَّ مَا ذَكَرْتُهُ عَنِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ وَإِنْجَازَاتِهِ، لَا يُمَثِّلُ إِلَّا النَّزْرَ الْيَسِيرَ أَو حُسْوَةَ طَائِرٍ مِمَّا أَنْتَجَ مِنْ كُنُوزِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَا يَتَّسِعُ الْوَقْتُ لِسَرْدِهَا.

صَادِقُ الثَّنَاءِ وَمُتَوَالَدُ الْعِرْفَانِ مَوْصُولَانِ لِذَوَاتِكُمُ الْكَرِيمَةِ وَقَامَاتِكُمُ الْعِلْمِيَّةِ الرَّفِيعَةِ، وَاللِّسَانُ يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُور مُحَمَّد حُسَيْن آل يَاسِين، رَئِيسِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ وَصَحْبِهِ الكِرَامِ، أَدَامَ اللهُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا مَوفُورَ الْعَطَاءِ الْمُتَمَيِّزِ، وَأَنْ يَظَلَّ مَجْمَعُ الْعِرَاقِ دَوْمًا مَنَارَ عِلْمٍ وَثَقَافَةٍ وَتَمَيُّزٍ، وَأَنْ يَظَلَّ شِهَابًا يُضِيءُ أَرْجَاءَ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ بِإِنْجَازَاتِهِ وَجُهُودِ أَبْنَائِهِ.

أُكَرِّرُ شُكْرِي وَتَقْدِيرِي لِحَضَرَاتِكُمْ جَمِيعًا **وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**

المجمع العراقي العريق

تحيــة للعــراق

الأستاذ الدكتور عبد المجيد قاسم محمد نصير

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين

الأساتذة الكرام الزملاء أعضاء المجمع العلمي العراقي

الحضور الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من أرض حورانٍ نشرت فؤادي   وإلى العراق حملتُ صفو ودادي

أهفو إلى لقيا الأحبة عاقدا   عزمي أشارك فرحة الميلاد

سبعون تتبعها السنونَ بخمسة   والماس سيد جوهر الأعياد

لكن عراقي في الصميم جروحه   ودماؤه ملأت سفوح الوادي

أين الرشيد وأين أين سحابة   خشعت لتطفئ لهفة للصادي

لِمَ قد سمحتم للعدو وصحبه   مزقا يقطّعكم على الأشهاد؟

يا ويحكم أين الحجا في فعلكم   أين العقول تلمّ شعث بلادي؟

هبوا فإن الوقت ينفد عندكم   أو سرمدا تبقوْن في الأصفاد

عودوا إلى شرع الوفاق وحكمه   حتى الحفيد يصير كالأجداد

آه يا عراق، آه يا بلادي من المحيط الى الخليج، آه يا أمتي.....

ويح العروبة كان الكون مسرحها   فأصبحت تتهاوى في زواياه

كم صرّفتنا يدٌّ كنا نصرفها   وبات يملكنا شعب ملكناه

انزل دمشق وسائل صخر مسجدها   عمن بناه لعل الصخر ينعاه

وطف ببغداد وابحث في مقابرها　　　عل امرءا من بني العباس تلقاه

ماض نعيش على أنقاضه أمما　　　ونستمد القوى من وحي ذكراه

نجأر بالشكوى من كل شيء: سياسي واقتصادي واجتماعي وأخلاقي وعلمي وحضاري. ولكن في مناسبة العيد الماسي لصرح من صروح اللغة العربية الشماء، تعالوا نشكو هموم اللغة العربية، التي تُشن عليها كل أصناف الحروب من قرنين، ومع ذلك

لغة العروبة مارد جبل　　　في رأس هذا الطود قرآن

أحجاره ماس وصخرته　　　لن تقلق الصخرات عبدان

احبتي

لو قيل لكم إن يتيما وضع برعاية اثنين وعشرين كفيلا يعتنون به، فماذا تتخيلون حال هذا اليتيم؟ تظنون أنه سيلقى أطيب الحياة والاهتمام، يتنافس فيه هؤلاء الكفلاء! ولكن ما قولكم، دام فضلكم، لو قلت لكم إن الإهمال الشديد سيكون من نصيبه. وهذه هي حال اللغة العربية مع اثنين وعشرين قطرا، يكتبون في دساتيرهم "اللغة العرية هي اللغة الرسمية"، ثم عند التطبيق تضيع اللغة من بين أيديهم كضيعة الأيتام على مأدبة اللئام. الأمر خطير جدا، وإذا اضعنا اللغة العربية لن يبقى لنا سبب إلى العروبة، بل وإلى لغة القرآن ومن ثم الإسلام. فاللغة العربية هي خيط المسبحة الذي ينظم حباتنا المتنافرة، وإذا وهن هذا الخيط فقد ينقطع، وإذا انقطع انتهينا من الوجود.

نعم، إن اللغة وسيلة اتصال بالماضي وللحاضر وللمستقبل، ووعاء للفكر والإبداع، ولكنها وسيلة البقاء بل وللتوسع الحضاري والثقافي. انظروا إلى ما تفعله ما يسمى الأمم الحية مثل فرنسة وألمانية وروسية والإنجليز والأمريكان للغاتهم وما يفتحون من مراكز ثقافية تعلم لغاتهم في مختلف دول العالم، وتنشر حضارتهم ومدنيتهم. أتراهم أغبياء يضيعون أموالهم، أم بعيدو النظر؟ لقد ولى عهد الاستعمار الخشن بالجيوش والقواعد العسكرية، وحل محله الاستعمار الناعم باللغة والثقافة. نحتفل بالعيد الماسي لمجمعنا المجمع العلمي العراقي، في الوقت الذي تعقد فيه قمة فرنكوفية في جربة في تونس للدول التي كانت مستعمرة من قبل فرنسة، او اختارت اللغة الفرنسية لغة أولى أو لغة ثانية. وتهتم فرنسة بذلك أشد الاهتمام، لتبقى روابط اللغة والحضارة

مشدودة إلى باريس. وربما قرأتم أو سمعتم عن الغيظ الذي تملك فرنسة عندما بدأت دول افريقية وأولها الجزائر باختيار الإنجليزية بديلا عن الفرنسية.

أحبتي

لا عذر لنا في اهمال اللغة العربية بأي شكل وعلى أي صعيد. فلغتنا لغة حية منذ ألفي عام. وفي أثناء مسيرتها المباركة من لغة شعر وأدب وخطابة، إلى لغة القرآن والرسالة السماوية والفقه والتشريع، إلى لغة الفلسفة والعلوم بمختلف ميادينها، قبلت كل هذه التحديات وانتصرت عليها. ونذهل ونحن نتذكر عبقرية الأجداد وهم يسكون هوية من هو، وماهية من ما هي والقطع الناقص والمكافئ والزائد وغيرها، دون وجود مجامع لغوية بأي شكل. والعجيب ان هذا الإبداع كان على يد عناصر غير عربية، آمنت بهذه الحضارة واللغة والرسالة.

ونامت الحضارة العربية الإسلامية قرونا طويلة، حتى قيض الله قائدا غير عربي هو الألباني الأمي محمد علي الذي أراد أن تكون مصر دولة ذات أهمية في المنطقة. وفي خضم التنافس، وفي أجواء التحدي والعداء، كان لا بد له من جيش قوي حديث. والجيش الحديث يحتاج إلى مصادر مالية قوية، ويحتاج إلى قيادات واعية متعلمة، ويحتاج إلى مصانع متقدمة، ويحتاج إلى رعاية طبية دائمة. وأساس كل ذلك العلم الصحيح. وفي مصر العربية المسلمة، بدأ بالعلم والتعليم. وكان له أن يبدأ من الصفر، فاستقدم محاضرين من أوربة، ومترجمين من مالطة، يلقي المحاضر درسه لغته، وينقل المترجم ذلك للغة العربية، حتى إذا اكتمل المبحث نُشر في كتاب. وبدأت عملية التعريب الثانية في حياة اللغة العربية. وأقول نجحت؛ حتى الأجانب الذين أنشأوا كلياتهم في بلادنا جعلوا التدريس بالعربية كما في بدايات الكلية الإنجيلية السورية سنة ١٨٦٧ التي صارت فيما بعد الجامعة الأمريكية في بيروت، والكلية اليسوعية التي أنشأتها فرنسة الكاثوليكية. لكن القفزة الأعظم المنظمة جاءت مع حكومة سورية العربية الأولى بقيادة الملك فيصل. وأسس المجمع في حزيران ١٩١٩، بعد ارهاصات ومحاولات كثيرة، لا وقت لدينا لمراجعتها.

وتوالى، على بطء، قيام مجامع عربية أخرى. فإنشأ في مصر مجمع سنة ١٩٣٢، ثم المجمع العراقي سنة ١٩٤٧، وبعد تسعة وعشرين عاما تأسس المجمع الأردني سنة ١٩٧٦. وأنشأت مجامع أو ما يماثلها في تونس والسودان والجزائر وحيفا، وآخرها مجمع الملك سلمان في السعودية سنة ٢٠٢٠. كما تأسس سنة ١٩٧١ اتحاد المجامع العربية، ويمكن الاطلاع على نشاطات هذه جميعا على مواقعها على الشابكة.

أحبتي

اللغة العربية أكبر من مجامعها مهما كثرت، وأكبر من المتحدثين بها مهما كان عددهم، واعظم من تاريخ وحضارة في فترة من الزمن. إنها وجودنا، ويجب أن تكون حبنا وشغلنا الشاغل، وأن نعطيها كل ما نستطيع من رعاية على كل الصعد. فاللغة أكبر من أن تترك للغويين، ولأقسام اللغة العربية في الجامعات، ولمجامع اللغة؛ إنها تستحق شغل كل انسان عربي أو مسلم. ويكفيها فخرا أن الله عز وجل اشاد بها في كتابه الكريم

إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (يوسف ٢)

وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين. (الشعراء ١٩٢-١٩٥)

أحبتي

ختاما، تحية الأردن شعبا ومجمعا وعروبة وحبا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

احتفالية العيد الماسي للمجمع العلمي العراقي

(١٩٤٧-٢٠٢٢)

كلمة الأستاذ الدكتور مبروك المنّاعي

عضو المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون

(بيت الحكمة)

- معالي الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين، رئيس المجمع العلمي العراقي،
- حضرات السيّدات والسادة أعضاء المجمع،
- سعادة الأستاذ الدكتور حسن محمود الشافعي رئيس اتحاد المجامع العلميّة العربيّة،
- زملائي الأفاضل، ممثّلي المجامع العلميّة العربيّة،
- أيّها الملأ الكريم،

اسمحوا لي بأن أشكر هيئة المجمع العلمي العراقي وأن أخصّ بالشكر السيّد الرئيس الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين على كرم الدعوة وحسن الضيافة وبأن أعبّر عن سعادتي بالمشاركة – أصالة عن نفسي ونيابة عن المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة) وبتفويض من رئيسه، معالي الأستاذ الدكتور محمود بن رمضان – في احتفاليّة العيد الماسي للمجمع العلمي العراقي الشقيق... ثمّ اسمحوا لي بأن أحيّي جمعكم الكريم هذا :

- أوّلا بقول أبي الطيّب المتنبّي يذكر خروجه من مصر باتّجاه العراق وينوّه برواحله :

فمرَّتْ بنخلٍ وَفي رَكبها عَنِ العالَمينَ وَعَنهُ غِنَى

وَقُلنا لَها أَينَ أَرضُ العِراقِ فَقالَت وَنَحنُ بِتُربانَ :هَا

فلمّا أَنَخْنا رَكَزْنا الرِما حَ فَوقَ مَكارِمِنا وَالعُـلاَ...

- وثانيا بقول علي الجارم في امتداح مدينة بغداد :

بَغْدَادُ يَا بَلَد الرَشِيدِ وَمَنَارَةَ الْمَجْدِ التَلِيدِ

يَا سَطْرَ مَجْدٍ لِلْعُرُوبَةِ خُطَّ في لَوْحِ الْوُجُودِ

يَا زَهْرَةَ الصحْراءِ رُدِّي بَهْجَةَ الدنْيَا وزِيدي...

سيّداتي وسادتي،

إنّ المجمع العلمي العراقي صرح من صروح المعرفة والثقافة والروح القوميّة شامخ بالرغم من الحادثات، وإنجاز عريق بتاريخه بارز بالدور الطلائعيّ الذي اضطلع به في نهضة العراق الحديث وبالإسهام الفعّال الذي كان له من أجل أن يشارك العرب في حضارة العالم الحديث من حولهم: ذلك أنّ المجمع قد كان، منذ تأسيسه في أواخر الأربعينات من القرن الماضي، قلعة حصينة للدفاع عن الهويّة الجامعة الشاملة للعراق الواحد المتعدّد، لغويّا وثقافيّا، ومرقبة من مراقب اليقظة الدامجة لمكوّنات العروبة ومقوّماتها، ومرصدا للتراث القومي... كما كان ورشة نشيطة دائبة على التفكير في العلوم والآداب والفنون ومنطلقا لنهضة علميّة وتعليميّة كان هو ماثلا في خلفيّة نشأتها وتجسّدت في تشييد المعاهد والجامعات والمخابر وهياكل البحث المختلفة واعتمدت على خبراته في استشراف آفاق المستقبل وإعداد الاستراتيجيّات وسنّ الخُطط ورسم السياسات وصياغة المناهج والبرامج، مثلما أسهم في تحقيق التراث ونهضة الصحافة ونشأة الإذاعة والتلفزيون وشتّى وسائل الإعلام والاتّصال الحديثة، وألهم القطاع الخاصّ بما أنجز من دراسات رائدة في اصطلاحات العلوم ضمن القطاعات الحيويّة التي تهمّ المجتمع العراقي الحديث ويفيض نفعُها على عموم المجتمع العربي.

وفي ما بين تاريخ التأسيس الذي يحيي هذا اللّقاء ذكراه (١٩٤٧) وتاريخ التوسيع والتطوير الحاسم للدور والوظيفة المنوطة بعهدته (١٩٩٦) كان المجمع مؤسّسة قوميّة كبرى مهمّتها الأساسيّة خدمة اللّغة العربيّة وأختيها الكرديّة والسريانيّة... وفي العام ١٩٩٦ صدر قانون جديد أعيد بموجبه تنظيم المجمع وتوسّعت أهدافه لتشمل كافّة التخصّصات العلميّة والتقنيّة، نعني تخصّصات العلوم النظريّة والتطبيقيّة والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة وجميع تخصّصات الآداب والفنون، كما نعني كيفيّات توظيف هذه التخصّصات لخدمة التنمية في العراق وفي البلاد العربيّة والإسهام في إغناء المعرفة الإنسانيّة: وبذلك تجاوز المجمع مهمّته في خدمة اللّغة والهويّة العراقيّة والعربيّة- الإسلاميّة، وأصبح مضاهيا في فلسفته ودوره للمؤسّسات التي تُعرف – في دول العالم المتقدّمة- بأكاديميّات العلوم والفنون وتجمع عادة كبار العلماء والمفكّرين وصفوة المبدعين في شتّى المجالات، وإنّ ظلّت العربيّة باعتبارها لغة ناقدة للعلوم محلّ عنايته الأسنى.

ويُحسب للمجمع العلمي العراقي أنّه بذل جهودا كبيرة في خدمة العربيّة وفي النهضة الثقافيّة والعلميّة الحديثة للعراق والوطن العربي، ولا سيما بوضع المصطلحات العلميّة وتعريب المفاهيم والمعارف وتحقيق نفائس المخطوطات وإقامة الندوات وإصدار المؤلّفات الكثيرة في مختلف فروع المعرفة : نعني الدراسات المفردة كما نعني الدراسات المجتمعة التي نشرتها –على مدى عقود- مجلّته الشهيرة "مجلة المجمع العلمي العراقي".

سيداتي، سادتي،

لقد ازددت علما –بعد اطّلاعي على سير الكثيرين من مجمعييّ العراق، فيما كنت أهمّ بإعداد كلمتي هذه، ثمّ في أثناء حضوري فعليّات مؤتمركم الاحتفالي هذا، وفي أثناء تأمّل أمركم وأمر رئيسكم – الأستاذ الدكتور والشاعر، محمد حسين آل ياسين– بأنّ معنى أن تكون مجمعيّا هو أن تكون سيّدا في علمك وسيّدا في قومك : أي أن تكون متضلّعا من العلم مبرّزا فيه مجدّدا له قد كشفت في مسيرة حياتك مجاهل وبدّدت ضلالات ودققت في مجال تخصّصك نتائج وأضفت إضافات.. وأنْ تكون متواضعا لأهل العلم وطلاّبه زاهدا في ما حصّلت من مكتسباته وما جنيت من ثمراته وما ارتقيت من درجاته... وهو ما يترتّب عليه أن يكبر النّاس علمك "ويستمرؤوا" شخصك –بمعني "المروءة" أي كمال الإنسانيّة في "المرء" أو في "المرأة"... كما يترتّب عليه إفادتك لوطنك وشعبك وللإنسان عموما: ومَنْ كانت هذه صفاته أمكن أن يعدّ فعلا من "الخالدين" سواء بالمعنى الذي قصده الفرنسيّون إذ سبقوا غيرهم إلى نعت أعضاء الأكاديميّة الفرنسيّة بهذا النعت (Les éternels) –وهو معنى شبه حرفي للخلود، أو بالمعنى الذي قصدناه نحن قبلهم وغصنا عليه غوصا أعمق، ولا سيما في تراثنا الشعري، إذ قرنّا الخلود بنقاء العرض وطيب الذكر : ذلك أن شعرنا القديم قد تعرّض للخلود وربطه بالبذل والجود أي بنفع الإنسان غيره بماله عوض أن يسدّ به عن نفسه سبل الموت : وهو قول الشاعر (المخبّل السعدي) ملوّحا من بعيد بالغرض الذي كان يُجري إليه قصيدته وهو التأمّل في حقيقة الفناء والخلود :

وَأَرى لَها دارًا بِأَغدَرَةِ الـ * سيدانِ لَم يَدْرُسْ لَها رَسمُ

إِلّا رَمـادًا هامِدًا دَفَعَت * عَنهُ الرِيـاحَ خَوالِدٌ سُحْمُ

فنسب صفة الخلود إلى الحجر متحسّسا السبيل إلى التأمّل في خلود البشر... ثمّ مرّ من ذلك إلى صميم غرضه فقال ذاكرا عاذلته (زوجته أو نفسه) :

وَتَقولُ عاذِلَتي وَلَيسَ لَها * بِغَدٍ وَلا ما بَعدَهُ عِلـمُ

إِنَّ الثَراءَ هُوَ الخُلـودُ وَإِن * المَرءَ يُكرِبُ يَومَـهُ العُدْمُ

إِني وَجَدِّكِ مـا تُخَلِّدُني * مائَـةٌ يَطيرُ عِفَاؤُها أُ دْمُ

إنّ الخلود الذي ابتكره العرب أو بكّروا إلى فهمه وطلبوه، منذ قديم الأزمنة، هو "الخلود" المعنوي الذي يدلّ على بقاء الفعل بعد زوال الشخص والذي اعتبره أبو الطيّب المتنبّي حياة ثانية إذ قال:

ذِكْرُ الفتى عُمْرُهُ الثّاني وَحاجَتُهُ

مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ العَيشِ أشغَالُ

وهيّأ له معناه قبل ذلك عروة بن الورد في قوله (لزوجته أو نفسه) :

ذَريني ونَفسي أُمَّ حَسَّانَ، إنّني

بها قبل أن لا أملكَ البيعَ مشتري

أحاديثُ تَبْقَى والفَتى غيرُ خالدٍ

إذا هو أمسى هامة فوق صُيَّرِ

هذا هو "الخلود" الذي تسنّى للتصوّر العربي أن يمحّضه وللّغة العربيّة أن تصوغه شعرا.

هذا، سيداتي وسادتي،

وإنّنا نجتمع في هذا الملتقى اجتماع فروع الشجرة الواحدة ذات الأصل القوّي الثابت الضارب بجذوره في الأرض... وما بِيَ الشجرُ أصفُه، ولكنّني أعني العروبة والإسلام وأستحضر اتّحاد المجامع العربيّة الذي ننتمي إليه ونشرُف به وندعم وجوده وإشعاعه باجتماعاتنا ومؤتمراتنا وعمل بعضنا مع بعض وشدّ بعضنا أزر بعض...

وإنّنا إنّما جئنا لمشاركة المجمع العلمي العراقي أفراح عيده هذا متمنّين له وللعراق الغالي طول العمر واطّراد السؤدد واتّصال المجد، راجين أن يلقى من تضافر جهود النخب ومن حدب الساهرين على حظوظ المعرفة والثقافة العراقيّة والعربيّة كلّ الرعاية والدعم...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

المجمع العراقي في عيده الماسي

الأستاذ الدكتور عبد السلام الهمالي سعود

عضو مجمع اللغة العربية / ليبيا

الحمدُ للهِ الَّذِي جعلَ العربيَّةَ وِعاءً لمُحْكَمِ آياتِهِ، واصطفاهَا مِن مُختلِفِ اللُّغَى لأداءِ أوفَى رسالاتِهِ، وصلواتُه وسلامُه علىٰ عبدِه ورسُولِهِ محمَّدٍ بنِ عبدِ اللهِ؛ أنطقِ العَرَبِ لسانًا، وأبلَغِهم بَيانًا، وعلى آلِهِ وأصحابِه وأنصَارِه. أمَّا بعدُ

فإنَّه لَمِن دواعِي غِبطتِي وبَهجتِي، وتضَاعُفِ جَذَلي ومسرَّتي، أن أقفَ بينَكم في هذا اليومِ الأغرِّ الأزهَرِ؛ نيابةً عن إخوانِكم في مَجْمَعِ اللُّغةِ العربيَّةِ اللِّيبيِّ؛ رِئاسةً، وأعضاءَ عامِلِينَ ومُشارِكِينَ، ولِجَانًا عِلميَّةً؛ لِأزجِي لكُم أَرِجَ التَّهنِئَاتِ وأعطرَها، وصادقَ الدَّعواتِ وأخلصَهَا بمناسبةِ مُرورِ خمسةٍ وسبعينَ حولًا مُباركًا سعيدًا علىٰ مَطلَعِ هلالِ هذَا المَجْمَعِ العَلِيِّ المُنيف، والمَأْلَفِ البَاذِخِ الشَّرِيفِ، الَّذي لهُ مَقامٌ محمُودٌ، وأثَرٌ معدودٌ، في سُويداء قلبِ كلِّ مَنْ أُشْرِبَ العربيَّةَ؛ لِسانًا وفِكرًا، وتاريخًا وحضَارةً، فأَسَامَ سَرْحَ فِكرِهِ في مُمْرِعِ روضِهَا؛ تحقيقًا وتَصنيفًا، ودِراسةً وتَأْلِيفًا.

وما كانَ لهذَا المَجْمَعِ المعمُورِ برَصِينِ الدَّرسِ، وجَلِيلِ البَحْثِ، أَنْ يَقْتعِدَ سَنامَ الشُّهْرةِ، ويتَبوَّأَ سَامِقَ الذِّرْوَةِ، لَولَا وُجودُه في هذَا البَلَدِ الميمُونِ المُبارك، الَّذِي كانَ - وسيعُودُ إن شَاءَ اللهُ تعَالَى - مَوْئِلَ أفئدَةِ العُلمَاءِ والمُفكِّرينَ والأُدبَاءِ، وكَعْبَةَ قُصَّادِ العِلمِ ونُشَّادِ المعرفَةِ مِن مشرِقِ العالَمِ الإسلاميِّ ومَغْرِبِه علىٰ حدٍّ سَوَاء.

فعلَى أَدِيمِ هذِه البلادِ عاشَ الأئمَّةُ الأطوادُ، وبينَ أكنافِهَا نشأَ العُلمَاءُ الفحُولُ الأفذَاذُ، أمثَالَ الخليلِ، وسِيبويْهِ، والكِسَائيِّ، والمُبرِّدِ، وثَعلبَ، والفَرَّاء، والأَصمعِيِّ، وأبي عُبيدةَ، وأَبي عَمرو بنِ العَلاء، وأبي عمرٍو الشَّيبانيِّ، وسواهُم كَثِير، الَّذِين شَادُوا بُنيانَ العربيَّةِ؛ نحوًا وصرفًا، ومُعجمًا ودَلالةً، وبلاغةً ونقدًا، وعَروضًا وشِعرًا.

وفي مسَاجِدِهَا، ومدارِسِها، ومجالسِ عُلمائِها - الَّتي كانت تمُورُ بالعُلومِ والمعارِفِ مَوْرًا، وتتأوَّدُ فيهَا أَعْطَافُ الآدَابِ والفُنونِ شِعرًا ونثرًا - استُنْبِطتِ العُلوم الإسلاميَّةُ، ومُهِّدَتْ سُبُلُهَا، وذُلِّلت قُطُوفُهَا، وعَرفتِ العربيَّةُ وآدابُهَا طريقَها إلىٰ التَّدوينِ والتَّأْثِيل، والدِّراسَاتِ المنهجيَّةِ المُحكَمَة، فكانَ مُعجمُ العَينِ للخليلِ، وكتابُ سيبويه، ومجازُ القرآنِ لأبي عُبيدةَ، وكامِلُ المبرِّدِ ومُقْتَضَبُه، واختِياراتُ المُفَضَّلِ والأَصْمَعِيِّ، وهلُمَّ جَرًّا.

مِن أجلِ ذلكَ لم يكُنْ بِدْعًا علىٰ هذِهِ البِلادِ أن يكُونَ فيهَا مِثلُ هذَا الصَّرحِ العِلميِّ المُمَرَّدِ، لينظِمَ عِقدًا مُنضَّدًا فريدًا مِن أُولِي البقيَّةِ فِقهًا وعِلمًا، ودِرايَةً وفَهْمًا، ليُحْيُوا مَا امَّحَى مِن عُلومِ كِرامِ السَّلَفِ وَدَرَس، ويُنِيرُوا مَا أَعْتَمَ مِن سِيَرِهِم وأخبَارِهِم وَدَمَس، وليقُولُوا للدُّنيا: إنَّ هذِه الأرضَ لم تَزَلْ وَدُودًا وَلُودًا، لَا يُعدَمُ حِيَرَ الدَّهرِ خيرُهَا، ولَا يَذْوِي مَدَى الزَّمَانِ عُودُهَا.

وإذا كانَ عُلماءُ العربيَّةِ المتقدِّمُون .زَمانًا وإحسَانًا . قد أَعْمَلُوا المَطِيَّ، ونَصُّوا العِيسَ صَوْبَ البوادِي والقِفَار؛ لمُشَافَهَةِ الأعرابِ، فقيَّدُوا فصيحَ اللَّفظِ وبَلِيغَ القَولِ، وسَمعُوا طَرِيفَ الشِّعرِ وبَديعَ النَّظمِ، غضًّا طَرِيًّا مِن أفواهِ أهلِهِ وذَوِيهِ، فإنَّ خَلَفَهُم البَرَرَةَ الميامِين مِن أعضَاءِ هذا المجمَعِ قد شَدُّوا هُمُ الرِّحَالَ كذلكَ، لكِن لرحلَةٍ أشدَّ نَصَبًا وعنَتًا ولُغُوبًا؛ رِحلَةٍ في بُطونِ كُتُبِ اللُّغةِ والمُعجمَاتِ، والنَّحو والصَّرفِ، والأدَبِ والاختِيارَاتِ، فعَكَفُوا علىٰ ذلكَ الإرْثِ النَّفِيسِ؛ شَرحًا وتحقيقًا، واستِنْطَاقًا واسْتِنْبَاطًا، وتَذْلِيلًا وتَيسِيرًا، وتَحْدِيثًا وتَجْدِيدًا، حتَّى أَرْبَتْ مُصنَّفَاتُهُم ممَّا طَبَعهُ المجمَعُ علىٰ الأربَعِمائة، وبلغَت أبحاثُهم ودراساتُهم في مجلَّتِهِ العَشَرَات، بَلِ المِئِينَ، فذاعَ صِيتُ كثيرٍ منهُم، وفشَا فضلُهُم، وتجاوَزَتْ شهرتُهُم وطنَهُم، فتردَّدَتْ أسماؤُهُم وعُنواناتُ مُنجزاتِهم في قاعاتِ الدَّرسِ، ومدرَّجَاتِ المحاضَراتِ، في دُورِ العِلمِ الَّتي تُعنى بتدريسِ العربيَّةِ وآدابِهَا في أوطانِ العُروبةِ ودِيارِ الإسلَامِ.

فمَن مِنَ المتخصِّصينَ اليومَ في عُلوم اللِّسانِ العربيِّ يجهلُ قَدرَ الدكتور مُصطفى جَواد، اللُّغويِّ المحقِّقِ، والمؤرِّخِ الثَّبْتِ، والطُّبُوغرافيِّ الفَذِّ، الَّذي كانَ موسوعةً معرفيَّةً تمشِي علىٰ قَدَمَين!

أم مَن تُراهُ يستطيعُ تجاوُزَ الدكتور مهدي المخزومي، ويَعمَى عن حَسَنِ بَلائِه، إذا ما ذُكِرَ موضوعُ تيسيرِ النَّحو العربيِّ وتقريبِه، وتسهيلِ تدريسِهِ وتعليمِهِ، وتبرئتِهِ ممَّا شابَهُ وعابَه!

أم كيفَ لباحثٍ في حَيَوَات الجاهليِّينَ وآدابِهم ألَّا يَنْهَلَ وَيَعَلَّ مِن مَعِينِ "المفصَّل في تاريخِ العَرَبِ قبلَ الإسلامِ" لطَبَرِيِّ زمَانِه؛ الدكتور جَوَاد علي!

وما عذرُ الباحثِ اللَّهجيِّ اليومَ إذَا لَمْ يعْرِف للشَّيخ محمد رضا الشَّبِيبي إحسَانَه وفضلَهُ، ويشكُرْ لهُ رِيادتَه وسَبقَه في دراسَةِ اللَّهجاتِ العربيَّةِ؛ تأثِيلًا وتحلِيلًا، وربطًا لهَا بمُحيطَيْهَا الجغرافيِّ والتَّاريخيِّ!

وما عسَى لمُفهرِسِ المخطوطَاتِ ومُحقِّقِهَا أن يصنعَ حتَّى يُؤدِّيَ المِنَّةَ الَّتي طوَّقَهُ بهَا ابنُ نَدِيمِ عَصرِه؛ "كوركيس عوَّاد" شيخُ المُفهرِسينَ، وإمامُ الكُتبيِّينَ، صاحِبُ الكِتابِ العَلَم "خزائنُ الكُتُب القديمة في العراق منذُ أقدمِ العُصور حتَّى سنة ١٠٠٠هج".

أيُّهَا السَّادةُ الأماثِل؛ إنَّ الحديثَ فِي سِيَرِ أولئكِ السَّراةِ الجِلَّةِ حديثٌ ذُو شُجُون، يجرُّ بعضُهُ بعضًا، وأخشَى إنْ أسهَبْتُ وأطَلْتُ، أَضْجَرْتُ وأَمْلَلْتُ، لا سيَّمَا وأنَّني أذكرُ أُناسًا أنتُم بهِم أعلَمُ وأَدْرَى، فَلَا أحبُّ أن أكُونَ كجَالِبِ تَمرٍ إلىٰ هَجَر، أو نَاقِلِ الهَشِيمِ إلىٰ الشَّجَر.

وختامًا فإنِي أرَى مِن الحقِّ الواجِب، والفرضِ اللَّازبِ عليَّ في نهايةِ هذِه الوَقَفَات العَجْلَى علىٰ بعضٍ مِن سِيَرِ أولئكَ الأعلام الأكابِر، أن أرفعَ علىٰ كاهلِ الامتنانِ جزيلَ الشُّكرِ، وعظيمَ العِرفَان، ووافرَ التَّجِلَّةِ والاحترَامِ إلىٰ مقامِ السَّادَة الكِرام الأماجِدِ القائمِينَ على هذا المجمعِ الخالدِ؛ كِفاءَ مَا يقُومونَ بهِ مِن خِدمَاتٍ جُلَّى لهذهِ اللُّغةِ السَّنيَّةِ العَلِيَّة.

وسَلامًا زاكيًا نامِيًا علىٰ العراقِ؛ مهدِ العُلوم، ومَنبِتِ العُلماء، ومَوئِل الفضَائلِ، مقرونًا بدُعاء صادقٍ لله سبحانه أن يُعيدَ عليهِ مجدَه الزَّاهر، ويحفظَ أهلَه وساكنيه.

كلمة السيد الأستاذ الدكتور رئيس مركز أبحاث اللغة العربية بالاتحاد العالمي للمثقفين العرب

الأستاذ الدكتور أمحمد فرج علي فرحات الخزعلي
رئيس مركز أبحاث اللغة العربية التابع للاتحاد العالمي للمثقفين العرب (السويد) / ليبيا

السيداتُ والسادةُ الحضورُ ... السلام عليكم ورحمة الله . تعالى . وبركاته

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى عِترته وأصحابه

وبعد ... فلم يكن تأسيسُ المجمعِ العلميّ العراقيّ محضَ صدفة، بل سبقته محاولاتٌ لعل أقدمَها دعوةُ الأديبِ ثابت عبدالنور عامَ (واحدٍ وعشرين وتسعمائةٍ وألف)١٩٢١م التي حظيتْ بتأسيسِ المعهدِ العلميّ، وهو النادي اللغويُّ ببغداد، ثم توالتِ الدعواتُ والمحاولاتُ حتى تكللتْ بإشراقِ نورِ المجمعِ العلميّ العراقيّ عامَ (سبعةٍ وأربعينَ وتسعمائةٍ وألف) ١٩٤٧م .

ولم تقفْ نشاطاتُ هذا المجمعِ عندَ الاهتمامِ بسلامةِ اللغةِ وتعريبِ الكلمات، بل اتسعتْ لتشملَ كافةَ التخصصاتِ العلميةِ، والتقنيةِ، والتطبيقيةِ، والهندسيةِ، والزراعيةِ، والفلسفيةِ، والقانونيةِ، والاقتصاديةِ، والمعلوماتِ، وشتى المعارفِ المختلفةِ، ناهيكَ عن الاهتمامِ بجَمْعِ نفائسِ المخطوطاتِ والكتبِ في بغدادَ، والقاهرةِ، ودمشقَ، والأستانةِ، وطهرانَ، وغيرِها، كما عقدَ المجمعُ كثيرًا من المؤتمراتِ التي نالَ مركزُنا شرفَ تعاونِهِ مع هذا المجمعِ الخالدِ من خلالِ أحدِ هذه المؤتمراتِ، كما عقدَ الندواتِ العلميةَ التي شاركَ فيها كبارُ العلماء، زدْ على ذلك تشييدَ مطبعةٍ خاصةٍ بالمجمعِ كان من أهمِ إصداراتِها مجلةُ المجمعِ العلميّ العراقيّ التي صدرَ العددُ الأولُ منها عامَ (خمسينَ وتسعمائةٍ وألف)١٩٥٠م تبارتْ على صفحاتِها أقلامُ كبارِ علماءِ الأمةِ ومفكريها وباحثيها، وعدا المجلةَ كانت الإصداراتُ ما بين كتبٍ محققةٍ، أو مترجمةٍ، أو مؤلفةٍ، ولا يتسعُ المقامُ لذكرِ بعضِها .

أيتُها السيداتُ والسادةُ، كلُ هذه الإنجازاتِ لم تُخلقْ عبثًا، بل وقفتْ خلفَها جيوشٌ مجيشةٌ من كبارِ العلماءِ الذين سيخلّدُ ذكرَهم التاريخُ العربيُّ الحديث، وما ترونه اليومَ أمامَكم رأيَ العينِ من حضورِ هذه الوفودِ من العلماءِ والمهتمينَ التي جاءت من كلِ فجٍّ عميقٍ يتكلمونَ لهجاتٍ شتّى ويسلكونَ طرائقَ قِددا، وإذا كانَ حجيجُ الإسلامِ يمّمَ المملكةَ العربيةَ السعوديةَ فإنّ حجيجَ اللغةِ يمّمَ العراق، فالعراقُ قبلةُ اللغويين منذُ تأسيسِ أولى مدارسِ اللغةِ العربيةِ : البصرةِ ثم الكوفةِ، وقبلةُ العراقِ اللغويةِ اليومَ هي المجمعُ العلميُّ العراقيُّ الذي نحتفلُ اليومَ بذكرى تأسيسِهِ، إذن أيُها

السادةُ نقفُ الآن على أطيبِ تربةٍ لغويةٍ على الإطلاق، نستشعرُ آراءَ المذاهبِ النحْويةِ، وتاريخَ المدارسِ الأدبيةِ، ومناظراتِ سيبويهِ والكسائي، ونقائضَ جريرٍ والفرزدق، بينَ أروقتِهِ المباركة .

وختامًا لا يسعني ممثلًا لمركزِ أبحاثِ اللغةِ العربيةِ بالاتحادِ العالميّ للمثقفينَ العربِ إلا أنْ أشكرَ سعادةَ الأستاذِ الدكتورِ محمد حسين آل ياسين الذي استطاعَ بفضلِ قيادتِهِ الحكيمةِ أنْ يصلَ به إلى هذه النجاحاتِ الكبرى والإنجازاتِ العظمى، والشكرُ موصولٌ لأعضائِهِ العلماءِ الأعلامِ، والنبلاءِ الأفهامِ الذين تزينتْ لجانُهُ بأسمائهم النيرة، سائلًا اللهَ ـ عزّ شأنُهُ وعلا برهانُهُ ـ أن يباركَ في أعمارِهم وأعمالِهم، وأن يجزيَهم عنّا وعن العربيةِ كلَّ خيرٍ، إنّه قريبٌ مجيبٌ .

والسلام عليكم ورحمة الله ـ تعالى ـ وبركاته

عشق مجمعي

(من الوافر المجزوء)

أباركُ للعراقِ بكم # هُداةً للملاييــنِ

أباركُ أنجمًا زُهرًا # لهم عِلمُ البراهيــنِ

أبارك فخرَ مجمعهم # سعادةَ آلِ ياسيــنِ

بتأليفٍ وَترْجَمِــةٍ # وتعريبٍ وتلقيــنِ

بنوه شامخًا طـودًا # بتمحيصٍ وتـدوينِ

سأترُكُكُم إلى بلـدي # وأطمعُ فـي رجاءينِ

تدومُ مشاعلُ المجمـعْ # من النهرينِ للصينِ

ويصبحُ للورى حرفٌ # فصيحٌ دونَ تلحينِ

أيا ربـاهُ لا تحـرمْ # عبادًا قالـوا : آمينِ

مع كل محبتي، الأستاذ الدكتور أمحمد فرج الخزعلي ـ ليبيا

البيان الختامي للمؤتمر العلمي الدولي
بمناسبة العيد الماسي للمجمع العلمي العراقي
(مجمعُنا، هُويتنا، وانتماؤنا)

انعقد – بحمدالله وبتوفيقه – مؤتمرنا بجلساته العلمية الآربع، وبجلستيه الحواريتين يومي الخميس والجمعة ٢٤ و٢٥/١١/ ٢٠٢٢م بالحضور الفاعل والتوجيه البناء من لدن معالي رئيس المجمع العلمي العراقي الاستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين، بمشاركة نخبة من علماء اللغة العربية الأجلاء من داخل العراق بلغ عددهم أربعة عشر باحثا مَثَّلوا الجامعات العراقية: بغداد، المستنصرية، العراقية، الموصل، ديالى، كلية مزايا الجامعة، كربلاء، كلية الإمام الكاظم (ع)، الكوفة، جامعة الإمام الصادق (ع)، فضلا عن وزارة الثقافة والسياحة والآثار، بحضور ممثلي المجامع اللغوية العربية الذين حَلّوا ضيوفاً كراما لحضور فعاليات الاحتفال بالعيد الماسي للمجمع العلمي العراقي. وقد أفاض الاساتيذ الأجلّاء فيما قدموه من خلاصة جهد إبداعيّ أكّدوا فيه إخلاصهم وحبهم لمجمعهم (مجمع الخالدين) الذين يعشقونه ويكنّون له المحبّة والوفاء والعطاء فتألقوا في رحاب المجمع لبيان جهوده وآثاره طوال خمسة وسبعين عاماً من العطاء والإبداع وقد خلص المؤتمر الى جملة توصيات يمكن إجمالها على النحو الآتي :

التوصيات :

١ . استئناف نشاطات الهيأة العامّة للمجمع العلمي العراقي، واستكمال تأليف اللجان والدوائر العلميّة المتخصّصة، الذي يوجب الإسراع بتعيين الأعضاء العاملين البدلاء، للتعويض عن الذين انتقلوا إلى رحمة ربّهم، أو الذين ما عادوا يستقرّون في العراق، ومنح هؤلاء الأعضاء جميع الحقوق والامتيازات التي أقرّتها القوانين والتعليمات النافذة .

٢ . إعادة تفعيل اللجان لاسيّما لجنة الأصول، التي لها الأثر الكبير في التحقيقات اللغوية، التي تراجع قرارات اللجان لعرضها على الهيأة العامّة للمجمع العلمي العراقي .

٣ . تأليف لجنة خاصة لمتابعة تنفيذ (قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربيّة) رقم ٦٤ لسنة ١٩٧٧، تتولى هذه اللجنة متابعة النشاطات اللغوية العامة في المجتمع، كلافتات المحلات العامة وأسمائها، من التي لم تعد تلتزم اللغة العربية .

٤ . تأليف لجنة خاصة لتوحيد توصيات سلامة المخاطبات الرسميّة، وتوجيهها بحسب ما تقرّره لجان المجمع العلمي العراقيّ، حتّى لا تترك لاجتهادات الأفراد .

٥ . إصدار المعجمات التي تسعى إلى توحيد مصطلحات البحث اللغوي في التداول المعاصر، لتدارك فوضى استعمال تعدّد المصطلح وترادف المفردات للمفهوم الواحد، بتأليف لجان متخصّصة تُعنى بالمصطلح وتتابع هذا الإصدار .

٦ . ندعو إلى تفعيل إسهام المجمع العلميّ العراقيّ في تأليف المقرّرات العلميّة ولاسيما التربويّة واللغويّة الخاصّة بمناهج وزارتي التربية والتعليم العالي .

٧ . ندعو وزارة الثقافة وبيت الحكمة إلى التعاون مع المجمع العلمي العراقي بطريقة واضحة لاسيّما في تفعيل استعمال اللغة العربية في النشاط العلمي والثقافي.

٨ . التوصية بتعريب الكتب المنهجية والمصطلحات العلمية في الجامعات العراقية الحكومية والأهلية وإلزامها باتخاذ الخطوات اللازمة لتطبيق قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية .

٩ . التفكير الجدّي في التخطيط اللغويّ المستقبليّ لاستعمال اللغة العربيّة في تدريس جميع العلوم أسوة بالأمم الحيّة، بتشجيع المبادرات الفرديّة والجماعيّة ؛ لأنّها اللغة القادرة على الفهم والإفهام الأفضل، للمجتمع والعلم والتعليم .

١٠ . توجيه عدد من الأساتذة الأجلّاء والباحثين الأكفاء من طلاب الدراسات العليا للبحث في تاريخ اللغة العربيّة بعصورها الممتدة إلى الدراسات المستقبليّة والعناية بآليّة عملها، وطرائق الحفاظ عليها.

١١ . اتخاذ المؤسّسات العلميّة العربيّة وأجهزتها المختلفة، سياسات تشيع الإحساس بأهميّة استعمال اللغة العربيّة في جميع الأوساط والتخصّصات، لتعزيز الهُويّة ومجابهة التحديّات والمخاطر.

١٢ . إدامة التواصل بين المجامع اللغويّة العربيّة، لتوحيد الرؤى، وفي إصدار القرارات المشتركة لتطوير المناهج وطرائق تدريس اللغة والتفكير اللغوي الجمعي.

١٣ . ضرورة إثراء المحتوى الرقمي العربيّ، والاعتناء بالدراسات اللسانيّة الحاسوبيّة الحديثة .

١٤ . الإفادة من الشبكة العنكبوتيّة، والتقنيّات الرقميّة الحديثة المتاحة في تأسيس ما يحقّق التواصل المباشر بين المجامع اللغويّة العربيّة، ويلبي حاجة الباحثين العرب، في نشر الكتب وإشاعة البحوث، وتفعيل الخزين اللغويّ العربيّ، ليجدَ المتخصّصون المقابل العربيّ لما يحتاجون إليه في نشاطاتهم العلميّة .

١٥ . الاستعانة بالخبرات العراقيّة والعربيّة المتميّزة في فتح آفاق تعاون، ولقاءات افتراضيّة وحضوريّة، لمتابعة الجديد في البحث اللغويّ النظريّ والتطبيقيّ التخصّصيّ الدقيق .

١٦ . اقتراح تنظيم جائزة سنويّة باسم (جائزة المجمع العلمي العراقي)، تمنح لأفضل منجز علمي في تخصّصات المجمع، فضلًا عن تكريم شخصيّة علميّة رصينة، أو أدبيّة كبيرة قدّمت عطاءً معرفيًّا، وبذلت مجهودًا كبيرًا لافتًا .

١٧ . تسمية بعض الأحياء والشوارع بأسماء أعضاء المجمع العلمي العراقي الروّاد، ليكونوا جزءًا من الذاكرة العراقيّة الحيّة .

١٨. أن تولي الرئاسات العراقية الثلاث، العناية باللغة العربية، وتأسيس ما يؤدي الى تداولها السليم في مراسلاتها ومحاضر اجتماعاتها، و الإفادة من تجارب الأمم الأخرى بتطوير تعليم اللغة العربية، أن يتولى المجمع العلمي العراقي، هذا التطوير والمتابعة والاشراف.

بحوث المجلة :

ملاحظات عن استكشاف المنهج الكمي في دراسة التاريخ الحضاري(*)

الأستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح(**)

الملخص:

يستعرض البحث استخدام كل من الحسو وهاشم الملاح المنهج الكمي في دراسة التاريخ الحضاري وتأثرهما ببعضهما والدراسات التي انجزاها بموجبه.

ان هدف هذه الدراسة هو إثارة انتباه المؤرخين ولاسيما الجيل الجديد الى اهمية المنهج الكمي في دراسة التاريخ واستكمال تجربة المؤرخين المشار اليهما والبناء عليها مستقبلا.

المقدمة:

تعدُّ منهجية البحث التاريخي المعاصرة في العراق والدول العربية امتداداً للمدرسة الطبيعية (الموضوعية) التاريخية التي كان من ابرز روادها في اوروبا فيكو وفولتير ورانكة ولانجلو وسينيوبوس وبيوري وتوينبي. وقد اشار الدكتور صالح أحمد العلي إلى ان هذه المنهجية قد نشأت منذ ازمنة قديمة ثم نمت وتكاملت في الازمنة الحديثة (تحت تأثير منهج البحث التجريبي في العلوم الطبيعية). ويرى الدكتور العلي أن هذه المنهجية بميزاتها وعيوبها، هي احسن الوسائل للوصول إلى المعرفة التاريخية الصحيحة؛ لذلك فهي تحظى بالتقدير والتأييد في جامعاتنا فتدرس في أقسام التاريخ، وتراعى في البحوث والدراسات، ولا يزال أهم كتابين في الموضوع هما كتاب مصطلح التاريخ لأسد رستم ومنهج البحث التاريخي لحسن عثمان(١).

وقد أوضح الدكتور حسن عثمان أن القواعد المنهجية التي عرضها في كتابه لا تعدو أن تكون خلاصة لبعض المؤلفات الاوربية مثل كتابات لانجلو وسينيوبوس، وفلنج، وفنسنت، وكروتشي...، مع بعض الاسترشاد بما كتبه علماء المسلمين في الرواية والحديث(٢).

(*) لدى كل من الدكتور أحمد الحسو والدكتور هاشم الملاح – اهداء إلى ((الصديق الصدوق أحمد الحسو)).

(**) عضو المجمع العلمي العراقي والاستاذ المتمرس في قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة الموصل.

(١) العلي، كتابة التاريخ، الواقع وأحواله، مقالة في كتاب حول كتابة التاريخ، بغداد، ١٩٧٩، ص٣٧، ص٦٨.

(٢) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، مصر، ١٩٧٠، ص١٠.

أما الاستاذ أسد رستم، فيؤكد أن صياغة قواعد هذه المنهجية هي صياغة غربية، غير ان كثيراً من أصولها عربية إسلامية، فهي تمت إلى علم الحديث بصلة قوية، فالتاريخ دراية أولاً ثم رواية كما ان الحديث دراية ورواية"[٣].

وفي منتصف القرن الماضي (القرن العشرين) توجهت عناية الباحثين في العلوم الاجتماعية إلى استخدام المنهج الكمي – الإحصائي في دراساتهم لما يتسم به من دقة تجعله قريباً من مناهج البحث في العلوم الطبيعية.

وكان للباحثين الفرنسيين دور الريادة في هذا المجال، إذ شرعوا في استخدام هذا المنهج منذ منتصف القرن العشرين في مجال الدراسات السكانية في التاريخ من حيث المواليد والوفيات والهجرة، وحجم السكان وتركيبهم. وقد تابعهم في هذا التوجه في انكلترا جماعة كمبردج منذ عام ١٩٦٤، فحاولوا استخراج البيانات الضرورية لدراسة أحوال السكان على معطيات ارقام وجداول إحصائية.

وهكذا قدر لهذا المنهج أن يمتد ويتوسع في النصف الثاني من القرن العشرين ومطلع القرن الحالي، وأخذ يشمل الدراسات العربية الإسلامية.

وكان من الدراسات الرائدة في هذا المجال دراسة (جورج فايدا وجاكلين سويليه) التي تناولت كتب التراجم والسير لتحديد كمية ونوعية المعلومات التاريخية التي استخرجت على شكل فهارس مرتبة أبجدياً أو تاريخياً أو إحصائياً بصورة عامة أو جزئية. كما يشار في هذا المجال إلى دراسات (ريجارد بوليت) مثل دراسة تراجم رواة الحديث في مدينة نيسابور، وكتابه الموسوم بـ(التحول إلى الإسلام في العصور الوسطى) المترجم عن الانكليزية بهذا العنوان. وقد طبع في عام ١٩٧٩ في مطبعة جامعة هارفارد. وكذلك دراسته الموسومة (طريقة كمية لدراسة معاجم التراجم الإسلامية في العصور الوسطى). وقد نقلها إلى العربية بهذا العنوان شاكر نصيف العبيدي ونشرها في المدينة المنورة سنة ١٩٩٠ (الجامعة الإسلامية).

ولعلّ من أقدم المؤرخين العرب الذين اشتغلوا على هذا المنهج الكمي الدكتور المنجي الكعبي في دراسته على كتاب شذرات الذهب/لابن العماد الحنبلي. وقد جاءت هذه الدراسة على الحاسوب ثمرة تدريب تلقاه على مجموعة من الباحثين الفرنسيين في سياق إعداده لأطروحة الدكتوراه في باريس سنة ١٩٧٠. وقد عرض نتائج دراسته في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته في تونس سنة ١٩٧٤. وكان يشارك في هذا المؤتمر الدكتور أحمد عبدالله

---

[٣] أسد رستم، مصطلح التاريخ، بيروت، ط٣، ص(ز).

الحسو الذي كان يحمل معه من العراق تجربته الرائدة في مجال المنهج الكمي الإحصائي في دراسة التاريخ، فحصل حوار وتلاقح بين التجربتين وهو ما سنتحدث عنه بالتفصيل في المحاور الآتية.

٢ – التكوين العلمي للدكتور أحمد الحسو:

في إطار هذه التوجهات المنهجية أخذت الشخصية العلمية للدكتور الحسو في النمو

والتطور وهو يتلقى دروس التاريخ في كلية التربية في جامعة بغداد للمدة من (١٩٥٥–١٩٥٩). وكان من ضمن الاساتذة الذين تأثر بهم الدكتور محمد الهاشمي الذي كان يوصيهم "كطلبة ألا يستأثر بهم التاريخ السياسي دون التاريخ الاجتماعي، وان يتعاملوا مع النصوص بالغوص فيها وتحليلها وإعمال العقل في فهمها"[٤].

وفضلاً عمّا تقدم، فقد تأثر الحسو بالدكتور عبد العزيز الدوري الذي كان على تواصل معه، وتتلمذ على مؤلفاته وبخاصة اطروحته للدكتوراه التي أعدها في جامعة كمبردج في المدة من سنة ١٩٤٠–١٩٤٢ وكان عنوانها تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري التي عربت ونشرت في عام ١٩٤٨. كما قرأ مؤلفاته الأخرى قراءة دراسة واستيعاب وكان من أبرزها كتاب مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي[٥].

ويلاحظ ان هذا التوجه نحو التاريخ الاقتصادي الاجتماعي كان ذا منحى عالمي، وانه قد بدأ يأخذ مكانه في الاوساط الجامعية الغربية تحت عنوان التاريخ الجديد ومدرسة الحوليات الفرنسية التي أولت عناية كبيرة بـ(التاريخ الشامل) مع التركيز على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي.

ويشير وجيه كوثراني إلى ان عدداً من الاساتذة المستشرقين الذين اشرفوا على عمل الدوري في لندن أمثال مينورسكي، وبرنارد لويس، وجب، كانوا قد اشتغلوا في هذا الحقل – حقل التاريخ الاقتصادي في عالم الإسلام – وانتجوا اعمالاً قيمة فيه، فضلاً عن اعمال المعاصرين أمثال لوي ماسينيون وسوفاجيبه، وكلود كاهن، ومكسيم رودنسون، ولويس لومبار وآخرين، حيث تحضر بعض اعمالهم مراجع معتمدة في رسالة الدوري"[٦].

وحين انتقل الدكتور أحمد الحسو؛ لإكمال دراسة الماجستير في التاريخ الإسلامي في كلية الآداب – جامعة عين شمس في القاهرة للمدة (١٩٦٥–١٩٦٨) استفاد من استاذه المشرف

---

[٤] نص رسالة من الزميل الدكتور أحمد الحسو في ٢٠٢٢/١/٢٨.

[٥] النص نفسه.

[٦] كوثراني، تاريخ التاريخ – اتجاهات – مدارس – مناهج، بيروت، ط٢، ٢٠١٣، ص٢٧٩–٢٨٠.

الدكتور حسن حبشي في "التركيز على منهج تحقيق المخطوطات، كما أفاد كثيراً من توجيهات الاستاذ الدكتور سعيد عاشور، فيما يخص منهج تحقيق النصوص الخطية. وترافق ذلك مع ايفاده إلى أوروبا وانكلترة للاطلاع على مخطوطات مكتباتها بقدر ما يتعلق برسالته للماجستير. وقد جاء ذلك بناءً على توصية الاستاذ المشرف.

وقد لاحظ الحسو، ان استاذه المشرف حسن حبشي وكذلك الدكتور سعيد عاشور كانا قد تلقيا تعليمهما من جامعات غربية وتأثرا بالتوجهات غير التقليدية الشائعة فيها[٧].

ومن المعروف ان المنهج الذي كان سائداً بين المستشرقين هو المنهج (الفيلولوجي) الذي يعنى بدراسة النص دراسة نقدية من ناحية فقه اللغة وتاريخها وحضارتها، وهو في حقيقته امتداد للمنهج العلمي الموضوعي في الدراسات التاريخية.

لقد مهدت هذه الخبرة في مناهج البحث التاريخي الطريق للدكتور أحمد الحسو للتوجه إلى بريطانيا لدراسة الدكتوراه في جامعة سانت آندروز في سنة ١٩٦٨. وفي هذه الجامعة الاسكتلندية التي تقع في شمال انكلترة على بحر الشمال، كان اللقاء العلمي والاخوي بيني وبين زميلي أحمد الحسو، حيث عملنا سوية لدراسة الدكتوراه تحت اشراف الاستاذ جون برتن.

ومن اجل تقديم صورة واضحة عن تطور علاقتي الفكرية مع صديقي وزميلي الحسو في مجال البحث التاريخي، لابد من تقديم نبذة مختصرة عن المسيرة العلمية التي قطعتها حتى وصلت إلى جامعة سانت آندروز في نهاية العام الذي بدأ فيه زميلي الحسو دراسته فيها.

٣- التكوين العلمي للدكتور هاشم الملاح:

بعد ان انهيت الدراسة الثانوية في مدينتي الموصل في عام ١٩٥٨ توجهت إلى بغداد للدراسة في جامعتها (جامعة بغداد)، ليس لدراسة التاريخ كما قد يتبادر إلى ذهن القارىء الكريم، وإنما لدراسة القانون في كلية الحقوق. وفي هذه الكلية تتلمذت على عدد من الأساتذة الاكفاء في جميع تخصصات العلوم القانونية ذات الصلة بتنظيم المجتمع وإدارة الدولة وتنظيماتها، فضلاً عن دراسة القانون الدولي والعلاقات الدولية. وفضلا عمّا تقدّم، فقد درست الفقه الإسلامي وأحكامه في مجال أصول الفقه والأحوال الشخصية والمعاملات المالية والتجارية، والى جانب ذلك فقد ضمت المقررات التي درستها علوم أخرى مساعدة كعلم الاقتصاد، ومالية الدولة، وتاريخ القانون.

[٧] نص رسالة الحسو في ٢٠٢٢/١/٢٨.

وكانت الفلسفة المعتمدة في دراسة هذه العلوم هي الفلسفة الوضعية السائدة في العلوم الاجتماعية بحسب المنهجية التي وضعها أوغست كونت. وهي امتداد للفلسفة العلمية الموضوعية السائدة في دراسة العلوم الطبيعية (التجريبية) وبما يناسب طبيعة هذه العلوم.

وحين اكملت دراستي في كلية الحقوق وحصلت على شهادة بكالوريوس في القانون في عام ١٩٦٢، توجهت مباشرة إلى جامعة القاهرة لمواصلة دراساتي العليا في كلية الحقوق.

ومن هذه الكلية، حصلت على دبلوم الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية في عام ١٩٦٣، ودبلوم الدراسات العليا في القانون العام في عام ١٩٦٤. وبذلك اصبحت مؤهلاً للانتقال إلى اعداد الدكتوراه في القانون؛ لأن هذين الدبلومين يعادلان شهادة الماجستير بحسب نظام جامعة القاهرة.

وهنا، وفي سياق البحث عن عنوان الاطروحة التي سأعدها لنيل شهادة الدكتوراه سيحصل التحول في توجهاتي البحثية من الدراسات القانونية الصرفة، إلى الدراسات القانونية – التاريخية المقارنة.

فقد صادف ان حضرت محاضرة عامة قدّمها استاذ القانون الدستوري الدكتور أحمد كمال ابو المجد عن (حكومة الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم) أوضح فيها ان الرسول قد أسس في حياته دولة في المدينة المنورة، وأنه قد أقام هذه الدولة وأدارها على وفق عدد من القواعد التي تتفق مع القواعد القانونية السائدة في الدول الحديثة. وقد تمنى الدكتور أبو المجد على الباحثين ان يعطوا هذا الموضوع الأهمية التي يستحقها ويقوموا بدراسته من الزوايا التاريخية والشرعية والقانونية.

والحقيقة ان هذا الاقتراح قد لقي هوى في نفسي، وذلك لأنني كنت اتمتع بثقافة تاريخية وإسلامية عامة. ومن ثم فقد شعرت ان بإمكاني استثمار هذه الفرصة في توظيف هذه الثقافة زيادة على ما حصلتُ عليه من معرفة وخبرة في مجال الدراسات القانونية، وبخاصة في القانون الدستوري.

لذا فقد سارعت إلى مراجعة الاستاذ الدكتور أبو المجد طالباً منه الموافقة على تولي الاشراف على إعدادي أطروحة الدكتوراه في الموضوع الذي اقترحه في محاضرته، فرحب بذلك كل ترحيب.

وبعد إعداد خطة الاطروحة والمصادقة عليها من قبل الجامعة عدت إلى العراق لأعمل مدرساً مساعداً لمقرر مادة القانون في معهد المحاسبة العالي في جامعة الموصل (التي كانت في طور التأسيس). وقد حرصت طوال عملي في هذا المعهد (من سنة ١٩٦٥-١٩٦٨) على

مواصلة العمل في جمع المادة العلمية لأطروحة الدكتوراه من المصادر الأولية ذات الطبيعة التاريخية والقانونية فضلا عن قيامي بواجبات تدريس القانون. وكنت أسعى للحصول على اجازة دراسية من الجامعة تسمح لي بالتفرغ لكتابة الأطروحة. وقد استجابت الجامعة لطلبي في عام ١٩٦٨ فمنحتني زمالة دراسة لمواصلة الدراسة ولكن ليس في جامعة القاهرة وإنما في جامعة سانت آندروز في بريطانيا.

وكان من حسن حظي ان وافقت هذه الجامعة على قيامي بإعداد أطروحة الدكتوراه في ذات الموضوع الذي سجلته في كلية الحقوق – جامعة القاهرة، وبذلك تسنى لي الاستفادة من المادة العلمية التي جمعتها من مصادر كثيرة تمهيداً لكتابة الأطروحة.

٤ – لقاء الصحبة والبحث مع الدكتور الحسو في جامعة سانت آندروز:

كنت على معرفة جيدة بصديقي وزميلي الدكتور الحسو منذ مرحلة الدراسة الثانوية؛ لأننا كنا متقاربين في السكن والاتجاهات الفكرية، إلا أنه لم تنشأ بيننا علاقة صحبة وصداقة في هذه المرحلة لأنه كان متقدماً عليَّ في الدراسة بحكم السن بحوالي ثلاث سنوات.

وقد بدأت علاقات الصداقة الحميمة معه منذ وصلت إلى سانت آندروز في عام ١٩٦٨، وكان لحسن الحظ أول من قابلته فيها. فرحب بي وبادر إلى ابداء استعداده لمرافقتي لزيارة استاذه المشرف جون برتن الذي سيتولى الاشراف على إعداد أطروحتي للدكتوراه عن حكومة الرسول (ﷺ). وأتذكر أنني قد استطعت ان اكتسب ثقة الاستاذ المشرف حينما وضعت أمامه كمية كبيرة من (الجذاذات) التي دونت عليها النصوص التي جمعتها عن موضوع أطروحتي من المصادر التاريخية والقانونية العربية طوال السنوات الثلاث السابقة. وفضلاً عما تقدم فقد شعرت بأن الاستاذ بدا عليه الارتياح حين سمع اجابتي عن اسئلته التي وجهها لي عن المنهجية التي سأتبعها في مجال البحث وإعداد الأطروحة.

وهنا قد يتساءل القارىء الكريم عن طريقة وتوجهات الاستاذ المشرف جون بيرتن في مجال البحث العلمي وحقيقة تخصصه الدقيق.

٥ – تخصص الأستاذ المشرف ومنهجيته في البحث:

كان التخصص العلمي الدقيق للأستاذ جون بيرتن هو الدراسات القرآنية. وقد حصل على الدكتوراه في موضوع "الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم". وهذا يعني أنه كان يجيد اللغة العربية إلى الحد الذي يساعده على دراسة آيات القرآن الكريم والنصوص ذات الصلة به كالأحاديث النبوية وكتب التفسير والفقه والتاريخ الإسلامي. وكانت هذه المؤهلات

من المتطلبات الضرورية لمن يسلك طريق الاستشراق، ويسعى إلى دراسة الإسلام (لغة وتاريخاً وحضارة) على وفق المنهج (الفيلولوجي) الذي هو امتداد لتوجهات المدرسة العلمية الموضوعية والتي عرفت بمدرسة الوثائق لشدة عنايتها بدراسة الوثائق التاريخية وتحليلها، إذ لا تاريخ من دون وثائق.

في ضوء ما تقدم، فقد وجد الدكتور أحمد الحسو كل الرعاية والتشجيع من الأستاذ بيرتن حينما اختار موضوعاً لأطروحته في مجال تحقيق المخطوطات وتقديم دراسة نقدية عن مؤلفها وما تضمنته من أخبار وتراجم وافكار. لقد كان عنوان اطروحة الحسو للدكتوراه (السخاوي مؤرخاً لعصره) وقد تضمنت الأطروحة دراسة عن حياة شمس الدين السخاوي بصفته محدثاً وفقيهاً ومؤرخاً، فضلاً عن دراسة التراجم الكثيرة التي تضمنها كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للهجرة).

وقد وصف الدكتور الحسو علاقته العلمية بأستاذه المشرف ومن سبقه من الأساتذة الذين أخذ عنهم في جامعة عين الشمس بقوله: "كان من حسن حظي ان من تأثرت بمنهجيتهم وأشرت إليهم آنفاً قد درسوا في جامعات غربية، وتأثروا بالتوجهات غير التقليدية في كتابة التاريخ وفي التعامل مع تحقيق النصوص الخطية. لذلك فإنني مع هذه الخلفية، وجدتني منسجماً مع المنهجية المتبعة في جامعة سانت آندروز. وكان للأستاذ المشرف بروفيسور بيرتن أثره الكبير في تعميق هذه المنهجية، وفي توفير كل ما أتاح لي إنجاز مهمتي البحثية في مسارها العلمي السليم"[٨].

وقد أشار الدكتور الحسو إلى أنه قد وجد ان موضوع أطروحته يتطلب استخدام المنهج الكمي – الاحصائي في البحث. وقد عبر عن ذلك بقوله أنه قد فكر في استخدام المنهج الكمي في أطروحته "وبخاصة وأن معظم مصادر أطروحته كانت ذات علاقة بكتب التراجم والمعاجم والمشيخات. وقد وصف الحسو ذلك بقوله: "كنت كلما رجعت إليها أجدني أمام معلومات مهمة متناثرة أو قوائم بأسعار المواد الغذائية وغيرها. وقد كان هذا يشكل حافزاً في ان أخضع جانباً من ذلك لدراسة احصائية كمية، وفي حين أنني نفذت ذلك في أطروحتي بالقدر الذي يتطلبه البحث مني، وقد كان الأستاذ المشرف مع توجهي هذا، بيد أنني بعيد تخرجي وتعييني مدرساً في قسم التاريخ بكلية الآداب – جامعة الموصل (١٩٧٣) بدأت بالتحرك نحو تنفيذ ما كان مختمراً في ذهني.."[٩].

---

[٨] رسالة الدكتور أحمد الحسو الجوابية على استفسارات الباحث في ٢٠٢٢/١/٢٨.

[٩] رسالة الدكتور أحمد الحسو على استفسارات الباحث في ٢٠٢٢/١/٢٨.

فإذا غادرنا تجربة الدكتور أحمد الحسو مع استاذه المشرف ومدى تأثيرها على توجهاته البحثية في مجال تحقيق المخطوطات وبدايات توجهه في استخدام المنهج الكمي الاحصائي في البحث، جاز لنا ان ننتقل إلى تجربة كاتب هذه السطور (الدكتور هاشم الملاح) للحديث عن مسار عمله في أطروحته وهي تتناول موضوعاً يتصل بنظام الحكم في عهد الرسول (ﷺ) بأبعاده التاريخية والقانونية والدينية والحضارية.

لقد رحب البروفيسور بيرتن بالإشراف على أطروحتي للدكتوراه (حكومة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم)، ربما لأن موضوعها ذو صلة وثيقة بتخصصه في حقل الدراسات القرآنية وما يتصل بها من علوم الحديث والفقه والتاريخ. كما أنه بحكم عمله كمستشرق كان شديد العناية بالحضارة الإسلامية ونظمها المتنوعة (ومنها نظام الحكم في عهد الرسول (ﷺ) وخلفائه الراشدين).

أما على مستوى منهج البحث العلمي، فلم يكن بيني وبين استاذي المشرف خلاف في القواعد العامة التي تقضي بضرورة الالتزام بقاعدة استقراء النصوص من مصادرها الأصيلة بروح موضوعية محايدة تستهدف الوصول إلى الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة. أما على مستوى التطبيق والممارسة، فقد تبين لي أن ذلك لا يمكن تحقيقه إلا بصورة نسبية وهي تختلف بين باحث وآخر بسبب تفاوتهم في ضبط مشاعرهم الدينية والقومية والمصلحية[١٠]. وقد توصلت بعد عمل متواصل مع أستاذي المشرف أنه كان حريصاً على التقيد بقواعد النظام والنزاهة ومحاولة الالتزام بأكبر قدر من الموضوعية والانصاف في الحكم بقدر ما تسمح به طبيعته البشرية (المتأثرة غالباً بثقافته وبيئته الاجتماعية).

لقد تبنيت في دراستي (المنهج المقارن) في دراسة نظام الحكم الإسلامي في عهد الرسول (ﷺ) عبر مقارنته بأنظمة الحكم السائدة في العالم قديماً وحديثاً. وبذلك استطعت ان اتوصل إلى بعض القواعد العامة من دراسة كثير من الحالات الخاصة. كما استطعت ان أجمع بين المنهج القانوني والمنهج التاريخي في البحث. وهو ما سأواصل تطويره في مسيرتي العلمية في جامعة الموصل بعد حصولي على شهادة الدكتوراه والتحاقي بعملي في كلية الآداب – جامعة الموصل في عام ١٩٧١.

٦- توجهاتي العلمية في جامعة الموصل:

حين التحقت بجامعة الموصل كنت أحمل اختصاصين، اختصاص في القانون وهو

---

[١٠] كان من أبرز ما تعلمته من أستاذي المشرف فن قراءة النصوص التاريخية ونقدها وتحليلها من أجل الوصول إلى استنتاجات دقيقة أو أقرب إلى الدقة. كما أخذت عنه القدرة على الاعتراف بالآخر والتعامل مع وجهات النظر المخالفة بموضوعية واحترام.

امتداد لاختصاصي الأصيل. واختصاص في التاريخ، وهو بنتيجة للدراسة والخبرة التي حصلت عليها من خلال إعدادي أطروحة الدكتوراه عن حكومة الرسول (ﷺ). لذا فقد اخترت العمل في قسم التاريخ كلية الآداب لتدريس مقرر (السيرة النبوية) ومقررات مساعدة أخرى. كما وافقت على القاء محاضرات في القانون على طلبة كلية الإدارة والاقتصاد التابعة للجامعة المستنصرية الأهلية من أجل مواصلة عملي في تدريس القانون.

أما في مجال البحث العلمي، فقد عملت على ان اثبت لزملائي في قسم التاريخ كفايتي في مجال البحث التاريخي فأنجزت في سنتين ثلاثة بحوث علمية لا تخلو من جدة وابتكار بحسب شهادة مجلس قسم التاريخ وقد استخدمت في البحث الأول الموسوم: "دولة المدينة بين أثينا ومكة"[١١] المنهج الكمي – الاحصائي في تقدير عدد سكان مدينة أثينا ومكة، فضلاً عن المنهج الحضاري المقارن في دراسة نظم الحكم. وكان مما حفزني على استخدام المنهج الكمي في البحث التاريخي ما كان يدور بيني وبين زميلي الدكتور أحمد الحسو عن دقة هذا المنهج منذ كنا طلاباً في جامعة سانت آندروز. كما وجدت ان استخدام لغة الارقام قد أخذت بالانتشار في كتابات الكثير من الباحثين في الغرب، وقد اشرت إلى بعضها في هوامش بحثي المشار إليه آنفاً.

وهكذا ومنذ سنة ١٩٧٢ أخذ الرقم والاحصاء الكمي يأخذ مكانه في جميع البحوث والكتب التي نشرتها أو الاطروحات التي أشرفت عليها وبخاصة حينما يتصل البحث بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، (بما فيها الحديث عن الطبقات والانساب والاعلام) كما وجدت في الارقام التي تقدمها المصادر عن الحروب وأعداد المقاتلين مناسبة جيدة لتقدير أعداد السكان في المدن والقبائل التي ينتمي إليها المتحاربون[١٢].

وعلى الرغم من استخدامي للأرقام والاحصاء في البحث، فإنني لم اتوجه في بحوثي نحو استخدام (الحاسوب) كما سيستخدمها زميلي الدكتور أحمد الحسو. وهو ما سأتحدث عنه بالتفصيل في المبحث الآتي.

وهنا، لابد من ملاحظة ان استخدامي للمنهج الكمي جاء في سياق أشمل وهو دراسة التاريخ في إطار (المنهج الحضاري) الشامل ذي الأبعاد الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية

---

[١١] يراجع بحثي الموسوم: دولة المدينة بين أثينا ومكة، منشور في مجلة آداب الرافدين (جامعة الموصل)، ١٩٧٢، العدد (٤)، ص٦٠-٧٦.

[١٢] يراجع بحثي الموسوم: "عدد سكان شبه الجزيرة العربية في عصر الرسالة، دراسة تاريخية في الاحصاء السكاني"، منشور في كتابي الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، بيروت، (دار الكتب العلمية)، سنة ٢٠٠٠، ص١٠٢-١١٥.

والقانونية والثقافية والفنية وغيرها[١٣]، وهو منهج يقارب في توجهاته العامة توجهات مدرسة الحوليات الفرنسية كما تجلت في أعمال فرناند بروديل[١٤].

وكان أبرز معبر عن هذا التوجه من قبلي "موسوعة الموصل الحضارية" التي صدرت عن جامعة الموصل في عام ١٩٩٢ في خمسة مجلدات وشاركني في الاشراف على تحريرها زميلي الدكتور أحمد الحسو الذي كان عضواً ومقرراً لهيئة تحرير الموسوعة، بينما توليت أنا مسؤولية رئاسة التحرير.

وقد حرصت في مجال البحث العلمي وتوجيه مشاريع رسائل الماجستير واطاريح الدكتوراه التي أتولى الإشراف عليها في التاريخ الإسلامي على استخدام المنهج الكمي – الإحصائي في البحث. وكانت من أبرز الاطاريح التي اشرفت عليها واستخدمت هذا المنهج، اطروحة الباحث وليد مصطفى الجبوري، وكانت بعنوان: "الأوضاع السكانية في شبه جزيرة العرب في عصر الرسالة". وقد أجيزت من قسم التاريخ في كلية الآداب – جامعة الموصل بتاريخ ٢٨/٥/٢٠٠٦.

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور وليد مصطفى الجبوري قد التزم بعد حصوله على شهادة الدكتوراه بهذه المنهجية، وأخذ يوجه طلبة الماجستير في إعداد الرسائل التي يشرف عليها باستخدامها في نشاطهم البحثي، وكان آخرها رسالة ماجستير للباحث عمر وليد خالد بعنوان: "دور القبائل العربية في حروب الردة والفتوحات الإسلامية حتى نهاية عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – دراسة تاريخية كمية". وقد تشكلت لجنة مناقشتها برئاستي في تاريخ ٢٦/٣/٢٠٢٢ على قاعة أبي تمام في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة الموصل[١٥].

٧- التوجهات العلمية للدكتور أحمد الحسو في جامعة الموصل:

إثر حوار علمي أخوي دار بيني وبين زميلي الدكتور أحمد الحسو عبر الهاتف أرسل لي بضعة أوراق مطبوعة بعنوان "تجربتي مع المنهج الكمي" في البحث التاريخي، أوضح فيها أنه قد

---

[١٣] يراجع على سبيل المثال بحثي الموسوم: "التفسير الحضاري ومسألة إعادة كتابة تاريخ الأمة، منشور في مجلة الاكليل، صنعاء، ١٩٨٨، العدد (٢)، ص٢٦-٣٧.

[١٤] يراجع بحثي: "الحضارة الإسلامية وتحديات الحضارة الغربية عند المؤرخ فرناند بروديل"، المنشور في كتابي قراءات معاصرة في الفكر والتاريخ والحضارة الإسلامية، عمان، (دار غيداء للنشر)، ٢٠١٩، ص٣٥٩-٣٧٧.

[١٥] تألفت لجنة المناقشة من: "الأستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح – رئيساً والاستاذ الدكتور خطاب إسماعيل أحمد، والاستاذ الدكتور عمر أمجد صالح، والاستاذ المساعد الدكتور وليد مصطفى الجبوري (المشرف) أعضاءاً".

بدأ يفكر في استخدام المنهج الكمي في احصاء وتحليل التراجم والمعلومات التي تضمنها كتاب شمس الدين السخاوي (الضوء اللامع)، إلا ان هذا التفكير لم يتحول إلى مشروع بحثي قيد التنفيذ إلا بعد تعيينه في قسم التاريخ في كلية الآداب – جامعة الموصل في سنة ١٩٧٣.

وقد اوضح الدكتور الحسو الخطوات التي سار عليها لتنفيذ هذا المشروع بقوله: "قمت سنة ١٩٧٤ باختيار مجموعة من التراجم (تقرب من مئة ترجمة) [١٦]، من كتاب السخاوي (الضوء اللامع)، وتفكيكها، ثم وضعتها في مداخل متباينة مع بعضها بعضاً، ومتماثلة ضمن محتويات كل مدخل منها، ثم وضعها في جداول خاصة بهدف دراسة نتائجها الرقمية وتحليلها، وحيث أنني كنت آنذاك على معرفة متواضعة في اسلوب تحميل المعلومات على أجهزة الحاسوب، قمت بعرض الفكرة على مدير مركز الحاسوب في جامعة الموصل التي كنت عضواً في هيئتها التدريسية، الأستاذ الدكتور محمد زكي خضر، وحاورته في مدى امكانية تحميل هذه المعلومات على الحاسبة الالكترونية الخاصة بالمركز، فقام مشكوراً بتحميلها واستخراج نتائجها الرقمية، وعرضها في محاضرة قدمها في المركز الثقافي الاجتماعي لجامعة الموصل"[١٧].

وقد شجع نجاح هذه التجربة الدكتور أحمد الحسو على تبني هذا المنهج البحثي وعرض تجربته المبكرة فيه على مجموعة من المشاركين في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته الذي انعقد في تونس عام ١٩٧٤، وكان أحد المشاركين فيه.

وقد أتاح هذا المؤتمر للدكتور الحسو فرصة الاطلاع على دراسة قيمة في مجال (المنهج الكمي) قام بها الدكتور المنجي الكعبي والمتعلقة بكتاب (شذرات الذهب في تاريخ من ذهب) لابن العماد الحنبلي، كما دار حوار معه عن تجارب مماثلة قام بها مؤرخون فرنسيون"[١٨].

لقد حفزتني هذه المعلومات على التوجه إلى زميلي الدكتور أحمد الحسو متسائلاً: هل اطلعت على بعض الكتابات أو التجارب في حقل المنهج الكمي قبل عام ١٩٧٤؟ فأجابني بأنه لم يطلع على بحث متكامل في هذا المجال، ولكنه تأثر بتجارب بحثية قريبة من ذلك، وهي بحسب نص ما دونه في رسالته: "قرأت سنة ١٩٦٩ مقالة أعارني اياها الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت (وكان آنذاك طالب دكتوراه في جامعة لندن بعنوان: (الاتجاهات التاريخية في

---

[١٦] رسالة توضيحية من الدكتور أحمد الحسو في ٢٠٢٢/١/٢٨.

[١٧] الحسو، تجربتي مع المنهج الكمي في ٢٠٢٢/١/٢٠.

[١٨] المصدر نفسه في ٢٠٢٢/١/٢٠.

عصر المماليك)، وأظنها له، تضمنت سرداً للمصادر التاريخية الخاصة بتاريخ المماليك (ورتب المؤلفات الأصلية بحسب تواريخ مؤلفيها وتحديد الاتجاهات التاريخية في عصر المماليك، لقد رسخ هذا البحث لدي أهمية العمل الاحصائي في الدراسات التاريخية"[١٩].

كما أشار إلى أنه قرأ في سنة ١٩٧٣ بتمعن "كتيباً مترجماً إلى العربية، يلخص دراسة احصائية، انصبت على مجموعة من النقود الإسلامية (لا اتذكر عنوانها بحسب تعبيره). وقد تم تفكيك المعلومات فيها وخضعت لقواعد وآليات المنهج الكمي، وخرجت بنتائج كانت موضع تقييمي الكبير"[٢٠].

وفي سنة ١٩٨٨ نشر الدكتور أحمد الحسو دراسة في موسوعة: "العراق في موكب الحضارة" بعنوان: "الصناعة في العراق منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع عشر"[٢١]، وقد عبرت هذه الدراسة عن توجهات الدكتور الحسو في العناية بدراسة تاريخ العراق الاقتصادي في ظل الحضارة الإسلامية. وبالرغم من اتسام هذه الدراسة بالدقة والموضوعية إلا ان المنهج الكمي الاحصائي لم تظهر معالمه فيها كما ستظهر في بحوثه اللاحقة، وبخاصة في موسوعة الموصل الحضارية.

ويلاحظ أنني كنت في هذه الفترة عضواً في هيئة كتابة التاريخ التي أشرفت على إصدار الكثير من المؤلفات والموسوعات، ومن ضمنها الموسوعة التي نشر زميلي الدكتور الحسو بحثه فيها.

لقد شكلت هذه القراءات والتجارب حافزاً قوياً للدكتور الحسو لتركيز نشاطه التدريسي والبحثي في هذا الاتجاه. وقد وصف هذا النشاط بقوله: "وجهت طلبتي في قسم التاريخ إبان تدريسي في جامعة الموصل (١٩٧٣-١٩٩٢)، وفي جامعة التحدي بمصراته في ليبيا (١٩٩٢-١٩٩٥) نحو تفكيك النصوص التاريخية إلى مداخل، والتعامل معها إحصائياً، ومن ثم تحليل نتائجها بما يقربهم من مفهوم المنهج الكمي. كما وجهتم نحو أهمية التدريب على استخدام أجهزة الكومبيوتر، تهيئة لأذهانهم نحو إمكانات الافادة في بحوث تخرجهم، كما وجهت بعض طلبة الماجستير الذين اشرفت على رسائلهم لاعتماد المنهج الكمي في إعدادها"[٢٢].

---

[١٩] الحسو، رسالة جوابية بتاريخ ٢٠٢٢/١/٢٨.

[٢٠] الرسالة نفسها في ٢٠٢٢/١/٢٨.

[٢١] الحسو، الصناعة في العراق منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري، بحث منشور في موسوعة: العراق في موكب الحضارة، ج٢، بغداد، ١٩٨٨، ص١٨٩-٢٢٥.

[٢٢] الحسو، تجربتي مع المنهج الكمي، رسالة بتاريخ ٢٠٢٢/١/٢٠.

٨ – بعض مسارات التعاون بيني وبين الدكتور الحسو في كلية الآداب:

في تاريخ ١٩٧٣/١١/١٢ توليت عمادة كلية الآداب في جامعة الموصل. وكان الدكتور أحمد الحسو قد عُين مدرساً في هذه الكلية في بداية هذا العام، فوجدت في وجوده إلى جانبي وهو الصديق الصدوق فرصة مناسبة للتعاون الخلاّق بيني وبينه على مستوى التفكير في تطوير المسارات العلمية في الكلية والجامعة والارتفاع بهما إلى مستوى الطموح. وكان من حسن الحظ ان انتبهت الجامعة (ربما بشخص رئيسها) إلى كفاية الدكتور الحسو العلمية والإدارية فعهدت إليه بمنصب الأمين العام لمكتبات جامعة الموصل، فضلاً عن تعيينه بمنصب مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية والثقافية.

وقد عزز هذا التطور من قدرتينا على تنفيذ بعض المشاريع العلمية التي كنا نتطلع إلى تحقيقها، ومنها إشاعة التفكير العلمي بين الطلبة والاساتذة واستخدام أحدث المناهج والتقنيات في البحث. وكان من أبرز المشاريع التي كانت ثمرة تعاوننا ما يأتي:-

١. **إعادة الحياة إلى مجلة آداب الرافدين:** حينما توليت عمادة كلية الآداب، كانت مجلة الكلية العلمية (آداب الرافدين) قد توقفت عن الصدور بسبب ضعف أداء هيئة تحريرها. فقررت العمل على إحيائها على وفق منهج علمي دقيق وصارم بحيث لا ينشر فيها إلا البحوث العلمية التي تجتاز مناقشة الحلقة العلمية في القسم (السيمنار) أو تقييم بعض الخبراء المعروفين بالدقة والرصانة في تقويم البحوث ان كان أصحابها من خارج الكلية.

ومن اجل تحقيق هذا الهدف فقد توليت رئاسة تحرير المجلة وعينت زميلي الدكتور أحمد الحسو سكرتيراً لتحرير المجلة. وقد نشرت كلمة افتتاحية في المجلة تعبر عن سياستها العلمية في النشر، جاء فيها: "إن هيئة التحرير تتبنى الفكر العلمي، وترى في المنهج الاكاديمي النافذة المفتوحة نحو مجتمع متطور. إنها لا تريد ان يكون محتوى الكلمة بعيداً عن المشكلات الفكرية التي يعانيها مجتمعنا، بل ترى ان يكون الفكر جريئاً علمياً في مواجهة هذه المشكلات من أجل تجاوز دهور التخلف وأسباب الموت وبطء الحركة. ملتزمون في كل ذلك بالمنهج العلمي السليم، الذي عبر عنه بروعة وايجاز الكاتب الشهير أ.ج. ويلز بقوله: ان الطريقة العلمية الحق هي هذه؛ ألا يفرض أي فرض غير ضروري، ألا يقبل أي خبر من غير تحقيقه، ان تختبر كل الأشياء بأقوى قوة مستطاعة، ألا يحتفظ بأي أسرار، ألا يحاول أي احتكار، وأن يقدم الإنسان خير ما لديه في تواضع ووضوح، وألا تخدم أية غاية أخرى"[٢٣].

---

[٢٣] الكلمة الافتتاحية، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد (٥)، سنة ١٩٧٤.

٢. **العناية بتاريخ العلوم عند العرب وتدريسه:** لقد كنت على قناعة راسخة (ويشاركني فيها زميلي الدكتور أحمد الحسو) ان دراسة التاريخ لا ينبغي ان تقتصر على التاريخ السياسي، وإنما يجب ان تمتد لتشمل دراسة تاريخ الإنسان على الأرض بكل أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والفنية وغيرها)، وهو ما درج الباحثون على تسميته بالتاريخ الحضاري أو التاريخ الشامل.

وقد سعيت من خلال موقعي العلمي والاداري في الجامعة إلى إقناع مجلس جامعة الموصل على إدخال مقرر دراسي لجميع طلبة الجامعة باسم (تاريخ العلوم عند العرب) يسعى إلى تزويد الطلبة في جميع تخصصاتهم بنبذة مركزة عن تاريخ العلم الذي يدرسونه من أجل إقامة التواصل في فكرهم بين المنجزات العلمية التي تحققت في الماضي وبين المنجزات التي يحققها الإنسان في الحاضر وبخاصة ما يتصل منها بتاريخنا العربي الإسلامي. وقد وافق مجلس الجامعة على هذا المقترح، وأصدر أمراً بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٥ بتشكيل لجنة برئاستي لإعداد مفردات هذا المقرر واعتماد الكتاب المناسب لمساعدة الطلبة على دراسة هذه المادة العلمية وبإشراف مباشر من كلية الآداب.

٣. **إضافة مقرر الفلسفة إلى المقررات الدراسية:** تعد الفلسفة أم العلوم، وهي المنطلق للمنهج العقلاني في التفكير. لذا كانت العناية بدراستها مقدمة ضرورية لتنمية القدرة على التفكير والبحث العلمي في شتى التخصصات؛ لذا فقد درجت كليات الآداب على دراستها في اقسام متخصصة، فضلاً عن تدريسها إلى جانب مناهج البحث العلمي في معظم الأقسام الأخرى.

وقد وجدت من الغريب غياب مقرر الفلسفة من بين المقررات المعتمدة في كلية الآداب، لذا فقد سعيت منذ تعييني عميداً لكلية الآداب على تلافي هذا النقص، فأقنعت مجلس كلية الآداب على إدخال مقرر الفلسفة في المناهج الدراسية في جميع الأقسام والتخصصات العلمية في الكلية وذلك اعتباراً من سنة ١٩٧٥.

وقد ساعد هذا الاجراء على تعيين عدد من التدريسيين المتخصصين في الفلسفة في الكلية والتمهيد لإنشاء فرع الفلسفة في الكلية، الذي تحول بعد توسعه قسماً للفلسفة يمنح شهادة البكالوريوس في هذا التخصص. وأتذكر ان زميلي الدكتور أحمد الحسو كان سعيداً بهذا التوجه، فكان يشجعني على مواصلة المسير في هذا الطريق؛ لأنه يلتقي مع المنهج العلمي في البحث التاريخي الذي كنا نسعى إلى اشاعتهِ لإشاعته وترسيخه في الجامعة.

٤. **تأسيس وحدة تحقيق المخطوطات في الكلية:** من المعروف ان التراث العربي الإسلامي قد وصلنا على صورة (مخطوطات)؛ لأن طباعة الكتب على النحو الشائع في عصرنا،

لم تكن معروفة في العصور القديمة والوسطى، لذا كان من مستلزمات البحث العلمي في اقسام اللغة العربية والتاريخ ان يكون لديها وحدة متخصصة في جمع المخطوطات وحفظها مع كافة الأجهزة المساعدة على تصويرها وقراءتها، تمهيداً لتحقيقها ونشرها. ولم يكن في كلية الآداب مثل هذه الوحدة حينما توليت عمادة كلية الآداب؛ لذا فقد سعيت وبتشجيع من زميلي الدكتور أحمد الحسو على تحقيق هذا الهدف. وقد تجاوبت رئاسة الجامعة مع هذا المسعى فوافقت على استحداث هذه الوحدة. وأتذكر ان الدكتور أحمد الحسو قد بذل جهداً متميزاً في مساعدتي على اختيار الأجهزة المناسبة لهذا الغرض. ولا يخفى على القارىء الكريم مدى الترابط بين وحدة تحقيق المخطوطات ومنهج البحث التاريخي في العمل وبخاصة المنهج الكمي الاحصائي الذي هو موضع الاهتمام المشترك بيني وبين الدكتور الحسو.

٩- بحوث الحسو المنشورة في موسوعة الموصل الحضارية:

واصل الدكتور أحمد الحسو تطوير تجاربه البحثية في مجال تطبيق المنهج الاحصائي والكمي طوال عمله في جامعة الموصل. وقد عبر عن ذلك في محاضراته وبحوثه التاريخية ذات المنحى الحضاري. وقد وصف الدكتور الحسو جانباً من هذه التجارب في محاضرة القاها على طلبة جامعة الموصل بقوله: "خلال محاضرة لي على طلبة قسم التاريخ بجامعة الموصل بخصوص العصور الإسلامية المتأخرة، أثير جدل عن مدى صحة قول ابن خلدون: إن سند التعليم انقطع في العراق بعد غزو المغول له سنة ٦٥٦هـ، وأن معالم بغداد درست (بدروس الخلافة)، وأن (شأنها من الخط والكتابة، بل والعلم، انتقل إلى مصر والقاهرة)، وان اللغة العربية فسدت على الاطلاق، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية بالعراق وخراسان). وقد وجدت في هذا الجدل المحتدم، فرصة مناسبة لتوضيح أهمية اللجوء إلى المنهج الكمي فيما يمكننا من الاقتراب من الحقيقة بصدد حكم لا يبدو، بالرغم من صدوره عن مؤرخ كبير له مكانته –مقبولاً، وبخاصة أنه يتعلق ببلد كالعراق، يتمتع بعمق حضاري كبير يمتد لآلاف السنين"[٢٤].

ويبدو من سياق هذا الكلام ان الدكتور الحسو قد ألقي هذه المحاضرة في المدة من (١٩٨٦-١٩٩٢) وهي المدة التي كان يساهم فيها بفعالية إلى جانبي في تحرير موسوعة الموصل الحضارية[٢٥]؛ لذا فقد اشار إلى انه بعد محاضرته التي أثارت نقاشاً واسعاً بين الطلبة

---

[٢٤] الحسو، تجربتي مع المنهج الكمي، بتاريخ ٢٠٢٢/١/٢٠.

[٢٥] تألفت هيئة تحرير الموسوعة من: الأستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح رئيساً للتحرير والأستاذ الدكتور عامر سليمان (عضواً) والأستاذ الدكتور أحمد قاسم الجمعة (عضواً) والدكتور ابراهيم خليل أحمد (عضواً) والدكتور أحمد عبدالله الحسو (عضواً ومقرراً).

تفرغ بضعة أشهر لتنفيذ ما نصح به الطلبة، فأجرى دراسة كمية للواقع الحضاري إبان وبعد الغزو المغولي، واتخذ من مدينة الموصل أُنموذجاً[٢٦].

وهنا اترك للدكتور الحسو الكلام عن الخطوات التي اتبعها في هذا المجال، وذلك بقوله: "فقمت برصد حركة العمران في الموصل، ونشاطها الفكري والثقافي وحركة هجرة المثقفين منها وإليها، قبل الغزو المغولي وإبانه وبعده (من خلال استقراء ما أوردته المصادر الأصلية). وقد تمخضت تجربتي هذه عن اربعة بحوث كمية تم نشرها في (موسوعة الموصل الحضارية)، وهي:-

١. الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة المغولية والايلخانية (٦٦٠-٧٣٦هـ/ ١٢٦١-١٣٣٥م).
٢. الموصل في عهد السيطرة الجلائرية (٧٣٦-٨١٤هـ/ ١٣٣٥/١٤١١م).
٣. الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الجلائرية.
٤. الواقع الحضاري في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض (٨١٤-٩١٤هـ/ ١٤١١-١٥٠٨م).

وقد خلصت البحوث الأربعة إلى نتائج قاطعة تنفي ما ذهب اليه ابن خلدون"[٢٧].

إن التأمل في عنوانات بحوث الدكتور الحسو التي نشرها في موسوعة الموصل الحضارية توضح التداخل الوثيق بين المنهج الحضاري الشامل بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية والمنهج الاحصائي – الكمي الذي استخدمه الحسو ببراعة؛ لإثبات المسائل التي كانت موضع خلاف وجدل. كما تفصح عن طبيعة المنهج والفلسفة التي اعتمدتها هيئة تحرير الموسوعة في عملها، وكان الحسو أحد أعمدتها.

١٠- نشاطات الحسو في خدمة المنهج الكمي في جامعة مؤتة:

تعدّ مدة عمل الدكتور أحمد الحسو في قسم التاريخ بجامعة مؤتة في المملكة الأردنية الهاشمية، والتي امتدت ثلاثة عشر عاماً (١٩٩٥-٢٠٠٨) من أخصب فترات انتاجه في مجال البحث والتدريس، وبخاصة ما يتصل بجهوده في حقل الدراسات الكمية. وقد وصف الدكتور الحسو ذلك بقوله: "حرصت على إشاعة ثقافة المنهج الكمي بين الطلبة في مرحلة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه. وقد ترك ذلك أثره على كثيرٍ منهم، وغدا تطبيق المنهج الكمي بفعل جلسات الحوار المتواصلة داخل قاعات المحاضرات وخارجها. وبفعل ما تحقق من أعمال كمية

---

[٢٦] الحسو، تجربتي مع المنهج الكمي، في تاريخ ٢٠٢٢/١/٢٠.

[٢٧] موسوعة الموصل الحضارية، جامعة الموصل، ١٩٩٢، المجلد (٢)، الصفحات ٢٣٤-٢٦٢، ٢٧٢-٢٧٧.

قبلها، أكثر وضوحاً، بأهدافه وآلياته. وصار ينظر إليه على أنه جزء أساسي من منهج البحث التاريخي، فتزايد اقبال طلبة الدراسات العليا عليه، وكانوا بمثابة خلية بحث، تتحرى عن الحقيقة التاريخية عبر تحليل النصوص وتكميمها والغوص في ظاهرها وباطنها"[٢٨].

وهكذا فقد شجع تجاوب الطلبة مع طروحات الدكتور الحسو على استئناف وتطوير ما بدأه في العراق من خلال البحوث الأربعة التي انجزها ونشرها في موسوعة الموصل الحضارية التي درس فيها الواقع الحضاري في الموصل بعد الغزو المغولي، من خلال اشرافه على رسالتي ماجستير تتكاملان مع بدأه من بحوث في مجال المنهج الكمي والاحصائي.

فجاءت الرسالة الأولى بعنوان: (الحياة العلمية والثقافية في بغداد في العصر الايلخاني – ٦٥٦-٧٣٦هـ/ ١٢٠٨-١٣٣٥م – وقد تقدم بها الباحث هاني الرفوع – الدكتور حالياً – سنة ٢٠٠٤). وقد اعتمد الباحث ذات عنوان بحث استاذه الدكتور الحسو ولكن باختيار مدينة بغداد أُنموذجاً، وهي التي أصابها الضرر الأكبر إبان الغزو المغولي. وقد جاءت نتائج رسالة الرفوع متطابقة مع ما توصل إليه الدكتور الحسو في بحوثه الآنفة الذكر.

أما الرسالة الثانية، فقد تقدم بها الباحث حمود مضعان السعودي (الدكتور حالياً)، وكانت تحت عنوان: ابن الفوطي مؤرخاً، وقد قدمت مادة مهمة عن النشاط الثقافي والعلمي في بغداد بخاصة، والعراق بعامة بعد الغزو المغولي. وقد اعتمدت هذه الرسالة المنهج الكمي، وخرجت بنتائج معززة لما ذهب إليه استاذه الدكتور الحسو وزميله هاني الرفوع[٢٩].

وتجدر الإشارة هنا، إلى ان دراسة الرفوع والسعودي ومن قبلهما بحوث استاذهما الدكتور الحسو، اعتمدت في تطبيقها للمنهج الكمي على جهد الباحثين انفسهم في تطبيقهم لكل الخطوات الواجب اتخاذها، مع استعانة محدودة بأجهزة الكومبيوتر المتوافرة في ذلك الوقت في تنظيم الجداول والأشكال. وتلك جهود تذكر لهم. مع العلم ان برامج الحزم الاحصائية وغيرها كبرنامج (اكسل)، وبرنامج التحليل الاحصائي (اس بي اس اس) اللذين يستخدمان حالياً لم تكن شائعة الاستعمال في ذلك الحين[٣٠].

وقد كان الدكتور الحسو يتطلع إلى تطبيق برامج الحزم الاحصائية في دراسة كمية جديدة لانها تتيح المجال للحصول على نتائج بسرعة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريقها.

---

[٢٨] الحسو، تجربتي مع المنهج الكمي، رسالة في تاريخ ٢٠٢٢/١/٢٠.

[٢٩] المصدر نفسه.

[٣٠] المصدر نفسه.

وقد واتته الفرصة لتطبيق هذه المناهج حين اشرف على طالبة مجدة تسعى إلى الحصول على الدكتوراه. وقد كان الحسو سعيداً بهذا الاشراف ونتائجه وقد وصف ذلك بقوله: "وقد كنت محظوظاً ان أشرف على أطروحة دكتوراه بين سنتي ٢٠٠٢-٢٠٠٥ للباحثة سوسن الفاخري، والتي لم تكن أقل حماساً مني لتطبيق هذه البرامج في أطروحتها تحت عنوان: (التراجم المقدسية في كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ٨٣١-٩٠١هـ/ ١٣٢٧-١٤٩٥م تحقيق وتحليل).

وقد انعكس تحليلها للمنهج الكمي والتزامها الدقيق بقواعده وأصوله على أطروحتها، التي جاءت رفيعة المستوى بما أهلها للحصول على المرتبة الأولى في مسابقة اكاديمية ومنحها جائزة مالية بمقدار عشرة آلاف دولار، والتوصية بطبعها، كما يحسب لها أنها أول باحثة تستخدم برامج الحزم الاحصائية في دراسة كمية مدونة باللغة العربية"[٣١].

١١- تأسيس مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية:

بعد رحلة طويلة ابتدأها الدكتور الحسو من جامعة الموصل في سنة ١٩٧٣ (وربما قبلها من جامعة سانت آندروز) في استكشاف معالم المنهج الكمي في دراسة التاريخ الحضاري، وانتقلت معه عبر قاعات المحاضرات إلى جامعات وهران في الجزائر، وجامعة التحدي في مصراتة الليبية، حتى اينعت في جامعة مؤتة الأردنية طوال ثلاثة عشر عاماً اتجه بعدها نحو منعطف جديد بدأه في انكلترا حيث أسس هناك في مدينة نورث شيلدز سنة ٢٠١١ مركزاً باسم (مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية)، وقد وصفه بانه مركز ثقافي تطوعي، يسعى إلى جمع شمل (الامناء) المؤمنين بهذا المنهج العلمي في البحث تحت رايته من طلبته وزملائه (وكل من يؤمن برسالة هذا المركز من المؤرخين وأرباب الفكر الذين يحملون روحاً شابة، وهم الذين تتشكل منهم هيئة المركز الاستشارية) وان كاتب هذه السطور ليشعر بالفخر أنه كان من ضمنهم.

لقد واصل الاستاذ الدكتور أحمد الحسو تحمل مسؤولية إدارة هذا المركز لمدة عشر سنوات (٢٠١١-٢٠٢١) حتى اطمئن إلى واقعه ومستقبله، فعمد إلى العهد بقيادته إلى الدكتورة سوسن الفاخري التي كانت من أبرز من تتلمذ على يدي الدكتور الحسو وأبدع في استخدام المنهج الكمي في البحث التاريخي.

وفي الوقت الذي يقف الحسو على قمة الهرم إلى جانب مديرة المركز مساعداً ومرشداً يشعر بالسعادة وهو يرى – المركز بعد مرور احدى عشرة سنة على تأسيسه – طلابه السابقين

---

[٣١] الحسو، تجربتي مع المنهج الكمي، رسالة في تاريخ ٢٠٢٢/١/٢٠.

(والأساتذة الحاليين)، يجتمع شملهم حول المركز، وإذا باحثون آخرون وباحثات ينظمون إلى المركز الوليد، وهو اليوم ينتشر مشرقاً ومغرباً ولديه (ممثليات) نشطة في كل من الأردن وليبيا والجزائر والمغرب. كما ان لديه تعاوناً وأنشطة مشتركة مع مؤسسات ومراكز علمية واكاديمية[٣٢].

وفي ختام هذا العرض لجهود الاستاذ الدكتور الحسو في استكشاف وخدمة المنهج الكمي في البحث التاريخي والحضاري، نرى الحسو يفكر بعدد من المشاريع التطبيقية في مجال البحث الكمي ويضعها أمانة بيد الجيل الجديد من المتشبعين بثقافة المنهج الكمي، وهي:

"أولاً: الاستفادة من المنهج الكمي في استحداث قاعدة معلومات لغوية، تستوعب اللغة الفصحى والدارجة، ويتتبع معاني مفرداتها وأصولها كما هي في متغيرات الزمان والمكان.

ثانياً: الاستفادة من المنهج الكمي في استحداث قاعدة معلومات فهرسية موسعة وقابلة لاستيعاب ماهو جديد، ومبرمجة بطريقة تؤمن للباحثين الافادة من مخرجاتها.

ثالثاً: الاستفادة من المنهج الكمي باستحداث قاعدة معلومات ومصورات وثائقية خطية، تستوعب المخطوطات العربية بصيغ مصورة، وبصيغ معلوماتية مبرمجة بحسب قواعد المنهج الكمي"[٣٣].

وقبل ان اختتم هذا العرض المركز لجهود زميلي الدكتور الحسو في خدمة المنهج الكمي في البحث توجهت إليه بهذا السؤال:

- هل تشعر بعد هذه الجهود الكبيرة في البحث، أنك تنتمي إلى احدى المدارس الفكرية أو الفلسفية في دراسة التاريخ أو أنك مؤرخ تبحث عن الحقيقة بكل ما تيسر لك من وسائل، ومن غير تمذهب بمذهب معين؟

فأجابني: "من الناحية المنهجية أنا متأثر بمدرسة الحوليات (الفرنسية لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي)، ولكنني في ذات الوقت مؤرخ يبحث عن الحقيقة ليس إلا"[٣٤].

يظهر مما تقدم، أن البحث عن الحقيقة هو الهدف الأسمى الذي يبحث عنه زميلي الاستاذ الدكتور الحسو في بحوثه، وقد توصل إلى استخدام المنهج الكمي؛ لأنه وجد فيه ما يساعده على ان يصل إلى الحقيقة أو ما يقربه منها بسبب ما يتسم به من دقة في استخدام

---

[٣٢] الحسو، تجربتي مع المنهج الكمي، رسالة في تاريخ ٢٠٢٢/١/٢٠.

[٣٣] الحسو، رسالة جوابية بتاريخ ٢٠٢٢/١/٢٨.

[٣٤] الحسو، رسالة جوابية بتاريخ ٢٠٢٢/١/٢٨.

الرقم والاحصاء والحاسوب الآلي (الكومبيوتر). وهو قد وجد نفسه قريباً أو متأثراً بمنهج مدرسة الحوليات من دون ان ينتمي إليها أو يتمذهب بمذهبها وهو في هذا يلتقي مع توجه معظم المؤرخين الموضوعيين في العالم.

والحقيقة، أنني كنت من أشد المتحمسين لهذا الموقف الحيادي الذي يرفض (التمذهب المدرسي) في البحث التاريخي، وقد نشرت دراسة بعنوان: "إشكالية وجود مدرسة تاريخية عراقية معاصرة في كتابة التاريخ" تعبر عن هذا الموقف في المجلة القطرية للتاريخ والآثار في سنة ٢٠٠٠ كما قدمته في ندوة علمية عامة ضمت مشاركين من معظم أقسام التاريخ في الجامعات العراقية[٣٥].

وقد جاء هذا الموقف موافقاً لما سبق وأن أشار إليه الدكتور طريف الخالدي بقوله: "إن أغلبية المؤرخين لا يلتفتون إلى الأسس أو المبادئ النظرية التي يرتكز إليها علمهم، بل انهم يدونون الأحداث التاريخية ويفسرونها في ضوء ما توحي به مادتهم، لا استناداً إلى مبادئ ونظريات فلسفية أو قوانين طبيعية أو غير طبيعية"[٣٦].

---

[٣٥] أعدت نشر هذه الدراسة في كتابي: قراءات معاصرة في الفكر والتاريخ والحضارة، عمان، ٢٠١٩، ص٤١٢-٤٣٦.

[٣٦] الخالدي، بحث في مفهوم التاريخ في منهجه، بيروت، ١٩٨٢، ص٥٥.

الذّاتُ الرّائيةُ، ذاتٌ حالمةٌ ؟

(ديوان أبي القاسم الشّابي أنموذجا)

" الإنسان متسوّل عندما يفكّر... لكنّه عملاق عندما يحلُم "

L'homme est un mendiant quand il pense ..."

(١), Hölderlin . "*mais un géant quand il rêve*

الأستاذ المساعد الدكتور محمد المعز جعفورة

استاذ الآدب والنقد القديم/الآداب/ بسوسة تونس

الملخّص:

عملنا الّذي نحن ماضون فيه يتدبّر آثار الحُلم في صناعة ملفوظ أبي القاسم الشّابي الشّعريّ. وقد نبّهنا إلى ذاك فعل "رأى" في الدّيوان. ونحن ندّعي أنّ الذّات الرّائية هي نفسُها الذّات الحالمةُ. لهذه الحالة سعينا إلى درْس هذا الفعل لِتمييزه من نظر، وعالجنا هيأة تشكّله. وحرصنا على رصد ما رآه المتكلّم، وما شكّله من اللّوحات المرئية، وحاولنا تأويل ما يراه لكشف دلالاته، والتّعرّف على رؤية الذّات للحياة، وموقفها الّذي تقفه من الوجود .

المقدمة:

ليس الّذي حملنا على تدبّر فعل " رأى " في ديوان أبي القاسم الشّابي[٢] تواترَه، إذ إنّه لم يرد في قصائده بصفة لافتة للأنظار كمّا[٣]، إنّما نتدبّره لسببين اِثنين : أحدهما التّشابه الحاصل بين الرَّأْيَة والحُلم في ملفوظ الذّات الشّاعرة، والثّاني أنّ فعل " رأى" فيما بدا لنا قادحٌ لِحَركة الحلم . والحلم الّذي نحن بصدده نهاريّ [٤] لا ليليّ . وهو" يتعدّى حدود النّوم، فلا يحتاج

(1) Cité in, Annie PIBAROT, *La présence du rêve dans les journaux personnels d'Henry Bauchau,* Revue internationale Henry Bauchau. L'écriture à l'écoute – n°5 – 2013. p.141.

(٢) أبوالقاسم الشّابي، **ديوان أبي القاسم الشّابي ورسائله**، قدّم له وشرحه مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٩٤ .

(٣) ورد هذا الفعل في ثماني قصائد من بين ٩٨ قصيدة ، أي بنسبة ٧,٢٢٪ . وتلك القصائد هي : " الدّنيا الميّتة "، و"صلوات في هيكل الحبّ "، و" الجنّة الضّائعة "، و" أراكِ "، و" تحت الغصون "، و" أغنية الشّاعر"، و" أبناء الشّيطان "، وقصيدة بلا عنوان مطلعها :

أرَى هَيْكلَ الأيّامِ يَعْلُو، مُشيَّدًا / ولاَ بُدَّ أنْ يأْتِيَ علَى أُسِّهِ الهَدْمُ – الطّويل –

ولا يتجاوز عدد المرّات الّتي أتى الفعل فيها العشرين تقريبا .

(٤) يقابل ذاك الحلمَ النّهاريَّ day dream /rêve diurne ، حلمٌ ليليٌّ night–/rêve nocturne . time dream

الإنسان إلى النّوم ليحلم " [٥]. وارتبط الحلم النّهاريّ في الدّيوان بالخيال، وبالذّاتية أي أنّ ما يُرى لا تراه إلاّ الذّاتُ المتكلّمة، وبالصّورة، وبالرّؤية. ومعلوم فيما يُقدّر شارل رمون (Charles Ramond) أنّه في حال الرّؤية المألوفة يكون الموجود المرئيّ خارجيّا، بينما في الحلم لا وجود لذاك الشّيء الخارجيّ . وتكون العينان متوازيتين في الحالة الأولى، مركّزتين على الموجود، ويتّجه البصر نحوه . وفي الحلم تقترن الحركات بالعينين المتشنّجتين، ولا إمكان للتّعديل، ولا التّحديد، ولا الضّبط. وفي الرّؤية المعهودة ، " إدراك للواقع، مما يعني أنّه يمكننا الوثوق بالمشهد الّذي ندركه حتى لا نصطدم ببعضنا البعض، ونتغلّب على العقبات، وما إلى ذلك، بينما في الحلم، رؤية " لا تسمح بأيّ من هذا كلّه، ولا تقدّم أيّ شيء مستقرّ أو واقعيّ"[٦]. ولمّا بانَ أنّ ما قلناه على ما هو نتصدّى لما تراه الذّاتُ أو" تحلم " به، ولِطريقتها في رواية ما رأته، أو" حلمت " به، ونقف على التّقاطع بين الرَّأْيَة والحُلم في الملفوظ. ونبدأ بحثنا بالوقوف على فعليْ رأى ونظر .

١ - مدخل في فعل رأى

ينبغي في هذا الصّدد تمييز رأى من نظر . ويعني الفعل الأوّل رؤيتين " قال ابن سيده : الرّؤية بالعين تتعدّى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدّى إلى مفعولين، يقال: رأى زيدا عالما، ورأى رأيا ورؤية وراءة، والرّؤية النّظر بالعين والقلب"[٧] . أمّا فعل نظر ، فيُقصد به " تأمّلُ الشّيء

آنظر :

Carmignani–Dupont Françoise. *Fonction romanesque du récit de rêve : l'exemple d'À rebours*. In: Littérature, n°43, 1981. Fantasmes, fiction. pp. 57–74. DOI:https://doi.org/10.3406/litt.1981.1350 www.persee.fr/doc/litt_0047-4800_1981_num_43_3_1350, p.60.

[5] André, Emmanuelle. *Logique d'images. Du rêve, des sommeils et de l'art*, In : Rêve et cinéma : Mouvances théoriques autour d'un champ créatif [en ligne]. Nanterre : Presses universitaires de Paris Nanterre, 2012 (généré le ٠٨janvier 2023). Disponible sur Internet : <http://books.openedition.org/pupo/3519>. ISBN : 9782821850910. DOI : https://doi.org/10.4000/books.pupo.3519. p.263 .

[6] Charles Ramond, *Récits et images du rêve.* Le Rêve entre Science et Philosophie, Université de Paris1, organisé par Christiane CHAUVIRÉ, Sep 2002, Paris, France. Ffhalshs-00671824ff, p.4.

[٧] ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧، مادّة : ر – ء – ي .

بالعين " [٨]. بين النّظر والرُّؤْيَة إذن القلبُ يفرّق بينهما، ويَمِيز هذا من هذا، رغم أنّهما يشتركان في تعيينهما موجودا محسوسا واحدا في الظّاهر على الأقلّ [٩]، وهما فِعلان للإدراك البصريِّ (visual perception verbs) [١٠]. فالمرئيّ في آستعمال رأى يتشكّل اِنطلاقا من الرُّؤْيَة أي من الذّات الرّائية . والّذي يُثبت ذلك أنّ الفعل أُسند إلى ضمير "أنا " المحيل على الذّات المتلفّظة، هي لا غيرها، وهو يحوّلُ " اللّغة إلى خطاب " [١١]، مثلُه في ذلك مثل " أنتَ"، فهما من آثار الذّات، ويلحّان على تفرّدها [١٢]. لذا يقول الشّابي :

إنّي أَرَى ...، فَأَرَى جُمُوعًا جَمَّةً / لَكِنَّهَا تَحْيَا بِلاَ أَلْبَابِ – الكامل –

---

(٨) **المرجع نفسه،** مادّة نظر .

(٩) للتّعمّق في الفروق بين نظر regarder ، ورأى voir، وإمكانية التّعاوض بينهما، ومدى تدخّل النّصّ المصاحب co-texte في تحديد دلالة هذا وهذا، آنظر :

Corinne Ozouf. *Caractère différentiel et relation d'équivalence entre VOIR et REGARDER*. Cahiers du CRISCO (Univ. Caen), CRISCO, 2004, pp.2-25. ffhal-01870501f.

(10) Mika Kubota, A *Cognitive Linguistic Analysis of Visual Perception Verbs in Natural Language — With Special Reference to English Verbs "Look" and "See" —*, (Doctoral Dissertation), Language and Cultural Studies, Foreign Studies Research Division, Graduate School, Kansai Gaidai University, 2016, p.21.

يمكن التّوسّع في دلالات فعليْ look وsee في اللّغة الإنقليزية في تلك الأطروحة بدءًا من الصّفحة الحادية والعشرين وما بعدها.

(11) Francis Jacques, *Dialogiques Recherches logiques sur le dialogue*, Presses Universitaires de France ,1979, p.35.

(١٢) علامات الذّات المتلفّظة في ملفوظها متعدّدة مثل الضّمائر، والأفعال، والنّعوت، وسائر " اِختيارات المتلفّظ الأسلوبية لِيتجلّى إيتوس الذّات من خلالها . فمثل الأسلوب مثلُ الإيتوس . إنّه طريقة في القول تتشكّل بها وفيها الهويّات، وتُنشئ آثارا التّفرّد "

(ص ٧٥). والمعنيّ بالإيتوس ما عناه جوزي لويز فيوران (José Luiz Fiorin) " صورة المؤلّف لا المؤلّف الحقيقيّ . هو خطابيٌّ، ضمنيٌّ " (ص ٧٢) . آنظر :

João Batista Costa Gonçalves ،The *Concept of the Ethos of the Enunciator in the Work Em Busca do Sentido: Estudos Discursivos* [In Search of Meaning: Discursive Studies] by J. L. Fiorin / O conceito de ethos do enunciador na obra Em busca do sentido: estudos discursivos, de J. L. Fiori , Bakhtiniana, São Paulo, 10 (3): 71-88, Sept./Dec. 2015.

فلا وجود في حالة " أرى" هنا لأيِّ تشكّلٍ لشيءٍ يُرى (تلك الجموع)، سابقٍ لترهين الحدثان (actualisation du procès _ updating the process). لكنّنا نعتقد أنّ الذّات نظرت لِترى، ففي النّظر قصْدٌ وإرادة . والّذي ينتج عن الرّؤية هو حصيلةُ إدراك تمّ بواسطة العين . في حالة أرى إذن، اِقترن الطّابع المحسوس بفعل عقليّ نزّاع إلى التّحليل والتّجريد، وإلى التّخييل. هكذا تتجاوز الرّؤية فيما نعتقد مجرّدَ النّظر، وذا " في إطار ميل الإنسان إلى الخيال، وإلى السّرد، وإلى إنشاء الأخبار" [١٣].

٢ – منزلة فعل رأى في الدّيوان

ورد رأى في ثماني قصائد منها قصيدة بعنوان " أراكِ ". ومطلعها :

***أَرَاكِ*، فَتَحْلُولَديَّ الْحَياةُ / ويَمْلأُ نَفْسِي صَبَاحُ الْأَمَلْ** – المتقارب–

وآحتلّ الفعل مواقع عروضية [١٤](metric positions)، لافتة، كالمطالع (البيت السّابق) والمقاطع[١٥] في الصّدر أوالعجز، كقوله في أبناء الشّيطان :

أيُّ ناسٍ هذَا الوَرَى ؟ *ما أرَى* / إلاَّ بَرايَا، شَقِيَّةً، مَجْنُونَهْ – الخفيف–

---

(13) Maria Teresa De Palma, « *Dormir, transcrire, créer : le rêve littéraire à travers les genres, les domaines et les époques* », In, RILUNE — Revue des littératures européennes, no 12, Dormir, transcrire, créer : le rêve littéraire à travers les genres, les domaines et les époques, p. I–XVI (Mirta Cimmino, Maria Teresa De Palma, Isabella Del Monte, éds.), 2018, (version en ligne, www.rilune.org), p. VII.

(١٤) وتقابل تلك المواقع، مواقع بلاغية (rhetoric positions)، وهي في النّثر لا في الشّعر . وفي ذي وذي، تحصل توافقات أوتقابلات أسلوبية فيما ترى جويل غارد تامين . آنظر :

Joëlle Gardes Tamine, *Pour une nouvelle théorie des figures*, Presses Universitaires de France, 2011, p.19.

(١٥) ذكر ابن رشيق المطالع والمقاطع، وعرّفها هكذا " المقاطع: منقطع الأبيات، وهي القوافي، والمطالع: أوائل الأبيات وقال قدامة بن جعفر في بعض تآليفه وقد ذكر التّرصيع: هوأن يتوخّى تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع، أوشبيه به، أومن جنس واحد في التّصريف، فأشار بهذه العبارة إلى أن المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى "، لكنّنا نتوسّع في المطالع لتشمل بداية العجز، وفي المقاطع لتشمل نهاية الصّدر .

آنظر، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه**، تحقيق : محمّد محيي الدّين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١، ج ١، ص ٢١٥ .

وقسّم الفعل القصيدة إلى مقاطع متساوية، يتكوّن كلّ قسم من ستّة بيوت، وآفتتح فعل" أراكِ " كلَّ مقطع منها، كأنّه لازمة (refrain) [١٦]، كما هوالحال في قصيد " أراكِ " .

وتُثبت تلك المواقع عندنا أنّ منزلة هذا الفعل منزلة سنيّة، مقصودٌ إليها قصدا [١٧] في السّياقات الوارد فيها، وشأنه هنا شأن الشّعر عموما، إذ هما منتوجُ تفكير وتقدير، ومحصولُ فِعل صناعة . ذاك هوالبُعد أو" الغرض الحجاجيّ"[١٨] في الشّعر، ظاهرٌ، بارز في هيأة توزيع الفعل، وكيفية آنتشاره في القصائد، لغاية إحداث أثر مّا في الآخر.والحجاج الّذي نقصده ها هنا متعلّق بالتّعبير عن وجهة نظر أوعن موقف أوعن رؤية للعالم، وبالرّغبة في أن ينضمّ الآخر إليها، ويشارك المتكلّمَ فيها . الحجاج إذن " يخترق الخطابَ برمّته " [١٩]، فأن نتكلّم يعني أن نُحاجج.

٣- الرّؤيةُ الحُلْمُ

تعلّقت الرّؤيةُ الحلمُ بالمعنى الّذي نقصده في ديوان أبي القاسم الشّابي بالدّنيا (قصيدة : الدّنيا الميّتة)، وبمَنْ في الدّنيا كالمرأة (صلوات في هيكل الحبّ، وأراكِ، وتحت الغصون)، وبالنّاس والورى (الدّنيا الميّتة والجنّة الضّائعة وأبناء الشّيطان)، وبالأيّام (القصيدة الّتي

---

(١٦) في الموسيقى اللاّزمة هي : جملة أومجموع جمل تتعاود، وتتكرّر، بعد نهاية كلّ مقطع، وكذلك الأمر في القصائد والموشّحات..

(١٧) نعني بالقصدية ها هنا دلالتها " العملية "، وتكون إذا ما كان للعامل هدف أوقصْد يتمثّل في عمل شيء مّا .

"L'usage du terme dans le sens «pratique» s'applique quand l'agent a le but ou l'intention de faire quelque chose"

آنظر :

CANDIDA JACI DE SOUSA MELO, LE ROLE DE L'INTENTIONNALITE DANS LA PENSÉE CONCEPTUELLE, THÈSE PRÉSENTÉE COMME EXIGENCE PARTIELLE DU DOCTORAT EN PHILOSOPHIE, UNIVERSITÉ DU QUÉBEC À MONTRÉAL,2006, p.22.

للتّوسّع في أصل لفظ القصدية (intentionality)، آنظر الصّفحات ١٨-٥٧.

(18) Joëlle gardes tamine, "*Pour une rhétorique de la poésie* ", Semen [Online], 24 | 2007, Online since 25 January 2008, connection on 08 November 2022. URL:http://journals.openedition.org/semen/5893;DOI: https://doi.org/10.4000/semen.5893 , p.3.

(19) Ruth Amossy, *L'argumentation dans le discours*, Paris, Armand Colin, 2021, p.25.

بـلا عنـوان)[٢٠]. واللاّفـت فـي هـذه الملفوظـات الشّـعرية عناوينُهـا الغريبـةُ حتّـى كأنّهـا إلــى الحلم أقربُ. إذ إنّها تُقارب بين ألفاظ لا تنتمي إلى نفس المقولات، فتجمع بين المحسوس والمجرّد، والمنظور وغير المنظور، والإنسانيّ والجنّيّ أو الملائكيّ، جمعا غرائبيّا، عجائبيّا، فنطازيّا (fantastique)، خارجا عن المألوف، مفاجئا [٢١]. فكيف للدّنيا أن تموت ؟ وللشّيطان أن يكون له أبناء؟ وللجنّة أن تضيع ؟ فمثل هذا الجمع بين ما لا يجتمع في الواقع، هو الّذي يولّد في الآخر السّامع / القارئ اِستمتاعا، ولذّة، وإثارة [٢٢]. لعلّ الذّات المتكلّمة تحلم ، و" تنجم الأفكار كما آتّفق pèle mêle_ pell-mell)) " [٢٣]، فتُرفع عندئذ " حراسةُ الوعي، وتسقط

---

[٢٠] تثبّتنا في مسألة غياب العنوان عن هذه القصيدة، ووجدنا أنّه غائب أيضا في " **أغاني الحياة** "، وهذه هي الطّبعة الأولى، وقد أخرجها محمّد الأمين الشّابّي مع ترجمة للشّاعر، تونس، دار الكتب الشّرقية، ١٩٥٥، ص ١١٦ .

[٢١] أورد الباحث ألفاظا كثيرة مترادفة تحوم كلّها حَوَمان الغرابة، والخارق للعادة، والمدهش، وغير الطّبيعيّ (ص ١٣) . وتلك الألفاظ هي:

Bizarre, étrange, fantastique, sinistre, surnaturel, extraordinaire, singulier, curieux, surprenant ou étonnant.

وتجلّى الغريب في الشّعر الفرنسيّ في أشعار كلّ من شارل بودلير(Charles Baudelaire) وقيوم أبّلينار(Guillaume Apollinaire)، وأباح ذاك للدّارسين أن يتحدّثوا عن العلاقة بين الغريب والفَجاءَة le bizarre et la surprise (ص ١٦)، وبين الغرابة والدّهشة (l'étonnement) (ص ١٧) مثلا. آنظر :

Yi-Pei Lee, *La poétique du "bizarre" et de "la surprise" dans la prose d'imagination de Guillaume Apollinaire*, Littératures. Université Sorbonne Paris Cité, 2016. Français. ffNNT : 2016USPCA040ff. fftel-01539432 , p.16

[٢٢] إذا اِجتمعت هذه الأشياء / الموجودات (إنسان وشيطان، ودنيا وموت، وجنّة وضياع) في الواقع، فإنّها لا تولّد لذّة، ولا متعة، ولا إثارة، فالشّيطان عدوالإنسان منبوذ، والموت هادم اللذّات مذموم، والضّياع تَيهانٌ مكروه، لكنّ الّذي يولّد تلك المشاعر في الفنّ القوليّ، هي ما يسمّيه فرويد " التّقنيات الفنّية الجمالية " (مثل المجاز، والتّشخيص فيما نحن فيه).

آنظر :

FREUD Sigmund, « *Le poète et l'activité de fantaisie* », Revue française de psychosomatique, 2014/2 (n° 46), p. 131-140. DOI : 10.3917/rfps.046.0131. URL : https://www.cairn.info/revue-francaise-de-psychosomatique-2014-2-page-131.htm, p.132.

[٢٣] القول لِفريديريك فون شيلر (Friedrich von Schiller) نقله فرويد، آنظر :

Chidiac Nayla , « *Écrire, rêver, penser ... l'écriture comme médiation thérapeutique* », Cliniques, 2016/1 (N° 11), p. 180-201. DOI :

يقظةُ الفكر "[٢٤]، وتتحرّر الذّات من عنف الواقع الصّارم، المسلّط عليها، وتقتحم مسارات أخرى غير مألوفة، لِتُعبّر عن أحلامها، وعن هواجسها، و" تخلق عالمها الخاصّ بها، وتنقل أشياءَه في نظام جديد يناسبها" [٢٥]. فالمتكلّم في عتبة العنوان إذن، " يخلق عالما فنطازيّا / خياليّا، ويحمله مَحمل الجدّ، ويشحنه بشحناتٍ تأثيرية، ويقطع صلته بالواقع قطعا صارما " [٢٦]. فالذّات تحلم بجنّة لا تضيع، وبأبناء أبوهم ملاك لا شيطان، وبدُنيا حيّة لا ميّتة . وسيتأكّد هذا التحرّر من خلال صوغ ما رأته الذّات صوغا قائما على التّعبير المصوّر . ويفتح فعلُ **أرى** في القصائد الوارد فيها بابَ التّصوير . فتتداعى الصّور في ميوعة فنّية، وتنساب إنسيابا لطيفا. والصّور المقصود إليها هنا تنشأ من المعطى اللّغويّ أي بالألفاظ متعالقةً، منتظمةً على هيْأة مخصوصة، تتجاوز الجملةَ لتمتدّ، وتشمل الخطاب . وتتشكّل الصّور في تشابيه، ومجازات، وآستعارات. ويعدّ ذاك التّعبير المصوّر فيما نعتقد " تَمَظْهرا خالصًا لسلوك قصديّ "[٢٧]، لذا على المتلفّظ المشارك أن يتأوّله، وإن أقرّ أحيانا بأنّ المتكلّم فيما يظنّ لم يخترْ أبسَط الطّرق، وأحسَنها، وأنجعَها حين أراد بلوغ قصده . والصّور الّتي سنتدبّرها مَثلُها مَثلُ الحلم لا رقابة للعقل عليها، ولا حراسةَ للفكر اليقظِ فيها . وسنعثر فيها كما نعثر في الحلم على تماثلات غريبة، طريفة. وسنقف على قدرة عجيبة على الإنفصال عن الواقع الصّارم، وفتح مسارات غير مألوفة. فالصّورة كالحلم، إذ هو" ساحةُ لَعب ومملكةُ العبث "[٢٨] . ولمّا بان أنّ ماقلناه على ما هو، نعالج تلك الصّور الكاشفة عمّا يراه المتكلّم أوعمّا يحلم بأنّه يراه .

10.3917/clini.011.0180. URL : https://www.cairn.info/revue-cliniques-2016-1-page-180.htm ,p.189.

(24) « *Le rêve dans la vie d'un écrivain. Extraits des Journaux d'Henry Bauchau et entretien avec Déborah Gabriel* », Le Coq-héron, 2007/4 (n° 191), p. 11-17. DOI: 10.3917/cohe.191.0011. URL: https://www.cairn.info/revue-le-coq-heron-2007-4-page-11.htm,p.15.

(25) FREUD Sigmund, « *Le poète et l'activité de fantaisie* », p.132.

(26) Ibid, p.132.

(27)Sabrina Parent, *« De « l'effet » en poésie : la théorie de l'évocation de Marc Dominicy* », Acta fabula, vol. 12, n° 9, Notes de lecture, Novembre-Décembre 2011, URL : http://www.fabula.org/acta/document6633.php, page consultée le 10 novembre 2022., p.2.

(28) Chidiac Nayla, « *Écrire, rêver, penser... l'écriture comme médiation thérapeutique* », p.191.

٣-١ تشكّلُ الصّورةِ في الرّؤية الحلم

نحن نعدّ الصّور هاهنا بمثابة مكوّنات حُلم الشّاعر، إذ إنّ ما يراه الرّائي فيما نحن بصدده أشبه بالحلم، فكأنّه بالتّعابير المصوّرة يقول صورَ حلمه، وقد عمل فيها فكرُه، وصاغها صوْغا فنّيا يبيح " تصوّرَ الإستيهام(phantasm)، وإنتاجَه " [٢٩]. فكلّ آدميّ، والذّات الشّاعرة من بني آدم " هوكائنُ اِستيهامات، إذ إنّنا نملك كلّنا خيالاخصيبا، فعّالا، حركيّا "[٣٠].

٣-١-١ قادح الصّورة

مثلما أنّ للحلم قادحًا حُلميًّا "dream catalyst كالمدركات المرئية "[٣١]، فإنّ للصّورة في ملفوظ الشّاعر قادحًا أيضا . ففي قصيدة " أراك " مثّل تأمّلُ المرأة، ورؤيتها، القادحَ لمجموع الصّور الفنّية، يقول :

أراكِ **فأُخلقُ خَلْقًا جدِيدًا / كأنّي لمْ أَبْلُ حَرْبَ الوُجودْ** – المتقارب–

وكذلك الأمر في قصيدة " تحت الغصون " إذ يقول :

وأرى **روحكِ الجميلةَ عِطْرًا / ضَايِعًا فِي حَلاوَةِ التَّلْحِين** – الخفيف–

وقصيدة " صلوات في هيكل الحبّ "، يقول :

يا آبْنَةَ النّورِ، إنَّنِي أنا وَحْدِي / مَنْ ***رأى*** **فِيكِ رَوْعةَ المَعْبُودِ** – الخفيف–

وفي القصيدة الّتي لم يعنونها الشّاعر، مثّل تأمّل الأيّام أوالدّهر القادح فيها، فقال :

أرى **هَيْكلَ الْأيّامِ يَعْلُو، مُشَيَّدا / ولاَ بُدَّ أنْ يأْتيَ عَلى أُسِّه الهَدْمُ** – الطّويل –

أمّا القادح في قصيدة " أبناء الشّيطان "، فهم أولاء الأبناء أي النّاس، يقول :

---

[٢٩] إرتبط لفظ الإستيهام فيما يرى آلان هيريل (Alain Héril) بالمجال الجنسيّ أساسا،لكنّ الّذي يعنينا من ذلك كلّه أنّ " الإستيهام كالحلم لا يمكن التّحكّمُ فيه، ورغم ذلك هويكشف عن أعماقنا، ويقول عنّا قولا مّا، فنحن جميعا كائنات تستهيم " (ص ٩). لذا جعل الباحث عنوان كتابه : **أنـا أستهيم إذن أنـا موجود** . آنظر :

Alain Héril, *JE FANTASME DONC JE SUIS, Ce que nos fantasmes disent de nous*,Paris , Groupe Eyrolles, 2018.

(30) Ibid. p.10.

(31) CHIDIAC Nayla, « *Écrire, rêver, penser… l'écriture comme médiation thérapeutique* », Cliniques, 2016/1 (N° 11), p. 180-201. DOI : 10.3917/clini.011.0180. URL : https://www.cairn.info/revue-cliniques-2016-1-page-180.htm , p.190.

أيُّ ناسٍ هذا الوَرَى ؟ ما *أرَى* / إلاَّ بَرايَا، شَقِيَّةٌ، مَجْنونَهْ —الخفيف—

والنّاس هم القادح في " الدّنيا الميّتة " أيضا، يقول

إنّي *أرى* ...، *فأرَى* جُموعًا جَمَّةً / لكِنّهَا تَحْيَا بلاَ أَلْبَابِ — الكامل —

وفي قصيدة " الجثّة الضّائعة "، يقول :

***وأرى* آبْنَ آدَمَ سَائِرًا فِي رِحْلَةِ العُمُرِ القَصِيرْ** — الكامل —

وما لفت نظرنا في رؤية الشّاعر نزوعها إلى السّرد الوصفيّ التّصويريّ، وعمدت الذّات السّاردة، الرّائية إلى تقنية التّبئير الدّاخليّ[٣٢] . فلا وجود لرؤية من الخلف كما تعوّدنا عليها في الرّواية الواقعية . صحيح أنّ الذّات المتكلّمة توهمنا بأنّها ترى ما هي بصدد حكايته حكايةً تصويريةً، إلاّ أنّها في ما نعتقد تُبحر في أعماقها، وتستبطن ذاتها، فتكشف ما يدور في دواخلها، وتُبين عن رؤيتها لما يُحيط بها، وعن موقف تقفه منه . لعلّ الذّات بصدد تشكيل فلسفتها في الحياة من خلال تلك الصّور . إنّ الّذي تسرده، هوأشبه ب" الحوار الباطني المنقول (monologue- rapporté) "[٣٣] . إذ إنّ الخطاب الذّهنيّ للذّات المتكلّمة، وأفكارها، منقولةٌ عبر تلك الصّور كما هي، لتحلّل نفسية الذّات الرّاوية . ويغلب على هذا الخطاب النّزوع إلى الوصف، لِيمتزج السّرد به، فهما " صنفان بنيويان متفاعلان تفاعلا أبديّا " [٣٤] .

---

[٣٢] التّبئير ثلاثة أنواع : — التّبئير الدّاخليّ، وفيه تتساوى معرفة الرّاوي بمعرفة الشّخصية .

— التّبئير الخارجيّ، حين تكون معرفة الرّاوي أنقص من معرفة الشّخصية .

— التّبئير الصّفر، وتفوق فيه معرفة الرّاوي معرفة الشّخصية . آنظر :

Raphaël Baroni, *Les fonctions de la focalisation et du point de vue dans la dynamique de l'intrigue*», Cahiers de Narratologie [En ligne], 32 | 2017, mis en ligne le 21 décembre 2017, consulté le 07 janvier 2023. URL : http://journals.openedition.org/narratologie/7851 ; DOI : https://doi.org/10.4000/narratologie.7851.. P.4.

[33] Marjorie Sabbatorsi, *De Anthony Trollope, He Knew He Was Right : entre psycho-récit et monologue narrativisé* », Modèles linguistiques [En ligne], 76 | 2017, document 2, mis en ligne le 02 juin 2019, consulté le 08 janvier 2023. URL : http://journals.openedition.org/ml/5221 ; DOI: https://doi.org/10.4000/ml.5221, p.33.

[34] Philipe Hamon, *Introduction à l'analyse du descriptif*, Paris, Hachette, 1981. p.97.

٣-١-١-1 اللّوحات الموصوفة

تعلّق السّرد والوصف بلوحات ترتبط بالنّاس عموما، وبالمرأة خصوصا . ولذا سنركّز عليهما، وعلى مكوّنات اللّوحتين، ثمّ على آليات التّعبير المصوّر فيهما .

٣-١-١-١-1 لوحة النّاس

تبتدئ اللّوحة في قصيدة " الدّنيا الميّتة " بفعل أرى، وتنفتح على آفاق تصويرية، وذلك على النّحوالآتي :

إنّي أرى

فأرى جُموعًا جمَّةً / لكِنّهَا تحْيا بِلا أَلْبابِ – الكامل –

يَدْوِي حوْلهَا الزَّمانُ، كأَنَّما / يَدْوِي حَواليْ جَنْدَلٍ وتُرابِ

وإذا آسْتَجابُوا للزَّمانِ تَناكَرُوا / وتَرَاشَقُوا بالشَّوْكِ والأَحْصابِ

وقَضَوْا علَى رُوحِ الأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ / جَهْلاً وعاشُوا عِيشَةَ الأَغْرابِ

فَرحَتْ بِهِمْ غُولُ التَّعاسةِ والفَنَا / ومَطامِعُ السَّلاَّبِ والغلاَّبِ

وتنغلق اللّوحة الأولى لِتنفتح ثانيةٌ بفعل أرى مرّة أخرى :

وأرى

نُفُوسًا، منْ دُخانٍ، جامِدٍ / مَيْتٍ، كأشباحٍ، وراءَ ضَبابِ

مَوْتَى، نَسُوا شَوْقَ الحَياةِ وعزْمِهَا / وتَحرّكُوا كتَحَرُّكِ الأَنْصَابِ

وخَبَا بِهِمْ لَهَبُ الوُجودِ فَمَا بَقُوا / إلاّ كَمُحْتَرَقٍ منَ الأَخْشابِ

لا قَلْبَ يَقْتَحِمُ الحَياةَ، ولا حِجَىْ / يَسْمُوسُمُوالطَّائِرِ الجَوَابِ

بلْ في التُّرابِ المَيْتِ، في حَزْنِ الثَّرَى / تَنْمُومَشاعِرُهُمْ معَ الأَعْشابِ

وتَموتُ خَامِلَةً، كَزَهْرٍ بائسٍ / يَنْمُوويَذْبَلُ في ظلاَمِ الغَابِ

وفي قصيدة " الجنّة الضّائعة " لوحة أخرى تبتدئ بفعل أرى :

وأرى

آبْنَ آدَمَ سائرًا في رِحْلَةِ العُمُرِ القَصيرْ – الكامل –

ما بَيْنَ أهْوالِ الوُجودِ، وتَحْتَ أَعْباءِ الضَّميرْ

مُتسَلّقًا جَبلَ الحَياةِ الوَعْرِ كالشَّيْخِ الضَّريرْ

دامِي الأَكُفِّ، مُمَزَّقَ الأقْدامِ، مُغْبَرَّ الشّعورْ

مُتَرَنِّحَ الخُطواتِ ما بيْن المَزالِقِ والصُّخورْ

هالَتْهُ أشْباحُ الظّلامِ، ورَاعَهُ صَوْتُ القُبورْ

ودَوِيُّ إعْصارِ الأَسَى، والموْتِ، في تِلْكَ الوُعورْ

يفتح فعل رأى في اللّوحات جميعا بابَ حكايةِ صورٍ ، هي أشبه بصور الأحلام : زمان يدور حول أناس بلا ألباب، يتراشقون بالشّوك، وتفرح بهم غولُ التّعاسة . وفي اللّوحة الثّانية صور أحلام أخرى : نفوس من الدّخان الميّت، تحترق، تنمو مشاعر النّاس في التّراب الميّت، ثمّ تموت . وفي الثّالثة صورُ : إبن آدم في الحياة، يتسلّق جبلها كالشّيخ الأعمى، مترنّحا، مروّعا، خائفا . والّذي يجمع بين هذه الصّور ما يلي :

- أنّ فعل أرى، هو قادح الأفعال والمشتقّات جميعا، أي أنّه النّافذة الّتي أطلّت الذّات منها، ونظرت فرأت، كما أشرنا إلى ذلك آنفا. وذاك على النّحو الآتي :
  - في اللّوحة الأولى : أرى (الزّمان يدْوي حولهم/ تناكر النّاس/ تراشقوا/ قضوْا) .
  - في اللّوحة الثّانية : أرى (ناسا نسوا/ تحرّكوا/ تنمو مشاعرهم/ وتموت/ تذبل).
  - في اللّوحة الثّالثة : أرى (ابن آدم سائرا/ متسلّقا/ دامي/ ممزّقا/ مغبرّ/ هاله/ راعه) .

الّذي يلفت آنتباهنا ها هنا أنّ السّرد يتعلّق بأفعال تسرد أعمال الإنسان مرّة، ويتّصل بمشتقّات تصفه وتتابع حركاته مرّة (إسم فاعل/ صفة مشّبهة/ إسم مفعول). أمّا الأفعال، فبعضُها مسند إلى الإنسان (تراشقوا، قضوا)، وبعضُها إلى متعلّقاتِه، المشتملِ عليها (مشاعرُه)، وأُسند بعضُها إلى كائنات غير منظورة، خرافية (يدوي الزّمان، فرحت غول) . أمّا المشتقّات بأصنافها، فهي صفاتٌ بالأفعال، ولا تكون الصفة " إلّا مأخوذةً من فعلٍ، أو راجعًا إلى معنى الفعل "[٣٥]، وهي دالّة " على بعض أحوال الذّات " [٣٦] (دامي، ممزّق،...)، والصّفة هنا " تَتِمَّةٌ للموصوف، وزيادةٌ في بيانه " [٣٧] . وهي تبيّن هيأة الفاعل أوالمفعول في ما نحن منه بصدد [٣٨].

- أنّ السّرد والوصف يجريان فيها معا. وهما للتّعريف بالنّاس، أفعالِهم وأحوالهِم، وتعيينِهِم من جهة، وللتّعريف بالذّات السّاردة – الواصفة من جهة أخرى : ماذا تحبّ، وماذا تكره، ماذا تستحسن، وماذا تستقبح. وبذاك يتعرّف عليها المتلفّظ المشارك . كذا هو الوصف قائم على ثنائية : إنتقاءٌ / تشكيلٌ (selection-construction)، إنتقاءُ المكوّنات الوصفية، وتشكيلُ وجه (portrait) للموصوف، ووجه للذّات الواصفة .

---

(٣٥) يعيش بن علي بن يعيش، **شرح المفصل للزّمخشري،** قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٣٦) يعيش بن علي بن يعيش، **شرح المفصل للزّمخشري،** ج ٢، ص ٢٣٢ .

(٣٧) **المرجع نفسه،** ج ٢، ص ٢٤٩ .

(٣٨) أبو عمر وجمال الدّين ابن الحاجب، **أمالي ابن الحاجب،** دار عمّار ، الأردن، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩، ج٢، ص ٥٤٦ .

➢ أنّ المتكلّم يحرص بقصْدٍ عادة على أن يولّد في الموصوف له "الإحساس بأنّه يرى " (٣٩)

To give the impression of seeing، والّذي يقوّي هذا الإحساس عادة حِرص المتكلّم على أن يكون الموصوف واضحا (visible)، ثابتا (٤٠) – (statisme stagnation)، وذلك بالتّشابيه . إلاّ أنّ التّشبيهات الّتي نحن بصددها في اللّوحة من قبيل " عيشة الأغراب، وكأنّما يدوي ...، كأشباح، كمحترق، سموالطّائر...لا تمتّ لذلك بصلة، ولا تساعد على توليد ذلك الإحساس . فالنّزعة إلى التّغريب والتّعجيب، نزعة ظاهرة بارزة . صحيح أنّ اللّوحات الموصوفة تتغذّى من تجارب المتكلّم، لكنّه يجعلها شيئا آخر غير متوقّع كما يفعل الحلم تماما .

---

(39) Yves REUTER, *La description en questions , In : La description : Théories, recherches, formation, enseignement* [en ligne]. Villeneuve d'Ascq : Presses universitaires du Septentrion, 1998 (généré le 15 novembre 2022). Disponible sur Internet : <http://books.openedition.org/septentrion/47435>. ISBN : 9782757421918. DOI : https://doi.org/10.4000/books.septentrion.47435.p.35.

(40) Yves REUTER, *La description en questions In : La description : Théories, recherches, formation, enseignement* ,p.38.

ينقل جون ميشال آدم وأندري بوتيجون (Jean-Michel Adam - André Petitjean)، أنّ مدرسة ABC تقترح في الكتيّب عدد ٣، الحامل لعنوان " **فنّ الوصف** "، نصائح في هذا المجال، منها : " أن نُحسن النّظر شرط أساسيّ لِنحسن الوصف " .(ص٩٤) . وترتبط هذه النّصيحة بالتيّار الواقعيّ . وقد نقل الباحثان عن فيليب هامون بعض مقوّمات هذا التيّار، ومنها :

- إنّ العالم ثريّ، متنوّع، زاخر.
- يمكنني بثّ معلومة متعلّقة بالعالم .
- يمكن للّغة أن تنسخ الواقع.
- إنّ اللّغة ثانوية بالنّظر إلى الواقع (هي تعبّر عنه) .
- إنّ السّند (الرّسالة) يجب أن يمّحي .
- يجب على القارئ أن يعتقد أنّ المعلومة الّتي أُقدّمها عن العالم حقيقية .(ص ٩٤، الهامش ٣).

آنظر :

Jean-Michel Adam, Petitjean André , *Les enjeux textuels de la description*, In: Pratiques : linguistique, littérature, didactique, n°34, 1982. Raconter & décrire. pp. 93-117.DOI : https://doi.org/10.3406/prati.1982.1238 www.persee.fr/doc/prati_0338-2389_1982_num_34_1_1238 ,p.94.

- أنّ تلك اللّوحات تقوم على تفريع تصويريّ . فاللّوحة الأولى في " الدّنيا الميّة "، تبدأ من رؤية جموع بلا ألبابٍ، وتتفرّع إلى دويّ الزّمان حولهم، وتناكرهم، وتراشقهم بالشّوك، وقضائهم على روح الأخوّة، وعيشهم عيشة الأغرابِ. وتتحوّل اللّوحة الثّانية من الحياة إلى الممات. فالنّفوس المرئيّة نفوس من دخان، وتتفرّع الرّؤية إلى موتى، فمحترقين، فنفوسا تنمو مشاعرهم في التّراب الميّت . واللاّفت في هذا التّفريع التّصويري أنّه لا يخضع لِنظام يُنبئ بكيفية تطوّر الصّور، ذلك أنّ الشّاعر بإمكانه أن يتنقّل من طريق إلى طريق، ويسير في آتّجاه، ثمّ في آتّجاهٍ آخر[٤١] . إنّه كمَن يروي حلمًا " طبيعتُه غريبة عن منطق الإنسان من ناحية، وعن مبدأ التّسلسل الخطّيّ الّذي يحكم الخطاب السّرديّ من ناحية أخرى "[٤٢].
- أنّ ما يميّز الصّور : هي غرابتها : اِتّسمت تلك اللّوحات – المشاهدُ، بما يتّسم الحلم به، مثل تحوّلاتِ الفضاءات (الحياة مجال الحركة في اللّوحة الأولى، والموت والفناء مجالا الذّبول والبؤس والخمول)، وعبثِ الوضعيات (تداخل وضعية الرّؤية، ووضعية السّماع : فكيف للرّائي أن يرى الزّمان يدوي، وتداخل وضعية الإنسانيّ ووضعية الأسطوريّ، وهل يفرح الغولُ هذا الكائن الخرافيّ الأسطوريّ[٤٣] ؟)

---

[٤١] هذا التّوجّه في آتّجاه، ثمّ في آخر، وغياب نظام يمكّن القارئ من توقّع كيفية تطوّر التّصوير، هومن خصائص التّفريع الإستعاريّ . آنظر :

Philippe Gréa, *Intégration conceptuelle et métaphore filée*, In: Langue française, n°134, 2002. Nouvelles approches de la métaphore, sous la direction de Antoinette Balibar-Mrabti et Mirella Conenna. pp. 109-123.DOI : https://doi.org/10.3406/lfr.2002.6456 , www.persee.fr/doc/lfr_0023-8368_2002_num_134_1_6456. p.122.

[42] « *Le rêve dans la vie d'un écrivain. Extraits des Journaux d'Henry Bauchau et entretien avec Déborah Gabriel* », p.142.

[٤٣] في لسان العرب لآبن منظور " الغُول أَحد الغِيلان، وهي جنس من الشّياطين والجنّ، كانت العرب تزعم أن الغُول في الفَلاة تتراءَى للنّاس فتتَغَوّل تغوّلاً، أَي تتلوَّن تلوّنًا في صُوَر شتَّى، وتَغُولهم أَي تضلّهم عن الطّريق وتهلكهم "، (مادّة غ-و-ل) .

وذكر اِمرؤ القيس الغول في قصيدة مطلعها : ألا عِم صَباحاً أَيُّها الطَّلَلُ البالي / وَهَل يَعِمَن مَن كانَ في العُصُرِ **الخالي**،

فقال : أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي / وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ – الطّويل –

آنظر : **شرح ديوان آمرئ القيس**، تحقيق حسن السّندوبي، ومراجعة أسامة صلاح الدّين منيمة، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٩٠.

٣-١-١- 1-2 لوحة المرأة

ورد فعل أرى مربوطا بالحديث عن المرأة في قصائد " الجمال المنشود "، و" أراكِ"، " تحت الغصون "، و" صلوات في هيكل الحبّ" . وتشكّلت في تلك الملافيظ الشّعرية لوحة المرأة الّتي لم يرها غيرُ المتكلّم وحده . يقول في " صلوات في هيكل الحبّ " :

يا آبْنَةَ النّورِ، إنَّنِي أَنَا وَحْدِي / مَنْ رأَى فِيكِ رَوْعَةَ المَعْبودِ – الخفيف–

الرّوعة ها هنا "كلّ شيء يروعكَ منه جمالٌ وكثرةٌ، تقول راعني فهو رائع "(٤٤) .

فالّذي رأته الذّات هو حلمُها هي(الّذي يدلّ على ذلك تكرار : رأينا). صحيح أنّ النّاس جميعا يحلمون، لكن لكلّ واحد منهم حلمُه الخاصّ الّذي يعثر على تفرّده فيه . والرّؤية في هذا السّياق الّذي نحن فيه كالحلم تماما " إنجازٌ لرغبة الحالم المادّية أو الرّوحية"(٤٥)، وهو عندنا "حنين "(٤٦)،

والغول فيما يرى الجاحظ " اِسم لكلّ شيء من الجنّ يعرض للسّفار ويتلوّن في ضروب الصّور والثياب، ذكرا كان أو أنثى، إلاّ أن أكثر كلامهم على أنّه أنثى "، آنظر : **الحيوان**، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، بيروت، دار إحياء التّراث العربيّ، ج ٦ ص ١٥٨. فلا وجود للغول في الواقع، وليس بإمكانه إذن أن يفرح أويحزن .

(٤٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مادّة ر–و–ع .

(45) Chidiac Nayla, « *Écrire, rêver, penser … l'écriture comme médiation thérapeutique* »,p.182.

(٤٦) يكون الحنين في مُعترف العادة إلى الزّمان الماضي، وإلى الذّكريات، وإلى الأشخاص، وإلى الأماكن بأبنيتها وأحجارها أيضا. ويتسبّب الحنين إذذاك في إحساس بالحزن مأتاه الرّغبة في العودة إلى البلد الأصل . والّذي أبدع هذا اللّفظ طبيب يوهانس هفار (Johannes Hofer)، سنة ١٦٨٨، ما يؤكّد أنّ الحنين عُدّ مرضا . أمّا المرضى فمنهم المهاجرون، طلبةً، وخدمًا، وجنودا ذهبوا إلى الحرب. وهذا ما بيّنته كارسا رنا في بحثها حول الحنين في قصائد فيكتور هيقو.

Kharsa, Rana , *La nostalgie dans la bande dessinée. La représentation du langage nostalgique dans les Poèmes de Victor Hugo en bande dessinée* , Master thesis , in the Leiden University ,The Netherland , 2022 , p.5.

ويكون الحنين فيما نعتقد إلى المستقبل المنشود، المحبوب، المتخيّل . والحنين مرتبط بالخسارة (la perte)، خسارة الوطن الأوّل، وبالقطْع لا الوصل . لكنّ الّذي خسرته الذّات في ملفوظها هي المرأةُ " عذراءُ الجمال والأحلام، وبهاءُ الوجود " . وهو عينُ ما تراه الذّات ها هنا، وتحلم به، وتحنّ إليه . والحنين في اللّوحات كالتّصعيد (sublimation) لما هو مكبوت، وكأنّ مثله مثلُ " الفنّ والحلم تماما إشباعٌ للّرغبة / الدّافع (pulsion – impulse). ولولا ذاك لكُبتا "(ص ١٨٩) . فما تراه الذّات تعويض عن السّائد، وربّما ثورة عليه . آنظر :

وشوق، وتَوَقانٌ إلى صورة للمرأة كما تحلم بها الذّاتُ الواقعةُ بين الإستيهام والواقع . وفيما يلي بعض اللّوحات المتعلّقة بالمرأة . يقول في " الجمال المنشود " مسنِدا الفعْلَ إلى المتكلّم الجمع :

قدْ رأيْنا الشُّعورَ مُنْسَدِلاتٍ / كَلَّلَتْ حُسْنَها صباحُ الْوُرودِ – الخفيف–

ورأيْنا الجُفونَ تَبْسِمُ ..، أوتَحْلُمُ / بالنّورِ، بِالْهَوَى، بِالنَّشِيدِ

ورأيْنا الخُدودَ، ضَرَّجَها السِّحْرُ / فَآهًا مِنْ سِحْرِ تِلْكَ الخُدودِ

ورأَيْنا الشِّفاهَ تَبْسِمُ عنْ دُنْيَا / مِنَ الوَرْدِ، غَضَّةٍ، أُمْلُودِ

ورأيْنَا النُّهُودَ تَهْتَزُّ كالْأَزْهارِ / في نَشْوَةِ الشَّبابِ السَّعِيدِ

والّذي نلاحظه في اللّوحة مايلي :

- اِقترنت الرَّأية بالحلم كما نرى، ما يدعم القول بأنّ الذّات المتلفّظة في موضع، هو أقربّ إلى الحلم منه إلى اليقظة . ولذا ورد المشهد مكلّلا بالحُسن، والبسمة، ساحرا، أخّاذا، لا تشوبه شائبة . وتبدّت الذّات منتشية، منشرحة، " مرتخية (relaxed–détendue) " [٤٧]. وتضّخمت أناها وتعاظمت، وآستحالت **نحن** (we – nous) [٤٨]، كأنّ المتلفّظ يتغنّى بأحلامه ويُمجّدها، وهو إنّما يتغنّى بالمرأةِ الحلمِ .
- آفتُتحت البيوت في اللّوحة بفعل " رأيْنا"، ما شكّل تماثلَ البدايات القائمَ على التّكرار . والتّماثل هنا كأنّه القوافي، إلاّ أنّها في البدايات لا في النّهايات، وهو إجراءٌ أسلوبيّ " يُحسّن، ويبرز للعيان، ويُعبّر عن الأحاسيس كالبهجة والحزن والسّخط، تعبيرا غنائيا" [٤٩]. ويُقحم هذا الإجراءُ إيقاعا وموسيقى في هذا الخطاب. ويلي كلّ تكرار في

Chidiac Nayla, « *Écrire, rêver, penser … l'écriture comme médiation thérapeutique* », p.189.

[47] Chidiac Nayla, « *Écrire, rêver, penser … l'écriture comme médiation thérapeutique* »,p.190.

[48] — le "nous de majesté" : substitut pur et simple du "je", In , Dominique Labbé. *Le "nous" du général de Gaulle.* Quaderni di studi linguistici, 1998, 4/5, pp.331- 354. ffhalshs-00675362f,p.4.

[49] The figure magnifies and emphasizes; it provides a lyrical expression for feelings

like joy, sorrow or indignation.

البدايـة، إسـناد جديـد، أي مسـند ومعنـاه " الحـديث والخبـر "(٥٠)، ومسـند إليـه وهـو " المحدّث عنه " (٥١) . ففي كلّ ملفوظ خبر / إخبارٌ لا يماثل السّابق، ولا يضارعه كما كما هو بائن هنا :

ورأينا → الشّعورُ منسدلات.
→ الجفونُ تبْسم .
→ الخدودُ ضرّجها السّحرُ.
→ الشّفاهُ تبسم .
→ النّهودُ تهتزّ.

ففي التّماثل تغاير، وفي الوحدة تنوّع ، وفي الواحد كثرة. إنّ تماثل البدايات فيما نرى يدلّ على الصّلة الوثيقة بين التّكرار والتّصوير، إذ إنّ المتكلّم " اِختار أن يرسم رسما واضحا بيّنا، صورًا وخطاطـاتٍ خطابية، تُلاحظ وتُدرك، وتحفظها الذّاكرة لوضـوحها " (٥٢). وقال أيضـا فـي قصيدة " أراكِ" :

In, COTTE Pierre, « *On Anaphora* », Études anglaises, 2011/3 (Vol. 64), p. 357-368. DOI : 10.3917/etan.643.0357. URL : https://www.cairn.info/revue-etudes-anglaises-2011-3-page-357.htm,p.359.

(٥٠) يتداول على محلّيْ المسند والمسند إليه : " فاعل وفعل : كقولك: " قام زيد " و" ينطلق عمرو " واِسم وخبر : كقولك:
" زيد قائم " و" إنّ عمرا منطلق "، فالفعل حديث عن الفاعل، والخبر حديث عن الاِسم، فالمسند هو الفعل، وهو خبر الاِسم، والمسند إليه هو الفاعل، وهو الاِسم المخبر عنه ".
آنظر : أبوسعيد السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق : أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨، ج ١، ص ١٧٣ .

(٥١) **المرجع نفسه**، الصّفحة نفسها .

(52) Le locuteur répète à l'identique, non parce qu'il n'a pas le choix, mais bien au contraire parce qu'il choisit de dessiner, avec une netteté inégalable, des figures, soit des schèmes discursifs d'une remarquable et surtout mémorable visibilité.

In , Emmanuelle Prak-Derrington , *Les figures de syntaxe de la répétition revisitées* , Le Discours et la Langue Revue de linguistique française et d'analyse du discours, Editions modulaires européennes, 2015, Répétitions et genres, 7.2, pp.39-57. halshs-01249307, pp.43-44.

أَراكِ فَتَحْلولَدَيَّ الحَيَاةُ / ويملأُ نَفْسِي صَبَاحُ الأَملْ – المتقارب–

وتَنْمُو بِصَدْرِي وُرُودٌ عِذابٌ / وَتَحْنُو علَى قلْبِيَ المُشْتَعِلْ

ويَفْتِنُني فِيكِ فَيْضُ الحَيَاةِ / وذاكَ الشَّبابُ الوَدِيعُ الثَّمِلْ

ويفْتِنُني سِحْرُ تِلْكَ الشِّفاهْ / تُرَفْرِفُ مِنْ حَوْلِهنَّ القُبَلْ

فأَعبُدُ فِيكِ جمالَ السَّماءِ / ورقَّةَ وَرْدِ الرَّبِيعِ الخَضِلْ

•

أَراكِ فأُخْلَقُ خَلْقاً جديداً / كأنِّيَ لمْ أَبْلُ حَربَ الوُجُودْ

ولمْ أَحْتَمِلْ فِيه عِبْئاً ثَقِيلاً[هكذا] / من الذِّكْرَياتِ التي لا تَبيدْ

وأَضْغاثِ أَيَّاميَ الغابِراتِ / وفِيها الشَّقِيُّ وفيها السَّعِيدْ

ويغْمُرُ رُوحِي ضِياءٌ رَفِيقٌ / تُكلِّلُهُ رائِعاتُ الوُرُودْ

وتُسْمِعُني هاتِهِ الكائِناتُ / رقِيقَ الأَغانِي وحُلْو النَّشيدْ

وتَرْقُصُ حَوْلي أَمانٍ طِرابٌ / وأَفْراحُ عُمْرٍ خَلِيٍّ سَعِيدْ

•

أَراكِ فتَخْفُقُ أَعْصابُ قَلْبِي / وتَهْتَزُّ مِثْلَ آهْتِزازِ الوَتَرْ

ويُجْرِي عَلَيْها الهَوَى في حُنُو/ أَنامِلَ لُدْناً كرَطْبِ الزَّهَرْ

فتخْطو أَناشِيدُ قلْبيَ سَكْرى / تُغَرِّدُ تَحْتَ ظِلالِ القَمَرْ

وتملأُني نَشْوةٌ لاَ تُحَدّ / كأَنِّيَ أَصْبَحْتُ فوْقَ البَشَرْ

أَودُّ بِرُوحي عِناقَ الوُجُودِ / بما فِيهِ مِنْ أَنْفُسٍ أَو شَجَرْ

ولَيْلٍ يَفِرُّ وفَجْرٍ يَكَرُّ / وغَيْمٍ يُوَشِّي رِداءَ السِّحَرْ

في القصيدة كما نرى ثلاث لوحات أوثلاثة مشاهد [٥٣]. ويفتتح المشاهدَ فعل أراكِ في كلّ مرّة، ويقدح الصّور، فإذْ هوسببُها وعلّتُها، والّذي يدلّ على ما تقدّم فاء السّببية الّتي تعقد الجملة

[٥٣] اِرتبط لفظ المشهد في الثّقافة الغربية بالمسرح، وكان يعني مشهدا من المسرح، ثمّ عَنَى جزءا من مسرحية، فبناءً من خشب تُقدَّم فيه المسرحية XVI e siècle. Emprunté du latin scaena, « scène d'un théâtre, théâtre », puis « partie d'une pièce, scène », lui–

الأخيرة بـالأولى، فتجعلهما جملـة واحدة (أراك : فتحلـو/ فأُخلق / فتخفق) . وتوافق الفعل مـع التّفعيلة (أراكِ / فعولُ) في وحدة موقّعة تُحدث الوقع في السّامع، وتُلحّ على منزلة الفعل السّنيّة فـي المشـهد .ومثّـل الفعـل وسـيلة الـذّات الحالمـة للاِنطـلاق نحوعوالم سـاحرة، تتميّـز بالحركيـة، والحيويـة، والغرابـة، والعجائبيـة أيضـا، وبنـزوع إلـى التّعبيـر المصـوّر شـأنها فـي ذلـك شـأن كـلّ اللّوحات السّابقة . غير أنّنا سنقف وقفتين اِثنتين على ما لفت آنتباهنا في القصيدة : أولاها لمسرحَة اللّوحة، والثّانية للتّعابير المصوّرة.

أ – مَسْرَحَةُ اللّوحة

نعني بالمسرحة (la théâtralité – theatricality) [٥٤] تحوّل اللّوحة في القصيدة إلى ما يشبه المشـهد في المسرح، لأنّنا بإزاء مسرحة خارج المسرح . والّذي يُميّز هذا المشهد تقنيـة تشكيل الفضاء القائمة على الاِنطلاق من الخارج نحو الدّاخل، أي من المادّي إلى النّفسيّ : أراكِ (**فتحلوالحياة** / ويملأ **نفسي** / **فأُخلق** / **فتخفق أعصاب قلبي**) . هي أفعالٌ مجالها النّفس، والباطن لا الظّـاهر . إذ ينظـر المـتكلّم إلـى الموجـود، فيراه علـى الهيأة الّتـي يحلـم بهـا، وتتولّـد الأحاسيس والمشـاعر فيـه تولّدا الواحد تلوالآخر، وتنسـاب الصّـور اِنسيابا . وبالتّوازي مـع ذلـك تتشكّل الذّات في المشـهد لا خارجه، بمكوّناته الحيّة المتحرّكة الّتي تخيّلتْها، وعكست رغباتها، وهواجسها كما يعكسها الحُلم تماما . وتتجلّى في اللّوحات ثنائية الواقع/ الخيال، وهوزوج من آثار المسرحة، ويقوم المسرح عليه ضمنيّا [٥٥]. فالمشهد الّذي في اللّوحات لا يُشبه المشاهد الّتي في المسرح لأنّه " لايجمع بين ناظر ومنظور إليه في زمان ومكان معيّنين " [٥٦]. فنحن ننظر

même emprunté du grec skênê, « cabane, hutte, tente », puis « construction en bois où l’on jouait les pièces de théâtre ; scène ».

آنظر :

Dictionnaire de l’Académie française, 9e édition (actuelle).

[٥٤] للتّوسّع في تاريخ لفظ المسرحة la théâtralité، آنظر :

Laure Fernandez, *Théâtralité et arts visuels : le paradoxe du spectateur. Autour « The World as a Stage » et « Un teatre sense teatre »* , Marges [Online], 10 | 2010, Online since 15 April 2010, connection on 26 November 2022. URL: http://journals.openedition.org/marges/490; DOI: https://doi.org/10.4000/marges.490 ,pp.26-30.

[٥٥] يتجلّى الواقع في عالم المتفرّجين الجالسين في المسرح، بينما العالم الخياليّ متحقّق على الرّكح الّذي يتحـرّك عليـه الممثّـون. إلاّ أنّ مـا تقدّم لا يعنـي اِنعدام التّواصـل بـين المتفـرّج والممثّـل رغـم آخـتلاف عالميهما .

[56] Laure Fernandez, *Théâtralité et arts visuels : le paradoxe du spectateur.*

إلى الخطو لأنّه من الواقع لكنّ خطو الأناشيد من الخيال لا يُنظر إليه، واللّيل محسوس، لكنّ فرار اللّيل غير محسوس، ولا يُنظر إليه لأنّه من الخيال . هو مشهد يتألّف من العلامات والأحاسيس، غايته " الإغواء / الإغراء la séduction "[٥٧]، ولا غواية دون وجود الغاوي والمغويّ، ولا إغراء بلا مُغرٍ ومُغرًى . إنّهما فيما نحن فيه المتكلّم الشّاعر الحالم المغري، و" السّامع الفنّان " [٥٨] المغرى به. وورد فعل أرى في صيغة المضارع مثلهُ مَثَلُ سائر أفعال اللّوحة . والمضارع ها هنا للحال في أغلب الإستعمالات إن لم نقل كلّها (بآستثناء – لم أحتمل – لنفي وقوع الحدث في الزّمان الماضي). والمقصود به أنّه زمان قد بدأ عند النّطق بالفعل، وسينتهي بعد النّطق، فهو حاضر التلفّظ . وهو بين الماضي والمستقبل لذا تُصرّ " الذّاتُ الخِطابية " [٥٩] كما يسمّيها جوليان قريماس(Julien Greimas) على دوامه وديمومته لِيعيش السّامع لحظة الحال، ويعايش رؤية المتلفّظ، ويرى ما يراه أو لِنقل يحلم كما يحلم هو.

ب – التّعبير المصوّر

توسّلت الذّات المتلفّظة لِتصوير ما تراه وتحلم به بالتّشابيه، والمجازات، والإستعارات . وتضمّنت الصّورُ كلَّ ما هبّ، ودبّ من العناصر الإنسانية والحيوانية، والجامدة والمتحرّكة، والعاقلة وغير العاقلة ... حتّى كأنّنا بإزاء حلمٍ زمانُه ومكانُه لا صلة لهما بالزّمان والمكان المألوفين . وليست التّعابير المصوّرة حكرا على لوحة المرأة، بل هي تشمل لوحة النّاس أيضا.

Autour « The World as a Stage » et « Un teatre sense teatre » ,p.32.

(57) Jacques GOETSCHEL, *Théâtralité hors théâtre : pour lire Nietzsche* , Les Études philosophiques, 2005/2 (n° 73), p. 145-182. DOI : 10.3917/leph.052.0145. URL : https://www.cairn.info/revue-les-etudes-philosophiques-2005-2-page-145.htm,p.151.

(٥٨) نستعير هذه العبارة من نيتشة (وأوردها جاك قوتشال)، وهويشير بها إلى حقيقة تتعلّق بالمسرح، إذ إنّه لا يقوم على النّظر وحده، ولا يجمع ناظرا متفرّجا، ومنظورا إليه ممثّلا فقط، بل يتطلّب سامعا أيضا. آنظر :

Jacques GOETSCHEL, *Théâtralité hors théâtre : pour lire Nietzsche*, p.153.

(٥٩) المقصود بالذّات الخطابية (sujet discursif) تلك الّتي مجالها الخطاب، وهي أصله وعلّته، وتتشكّل في طور القراءة، وأثناءها لا قبلها .آنظر :

Pierre VAN DEN HEUVEL,. *Le rôle des déictiques dans la constitution du sujet In : Voix, Traces, Avènement : L'écriture et son sujet* [en ligne]. Caen : Presses universitaires de Caen, 1999 (généré le 27 novembre 2022). Disponible sur Internet <http://books.openedition.org/puc/9927>. ISBN : 9782841337989. DOI https://doi.org/10.4000/books.puc.9927.p.129.

واللاّفت في الصّور نزوعها إلى المجاز والإستعارة أكثر من التّشبيه (جبلُ الحياة، صوت القبور، دويّ إعصار الأسى، ترقص حولي أمانٍ ...). فرواية ما يحدث في داخل الذّات المتكلّمة تُضارع رواية الحلم، إذ إنّهما يُنتجان " أثر التّغريب (the strangeness effect) "(٦٠) .
فبواسطة المجاز والإستعارة، ألغى الشّاعر الفروق بين الموجودات والأشياء وأسقطها، وتناسى ما يفرّق بينها من خاصّيات ومميّزات (٦١) في فعل التلفّظ الآن وهنا . هكذا : خفقت الأعصاب، وخطت الأناشيد، وفرّ اللّيل، وكرّ الفجر (قصيدة أراكِ). وفاجأ المتكلّم السّامع / القارئ بالسّرد وبالوصف، وحملهما على الإنتباه إلى الرّوابط الخفيّة بين الألفاظ . وتمكّن من إثراء اللّوحة، لا " بتمثيل الواقع، بل بتحويله، وحتّى بتشويهه "(٦٢)، وذلك بفضل قدرة المجاز والإستعارة على الإيحاء، لا الإخبار فقط. وإذا ما آعتبرنا أنّ ما يراه المتلفّظ ليس له وجود إلاّ في رؤياه هو، فإنّنا نعتبر هذا الضّرب من التّعبير المصوّر بابا مفتوحا على الإبداع ينقل لنا صورَ الحلم . وينظّمها فكرٌ واعٍ، يعمل على أن ينخرط السّامع في التّخييل الشّبيه بالحلم، ذلك أنّ علوم الأعصاب أثبتت أنّ " الحلم يقوم على حدثانٍ تصويريّ، وإخراج صوريّ للرّغبات والذّكريات "(٦٣). إنّ الّذي نحن بصدده تفكيرٌ بالصّور. ويحكم ذاك التّفكيرَ مبدأ تداعي الصّور، وتناسلها تناسلا لطيفا، وآنسيابها اِنسيابا رشيقا . يقول في أراكِ :

---

(60) Dupont Françoise –Carmignani, *Fonction romanesque du récit de rêve : l'exemple d'À rebours*, In: Littérature, n°43, 1981. Fantasmes, fiction. pp. 57-74.
DOI : https://doi.org/10.3406/litt.1981.1350 , www.persee.fr/doc/litt_0047-4800_1981_num_43_3_1350 ,P.65.

(٦١) هذا التّناسي والإلغاء مبدآن ورد الإلماع إليهما في مقال لِجون روباررِكوتوملا (Jean Robert RAKOTOMALALA) حيث تحدّث عن مقاربةِ بعضهم للمجاز على أنّه نظرية التّجميع / الجمع، إذ يمكننا " فهم عدّة أشياء في وقت واحد، وهو ضرب من الرّفض للكلام اللاّ منتهِي، بإنشاء قسم يمكّن من جعل اللاّمتماثل متماثلا، وذلك وَفق مبدأ النّسيان لِفريديريك نيتشة (Friedrich Nietzsche). فهو يرى بأنّ كلّ مفهوم ناشئ من مقارنة بين أشياء غير متوازية / متوازنة . فممّا لا شكّ فيه أنّ الورقةَ لا تساوي ورقةً أخرى تمام المساواة، وممّا لا شكّ فيه أيضا أنّ مفهوم الورقة يتشكّل إذا ما أسقطنا بصفة اِعتباطية تلك الإختلافات الفردية وتناسينا العنصر المميّز . آنظر :
Jean Robert Rakotomala, *La synecdoque ou l'essence du langage*, 2021. ffhal-03202370,P.3.

(62) Johan Faerber, Sylvie Loignon, *Les procédés littéraires. De allégorie à zeugme*, Armand Colin, 2018, p.153.

(63) Annie PIBAROT, *La présence du rêve dans les journaux personnels d'Henry Bauchau*, p.142.

أَراكِ فَتَحْلُو لَدَيَّ الحَيَاةُ / ويَمْلأُ نَفْسِي صَبَاحُ الأَمَلْ – المتقارب –

وتنْمو بصدْري وُرُودٌ عِذابٌ / وتحْنو على قلبيَ المشْتَعِلْ

ويفْتِنُني فيكِ فَيْضُ الحَيَاةِ / وذاك الشَّبابُ الوَديعُ الثَّمِلْ

ويفْتِنُني سِحْرُ تِلْكَ الشِّفاهْ / ترفْرِفُ مِنْ حَوْلِهنَّ القُبَلْ

يفتتح اللّوحة فعل أراك ثمّ تتوالد الصّور تباعا على مدى البيوت، وتتوسّع " لِتُشكّل لوحة موحّدة " [٦٤]: يملأ نفسي صباح الأمل/ تنمو بصدري ورود عذاب/ وتحنو على قلبي المشتعل/ يفتتني ذاك الشّباب الوديع الثّمل / ترفرف من حولهنّ القبل . وقد تتداعى الصّور، على مدى بيت واحد فتضيق: يقول في " الجنّة الضّائعة " :

وأرى ابْنَ آدمَ سائِرًا في رِحْلَةِ العُمُرِ القَصِيرْ

مُتَسلِّقًا جَبلَ الحَياةِ الوَعْرِ، كالشَّيْخِ الضَّرِيرْ

فقد آستعار للحياة الجبلَ لِيتسلّقه الإنسان تسلّقا كالشّيخ الضّرير . والّذي يَلفتنا أنّ الصّور تتطوّر بتكثيف الألفاظ، وتنويعها، والبحث عن المترادفات، من ذلك قوله :

أَراكِ فتخْفُقُ أَعصابُ قلْبي / وتهْتزُّ مِثْلَ آهْتزازِ الوَتَرْ

بين الخفقان والاِهتزاز قرابةُ الاِضطراب والحركة، وقد وردا متداعييْن، وعلى المجاز لا على الحقيقة [٦٥] . وبواسطة الاِشتقاق وتشقيق اللّغة، ضمّن المتكلّمُ المجاز تشبيها (تهتزّ أعصاب قلبي مثل آهتزاز الوتر) .

إنّ منزلة الصّور ها هنا كمنزلتها في الحلم، إذ إنّها صيغة تواصلية تصل بين المتلفّظ " الحالم "، والمتلفّظ المشارك . وتثبت أنّ الشّاعر يفكّر ويحلم، ويترك المجال لعقله حتّى

---

[64] Guillaume Peynet. *Métaphore et pensée dans l'oeuvre de Victor Hugo* (1852-1864). Littératures. Le Mans Université, 2021. Français. NNT: 2021LEMA3002, tel-03279696,p.736.

[٦٥] **الهزّ** : تحريك الشّيء كما تهزّ القناة فتضطرب وتهتزّ، وهزّه يهزّه هزّا وهزّ به وهزّزه . وفي التّنزيل العزيز : وهزّي إليك بجذع النّخلة؛ أي حرّكي . والعرب تقول : هزّه وهزّ به إذا حرّكه . و**خفق** : خفق : الخفق : اِضطراب الشّيء العريض. يقال : راياتهم تخفق وتختفق، وتسمّى الأعلام الخوافق والخافقات . ابن سيده : خفق الفؤاد والبرق والسّيف والرّاية والرّيح ونحوها يخفق ويخفق خفقا وخفوقا وخفقانا وأخفق وآختفق، كلّه : اضطرب. آنظر :

ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ١٩٩٧، مادّتا : خفق – هزز .

" يُعربد vagabonder – wander " (٦٦). هكذا يكتب المجاز والاِستعارة فكرَ المتكلّم المتعلّق بالإنسان عموما، وبالمرأة خصوصا، وبما يرتبط بهما من مواقف تمتّ بصلة إلى الجميل والقبيح، والحَسن والسّيئ، والحقّ والباطل، كتابةً تصويريةً، ويسهمان في بلورة ذاك الفكر، والتّعبير عنه، والاِحتجاج له.

الخاتمة

أمّا بعد، فقد ثبت في ذهوننا بعد رصدنا لكيفية حضور الذّات الرّائية في ملفوظها، أنّها ذاتٌ حالمةٌ . وحلمُها هو فيما نعتقد حنينٌ إلى الخير، والمحبّة، والألفة، والطّهارة ... وتُشكّل تلك القيم والمثُل رؤية الذّات للحياة، وفلسفتها في الوجود . وتعلّقت الرّؤية بالحياة والموت والإنسان . وبدت الذّات الرّائية الحالمة، حرّةً تمارس حرّيتها في العبارة عن رؤياها أو حلمها . فقد تحرّرت من الرّقابة عند الكتابة، كما يتحرّر مَن يحلم في حلمه منها. لذا وردت الصّور عجيبة، غريبة، منسّقة، مكتنزة بالرّموز، قابلة للتّأويل. حتّى وقر في ذهوننا أنّه بقدر ما تكون الرّقابة قاسية في الكتابة، يكون التّنكّر لها تنكّرا تامّا. وتأتي وسائل آقتياد القارئ إلى المعاني المقصودة في صور أشدّ إبداعا، وعبقرية . كذا هي الرّؤيةُ الحلمُ في ملفوظ الشّاعر حركية، ليّنة، عبقرية، لأنّ الحلم عند الرّومنطقيين منوال ومصدر إلهام. هو فلِم لا يكون الحلم الطّريق المباشرة المؤدّية إلى خفايا الحدثان الإنشائيّ ؟ ألا ليس الحلمُ رؤية أدبية؟ لذا نحن نعتقد أنّه من غير الممكن أن نقتطع الحلم من سياقه، ولا مناص من أن نُعطي للحلم بُعده الأدبيّ والنّصّي التّحليليّ .

(66) Chidiac Nayla, « *Écrire, rêver, penser … l'écriture comme médiation thérapeutique* », p.١٩٢.

تجلّت العربدة تجلّيا واضحا في المجاز وفي الاِستعارة . فآستعاراتُ الذّات المتكلّمة ومجازاُتها لا تلتزم بما أشار إليه أبوهلال العسكريّ مثلا . وشَرْح ذلك في ما نقدّر أنّ الاِستعارة لا تقابلها حقيقةٌ، " هي أصل الدّلالة على المعنى في اللّغة " (٢٧٠) . وهي لا تشرح المعنى، ولا تُبين عنه (٢٦٨)، وإنّما تَعَوّضُه . ولا معنى مشترك فيها بين المستعار والمستعار منه (ص ٢٧١)، فأيّ علاقة بين الجبل والحياة حتّى يستعيره الشّاعر لها في قصيدة الجنّة الضّائعة ؟

للتّوسّع في باب المجاز والاِستعارة، آنظر:

أبو هلال العسكريّ، **كتاب الصّناعتين : الكتابة والشّعر**، تحقيق :على محمّد البجاوي ومحمّد أبوالفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٥٢ .

المصادر والمراجع:

المصدر

الشّابي أبو القاسم، **ديوان أبي القاسم الشّابي ورسائله،** قدّم له وشرحه مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٩٤.

شرح ديوان آمرئ القيس، تحقيق حسن السّندوبي، ومراجعة أسامة صلاح الدّين منيمة، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٩٠.

المراجع باللّسان العربيّ

ا

ابن الحاجب أبو عمر وجمال الدّين، **أمالي ابن الحاجب**، دار عمّار ، الأردن، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩ .

ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه،** تحقيق : محمّد محيي الدّين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١ .

ج

الجاحظ عمر وبن بحر، **الحيوان،** تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، بيروت، دار إحياء التّراث العربيّ ١٩٦٩ .

س

السّيرافي أبو سعيد، **شرح كتاب سيبويه،** تحقيق : أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨ .

ع

العسكريّ أبوهلال، **كتاب الصّناعتين : الكتابة والشّعر،** تحقيق :علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٥٢ .

ي

يعيش بن علي بن يعيش، **شرح المفصل للزّمخشري،** قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.

المعجم

ابن منظور، **لسان العرب،** بيروت، دار صادر، ١٩٩٧ .

المراجع باللّسان الأعجميّ

A

Adam Jean-Michel, Petitjean André , *Les enjeux textuels de la description,* In: Pratiques : linguistique, littérature, didactique, n°34, 1982. Raconter & décrire. pp. 93-117.DOI : https://doi.org/10.3406/prati.1982.1238,www.persee.fr/doc/prati_0338-2389_1982_num_34_1_1238 .

Amossy Ruth, *L'argumentation dans le discours*, Paris, Armand Colin, 2021.

André, Emmanuelle ; *Logique d'images. Du rêve, des sommeils et de l'art, In : Rêve et cinéma : Mouvances théoriques autour d'un champ créatif* [en ligne]. Nanterre : Presses universitaires de Paris Nanterre, 2012 (généré le 08 janvier 2023). Disponible sur Internet : <http://books.openedition.org/pupo/3519>. ISBN : 9782821850910. DOI : https://doi.org/10.4000/books.pupo.3519. p.263

B

Baroni Raphaël, *Les fonctions de la focalisation et du point de vue dans la dynamique de l'intrigue », Cahiers de Narratologie* [En ligne], 32 | 2017, mis en ligne le 21 décembre 2017, consulté le 07 janvier 2023. URL : http://journals.openedition.org/narratologie/7851 ; DOI : https://doi.org/10.4000/narratologie.7851.

C

Carmignani-Dupont Françoise, *Fonction romanesque du récit de rêve : l'exemple d'À rebours*. In: Littérature, n°43, 1981. Fantasmes, fiction. pp. 57-74. DOI:https://doi.org/10.3406/litt.1981.1350 www.persee.fr/doc/litt_0047-4800_1981_num_43_3_1350.

Chidiac Nayla , *Écrire, rêver, penser ... l'écriture comme médiation thérapeutique* , Cliniques, 2016/1 (N° 11), p. 180-201. DOI : 10.3917/clini.011.0180. URL : https://www.cairn.info/revue-cliniques-2016-1-page-180.htm.

COTTE Pierre, *On Anaphora* , Études anglaises, 2011/3 (Vol. 64), p. 357-368. DOI : 10.3917/etan.643.0357. URL : https://www.cairn.info/revue-etudes-anglaises-2011-3-page-357.htm.

D

De Palma Maria Teresa, *Dormir, transcrire, créer : le rêve littéraire à travers les genres, les domaines et les époques* , In, RILUNE — Revue des littératures européennes, no 12, Dormir, transcrire, créer : le rêve littéraire à travers les genres, les domaines et les époques(Mirta Cimmino, Maria Teresa De Palma, Isabella Del Monte, éds.), 2018, (version en ligne, www.rilune.org., p. I-XVI.

De Sousa Melo, Candida Jaci , *Le rôle de l'intentionnalité dans la pensée conceptuelle* , Thèse. Montréal (Québec, Canada), Université du Québec à Montréal, Doctorat en philosophie.2006.

Emmanuelle André, *Logique d'images. Du rêve, des sommeils et de l'art*, In : Rêve et cinéma : Mouvances théoriques autour d'un champ créatif [en ligne]. Nanterre : Presses universitaires de Paris Nanterre, 2012 (généré le 07 novembre 2022). Disponible sur Internet : <http://books.openedition.org/pupo/3519>. ISBN : 9782821850910. DOI : https://doi.org/10.4000/books.pupo.3519.

F

Faerber Johan, Sylvie Loignon, *Les procédés littéraires. De allégorie à zeugme*, Armand Colin, 2018.

Fernandez Laure, *Théâtralité et arts visuels : le paradoxe du spectateur. Autour « The World as a Stage » et « Un teatre sense teatre » ,* Marges [Online], 10 | 2010, Online since 15 April 2010, connection on 26 November 2022. URL: http://journals.openedition.org/marges/490; DOI: https://doi.org/10.4000/marges.490 ,pp.26-30 .

FREUD Sigmund, *Le poète et l'activité de fantaisie* , Revue française de psychosomatique, 2014/2 (n° 46), p. 131-140. DOI : 10.3917/rfps.046.0131. URL : https://www.cairn.info/revue-francaise-de-psychosomatique-2014-2-page-131.htm.

G

GOETSCHEL Jacques, *Théâtralité hors théâtre : pour lire Nietzsche* , Les Études philosophiques, 2005/2 (n° 73), p. 145-182. DOI : 10.3917/leph.052.0145. URL : https://www.cairn.info/revue-les-etudes-philosophiques-2005-2-page-145.htm.

Gonçalves João Batista Costa, *The Concept of the Ethos of the Enunciator in the Work Em Busca do Sentido: Estudos Discursivos* [In Search of Meaning: Discursive Studies] by J. L. Fiorin / O conceito de ethos do enunciador na obra Em busca do sentido: estudos discursivos, de J. L. Fiori , Bakhtiniana, São Paulo, 10 (3): 71-88, Sept./Dec. 2015.

H

Hamon Philipe, *Introduction à l'analyse du descriptif*, Paris, Hachette, 1981.

Héril Alain, *JE FANTASME DONC JE SUIS, Ce que nos fantasmes disent de nous,Paris* , Groupe Eyrolles, 2018.

J

Jacques Francis, *Dialogiques. Recherches logiques sur le dialogue*, Presses Universitaires de France ,1979.

K

Kharsa, Rana , *La nostalgie dans la bande dessinée. La représentation du langage nostalgique dans les Poèmes de Victor Hugo en bande dessinée* , Master thesis , in the Leiden University,The Netherland , 2022 .

Kubota Mika, *A Cognitive Linguistic Analysis of Visual Perception Verbs in Natural Language — With Special Reference to English Verbs "Look" and "See"* —, (Doctoral Dissertation), Language and Cultural Studies, Foreign Studies Research Division, Graduate School, Kansai Gaidai University, 2016.

L

Labbé Dominique. *Le "nous" du général de Gaulle*. Quaderni di studi linguistici, 1998, 4/5, pp.331-354. ffhalshs-00675362f.

Le rêve dans la vie d'un écrivain. Extraits des Journaux d'Henry Bauchau et entretien avec *Déborah Gabriel* », Le Coq-héron, 2007/4 (n° 191), p. 11-17. DOI: 10.3917/cohe.191.0011. URL: https://www.cairn.info/revue-le-coq-heron-2007-4-page-11.htm.

Lee Yi-Pei, *La poétique du "bizarre" et de "la surprise" dans la prose d'imagination de Guillaume Apollinaire,* Littératures. Université Sorbonne Paris Cité, 2016. Français. ffNNT : 2016USPCA040ff. fftel-01539432.

O

Ozouf Corinne , *Caractère différentiel et relation d'équivalence entre VOIR et REGARDER*., Cahiers du CRISCO (Univ. Caen), CRISCO, 2004, pp.2-25. ffhal-01870501f.

P

Parent Sabrina, *De « l'effet » en poésie : la théorie de l'évocation de Marc Dominicy* , Acta fabula, vol. 12, n° 9, Notes de lecture, Novembre-Décembre 2011, URL : http://www.fabula.org/acta/document6633.php, page consultée le 10 novembre 2022.

Peynet Guillaume , *Métaphore et pensée dans l'oeuvre de Victor Hugo (1852-1864).* Littératures. Le Mans Université, 2021. Français. NNT: 2021LEMA3002, tel-03279696.

Philippe Gréa, *Intégration conceptuelle et métaphore filée*, In: Langue française, n°134, 2002. Nouvelles approches de la métaphore, sous la direction de Antoinette Balibar-Mrabti et Mirella Conenna. pp. 109-123.DOI : https://doi.org/10.3406/lfr.2002.6456 , www.persee.fr/doc/lfr_0023-8368_2002_num_134_1_6456.

PIBAROT Annie, *La présence du rêve dans les journaux personnels d'Henry Bauchau*, Revue internationale Henry Bauchau. L'écriture à l'écoute – n°5 – 2013.

Prak-Derrington Emmanuelle, *Les figures de syntaxe de la répétition revisitées* , Le Discours et la Langue Revue de linguistique française et d'analyse du discours, Editions modulaires européennes, 2015, Répétitions et genres, 7.2, pp.39-57. halshs-01249307

R

Rakotomala Jean Robert, *La synecdoque ou l'essence du langage*, 2021. ffhal-03202370 .

Ramond Charles*, Récits et images du rêve. Le Rêve entre Science et Philosophie,* Université de Paris1, organisé par Christiane CHAUVIRÉ, Sep 2002, Paris, France. Ffhalshs-00671824ff.

REUTER Yves, *La description en questions* , In : La description : Théories, recherches, formation, enseignement [en ligne]. Villeneuve d'Ascq : Presses universitaires du Septentrion, 1998 (généré le 15 novembre 2022). Disponible sur Internet <http://books.openedition.org/septentrion/47435>. ISBN : 9782757421918. DOI : https://doi.org/10.4000/books.septentrion.47435.

S

Sabbatorsi Marjorie, *De Anthony Trollope, He Knew He Was Right : entre psycho-récit et monologue narrativisé* , Modèles linguistiques [En ligne], 76 | 2017, document 2, mis en ligne le 02 juin 2019, consulté le 08 janvier 2023. URL : http://journals.openedition.org/ml/5221 ; DOI: https://doi.org/10.4000/ml.5221.

T

Tamine Joëlle gardes, *Pour une rhétorique de la poésie* , Semen [Online], 24 | 2007, Online since 25 January 2008, connection on 08 November 2022. URL: http://journals.openedition.org/semen/5893; DOI: https://doi.org/10.4000/semen.5893.

, *Pour une nouvelle théorie des figures*, Presses Universitaires de France, 2011.

V

VAN DEN HEUVEL Pierre*, Le rôle des déictiques dans la constitution du sujet* , In : Voix, Traces, Avènement : L'écriture et son sujet [en ligne]. Caen : Presses universitaires de Caen, 1999 (généré le 27 novembre 2022). Disponible sur Internet <http://books.openedition.org/puc/9927>. ISBN : 9782841337989. DOI https://doi.org/10.4000/books.puc.9927.p.129 .

Dictionnaires

Dictionnaire de l'Académie française, 9e édition (actuelle).

سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف

دراسة وتحليل

تحقيق

الأستاذة الدكتورة ابتسام مرهون الصفار

الملخص:

كتاب ""سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف نسب للجاحظ في النسخة الخطية والمطبوعة القديمة، وهو ليس له وفق دراستنا التي أقمناها على النص والأعلام الواردة فيه.

- لم يذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفات الجاحظ
- الشخص الذي صحب الرحلة اول النص وآخره سمّاه المؤلف نظام الدين قوام الملك وهو من الألقاب التي أطلقت في القرن الخامس الهجري. ووردت أعلام أخرى تنفي نسبة الكتاب للجاحظ، وهي:

السلامي المتوفى ٢٣٦هـ، ابن المعتز المتوفى ٢٩٦هـ، ابن طباطبا المتوفى ٣٢٢هـ

الزعفراني المتوفى ٤٢٩هـ، عبد الصمد الطبري ٤٦١هـ، أبو الفتح الحاتمي ٤٤٣هـ

ويبقى الكتاب ممتعا يمثل ثقافة الحوار والمناظرة التي شكلت ثقافةً نشطت في الفكر العربي ومنها للمفاخرة بين الأشياء والظواهر الطبيعية والمادية عبر التراث العربي..؛ فأورد المؤلف مفاخرات بين فصلي الربيع والخريف، الأول يفخر،والثاني يرد عليه بالشواهد والأمثلة

الكلمات المفتاحية : سلوة الحريف الجاحظ المناظرة

المقدمة:

هل المناظرة بين الربيع والخريف للجاحظ

هناك كتاب منسوب للجاحظ اسمه سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف، يحتاج إلى دراسة وتحقيق بعد ذلك، فهل تصح نسبة الكتاب للجاحظ، وما هي مسوغات النسبة وما مسوغات التشكيك بها أو رفضها؟.

إن موضوع المناظرات لطيف جدا يستهوي القراء، ويفتح في الأذهان الأفكار التي تواكب المتناظرين، ترفض آراءهم أو تقبلها أو تضيف إليها .

المناظرة :

والمناظرة عند العرب نوع من المحاورات[١] .

---

[١] معجم المصطلحات في اللغة والأدب ٣٩٠

والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته.

والنظر : البحث[٢].

والمناظرة من النظر، والنظر هو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد بها التأمل والفحص .

وصيغة المناظرة مفاعلة تدل على المشاركة.

ومن أقدم من وضَّح المناظرة اصطلاحا الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله :أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه[٣] وهو عند الزبيدي المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته[٤].

وذكرت مصطلحات أخرى جعلها بعضهم رديفة المناظرة كالمحاورة والمجادلة

أما الحوار لغة فهو الرجوع من الشيء والى الشيء، والحور النقصان بعد الزيادة؛ لأنه رجوع من حال الى حال .

. أما الحوار اصطلاحا:

فهو عند الخليل: مراجعة الكلام، حاورت فلانا في المنطق، وأحرت إليه جوابا [٥] وهو عند ابن منظور راجعة المنطق والكلام في المخاطبة.[٦]

والمحاور: الشخص المساهم في حوار، والذي نتوجه إليه بحوارنا بحيث يستمع، ويتحدث، ويقبل الإجابة [٧].

والجدل لغة :شدّة الفتل، وجدلت الحبل إذا شددت فتله فتلا محكما [٨]

والجدل اصطلاحا هو (القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان)

---

(٢) المفردات في غريب القرآن /الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المتوفى (٥٠٢هـ).تحقيق محمد سعيد كيلاني. بيروت، دار المعرفة ص٤٩٨

(٣) العين ٢٣٨/٤ ونقله ابن منظورفي لسان العرب مادة "نظر،

(٤) تاج العروس "نظر"

(٥) العين ٣٧١/١، ٣٧٢

(٦) لسان العرب(حور)

(٧) معجم المصطلحات الأدبية /علوش ٧٩

(٨) لسان العرب(جدل)

وهو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه. وهو الخصومة في الحقيقة [٩]

وجعله الخليل مرادفا للخصام جدل الرجل ورجل جَدِل أي خصِم مخصام، والفعل جادل يجادل مجادلة.[١٠]

وجعله احمد مطلوب رديفا للمناظرة بعد أن عرّفه لغة واصطلاحا. [١١]

ويبدو أن الجدل بعيد عن المناظرة من ناحية رغبة المجادل في إلزام الخصم برأيه، بينما توحي المناظرة بتبادل الآراء وبيان الحجج بهدوء وحكمة.

الحريف:

يبدو أنه مشتق من الحرفة وهي المهنة، ويريد بها المتقن البارع في مهنته

ويلاحظ أن المؤلف بدأ بمناظرة الخريف قبل الربيع بينما بدأ العنوان بتقديم الربيع على الخريف وذلك – فيما نظن – بسبب السجع الذي أراده.

ونقف عند ما كتبه الجاحظ في موضوع المناظرات والمفاخرات لنعرف بعض تآليفه التي جعلت بعضهم ينسب إليه كتاب سلوة الحريف بمناظرة الخريف قبل الربيع.

لقد وجدت في مؤلفاته بأكثر من شكل:

١ – المناظرة في كتاب واحد او رسالة واحدة مثل رسالته في مناقب الترك، فهي رسالة وضعها أساسا لبيان مناقب الترك، ولكنه لا يعمد إلى ذكر هذه المناقب مباشرة إنما يعمد إلى ذكر مناقب الخراسانيين والخوارج والموالي وغيرهم من أصناف الجيش ؛ليصل إلى نتيجة مفادها أن البنوي خراساني وإذا كان الخراساني مولى، فالمولى عربي بالولاء (مولى القوم منهم، فقد صار الخراساني والبنوي والمولى عربي[١٢].

وفي هذا مجاملة ومحاولة لتوحيد هذه الأصناف، لكن الواقع غير هذا ؛لأن الجاحظ مضطر بحكم سبب تأليفه الرسالة فيذكر احتجاجات كل صنف من الأصناف التي ذكرها، ولكن الجاحظ يقرر بأنّ مدح جماعة لا يعني أنه يذم الآخرين:

---

[٩] التعريفات ٧٨ طبعة بيروت ١٩٨٥

[١٠] العين ٢٢٥/١

[١١] معجم مصطلحات النقد العربي القديم ج٢ /٣٠٠معجم المصطلحات الأدبية ٦٠

[١٢] مناقب الترك ٣٤

(وأنا أقول إن كان هذا لا يمكن ذلك في مناقب الأتراك إلاّ بذكر مثالب سائر الأجناد، فترك ذكر الجميع أصوب ..... ولكل نصيب من النقص ومقدار من الذنوب، وإنما يتفاضل الناس بكثرة المحاسن وقلة المساويء، فإنَّ الاشتمال على جميع المحاسن والسلامة من جميع المساويء دقيقها وجليلها، وظاهرها وخفيَّها بهذا لا يعرف) ... وبعدها يبدأ بتعداد مناقب الترك[١٣]

إذن رسالة في مناقب الترك هي رسالة في المناظرة والمفاخرة من خلال كتاب واحد. ومن المناظرات التي عرضت في كتاب واحد المناظرة بين صاحب الديك وصاحب الكلب. وقد يبدو عرض التهم والمثالب التي ساقها صاحب الديك ووجها إلى صاحب الكلب ودفاع الأخير عن كل تهمة ومطعن وجِّه، قد يبدو هذا العرض نوعا من الأساليب المثيرة للتبسم أو التعجب، فأي جدوى تكمن في هذه التهم المتبادلة والدفاع عنها ؟

نجد الجاحظ يجعل الكلام متداولا ومتبادلا بين المتناظرين إذ يكرر عبارة: (قال صاحب الديك). وبعد أن يسترسل في السرد، يورد عبارة (قال صاحب الكلب). والحوار هنا لا يقوم به الجاحظ بنفسه مباشرة، إنما يضعه على لسان شخصين نسبهما الى الحيوان الذي يدافعان عنه.

يبدأ صاحب الديك بذم الكلاب معددا أصنافها ومثالبها ولؤمها وضعفها وشرهها، ونتنها وجبنها وغدرها وقذرها، ومن ضرب المثل بلؤمها ونذالتها، ومن سماجة نباحها، وكثرة أذاها، وتقذر المسلمين من درنها، وأنها تأكل لحوم البشر، وما جاء في الأثر من النهي عن اتخاذها، وإمساكها،موردا هذه المطاعن من خلال الأخبار والأقوال النثرية والشواهد الشعرية.

ويأتي بعد هذا قوله: قال صاحب الكلب، فيعدد محاسن الكلاب وأصنافها ومنافعها، ويذكر أسماءها وأنسابها وعناية العرب بها، وكسبها وحراستها وجميع منافعها، ويستمر بالحوار المعتمد على الأدلة والشواهد،.

وقد حلل شوقي ضيف هذه المناظرة ووجدها حوارا يرمز الى قضية كبيرة وهي دفاع الجاحظ عن العرب، وردّه على الشعوبية، فصاحب الكلب هنا رمز للحياة العربية في الصحراء، وصاحب الديك رمز للشعوبية الذين يفتخرون بالحاضرة، وما يقترن بها من تربية الدواجن، والديك يرمز إليها [١٤].

ورأى بعض الباحثين في هذه المناظرة نوعا من الرياضة الذهنية، والمحاجة العقلية. وعدّها آخرون نصا أدبيا جادا يغوص في أعماق السياسة، ويفاخر بين الأجناس والثقافات، وأن الجاحظ

---

[١٣] نفسه

[١٤] تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي ٥٩٨

يحتاط لنفسه وسلامته، فيضع تلك المصائب الناطقة الكفيلة بقطع الألسنة والأرزاق والأعناق في أرق الأساليب، وأكثرها جاذبية وبعدا عن الشبهات [١٥]. وهذا الرأي قابل للنقاش والرفض، فلم يكن الجاحظ يتحرج من القول في أخطر القضايا السياسة والاجتماعية وحتى الدينية، ليقال أنه احتاط لنفسه، وحال بينها وبين ما يؤدي الى قطع الأعناق.وإنما هو نص إبداعي اعتمد على ثقافة الجاحظ الموسوعية، واتخذه فعلا قناعا ورمزا للخوض في مناظرة أخرى بين العرب والشعوبية.

وعلى هذا نرى أن رأي شوقي ضيف أكثر قبولا وانسجاما مع فكر الجاحظ، وردّه مع المتعصبين من الأعاجم، واتخذ الحوار الدائر بين صاحب الكلب وصاحب الديك أسلوبا للرد على المطاعن الموجهة الى العرب، وهو منهج لا يختلف كثيرا عن منهجه في ذكر من طعن العرب لاتخاذهم العصي ودفاعه عنهم، لكنه هنا لا يصرح بتفضيل رأي صاحب الكلب صراحة، ولكنه أفاض في الرد على كل تهمة ومطعن وجهه صاحب الديك إلى الكلب.وهناك ملاحظة أخرى تلفت الانتباه ؛ وهي أن الجاحظ في هذه المناظرة القائمة على الحوار ابتدأها بقول صاحب الديك ولم يبدأها بأقوال صاحب الكلب؛ إمعانا منه في محاولة الإيحاء بالحوار الموضوعي، وهذا غاية الذكاء منه ،فلو ساق مطاعن صاحب الكلب أولا، لبدا متعصبا منحازا .

فإذا ادّعى صاحب الديك بأن الخليفة عمربن الخطاب أمر بقتل كلاب المدينة يوما، ولم يستثن منها شيئا، فإن صاحب الكلب من خلال منطق الجاحظ نفسه، والاحتمالات التي يضعها يقول: إنه ربما كانت الكلاب في حينها مسعورة، أو أن أهل المدينة أكثروا من هراشها،والقمار بها .وإذا كان هذا مطعنا في الكلاب، فقد رووا أن عمر أمر بقتل الدجاج جميعا يوما، وأن الديكة تدخل في الدجاج، ويضع احتمالا آخر، بأنه ربما أمر بقتلها ؛لأنها كانت مريضة، أو كانت سببا لإعاقة المجاهد عن السفر والجهاد، لأن تربيتها توحي بالاستقرار والترف[١٦].

وهكذا يبقى الحوار بين صاحب الديك وصاحب الكلب صورة طريفة لحوارات الجاحظ ومناوراته، وقدراته على جعل الخلاف سبيلا للتلاقي والتسامح وقبول الآخر، فلكل فضله ومثالبه.

وأخيرا يحوّل الجاحظ المناظرة الى ما يخدم الهدف الأسمى الذي أقام عليه كتابه، وهو النظر نظرة المتفكر والمتأمل في قدرة الله على الخلق والإبداع :

(فليس لقدر الكلب والديك في أنفسهما، وأثمانهما ومناظرهما، ومحلهما من صدور العامة أسلفنا هذا الكلام وابتدأنا بهذا القول، ولسنا نقف على أثمانهما من الفضة والذهب، ولا إلى

---

[١٥] آباء الحداثة العربية، مدخل الى عالم الجاحظ والحلاج والتوحيدي /محيي الدين اللاذقاني ٢٠

[١٦] الحيوان ٢٩/١، ٢٩٦

أقدارهما عند الناس، وإنما نتنظّر فيما وضع الله -عزّ وجلّ-فيهما من الدلالة عليه، وعلى إتقان صنعه، وعلى عجيب تدبيره، وعلى لطيف حكمته ..).[١٧]

٢- تأليفه في الشيء وضده وهو موضوع يدخل ضمن المناظرات والمفاخرات

لقد ألّف الجاحظ كتبا منفصلة كل منها تدافع عن موضوع ينقضه في الكتاب نفسه مثل:

- فخر السودان على البيضان
- في الجد والهزل
- الأخلاق المحمودة والمذمومة
- العثمانية والرد على العثمانية
- الموالي والعرب
- مفاخرة الجواري والغلمان
- مفاخرة السودان والحمران
- العرب والموالي
- موازنة ما بين الخؤولة والعمومة
- فضل ما بين الرجال والنساء
- فرق ما بين هاشم وعبد شمس
- رسالة في ذم الكتاب ورسالة أخرى في مدح الكتاب
- رسالة في ذم النبيذ وأخرى في مدح النبيذ[١٨]

وللجاحظ مؤلفات كثيرة غير هذه فيها مفاخرات ومناظرات بين موضوعين، اتهم بها الجاحظ بالتناقض مع نفسه ومواقفه. وقد دافع هو نفسه عن منهجه في هذه المفاخرات والمناظرات في مقدمة كتاب الحيوان .

من هنا جاء اهتمامنا بالكتاب الذي نسب إليه وهو: (سلوة الحريف بمناظرة الشتاء والخريف)، وشُغلت عنه لسنوات، ولكنه لم يغب عن بالي؛ لأنه منسوب لمؤلف شغل الدنيا، وملأ الآفاق. إنه منسوب للجاحظ ولهذا فهو يستحق الدراسة ثم التحقيق والنشر.

استوقفنا كتاب سلوة الحريف في مناظرة الربيع والخريف، فهو من الوهلة الأولى ينسجم مع

---

[١٧] الحيوان ١٠٩/٢

[١٨] مقدمة الحيوان، معجم الادباء تحقيق إحسان عباس ٥/

منهج الجاحظ في المناظرات والمفاخرات، مما يسوغ مبدئيا نسبة الكتاب المذكور إليه.

ولكن الأمر يقتضي الدراسة الدقيقة من خلال مؤلفات الجاحظ أولا ومن دراسة النص دراسة تحليلية تعتمد على متابعة الأسماء الواردة فيه، أو بمعنى آخر ممارسة النقد الخارجي والداخلي للنص.

ولابد أن توصلنا هذه الدراسة إلى معرفة صحة نسبة الكتاب للجاحظ

ونتابع أولا النسخ الخطية للكتاب:

هناك نسخة خطية ميكروفلم من في مكتبة السليمانية برقم ٢٩٣

من مخطوطات عاشر أفندي تقع في ٤٩ ورقة بصفحتين

وكل صفحة في عشرة سطور فيها ما بين ستة كلمات أو عشر

وكتب على واجهة الورقة الأولى اسم الكتاب ومؤلفه كما سجل :

تأليف فريد الزمان الشيخ الأجل قوام الأدب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

وكتبت عبارة مقابل الاسم فيها :

من نعم على عبده بايع الأستاذ...سنة ٩٨٤

وتمليكات عدة منها:

ملك من فضل الباقي على الفاني منصور بن سعيد الصالحي الشافعي

عفى الله عنهما وللمسلمين في أول سنة ١٠٠٤

آمين

وفي أعلى الورقة من جهة اليمين ختم فيه:

من كتب الفقير عبد القادر مصطفى

ومن جهة اليسار :

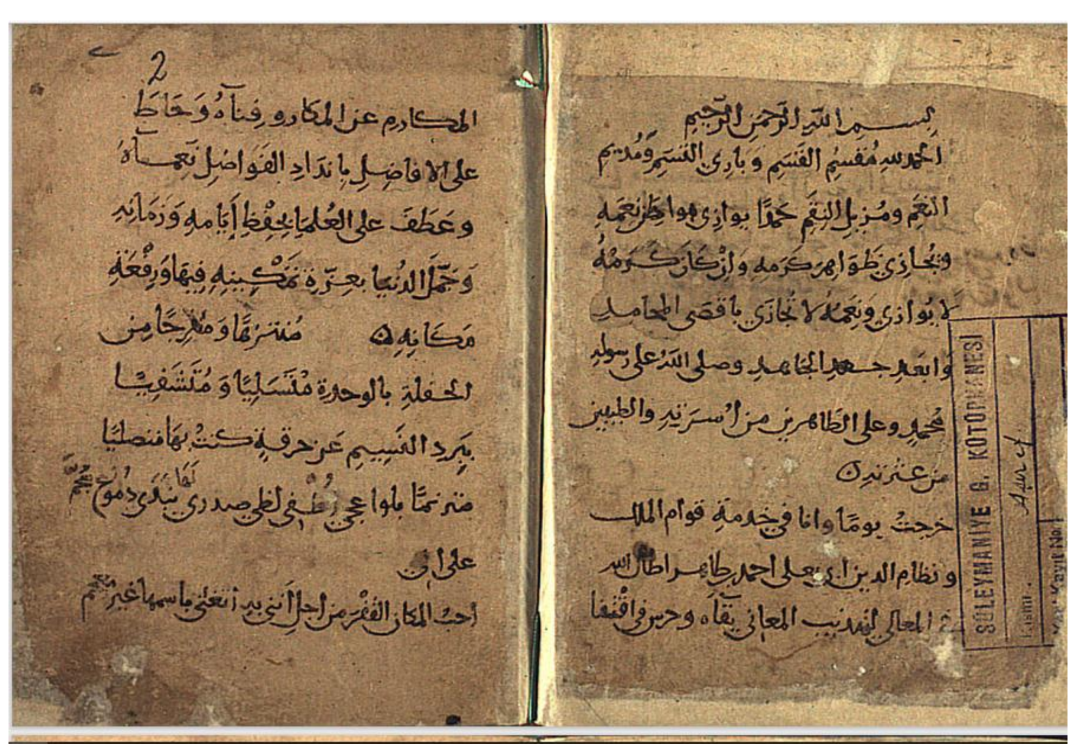
من كتب الفقير لله عبد الله.. في مكة المكرمة غفر الله له

وفيه تمليك آخر:

ثم صار في نوبة محمد أبي السرور الصديقي في سنة ١٠٩٨

دخل في نوبة العبد الفقير أبي السرور مصطفى الحسيني الحنفي غفر الله له ولوالديه ١١٣٣

ووصف الجاحظ بفريد الزمان وقوام الأدب لم يرد في الكتب التي ترجمت له، كما أنها أوصاف أطلقها المتأخرون على غير الجاحظ.





- وهناك نسخة مطبوعة في مطبعة الجوائب عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤-١٨٨٥ وعنها صورت أكثر من مرة دون أي تحقيق أو تغيير فيها :



ان يوم المهرجان يطلع الشمس بعامير الواسط بين النور والظلمة وتتحرك الارواح في الاجساد ولذلك سمته الفرس ميركان وتسمين الفرس صبيحة المهرجان باكل الرمان وشم ماء الورد وهو يوم افريذوني مر افريذون في طلب بيوراسف فظفر به يوم المهرجان الاكبر

فهذا ما حضر من فضائل الخريف واولاها واولاها بان يذكر ان الخريف في هذا الوقت الذي نحن فيه حاضر لخدمة قوام الملك ونظام الدين اطال الله بقاءه * وادام في درج المعالي ارتقاءه * والربيع غائب عن حضرته * انسها الله بدوام نعمته * مشتاق اليها والحاضر خير من الغائب والموجود خير من المعدوم

فهذا آخر ما جرى بين الشيخ والفتى وافترقا بعد ذلك والسلام والحمد لله اولا وآخرا * وباطنا وظاهرا * والصلاة على النبي محمد وآله اجمعين

وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر

سنة احدى واربعين واربع مائة

(كذا باصله)

تم هذا الكتاب المستطاب * بحمد الله الوهاب * في مطبعة

الجوائب بالاستانة العليه * في سلخ صفر من

سنة ١٣٠٢ هجريه * على صاحبها

فضل التحيه *

-



مسامر... الضيف

بمفاخرة الشتا...

للراجي لطف الخبير ابي بكر بن محمد عارف

خوقير المكي الكتبي عفى الله عنه

ويليها

سلوة الخريف بمناظرة الربيع والخريف

لفريد الزمان الشيخ الأجل قوام الادب

ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

رحمه الله

طبع في بيروت سنة ١٣٢٠

-

- صورت ملحقة بكتاب الشهاب في الشيب والشباب للسيد الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الشريف المطبوعة في مطبعة الجوائب ١٣٠٢ هـ.

١٣٤

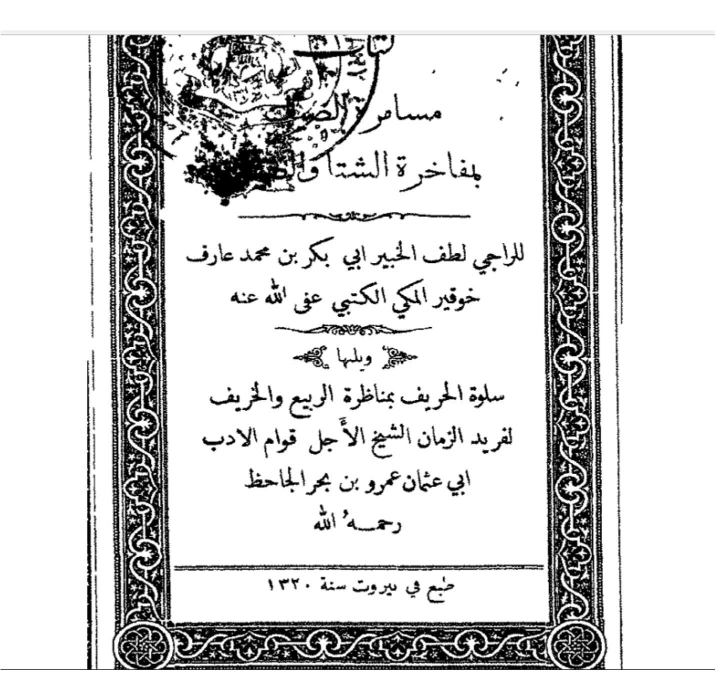
وفيه دحا الارض دحوا ونشر الخلائق وهو يوم افريغوني وعيدافريذوني وفي ساعة منه يتنفس ملك افريغون لتربية الاجساد وفيه خلق الله القمر يوم خلقه كرة سوداء فاذا كان يوم من المهرجان جلاها بضوئه ويقال ان القمر في المهرجان يوفي على الشمس واسعد ساعاته ساعة القمر ويقال ان قلة جبل شاهين ترى طوال ايام الصيف سوداء حتى صبيحة المهرجان ترى بيضاء كأن الثلج عليها وزعم المؤبد المتوكلي ان يوم المهرجان يطلع الشمس بهامير الواسط بين النور والظلمة وتحرك الارواح في الاجساد ولذلك سمته الفرس ميركان وتيمن الفرس صبيحة المهرجان باكل الرمان وشم ماء الورد وهو يوم افريذوني مر افريذون في طلب بيوراسف فظفر به يوم المهرجان الاكبر

فهذا ما حضر من فضائل الخريف واولاها واولاها بان يذكر ان الخريف في هذا الوقت الذى نحن فيه حاضر لخدمة قوام الملك ونظام الدين اطال الله بقاءه . وادام في درج المعالي ارتقاءه . والربيع غائب عن حضرته . انسها الله بدوام نعمته . مشتاق اليها والحاضر خير من الغائب والموجود خير من المعدوم

فهذا آخر ما جرى بين الشيخ والفتى وافترقا بعد ذلك والسلام والحمد لله اولاً وآخرا . وباطنا وظاهرا . والصلاة على النبي محمد وآله اجمعين وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر سنة احدى واربعين واربع مائة

(كذا باصله)

- ونشر الكتاب مع كتاب أبي بكر محمد بن عارف خوقيز في كتابه مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف عام١٣٢٨هـ .نشر معه كتاب سلوة الحريف تصويرا عن طبعة الجوائب أيضا.


مسامرة الضيف

بمفاخرة الشتاء والصيف

للراجي لطف الخبير ابي بكر بن محمد عارف خوقير المكي الكتبي عفى الله عنه

ويليها

سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف

لفريد الزمان الشيخ الأجل قوام الادب ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

طبع في بيروت سنة ١٣٢٠

نسبة الكتاب :

وهنا نقرأن نسبة الكتاب للجاحظ خطأ فهو ليس له لأكثر من سبب:

١-لم يذكر ضمن مؤلفات الجاحظ بهذا الاسم وإنما ذكر الجاحظ نفسه كتاب اختصام الصيف والشتاء، وليس اختصام الربيع والشتاء .

وقال عنه إنه ذكر احتجاج أحدهما على الآخر[19]، ولا ذكر للربيع في هذه الرسالة .

---

[19] رسائل الجاحظ،/الجاحظ رسالة في مفاخرة الجواري والغلمان ٢/٩٥

وذكره ياقوت الحموي باسم افتخار الشتاء والصيف[٢٠]

إن الكتاب ليس للجاحظ وفق الدراسة التي أقمناها لمادته، والأعلام الواردة فيه اسم المؤلف في الكتاب:

يقول المؤلف في أول الكتاب بعد حمد الله وتمجيده، أنه خرج يوما وهو (في خدمة قوام الملك ونظام الدين أبي يعلى أحمد بن طاهر أطال الله في المعالي لتهذيب المعاني بقاءه، وحرس في اقتفاء(٢ب) المكارم عن المكاره فناءه، وحاط على الأفاضل

بإمداد الفواضل نعماءه، وعطف على العلماء بحفظ أيامه وزمانه، وجمّل الدنيا بعزة تمكينه فيها ورفعة مكانه، متنزها ومنفرجا من الحفلة بالوحدة متسليا، ومتشفيا ببرد النسيم)

هذا النص يساعدنا في تحديد المؤلف إن لم يكن بمعرفة اسمه، فبتحديد زمانه. فهو ليس الجاحظ كما نص في المخطوط و المطبوع. وسنجد أدلة واضحة لذلك.

ذكر المؤلف اسم من ذهب معه للنزهة وقد كان في خدمته، وهو أبو يعلى أحمد بن طاهر.

لم نهتد إلى ترجمة هذا الشخص. وربما كنّى به احتراما للمؤلف الذي لا يريد الإباحة باسمه.

ونقول إن لقب قوام الملك ونظام الدين من الألقاب التي عرفت في دولة السلاجقة، وقد منح هذا اللقب لأبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الملقب بخواجة ترك أي نظام الملك ٤٨٥هـ . كان وزيرا لألب أرسلان ولابنه من بعده ملكشاه.

وكان سياسيا ماهرا، محبا للعلم والعلماء، وأوصى الب أرسلان ملك شاه أن يتخذه وزيرا بعد موته. وهو الذي أسس المدرسة النظامية والمدارس النظامية التي عرفت باسمه ونسبت إليه وكان من أصدقائه عمر الخيام وحسن الصباح الذي انفصل عنه. وأسس حركة الحشاشين وقد قتل الوزير قوام الدين عام ٤٨٥هـ بيد واحد من أتباع حسن الصباح[٢١].

وفي آخر الكتاب كتب المؤلف:

هذا ما حضر من فضائل الخريف وأولاها بأن يذكر أن الخريف في هذا الوقت الذي نحن فيه حاضر لخدمة قوام الملك ونظام الدين أطال الله بقاءه، وأدام في درج المعالي ارتقاءه. والربيع غائب عن حضرته .....

---

(٢٠) معجم الأدباء ٢١١٨/٥

(٢١) وفيات الأعيان ١١٠/٢، ٢٣٦/٣، وانظر تاريخ العراق في العصر السلجوقي/ حسين أمين. بغداد ١٩٦٥، الكامل في التاريخ/ ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن ت٦٣٠هـ) تحقيق لأبي صهيب الكرمي، عمان، دار الأفكار

فهذا آخر ما جرى بين الشيخ والفتى بعد ذلك والسلام .

والحمد لله أولا وآخرا، وباطنا وحاضرا، والصلاة على النبي محمد وآله أجمعين .

وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

كذا بأصله.

هناك أسماء أعلام أخرى وردت في الكتاب ، لابد أن نقف عندها وهي:

١- السلامي:

وهو محمد بن عبد الله الشاعر. وصفه ابن خلكان بأنه شاعر مشهور، عين شعراء العراق. ووصف شعره بالطلاوة. وهو من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة أشهر شعراء العراق كما قال الثعالبي[٢٢]

ونسبه الى دار السلام .

وذكر له قصيدة في الوزير أبي نصر سابور(ت ٤١٦هـ) وقد أعيد إلى الوزارة، وخلع عليه [٢٣] .

توفي السلامي سنة ٣٩٣ هـ [٢٤]. وقد تمثل المؤلف في سلوة الحريف بقوله حين سأله الخريف :

اسم من تفاخر بالربيع فقال : اسمي الربيع بن الطيب.

فأنا كما قال السلامي:

تبسَّطنا على الآثام لمّا

رأينا العفوَ من ثمرِ الذنوب

ونحن أولاكَ نطلبُ من بعيدٍ

لعزَّتنا وندركُ من قريب[٢٥]

---

[٢٢] يتيمة الدهر ٣٩٦/٢، وانظر الإعجاز والإيجاز ٢٣٦

[٢٣] نفسه ١٤٥/٣

[٢٤] وفيات الأعيان١٩٩/٤ /٦٢ ونقل عنه خبراوشعرا٣ /٧٧،٦٨

[٢٥] البيتان من قصيد قالها السلامي في الصاحب بن عباد بأصبهان وقد تقدم البيت الثاني على الأول: يتيمة الدهر٤٦٩/٢، والبيتان في الإعجاز والإيجاز ٢٣٦

٢- ابن المعتز :

هو عبد الله ابن المعتز بالله الخليفة العباسي، كنيته أبو العباس الشاعر العباسي من خلفاء بني العبا س، ولد عام ٢٤٧هـ، كان أديبا شاعرا تولى الخلافة يوما وليلة، وهجم عليه غلمان المقتدر وقتلوه عام ٢٩٦هـ. له كتاب طبقات الشعراء وكتاب البديع [٢٦]

وجاء في كتاب سلوة الحريف:

من ذلك ما قاله عبد الله ابن المعتز: [٢٧]

اشرب على طيب الزمان فقد حدا

بالصيف من أيلول أسرع حادي

وأشمّنا بالليـل بـردَ نسيمِـه

فارتاحت الأرواحُ في الأجساد

وافاك بالأنداد قدّام[٢٨] الحيا

والأرضُ للأمطار في استعداد

كم في ضمائر تربها من روضة

بمسيل ماء أو قرارة واد

تبدو إذا جاد السحاب بقطره

وكأنـما كانـا علـى ميعاد

٣- **أبو الحسن ابن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد** الهاشمي القرشي ولد بأصبهان ومات فيها عام (٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م)

هو عالم وشاعر وأديب بليغ .يرجع نسبه إلإمام علي بن أبي طالب، وله صلات وعلاقات بأعلام عصره [٢٩]، له كتاب عيار الشعر (مطبوع) وذكره على بن حمزة في كتاب شعراء أصفهان .

---

(٢٦) معجم الأدباء/ ياقوت الحموي٤/١٥١٩-١٥٢٦، **الوافي بالوفيات تحقيق لأحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى . بيروت دار إحياء التراث١٤٢٠هـ٢٠٠٠ج١٧/٢٤١، النجوم الزاهرة / ابن تغري بردي٣/١٦٦، معاهد التنصيص /العباسي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد. بيروت، عالم الكتب ٢/٣٨**

(٢٧) الأبيات في ديوانه، بيروت، دار صادر١٧٧ وفيه: واشرب

(٢٨) في ط: إقدام والتصويب من الديوان

(٢٩) ينظر عيار الشعر١فما بعدها/ ابن طباطبا، تحقيق عباس عبد الساتر، ونعيم زرزور، بيروت دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ٢٠٠٥

جاء في كلام الخريف مفتخرا على الربيع:

فمن ذلك ما كتب علي بن حمزة الى أبي الحسن ابن طباطبا فقال:

الخريفُ ثمرةُ الربيع كالشجرة التي تُثمر، ولولا الثمرُ لم تكن في الشجر فائدة .

وفي الخريف تحصل أصناف ما يُتموّل، وما يدّخر من أقواتِ الخلائقِ الممسكةِ أرواحُها إلى الخريف القابلِ، وفيه يكون الزعفرانُ، وله على جميع أنوار الربيع فضلٌ، وله وردٌ يطلع كنصْل السهم الناوكي' وقرْن الخشف [٣٠] في لون الياقوت الأزرق، واللازورد المونق كالعيون الشهل ،وأعراف الطواويس المحجلة، ويتفتح عن شَعر كخيوط الذهب[٣١]

في هذا النص علمان :

الأول ابن طباطبا الذي ذكرناه قبل قليل

والثاني: علي بن حمزة بن عمارة بن حمزة الاصفهاني، أبو الحسن.

كان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف، وله مفاوضات طوال وجوابات لجماعة من شعراء أصبهان، منهم أبو الحسن ابن طباطبا وغيره، ونقل عنه حكايات كثيرة..

له وكتاب فقر البلغاء، وكتاب قلائد الشرف في مفاخر أصبهان[٣٢]، وقد رثى علي بن حمزة أبا مسلم محمد بن بحر المتوفى سنة ٣٢٢هـ [٣٣]. في قصيدة منها :

وقالوا ألا ترثي ابن بحر محمدا

فقلت لهم ردّوا فؤادي واسمعوا

فلن يستطيع القول من طار قلبه

جريحا طريحا بالمصائب مرجع[٣٤]

. والنص الذي أورده المؤلف في سلوة الحريف لعلي بن حمزة هو قوله:

٤- ولأبي الحسن علي بن حمزة بن عمارة الأصبهاني رسالة أخرى ذكرت في الكتاب وهي

---

[٣٠] الخشف ولد الظبية أول ما يولد

[٣١] في خ شِعربكسر الشين. سلوة الحريف٣٣

[٣٢] معجم الأدباء ٢٣١١

[٣٣] نفسه ٢٣١٤

[٣٤] نفسه١٧٣٢

مقابلة برسالة له أخرى في وصف النيروز كتب بها إلى أبي مسلم محمد بن بحر [٣٥] فقال:

(٤١ب) هذا يومٌ عجميٌ، مشرقُ الأرجاء، بهيُّ الرواء، ممتعُ الذكاء، منيرُ السماء، صافي الهواءِ، اعتدل مزاجُه، واستوى ليلُه ونهارُه، ترتاحُ له القلوبُ، وتهتزُّ له النفوسُ، وتستريح إليه الأرواحُ،، يروق العيونَ، ويؤنس القلوبَ، ويجلو الكروبَ. يومٌ مصطلّحٌ في تفضيلِه على الأيامِ، يهيّج السرورَ، ويُصبي الكبيرَ، ويُطربُ الحليمَ، ويذكِّر الشيب الشباب،، ويجمعُ المتفرِّقَ، ويؤلِّف المتنافرَ، ويُدني المتباعد. له نسيمُ المسكِ المشوبِ بالعنبر المُداف[٣٦]، ويضاحِكُ أرجوانُه أقحوانَه. وجلّناره بهارَه، وخيريّه ياسمينَه، ووردِه نرجسه، فتبرجَ بعد التعنّس، وتنضّرَ بعد التيبس، وابتهج بعد التعبّس، وتوشّحَ بالزبرجد، وتأزَّرَ بالاستبرق، وتحلَّى بالياقوت والمرجان، ونفى عن الفتيان خواطرَ الأحزانِ فهممُهم عليه موقوفة، وأشغالُهم إليه مصروفة، وقلوبُهم بالملاهي فيه مشغوفة، وعيونُهم إليه رواٍن، ونفوسُهم عليه حوانٍ، والظبا فيه تتنازى[٣٧] والطيور تتبارى، وناطقُها فيه يطربُ

٥- أما أبو مسلم محمد بن بحر لأصفهاني، فهو من أهل أصبهان، معتزلي مفسِّر كان كاتبا مترسلا بليغا ولد سنة ٢٥٤هـ وتوفي سنة ٣٢٢هـ،

وكان الوزير -- أبو الحسن علي بن عيسى بن داود الجراح (يشتاق إليه ويصفه. وله كتاب في التفسير[٣٨].

ومن الأعلام المتأخرين الذين ذكروا في الكتاب، ولا علاقة لهم بالجاحظ وعصره"

٦-- أبو عبد الله الباذي أو الباذاني :

شاعر ذكره ياقوت الحموي نسبة إلى باذي [٣٩] وهي قرية من قرى خابران من أعمال سرخس، وهو شاعر مجود كان يمدح الوزير البلعمي وغيره، وكان ضريرا

والوزير البلعمي الممدوح، عرف بهذا اللقب اثنان الأب أبو الفضل كان وزيرا في الدولة السامانية لإسماعيل بن أحمد أمير خراسان وكان واحد عصره في العقل والراي وإجلال العلم وأهله – كما وصفه السمعاني– اشتهر بالتراسل، وينسب له تلقيح البلاغة توفي عام ٣٢٩هـ[٤٠]

---

[٣٥] ٤٥ من النص المحقق

[٣٦] المداف : المخلوط

[٣٧] تتنازى تتحرك بخفة

[٣٨] معجم الأدباء ٢٤٢٨/٦، نشر الجزء الأول من تفسيره بتحقيق خضر محمد نبها في دار الكتب العلمية بيروت عام ٢٠٠٧.

[٣٩] معجم البلدان "باذي"

[٤٠] الأنساب للسمعاني ن أبو سعد عبد الكريم (ت٥٦٢هـ) تصحيح عبد الرحمن اليمان جذ/ يوعبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية١٣٨٣هـ/١٩٦٣م الجزر الثاني ٣١٤

وأما الوزير البلعمي الابن هو أبو علي، كان وزيرا للأمير عبد الملك بن نوح، تولى الوزارة بعد وفاة أبيه، ترجم تاريخ الطبري إلى الفارسية توفي عام ٣٦٣هـ[٤١]

وهذا يعني أن الباذي أو الباذاني شخصية من القرن الرابع الهجري.(٤٠ب)

٧-الزعفراني (١٦أ):

أبو القاسم عمر بن إبراهيم الزعفراني من معاصري الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ قال عنه إنه من ندماء الصاحب بن عباد. [٤٢].

وذكر له بيتين من الشعر عدّهما الثعالبي أيضا من درره ومن غرر كلامه:

لي لسان كأنه لي معادي

ليس ينبي عن كنه ما فؤادي

حكم الله لي عليه فلو

أنصف قلبي عرفـت قدر ودادي [٤٣]

وذكر بيتين له ونسبهما لبعض العصريين في من غا ب عنه المطرب

وله قصيدة في الدار التي بناها الصاحب بن عباد. والتي يقول فيها :

سرك الله بالبناء الجديد

تلك حال الشكور لا المستزيد

هذه الدار جنة الخلد في الدنيا

فصِلها واختها في الخلود[٤٤]

وذكر قطعة من القصيدة نفسها في يتيمة الدهر[٤٥];

---

[٤١] انظر ترجمتهما في الوكيبيديا

[٤٢] أنظر يتيمة الدهر ٣/ ٤١٣ تحقيق مفيد قميحة. بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣
يتيمة الدهر٣/٢٤٦ ورثاء الصاحب بن عباد: في الإعجاز والإيجاز٩-١٠

[٤٣] الإعجاز والإيجاز ٢٤١

[٤٤] من غاب عنه المطرب للثعالبي تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان . مكتبة الخانجي. القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤
وينظر دمية القصر ٢١٣ و انوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم علي صدر الدين المتوفى ١١٢٠هـ تحقيق شاكر هادي شكر. النجف، مطبعة النعمان ١٣٨٨هـ/١٩٦٨

[٤٥] يتيمة الدهر ٣/٢٤٥

٨–عبد الصمد بن علي ا لطبري(٤٨أ) من شعراء دمية القصر . قال الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ أنه لقيه بنيسابور شابا يفتري في النظم والنثرفريا، وأنه خدم العميد ظاهر المستوفي واشتغل في ديوان رسائله. وروى أشعارا له أبدى إعجابه بها، وأنه جرت محاورات بين ظاهر المستوفي وبين عبد الصمد حول بيت للمتنبي أدت إلى قتله [٤٦]

وهذا يعنى أن المترجم له ليس معاصرا للجاحظ

٩–– أبو الفتح الحاتمي ذكره الباخرزي وأنه لقيه في هرات سنة٤٤٣هـ، وأنه أنشده لنفسه، وذكر بيتين من الشعر متنازع عليهما [٤٧]:

هما ما هما لم يبق شيئا سواهما

حديث صديقٍ أو عتيق رحيق

وهوّنت حلو الحادثات ومرها

بحلو حديث أو بمر عتيق(٢٨أ)

هذه الأعلام الواردة في كتاب سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف تدلنا على أن الكتاب ليس للجاحظ، وإنما نسب إليه خطأ لعدة أسباب عالجناها تخص التسمية

ومادة الكتاب

وجاء في آخر الكتاب بعد أن انتهت المناظرة: فهذا آخرُ ما جرى بين الشيخ والفتى . وافترقا بعد ذلك. والسلام، والحمد لله أولا وآخرا، وباطنا وظاهرا، والصلاةُ على النبي محمد وآله أجمعين .

وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

دراسة نص الرسالة

تبدأ الرسالة بالتحميد ثم الصلاة على الرسول عليه (الصلاة والسلام وآله الطيبين)

ويبدأ المؤلف بوصف خروجه يوما بصحبة قوامِ الملكِ ونظام الدين أبي يعلى أحمد بن طاهر

---

[٤٦] دمية القصر ٢١٣

[٤٧] البيت الأول منسوب ليزيد بن معاوية في وفيات الأعيان ١٦٢/٤ وفوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس. بيروت ن دار صادر١٩٧٣ج١/ ٣٣٢ ومنسوبان لأبي الفتح الحاتمي في خريدة القصر ج٣٥٥/٢ وذكر العماد الأصفهاني أن أبا حاتم أنشده لنفسه في هرات سنة ٤٤٥هـ ورواية البيت الثاني : وإني من لذات دهري قانع بحلو حديث أو بمر عتيق

ونسبا ، ليزيد بن معاوية وغيره في رسالة الطيف ٥٨ (خلو من سنة الطبع ومكانه)

أطال الله في المعالي لتهذيب المعاني بقاءه، وحرسَ في اقتفاءِ المكارمِ عن المكاره فناءَه. ونصّ على أنه كان في خدمته.

وحين ذكر الرفقة الذين صحبوه التفت الى شاب كان معهم ووصف جماله الذي أخذ بمجامع قلوبهم، وفصل في وصفه وحسن كلامه تفصيلا (وفيهم شابٌ كأنَّ جُملةَ الجمالِ منه خُلقت، وتفاريقُها عنه سُرقت، وعلى جميع الخلائق فُرِّقت، يتصرفُ بشمائلِه في القلوب، تصرُّفَ الهواءِ بالشمال والجنوب. له قَدٌّ نخلٍ في حشى النحل دقة، وثغر حوى طيب الجنى).(٣ب)

ويقابله المؤلف بعد هذا بشخصية أخرى هي صورة شيخ لا يقل عن الفتى الموصوف سابقا بهاء وإثارة للانتباه أيضا (٥ب):

(إذ طلع علينا شيخٌ مثرٍ في ثياب الديباج والخزِّ، مغرَق في(٥ب) كسى الحرير مبطَّنة بالقزّ، مديدُ القناة، قصيرُ الخطا، يقوّمه الفرحُ والمرحً كالسّهم فينضى، وبقوّسه السكر أو الكبر، فيتمطّى، فحين قرُب منا ملأ الأرواحَ خفةَ روحٍ وظرفا، والأنفاس ذكاء ونشرا وعرفا،والقلوب ذكاء وبشرا وعُرفا [٤٨].

هنا يتخذ المؤلفُ الشيخَ رمزا للخريف،والشاب رمزا للربيع، وبذا يتوافق الرمزان مع عمريهما. فيبدأ الشيخ المناظرة بأن يقول بعد أن سمع وصف جمال المكان الذي يجلسون فيه:

فقال الشيخ : هكذا يكون الخريفُ يصفو ماؤه، وتصفو[٤٩] نَعماؤه، ويرقٌّ هواؤه، وتخفٌّ أرواحه، وترتاحُ بنعيمه المقيمِ قلوبُه وأرواحُه .(٧أ)

ومنذ بدء الحوار يبدو الربيع مندفعا مسترسلا في الكلام مهاجما الشيخ ويصفه بالخرف والشيخ ساكن هادئ:

(فانتدب الفتى الطريَّ الشاب الأريحيَّ الذي تقدم ذكرُه وقال في غضب وحرَد :

يا خرِف أ بِالخريف [٥٠] تدِلُّ علينا ! وهو زمانُ أمراضُه مزمنة، وفصلٌ جملتُه موهية موهنة، موهنة، وحَيْن طبعُه حيْن وحي[٥١]، ومزاجه موحش وبي) (٦ب) ويستمر بذكر مساويء الخريف

ويأتي رد الشيخ هادئا ليمتص نزق الشاب ويجره الى الحوار الهاديء قائلا :

(ما اسمك أيّها الظريف الطلْق الوجه واللسان واليد، الماضي المضيء كالسيف في الحدِّ

---

[٤٨] العُرف : الريح الطيبة

[٤٩] في خ ويصفو نعماؤه

[٥٠] في ط وخ أبا الخريف

[٥١] في الأصل وحى، والوحي : الإشارة، والحين : الموت

والجدِّ والخدِّ اللطيف المنظر والمخبر والمطلع والمقطع).(٨أ)

وينقل لنا المؤلف تغير أسلوب الشاب المندفع الى الحوار الهاديء ويعتذر من الشيخ واصفا نفسه بالغلام طالبا العفو متمثلا ببيتي السلامي الذين مرا بنا من قبل:

-(فما اسمك أيّها الشيخُ الكريمُ في أخلاقِه وأحلامه، السيّد الغافر بعفوه خطأَ غلامِه المتجاوز عن جلل كلامه،. فأنا كما قال السّلامي...)

وإذا كان الفتى قد اتخذ اسم الربيع والشيخ اسم الخريف فالاسمان يدلان على نعوت ينطلقان في الدفاع عنهما والمناظرة فيما بينهما؛ فالخريف كثير النعم، والربيع متلون لا يستقر على حال.

وتعطي المناظرة أنموذجا للحوار الهاديء ؛ فالشيخ (الخريف)حين يرد على الربيع يطيِّب خاطره ويلتمس راحته، ويصف حسن بيانه ثم يرد عليه :

يا فتى، ما أعذبَ لسانَك، وأعجبَ شانَك، وأملحَك في فصاحتِك، وأفطنَك مع ملاحتِك حتى تعجزَنا ببيانِك الشهي، كما تسحرَنا بلقائِك البهي، فتأتي إلى ما أجمعَ العالمون على استهجانه فتحسّنه، وما أطبقَ الحكماءُ على استحسانه فتهجّنه).(١٦ب)

وأما الربيع فإنه يحاول أن يكون هادئا أيضا ويتنازل عن هجومه على الشيخ فيمتدح الشيخ (الخريف) بقوله:

(لله أنت شيخٌ يُبهر بل يبهتُ العقولَ فيما يقول، ويعمي بل يعمه [٥٢] الذكيَّ الفطِن بما يظهر مما يريدُ، أو يبطنُ إلاّ أن كلامَه لا يعدو مناعمَ المطاعمِ أو مطارب المشارب)٢٠أ)

لغة الرسالة

اعتمد أسلوب الكاتب على السجع المتنوع الذي تتناوب فيه السجعة الحروف بين الجمل.

(ويردُّه إلى محله من المحاق، ويشور [٥٣] الشمسَ ويردُّها في المغرب دون الإشراق، فملَكنا حسنُه وإحسانُه، وسبانا وجهُهُ ولسانُه)، وبين السجع المتنوع يظهر في المحاق، والإشراق، وإحسانه ولسانه

وأكثر من استخدام التشبيهات فهو يصف عين الماء التي جلس عندها، فيشبه انفجارها من محاجرها بالسيف الذي يسل من غمد الظلام، أو كأنها الحيات التي تنساب بين الصخور في الماء.

---

(٥٢) يعمه: يتحير ويتردد

(٥٣) يردّها ويطوعها

(كأنها سيفُ الصُّبحِ سُلّ من غِمدِ الظلامِ يتهدد الشهب بورود النهار، أو كأنها النضناض[٥٤] ينسابُ على الرضراضِ[٥٥] في الأنهارِ)

ويستخدم الجناس التام وغير التام مثال الأخير(، فقعدتُ عليه وحدي، بل بوجدي خاليا، وبالنظر فيه ساليا، أتأملُ منه مكانا خاليا، وأتنفَّس نفسا عاليا) فجانس بين وجدي ووحدي، وجانس بين خاليا وساليا وعاليا.

فاستدعينا بشيء من البوارد [٥٦]على ذلك الماء البارِدِ الذي يتلألأُ كاللألىء من مواردِ كالمبارد[٥٧]، البوارد الأولى المشروبات الباردة والمبارد جمع مبرد، وهو جناس غير تام أيضا.

ويضمن نصه النثري بالآيات القرانية :والسماءُ تقول إنَّ (لي أحدَ عشرَ كوكبا والشمسُ والقمرُ رأيتهم لله ساجدين)[٥٨]، فهذا نص مقتبس من القرآن الكريم مع تغيير(لي) إلى (لله) والأرضُ تقرأ(وأنهار من ماء غير آسن وأنهار من عسل مصفّى، وأنهار من خمر لذة للشاربين[٥٩]،) وهو اقتباس من قوله تعالى في سورةِ محمد (**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ(١٥)**)

وضمن قوله تعالى الآية ١٣٨من سورةِ البقرةِ (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) [٦٠]

وقد يقتبس من الآيات الكريمة نصا يدل عليها فيقول: وأنهار من ماء غير آسن وأنهار من عسل مصفّى، وأنهار من خمر لذة للشاربين

فهذا اقتباس من قوله تعالى في سورةِ محمد(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وانهار من عسل مصفى)

---

[٥٤] النضناض من الحيات الذي لا يثبت في مكامه لنشاطه

[٥٥] الرضراض الحصا الصغار في مجاري الماء

[٥٦] البوارد جمع بارد وهي الأشربة الباردة

[٥٧] المبار جمع مِبرد، وهو أداة فيها سطوح خشنة تستعمل لتسوية الأشياء وتشكيلها بالتآكل والصقل

[٥٨] في الأصل رأيتهم لله ساجدين اقتباس من قوله تعالى :ياأبت إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) سورة يوسف٤

[٥٩] اقتباس من قوله تعالى في سورة محمد ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾{١٥} (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وانهار من عسل مصفى)

[٦٠] ﴿صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾{١٣٨}

وضمن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم)،[٦١]
وتمثل بأبيات شعرية بعضها مفردة وفي آخر الرسالة تمثل بقصائد :طويلة
ذكر بيت ذي الرمة:

وعينان قال الله كونا فكانتا

فعولانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمر [٦٢]

وتمثل ببيت الكميت أيضا:

أبرق وأرعد يا يزيد

فما وعيدك لي بضائر

وحين وصف جمال الطبيعة في المكان الذي جلس فيه تمثل ببيت الأعشى:

يضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ

مؤزرٌ بعميمِ النبت مكتهل[٦٣] الثالث فيوصف

ويتمثل بأبيات غير منسوبة أو أبيات يمكن أن تنسب مثل بيت أبي فراس الحمداني، وبيتين لعلي بن الجهم وابيات لعبد الصمد بن علي الطبري

وتمثل ببيتين لابن الرومي ثم بأبيات له في وصف الربيع وأبيات لابن المعتز، وثلالث قصائد وقال أبو عمر عبدان الفرخي[٦٤] في فضل الخريف وهو متأخر، وللباذني(وهو من

---

(٦١) الْحَبَطُ: انتفاخُ البطن، وهو أن تأكل الإبلُ الذُّرَقَ فتنتفخ بطونها إذا أكثرت منه، ونصب "حَبَطاً" على التمييز، وقوله "أو يلم" معناه يقتل أو يَقْرُبُ من القتل، والإلمام: النزولُ، والإلمام: القرب.

قال الأزهري: هذا الخبر – يعني إن مما ينبت – إذا بُتر لم يكد يُفْهَم، وأوّلُ الحديث "إني أخَافُ عليكم بعدي ما يُفْتَح عليكم من زَهْرة الدنيا وزينتها" فقال رجل: أوَ يأتِي الخيرُ بالشرِّ يا رسول اللّه؟ فقال عليه الصلاة والسلام "إنَّهُ لا يأتي الخيرُ بالشر، وإن مما يُنْبِتُ الربيعُ ما يقتل حَبَطا أو يلم، إلا آكلة الْخَضِرِ فإنها أكلَتْ حتى إذا امْتَلأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ثم رَتَعَتْ .مجمع الامثال١/١٥، وانظر جمهرة الامثال ١٦ . والقول للرسول صلى الله عليه وسلَّم في لطائف المعارف لابن رجب ٦٦٦

(٦٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ص١٠٤ تحقيق أحمد حسين بسج .بيروت، الدار العلمية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

(٦٣) ديوان الأعشى الكبير. تحقيق وتعليق محمد محمد حسين . بيروت المكتب الإسلامي ص٩٣ من معلقته المشهورة :

ودع هريرة إن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعا أيها الرجل

(٦٤) سماه التيفاشي عبدان بن عبد الله الأصفهاني، وأورد الأبيات في وصف الخريف : سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لأبي العباس التيفاشي، أحمد بن يوسف (ت٦٥١هـ) ص٦٥٥

القرن الرابع) في نعت الخريف، وقصيدة للحمدوي من القرن الربيع. وذكر قصيدة أبي تمام المشهورة (رقت..) (٤٥أ) وللبحتري وابن المعتز

ونقل نصوصا نثرية مثل رسالة أبي الحسن علي بن حمزة بن عمارة الأصبهاني فهي مقابلة كما يقول برسالة له أخرى في وصف النيروز كتب بها إلى أبي مسلم محمد بن بحر [٦٥] :ورسالة في وصف الربيع لعلي بن عبيدة الريحاني[٦٦]

وأما الأمثال فلها نصيب في الرسالة. يقول على لسان الخريف:

وليله غفوة كحسوة طائر[٦٧] أو قبسة عجلان [٦٨]، أو خِلسة زائر

وهكذا وجدنا رسالة سلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف ومؤلفها إذا من القرن الخامس الهجري. وقد صحب من أسماه أبا يعلى أحمد بن طاهر الملقب بقوام الملك ونظام الدين الذي كان لقبا للوزير المذكور. وليس شرطا أن يكون نظام الملك هذا نفسه الوزير السلجوقي. والأعلام التي درسناها تدل على ان الكثير منها بعد وفاة الجاحظ وأن معظمها تندرج في القرن الخامس الهجري، وهي مناظرة أدبية تفنن الكاتب فيها بتنوع الخطاب والمناقشة مستفيدا من مخزونه الثقافي للقران الكريم والحديث الشريف وأمثال العرب وأشعار الشعراء القدماء والمتاخرين إلى عصره.

وفي آخر الكتاب كتب المؤلف:

هذا ما حضر من فضائل الخريف وأولاها بأن يذكر أن الخريف في هذا الوقت الذي نحن فيه حاضر لخدمة قوام الملك ونظام الدين أطال الله بقاءه، وأدام في درج المعالي ارتقاءه .والربيع غائب عن حضرته .....

---

[٦٥] أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، من أهل أصبهان، معتزلي مفسّر، وله شعر ومجموع رسائل . وله تفسير نشر الجزء الأول منه بتحقيق خضر محمد نبها في دار الكتب العلمية بيروت عام ٢٠٠٧. وكان كاتبا مترسلا بليغا متكلما ولد سنة ٢٥٤هـ وتوفي سنة ٣٢٢هـ . معجم الادباء ٢٤٢٨/٦

[٦٦] أحد البلغاء الأدباَء الفصحاء كان مقربا للمأمون . توفي سنة ٢٨٦هـ أنظر تاريخ بغداد١٩/١٢، معجم الأدباء ٢٨٢٣/١

[٦٧] حسوة طائر يضرب مثلا في الخفة، فيقال: أخفُّ من لمعة بارق.. وخلسة سارق، وحسوة طائر: جمهرة الأمثال ٤٤٨/١

[٦٨] يضرب بها المثل للمستعجل في الأمر، ويشبه بمن يدخل دارا ليقتبس نارا فلا يمكثً فيها إلا قليلا، ريثما يقتبس، ثم يخرج، ومثلها عجالة الراكب. قال الشاعر :

وزائر زار وما زارا كأنه مقتبس نارا.

جمهرة الأمثال١/٥٨٦

فهذا آخر ما جرى بين الشيخ والفتى بعد ذلك والسلام .

والحمد لله أولا وآخرا، وباطنا وحاضرا، والصلاة على النبي محمد وآله أجمعين .

وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

كذا بأصله.

تحقيق

سَلوةُ الحريفِ بمناظرة الربيعِ والخريفِ

(١٢) الحمد لله مقسمِ القِسَم، وباريء النّسَم، ومديمِ النعم، ومزيلِ النقم، حمدا يوازي بواطنَ نعمه، ويجاري ظواهرَ كرمه، وإن كان كرمُه لا يوازى ، ونعمُه لا تجازى بأقصى المحامد، وأبعدِ جهدِ الجاهد، وصلى الله على رسوله محمد، وعلى الطاهرين من أسرته، والطيبين من عترته .

خرجت يوما وأنا في خدمة قوامِ الملكِ ونظام الدين أبي يعلى أحمد بن طاهر أطال الله في المعالي لتهذيب المعاني بقاءه، وحرسَ في اقتفاءِ المكارمِ عن المكاره فناءَه، وحاطَ على الأفاضل بأنداد [٦٩] الفواضل نعماءه، وعطَف على العلماء بحفظ أيامه وزمانه، وجمَّل الدنيا بعزَّة تمكينِه فيها ورفعة مكانه، متنزها ومتفرجا من

الحفلة بالوحدة مُتسليا، ومتشفيا ببردِ النسيمِ عن حُرقة كنت بها متصِليا، مترنِّما بلواعجي أطفِيء لظى صدري بها [٧٠] بندى دموع سجّم، على أني:

أحبُّ المكانَ القفرَ من أجلِ أنني

به أتغنّى باسمِها غير معجم[٧١]

(٣أ) فاطلعتْ بي عيني لتتخلصَ مما بها على عينٍ تموجُ بماءٍ سلسالٍ زلالٍ، كأنَّها انكدرتْ من سلاسلَ في زلازل، وإذا قريب [٧٢] منه روضةٌ دعتني، واشرأبت بي على عين أخرى، وهي تنفجرُ من محاجر الأحجارِ هذا [٧٣] الانفجار، كأنها سيفُ الصُّبحِ سُلّ من غِمدِ الظلامِ يتهدد

---

[٦٩] أنداد جمع ندّ وهو المثيل

[٧٠] في الأصل لها

[٧١] كتب البيت نثرا في ط والبيت لذي الرمة في ديوانه شرح أبي نصر أحمد بن حاتم من قصيدة مطلعها :

ألا أيهذا المنزل الدارس اسلم

وأسقيت صوب الباكر المتغيم

[٧٢] في خ قريبا

[٧٣] في خ لعذا

الشهب بورود النهار، أو كأنها النضناض [٧٤] ينسابُ على الرضراضِ [٧٥] في الأنهارِ، فقعدتُ عليه وحدي، بل بوجدي خاليا،وبالنظر فيه ساليا، أتأملُ منه مكانا (٣ب) خاليا، وأتنفَّس نفسا عاليا، وأمنّي نفسي بلعل وعسى [٧٦]؛ لأنه :

إذا امتلأتْ نفسُ الكريم تنفسا

فلحقتني رفقةٌ من أهلِ الأدب، خرجوا للطرَب، أو لبعضِ الأدبِ، وفيهم شابٌ كأنَّ جُملةَ الجمالِ منه خُلقت، وتفاريقُها عنه سُرقت، وعلى جميع الخلائق فُرِّقت، يتصرفُ بشمائلِه في القلوب، تصرَّفَ الهواءِ بالشمال والجنوب. له قَدٌّ نخل في حشى النحل دقة، وثغر حوى طيب الجنى :

وعينان قال الله كونا فكانتا

فعولانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمر [٧٧]

(٤أ) وطرَّة كالغسَقِ، على غرّةِ الفلَق، وأصداغٍ ترقصُ على النار من وجنتِه،، وتسلِّم عليها، وتحرِقُ العشّاق دون الوصول إلى كوثرٍ فيه وجنتُه، فيا له من حُسن شعَر يغبر في وجه المسك لونا، ورائحة وعزا وصونا على وجه يُخجل البدرُ،ويردُّه إلى محله من المحاق، ويشور [٧٨]الشمسَ ويردُّها في المغرب دون الإشراق، فملَكنا حسنُه وإحسانُه، وسبانا وجهُهُ ولسانُه، ولحِق بي بعضُ من يخدمُني فاستدعينا بشيء من البوارد [٧٩]على ذلك الماء البارِدِ الذي يتلألأُ كاللألئ من موارِدِ (٤ب)كالمبارد[٨٠]، وتجعِدّه أيدي الصبا، ويلطّفه كالهواء، وينقّيه من كل أذى وهباء، ويتخلل تلك الرياض غدير كالمرآة المجلوة تطلع [٨١] فيها السماء بنجومها، وكادت تخوض فيه زهرها، بل غرقت بينها برسوبها وهجومها، وتجمِّشها [٨٢]عيونُ السحاب بسجومِها[٨٣]، وقد اخضرَّ شاربُها كالزبرجد الأنضر، وافترَّت عن ثغر حَصبائها كالدرِّ الأزهر، وكأن وجهَ الأرض يغايض

---

[٧٤] النضناض من الحيات الذي لا يثبت في مكامه لنشاطه

[٧٥] الرضراض الحصا الصغار في مجاري الماء

[٧٦] في ط بلعل وعسى

[٧٧] البيت لذي الرمة في ديوانه ص١٠٤ تحقيق أحمد حسين بسج .بيروت، الدار العلمية ١٤١٥هت/١٩٩٥من قصيدة مطلعها:

ألا يا اسمي ياد رمي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

[٧٨] يردّها ويطوعها

[٧٩] البوارد جمع بارد وهي الأشربة الباردة

[٨٠] المبارد جمع مِبرد، وهو أداة فيها سطوح خشنة تستعمل لتسوية الأشياء وتشكيلها بالتآكل والصقل

[٨١] في ط وخ يطلع

[٨٢] الجمش الصوت الخفي

[٨٣] السجوم: قطرات المطر الكثيرة

السماء بغديرها، ويراغمُها بزرقتِه وصفائه، وبزهر [٨٤] حصبائه، كما تباريها باخضرار نباتِها، وكما أن السماء (٥أ) تجاري الأرضَ باغبرارِ سحابِها المتقطرِ، كذلك الأرضُ تباري السماءَ باخضرار نباتِها المتفطِّر، وكما أنَّ الأرضَ تشاكلُ السماءَ بأزهارها وأنوارها، كذلك السماءُ تماثلها بأزهارِها وأنوارها وكذلك الأرضُ :

يضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شرِقٌ

مؤزرٌ بعميمِ النبت مكتهل[٨٥]

والسماءُ تقول إنَّ (لي أحدَ عشرَ كوكبا والشمسُ والقمرُ رأيتهم لله ساجدين)[٨٦]، والأرضُ تقرأ (والنجمُ والشجرُ يسجدان)[٨٧] فبينا نحن في مفاخرتهما عبَرا [٨٨] وإن لم تكن نظرا، إذ طلع علينا شيخٌ مثرٍ في ثياب الديباج والخزِّ، مغرَق في كسى الحرير مبطَّنة بالقزّ، مديدُ القناة، قصيُر الخطا، يقوّمه الفرحُ والمرحُ كالسّهم فينضى، ويقوِّسه السكر أو الكبر، فيتمطّى، فحين قرُب منا ملأ الأرواحَ خفةَ روحٍ وظرفا، والأنفاس ذكاء ونشرا وعرفا؟، والقلوب ذكاء وبشرا وعُرفا،[٨٩] والعيونَ جمالا وملاحةً وبهجةً، والسمَع بيانا وفصاحةً ولهجةً، فقمنا واستقبلناه، بل طرنا إليه وطرنا حواليه بقلوب لهيبتِه خافقة، ونفوسٍ على شيبتِه رافقة [٩٠]، فبرَّنا وسرّنا، وحفَّنا ورفَّنا، وخصَّ كلا منّا [٩١] بعُرفه (٦أ) وإحسانه، وأبهج [٩٢]جملتَنا بمليحِ لسَنه، وفصيحِ لسانه، فأقبلنا عليه، وتركنا الشابَ الذي تملّكنا حسنُه،وأصبانا واقتنصنا ظرفُه وسبانا، وإذ للشيخ بهاءٌ وابهةٌ [٩٣] والفكرة فيه موقظِة للألباب ومنبِّهة، ومجالستُه موجهةٌ عن الخمولِ، ومنبهة [٩٤]. وله شعَر أبيض

---

[٨٤] في خ ويزهر

[٨٥] ديوان الأعشى الكبير.تحقيق وتعليق محمد محمد حسين . بيروت المكتب الإسلامي ص٩٣ من معلقته المشهورة :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

[٨٦] في الأصل رأيتهم لله ساجدين اقتباس من قوله تعالى: ياأبت إني رأيت في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) سورة يوسف٤

[٨٧] تضمين لقوله تعالى في سورة الرحمن الآية٦

[٨٨] أي نأخذ العبرة

[٨٩] العُرف : الريح الطيبة

[٩٠] في خ مترفرقة

[٩١] عبارة وخص كلا منا ساقطة من خ

[٩٢] في خ وفصل

[٩٣] في الأصل وأبهه

[٩٤] في ط وخ ومنبهه

مشرق بخمل بياض البازي، ولون أحمر ناصعٍ يُخجلُ حمرةَ الياقوت البهرماني [٩٥]، وعيناه تذكّران حسن عيونِ النرجس الريان، وحاجبان يُبصراننا خلال هلالِ الفِطر سرورا وحبورا أو هلال رمضان (٦ب) الآمرِ بالبرّ والإيمان، وإذا له ثغرٌ يضحك من ندى الأقحوان، ولونُه الدريّ يهزأ بالمرجان، وأنفُه يشمخُ تيْها على الفتيانِ، ومحاسنُه تضيءُ ببياضِ النّعمةِ، وتزهر بنورِ النِّعمة، وتلوحُ بطيب النعمةِ، فجُمعت النعَم أنواعًا وألوانا، واستُكملَت الطيباتُ ضروبا وأفنانًا. وله صدرٌ فسيحُ الأرجاء، يتسِّع لواردي [٩٦] الخوف والرجاء، فأقبل علينا بالوقار والسكينة، والبلاغة المكينة .

وقال: الآن إذْ سكنتمْ إلي وتمكنتم، ففيم كنتم ؟

فقلنا له: أعجبنا هذا الماءُ الصافي عن الكدَر، وهذا المكان الخالي (٧أ)عن القترِ .

فقال الشيخ : هكذا[٩٧] يكون الخريفُ يصفو ماؤه، وتصفو[٩٨] نَعماؤه، ويرقُّ هواؤه، وتخفُّ أرواحه، وترتاحُ بنعيمه المقيمِ قلوبُه وأرواحُه .

فانتدب الفتى الطريَّ الشاب الأريحيَّ الذي تقدم ذكرُه وقال في غضب وحرَد [٩٩]:

يا خرِف أ بِالخريف [١٠٠]تدِلُّ علينا ! وهو زمانُ أمراضُه مزمنة، وفصلٌ جملتُه موهية موهنة، موهنة، وحَيْن طبعُه حيْن وحي[١٠١]؟؟، ومزاجه موحش وبي،[١٠٢] ووجهه عابس وترابُه يابسٌ، وهواؤه كالِح، وماؤه بطبخِ حرارةِ الصيفِ إياه (٧ ب) زعاق [١٠٣] مالح .ولمَ نسيت فصلَ الربيعِ وفضلِه، وسيماه ونشرَه وطلاقتَه وبِشره إذا أقبلَ يتهللُ ويبتسمُ، ويكاد من الحسن يتكلّم،طريّ الاحشاءِ والحواشي، نديُّ الغوادي والعواشي، لذيذُ الأبكار سجسج [١٠٤] الهواجر طيب الأصائل .

فقال الشيخ بركونة [١٠٥] وتؤدة وسكون:

---

[٩٥] البهرماني نسبة إلى البهرم وهو العصفر. ويعني لون الياقوت المائل إلى الصفرة

[٩٦] في الأصل لواردى

[٩٧] في الأصل هكذى

[٩٨] في خ ويصفو نعماؤه

[٩٩] في الهامش إضافة : قوله تعالى " وغدوا على حرد قادرين " والحرد الغضب

[١٠٠] في ط وخ أبا الخريف

[١٠١] في الأصل وحى، والوحي : الإشارة، والحين : الموت

[١٠٢] وبي أي فيه أوبئة أي أمراض

[١٠٣] الزُعاق المرُّ الغليظُ لا يُطاقُ شُرْبُهُ...

[١٠٤] السجسج من الاراض ما ليست صلبة ولا سهلة، ومن الأيام ما ليست باردة ولا حارة

[١٠٥] الركونة : السكون والوقار

- ما اسمك أيّها الظريف الطلق الوجه واللسان واليد، الماضي المضيء كالسيف في الحدِّ والجدِّ والخدِّ اللطيف المنظر والمخبر والمطلع والمقطع ؟

فقال :

– اسمي الربيعُ بنُ الطيب .

فما اسمك (٨أ) أيّها الشيخُ الكريمُ في أخلاقِه وأحلامه، السيّد الغافر بعفوه خطأَ غلامِه المتجاوز عن جلل كلامه،. فأنا كما قال السّلامي[١٠٦]:

تبسَّطنا على الآثام لمّا

رأينا العفوَ من ثمرِ الذنوب

ونحن أولاكَ نطلبُ من بعيدٍ

لعزَّتنا وندركُ من قريب[١٠٧]

فقال :

–(٣٧ب)يا حبّذا وجهُك المباركُ قد جَلَّ باريه وتبارك . أهلا بك وبقومك ومرحبا بوقتِك ويومِك، اسمي الخريفُ بنُ النِّعَم فما ضجّرك مني ، وأنا عن نفسي ناضح ببرهاني اللائح الواضح .

فقال الربيع:

وأنا كذلك، فاعذرْني، وقد عرفت طبعي في تلوّنِه، وإن كان مقبولا وحالي في تفنّنه وإن كان لذيذا معسورا .

فقال الخريف:

أنت يا فتى معذور بل مشكورٌ:

فروحُك الريحُ تخفي كلَّ منتنَةٍ

ونارُك النارُ تمحو ظلمةَ [١٠٨] الظلم

---

[١٠٦] هو محمد بن عبد الله الشاعر وصفه ابن خلكان بأنه شاعر مشهور،، عين شعراء العراق، ووصف شعره بالطلاوة. وهو من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة أشهر شعراء العراق كما قال الثعالبي ونسبه الى دار السلام. ٤ وذكر له قصيدة في الوزير أبي نصر سابور، وقد أعيد إلى الوزارة، وخلع عليه توفي سنة ٣٩٣ هـ وروى التوحيدي أخبارا كثيرة ذم فيها السلامي الصاحببن عباد: مثالب الوزيرين للتوحيدي تحقيق إبراهيم الكيلاني. دمشق، دار الفكر ١٩٦١ الصفحات١٤٦،٩٩،٧٨،٧٤ ،٢٠٩،١٩٩،٩٩، مواضع أخرى . ومعلوم أن التوحيدي متحامل على الصاحب فأورد هذه الأخبار

[١٠٧] البيتان من قصيد قالها السلامي في الصاحب بن عبادي بأصبهان وقد تقدم البيت الثاني على الأول. يتيمة الدهر ٤٦٩/٢

[١٠٨] في ط كلمه

وأنت من في وجهه شافعٌ يمحو إساءَته، وفي حسنه دافعٌ نافعٌ ، فهذا يزين كلَّ مليح، وذلك يدفنُ كلَّ قبيح:

وقبيحُ الصديقِ غيرُ قبيحٍ

ومليحُ العدو غيرُ مليح [109]

فلمَ تفضِّل الربيعَ على الخريف يا ربيع الظريف ؟وقد عرف العالمون بأسرهم، واعترف العالمون أنَّ الربيع في طبعِه كما وصفت متلونٌ قليلُ الوفاءِ، كثيرُ الإخلاق[110] في الجفاء، لا يوقَف على طبائعه، وهي كأبي براقش[111]، ولا يوثق بسجاياه وهي كأبي قلمون،[112] بينا ترى الشمس سافرةً نقابها، وقد أرسلت سحابَها، وأوحلت طريق المارين، وبلَّت ثيابَها، وبينا ترى أوجهَ السماء في بكائه، وانهلاله واستهلاله إذ عاد إلى ضحكه وتهلّله واستغرابِه، وبينا تراها، وهي تقرِّب سحبَها وتبعد، وتصوّب رياحَها فتصمد، وتبرق بسحبها وترعدُ إذْ بدا لها، واستبدلت بتلك الحالة أبدالها لبس الخريف ؟ ساكن الجأش ، وقور الطباع، ثابت الشيّم، مطمئن الشمائل يوقظ الناس للاستعداد بالجنائب [113] طورا، وطورا بهبوب الشمائل، وينبههُم حينا ببرده الخفيفِ الرقيقِ القارصِ بأنامله، وتارة بغيمه اللطيفِ الرقيقِ اللّاحظِ بنواظره، وهو في هذه الأحوال كلِّها يميرُهم [114] بريعه الوافي الوافر، فهم يمتارون[115] منه ويحتكرون، ويتوسعون في ما ينالون منه ويذخرون، ويقتنون فواكههم، ويعصرون، ويحتظرون[116].

قال الربيع:

أما ما ذكرت من تلّون طباعِ الربيع، وأنه كلُّ ساعة يأتي بخلْق بديع، وطبعٍ غريب، وكيف ينكر التلوّن من طبائع مختلفة، وأمزجةٍ مركَبة من عناصر غير مؤتلفة، وإنما فعل ذلك لكي

---

[109] في شعر أبي فراس الحمداني ديوانه ؛٦٦:

فَجَميلُ العَدُوِّ غَيرُ جَميلٍ وَقَبيحُ الصَديقِ غَيرُ قَبيحِ

وانظر يتيمة الدهر ٧٢/١

[110] في ط : الأخلاق. والثوب إذا أخلق , وبلى . اخلق الشيء إذا أهمل

[111] أبو براقش طائر صغير أعلى ريشه أغبر، وأوسطه أحمر، وأسفله أسود، فإذا اهتاج انتفش ريشه، وتغيرت الوانه. ويقال : طائر يتلون في اليوم ألوانا مأخوذ من البرقشة وهي النقش ويوصف به الرجل الملوّن. جمهرة الأمثال/ العسكري٤٣/١

[112] أبو قلمون : نبات معروف ويستعار للرجل المتلوّن

[113] الجنائب جمع جنيبة وهي الدابة التي يقودها الرجل بجنبه، وهي أيضا الناقة التي يعطيها الرجل لغيره ليمتار له

[114] في خ يميزهم ومعنى يميرهم: يقدم لهم الميرة وهو الطعام

[115] يمتارون يجمعون الميرة وهي المؤونة

[116] يحتظرون : يعملون حظائر

يحيي كلَّ عنصرٍ بمزاجه، ويهزّ كل طبع بما يقتضيه من حاله؛ لافتقاره إليه واحتياجه، ولكي ترتاح [١١٧] الأمزجةُ بالتجدّد بعد الإخلاق وتنتعش العناصرُ عن البِلى، فهو يتداركُ بفعله اللطيفِ ما أفسد الخريفُ، وذلك التلوّنُ حبيبٌ إلى النفوس، لأنه ركِّب من طبائعها؛ ولذلك شبّه الشاعرُ معشوقَه به في فعله فقال:

أما ترى اليومَ ما أحلى[١١٨] شمائلَه

صحوٌ وغيْمٌ وإبراق وإرعاد

كأنه أنت يا من لستُ أذكرُه

وصلٌ وهجرٌ وتقريب وإبعاد[١١٩]

وبعد :

فالنفس تمل، والقلب يسأم الدائم [١٢٠]، والحمض أروح والجديد ألذّ . وأما ما ذكرتَ من سكونِ الخريفِ ووقارِه، فإنما هو لبرده ويُبسه، والحيُّ تكون [١٢١] حياتُه بالحرارة مع الرطوبة، والميتُ يكون موتُه من البرودة مع اليبوسة، فالربيعُ يحيى، والخريف يبلي.

وأما ما ذكرت أنه يميرُ الناسُ المطاعمَ، ويفيض عليهم المناعمَ، فإن ذلك كلَّه مما نتجتْه أيدي الربيع، وقدّمه تدبيرُه المصيب، وأورثَه عملُه النافع، وولّده كسبُه المفيد، وعلى الأيام يظهرُ عملُ المدبِّر المصلِح، وبعد الأوقات يتبينُ تدبيرُ العامل المفلح.

قال الخريف:

أمّا ما ذكرت من (أنّ) الخريف، وأنَّ طبعه باردٌ يابسُ كطبع المّيت، وأن طبعَ الربيع حارٌ رطبٌ وهو طبع الحي، فقد جهلت أو نسيت وأخطأت أو خطيت؛ فإنَّ الحرارة أوحى[١٢٢] قتلا، وأعجلَ إهلاكا من البرودة. والدليل عليه حال المبرسمين [١٢٣] بالقياس إلى حال

---

[١١٧] في خ يرتاح

[١١٨] في خ أحلا

[١١٩] البيت في ديوان علي بن الجهم ط ملحقات"١٢٢، طبعة المجمع العلمي العربي. دمشق ١٩٤٩ وهو في ثمار القلوب للثعالبي ن تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم١٨٤، وهو في التشبيهات٣٣٣، غيم وصحو وبعده:

كأنّه أنت يامن لا شبيه له وصل وبحرو وتقريب وإبعاد

[١٢٠] في ط بسام دائم

[١٢١] في خ يكون والميت يكون

[١٢٢] أوحى من الوحاء وهي السرعة فأوحى قتلا أي أسرع قتلا

[١٢٣] المبرسم المصاب بداء البرسام وهو التهاب في الحجاب بين الكبد والقلب. وقيل مرض يصاب به الدماغ فيذهب عقل الانسان

المفلوجين [١٢٤]، والكيفية الباردة اليابسة هي للأرض التي منها خُلقنا، وإليها المصير، وعليها قرارنا، ومنها غذاؤنا، وهي الملجأ والنصير، وهي طبع السوداء التي هي علة الآفاق والثبات، والحلم والوقار، وأصحابها (١١ب) من ذوي العلوم الشريفة، والصناعات اللطيفة .

هذا إن سلّمنا أنّ طبعَ الخريف باردٌ يابسٌ .

وأما ما قلت أنَّ ما يميرهم [١٢٥] الخريف فمن صنع الربيع فكيف يكون ذلك والخريف وقت البذر، والشتاءخليفته في تربيته ؛ ولذلك قال الشاعر :

إنَّ الشتاء على كلوحة وجهه

لهو المفيد طلاقةَ المصطاف[١٢٦]

فما للربيع إلا إخراجها مع الحشرات، وإظهارها مع الهوام، فبلى بلاء حسنا مشفوعا بسوء[١٢٧] البلاء، ويقترف فعلا واحدا ممزوجا بالفاذي؟، ومع ذلك فهو الذي يهيج الأخلاط الفاسدة في أبدان الناس ويثير الكيموسات الرديئة (١٢أ) في أجسادهم، ويذيب الكيفيات الخبيثة عن أجوافهم ، وهي جامدة، وتحلل الحرارة الغريزية عن أحشائهم، فتذهب بها في الهواء المشاكل لطبعها، وتترك أعماق أجوافهم هامدة خامدة، وتولِّد في بشائرهم وظواهرهم القروح والجرب والحكة والحصبة والحميات الدموية، والأعلال الحارة . والخريف يطفيء هذه الأمراض الدموية، ويميت الحيوانات العفونية، و[١٢٨] تفنيها أو تجعلها كالفانية من السكون كالحشرات والهوام ز وهو الذي يعدل الطباع (١٢ب) بميزاته، ويسوّ ي وسائر الحيوان في إيمانه، وينعم الناس

وسائر الحيوان بأنواع نعّيمه وألوانه، وبنَّصف النهارَ والليلَ عدْلَين مؤتلفين، ويجعل الغنيَّ والفقير بميزته مِثْلَيْن غير مختلفين، فبيوتهم مملوءة حبوبا، وحبابهم مشحونة مشروبا، ونهارهم مشغول باقتناء المير والذخائر التي أوسعها عليهم الخريف لشتائها، ويحضهم كل بكرة قارة[١٢٩]على اقتنائها، وليلهم ملهٍ بالشراب الطيب والفواكه اللذيذة والرياحين الأرِجة والخيرات البهجة.

قال الربيع:

أما ما ذ كرتَ من الربيعِ، وأن حرّه يودي أو يوذي بالإنسان وسائرِ الحيوان، ووصفت العِلل

---

[١٢٤] المفلوج المصاب بالفالج وهو الشلل

[١٢٥] في الأًل : يميزهم

[١٢٦] كتب البيت نثرا في المخطوط والمطبوع

[١٢٧]

[١٢٨] في ط المتعفنة ويفنيها

[١٢٩] قارة غير موجودة في خ

الحارة كالحميات الدموية مثل السرسام [١٣٠] ونحوها من شدة [١٣١] الأسقام، فقد أوهمتَ أو وهمتَ وتغافلتَ أو أغفلتَ ؛ إذ الربيع في طبعه معتدلُ المزاج ؛ ولذلك قال جالينوس:

من لم يهزه الربيع، فهو فاسدُ المزاج، محتاجٌ إلى العلاج،

وإنما تقع[١٣٢] أكثر هذه الأمراض في صميم القيظِ، وحميمِ الصيف، وإنما تأخذُ الجارَ بذنبِ الجار، والربيعَ (١٣ب) باعتدال طباعِه، والتئامِ مزاجه، وانتظامِ أحواله، وائتلافِ أخلاقِه وأفعالِه، يقوّي كلَّ طبع، ويبعثُ كلَّ مزاج، وينبّهُ من فسّد بعض الأخلاط من مزاجه، ليتشمّر في علاجه، ويحيي كلَّ مواتٍ بعد ضياعِه ومفتقدِه، ويُضعف كلَّ بال عن مرقده، ويذكِّر بالحشر، ويدلّ على صحة النشر .

وأما هذه الحشراتُ والهوامُ فإنَّ الله تعالى خلقَها، ولم يُخلِها من فائدةٍ تعودُ بمصالحِ الخليقة، ولم يخلقْ شيئا عبثا، بل كلُّها يختصُّ بمنفعة للبرية، وأن سمومَها (١٤أ) إذا أُخذَت منها وأُخرجت تدخلُّ في الأدوية المجرَّبة، ويستعملها الأطباءُ في الأدواء المؤذية، ويُستشفى بها في الأمراض المُردية، ومع ذلك فإنها – أعني الهوامَ والحشرات – تجتذب من الأرضِ وسائرِ الأركان السمومَ التي تخالطها مما يشاكلها، وتستلبُ منها ما تغتذي به مما يلائمها ويوافقهاُ، فتبقى الأركان للنبات الذي يحتاج إليه الحيوان صافية عن كلِّ شائبة وقذى ن وتخلو النبات والأغذية نقية من كل عائبة وأذى

ولأما ما قلت (١٤أ) في الخريف وإنه يوسّع على الناس وجميعِ الحيوان مآكلها وأغذيتَها ويفيضُ عليها فواكهَها ورياحينَها وأنبذتهاها .

فهذا بأن يكون من معائب الخريف أولى من أن[١٣٣] يكون من مناقبه، وهو أحد الأسباب التي تكثر [١٣٤] بها الاسقام المزمنة في الخريف، فإنه يستكثر الناس من أكلها، فتستوبله[١٣٥] و الحرض[١٣٦] طبائعهم فيجلب المرض أو الحرض، أو السبب له والعرض، ولا يحتمله مزاجه الذي أقحله[١٣٧] حرُّ الصيف، وأنحلَه ضرمُ القيظ، واستصفته وقدة الهواء، كما يستصفى التنور

---

[١٣٠] السرسام ورم في حجاب الدماغ، تحدث عنه حمّى دلئمة، وتتبعهاأعراض رديئة كالسهر واختلاط الذهن

[١٣١] في خ من شدة حارة

[١٣٢] في ط يقعَ

[١٣٣] في ط كان

[١٣٤] في ط يكثر

[١٣٥] تستوبله تعده وبيلا أي ممرضا

[١٣٦] الحرض الفساد

[١٣٧] أقحله : أيبسه

(١٥أ) المسجور رطوبة الشواء، وحلل حرارته الغريزية وفشّ سخونته الطبيعية حر الصيف فلا يطيق ما يأكله بالخريف . ولا يحتمل ما يناله، فيستوخمه ويستوبله ويولد عليه الداهية الصمّاء من الأمراض، والمظلمة العمياء من الأوجاع ،

ولذلك جاء في الخبر" أن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم،[١٣٨] والربيع بحمد الله مقلٌّ من الفواكه المضرة، والأنبذة النيئة والأطعمةِ الوبيلةِ الوبيئةِ، والأغذيةِ الوخيمةِ الرديئة، وغذاؤه للناس من الخبز الحنطي النقي، واللحم من الرضيع، والشرابِ العنبي العتيق المريء، وتنقلهم (١٥ب) بالفواكه التي قلَّما تعفن بمنزلة الرُّمانِ ونحوها مما يبقى في الشتاء بقوته، ومشمومُهم من الورد الرائحِ اللائحِ، والنَّورِ العبِق الروائح والساسفرم الذي يأخذ بطبع الربيع في أوانه، فيكون حارا رطبا،لا كما يكون في الخريف باردا يابسا مولِّدا للزكام كقطر الركام [١٣٩]، ومورّثا لصداع يشق الرأس بالصداع، وهما من خصائص الخريفِ– أعني الزكام والصداع– . ومسموعُه من أغاني البلابلِ والقمارى ونحوِها التي يهزّها الربيعُ بروائحه التي تعبر عن العبير والعود القماري، لأن الربيع كما قال الزعفراني: [١٤٠]

(١٦أ) وفصلٍ فيه للروضِ اختيالٌ

لأن جميعَ ما لبستْ حرير

وللأغصان من طرب تثنٍ

إذا جُعلت تغنيها الطيور[١٤١]

---

[١٣٨] الْحَبَطُ: انتفاخُ البطن، وهو أن تأكل الإبلُ الذُّرَقَ فتنتفخ بطونها إذا أكثرت منه، ونصب "حَبَطاً" على التمييز، وقوله "أو يلم" معناه يقتل أو يَقْرُبُ من القتل، والإلمام: النزولُ، والإلمام: القرب.
قال الأزهري: هذا الخبر – يعني إن مما ينبت – إذا بُتر لم يكد يُفْهَم، وأوَلُ الحديث "إني أخَافُ عليكم بعدي ما يُفْتَح عليكم من زَهْرة الدنيا وزينتها" فقال رجل: أوَ يأتِي الخيرُ بالشرِّ يا رسول اللّه؟ فقال عليه الصلاة والسلام "إنَّهُ لا يأتي الخيرُ بالشر، وإن مما يُنْبِتُ الربيعُ ما يقتل حَبَطا أو يلم، إلا آكلة الْخَضِرِ فإنها أكلَتْ حتى إذا امْتَلأتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ثم رَتَعَتْ. مجمع الامثال١/١٥، وانظر جمهرة الامثال ١٦ . والقول للرسول صلى الله عليه وسلَّم في لطائف المعارف لابن رجب ٦٦٦

[١٣٩] الركام السحاب بعضه فوق بعض

[١٤٠] هو أبو القاسم الزعفراني شيخ شعراء العصر كان من ندماء الصاحب بن عباد: يتيمة الدهر ٣/٤٢٣

[١٤١] ذكرهما الثعالبي وقال إن الزعفراني أنشده هذين البيتين قصيدة وأظهر إعجابه بهما البيتين يتيمة الدهر ٣/ ٤١٣ تحقيق مفيد قميحة. بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ .* وهما في من غاب عنه المطرب ٤٣ ونسبه الثعالبي لبعض العصريين . تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤

قال الخريف:

يا فتى ما أعذبَ لسانَك، وأعجبَ شانَك، وأملحَك في فصاحتِك، وأفطنَك مع ملاحتِك حتى تعجزَنا ببيانِك الشهي، كما تسحرَنا بلقائِك البهي، فتأتي إلى ما أجمعَ العالمون على استهجانه فتحسّنه، وما أطبقَ الحكماءُ على استحسانه فتهجّنه، فإنه اتفق العاقلُ والجاهلُ والبارُ والفاجرُ على بغضِ الهوامِ المُردية، وقَلْي[١٤٢] الحشراتِ المؤذية، وكراهتِها واستقذارِها، واستنجاسِها واستنكارِها لما تعافُه (١٦ب)الطباعُ في إحساسِها بالابتداء، وما تخافه المعارفُ من مضارِها في الانتهاء . وأنت تصفُها بكثرةِ منافعٍ ومصالحٍ، وتكابرُ العقولَ السليمةَ، والعاداتِ المستقيمة بلسانِك الحوّل القلّب، وظرفُك المخلّط المذيّل [١٤٣]، وبيانِك المِعَنُّ المِفَن[١٤٤]. وما اتفقَ الناسُ على السعي فيه، والحركةِ له، (١٧أ) والبقاءِ به والحرصِ عليه، والحنينِ إليه، ومنافسة بعضِهم بعضا لأجله .

وبالجملة ما به صلاحُ العاجلِ والآجلِ، وفيه خيراتُ المعاشِ والمعادِ حيث تُعيبه وتُذيمه، وتهضمُ رأيَك بذلك وتضيمُه، وهو نعمة الله التي جعلها مادة الحياة، وصورةَ البقاء لأجل من يستكثر منه فلا يستمرئه، وبسبب من يستعزر[١٤٥] فيه فلا يهنئه، وتروي له الخبرَ الواردَ في الربيع وتُحيله عن حالتِه، وتقلّبه عن قالبه وهيئتِه، فإنه قال : إنَّ مما ينبتُ الربيعُ ما يقتل حبطا أو يلمُّ، وإنما قاله للمواشي دون الناسِ، فإنَّ الربيعَ لا ينبتُ شيئا ينالونه، فيحبطون منه، فويحَ لسانك، إنه حسامٌ ألدّ الخصامِ ملتهمُ المحامد، قاذفُ المذام .

أما الكلام في الحشراتِ والهوامِ [١٤٦] فإنَّ استضرارَ الناسِ بها معروفٌ، وانتفاعَهم بسببها منكَرٌ[١٤٧]، وغوائلَها [١٤٨]جلية، وعائدتَها خفية، (١٧أ) وأما ذكرتَ أنَّ بسمومها تُستدفع بعضُ الأخلاط الفاسدة، فلعل تلك الأخلاط منها تولدت في النباتِ، وبها اختلطتْ بالأمزاج والأمشاج [١٤٩]، وبروائحها امتزجتْ بالحيوان، فهذا ما بطَن من حالها وما كمنَ من أفعالها.

---

[١٤٢] في ط وقلى، قلي : كراهة

[١٤٣] في خ المزيل

[١٤٤] : يقال رجل يفنن في الكلام أي يشتقمن فت إلى فن، ورجل مفن : يأتي بالعجائب .المِفَن المعِن : ذو اعتراضٍ، وذو فنون من الكلام .. وأنشد أبو زيد :

إنَّ لنا لكنَّة معنّة مِفَنّة

[١٤٥] يستعزرمن العزر وهو اللوم والعقاب

[١٤٦] في ط يستدفع

[١٤٧] في خ فمنكر

[١٤٨] في خ وغوايها . والغوائل الدواهي المهلكة

[١٤٩] الأمزاج والأمشاج :: المختلطة

فأما الظاهر فإن الأفاعي والحيات والعقاربَ والجراراتِ[١٥٠] ونحوها فهي قاتلةٌ مُعطبِة او مُؤذيةُ مؤلمةٌ، ولا تخلو من إتلاف ولا تعرى من أدناف[١٥١] واما النعمُ [١٥٢] الطيباتُ التي جعلها الله رزقَ الخلق وأنبتَها في الخريفِ، فهي مبتغاةٌ مُرتضاةٌ محبوبةٌ الى الخلْق مقتضيةٌ، وهي تشتهيها (١٨أ) الأنفسُ وتلَذُّ الأعينُ، وبها وُعد المتقونَ في دار البقاء، واياها مُنيَ الأبرار إلى [١٥٣] مثابة الثواب والجزاء، ولكنك أعطيت مبتدئا ما استرددتَ منتهيا، و[١٥٤] واصلت قياسا تبني عليه، ثم هدمت منها أساسا، فقلت بآخره :

ينال الإنسان في الربيع من المآكل والمشارب والمشام والمسامع كيت وكيت، وحكيتَ من طريقِ التنعُم ما حكيتَ، وما افتخرتَ إلاّ بما أقناه [١٥٥] الخريف وأعطاه، ومهدّه للخلق ووطأه، وإنْ لم يمكنْ به الاستمتاعُ الى وقت الربيع . وقد يبقى منه الكثيرُ الى طلوع الخريف، وقلما (١٨ب) يستمتعُ به المرتبع، وذلك لأنه مملوء بسخونة الهواء الذي يمنع من استيفاء الغذاء، ولا يهنأه إن نشط في الامتلاء، وهو[١٥٦] مملوءٌ بأخلاطِه الهائجة وكيموساته [١٥٧] المائجة، ويعنيه من أمرها ما يُثنيه عن تمتعّه، ويُضجرُه بعمره فضلا عن تفقّد عيشه بالتنعم، وتعهد أمره. اللهم إلاّ الأغنياء الذين يقلُّ عددهم وتكثر عُددُهم، ولهم أيضا حاشية وغاشية،[١٥٨]وعليهم غادية وعاشية؟؟، فالحاجةُ عامة والغنية والقنية في الربيع معدومتان، ثم إن وجد واجد، فهو (١٩أ)كمعدومٍ لأنّ أيامه مَشغلة مُزحمة أولها من الحوائج البشرية، وهي مشغلة ومحجِمة أوسطها بالحرارة الشمسية، وهي مبغضة ومقذَرة، والقاذورات الهوائيةُ والعفوناتُ الربيعيةُ وليله غفوة كحسوة طائر[١٥٩]أو قبسة عجلان [١٦٠]، أو خِلسة زائر. وأما المخترف فنهاره بقدر ما يكتسب فيه

---

[١٥٠] لعلها الجراد

[١٥١] الأدناف : الامراض

[١٥٢] في خ والطيبات

[١٥٣] في خ :في

[١٥٤] الواو زيادة يقتضيها السياق

[١٥٥] أقنى: اغنى

[١٥٦] في خ: ومملوء

[١٥٧] الكيموسات قيل هي الخلاصة الغذائية، وقيل هي عبارة عن الحاجة الى الطعا م والغذاء، وهو عند الأطباء الطعام إذا انهضم في المعدة قبل أن يتصرف عنها (لسان العرب كمس)

[١٥٨]

[١٥٩] حسوة طائر يضرب مثلا في الخفة، فيقال: أخفُّ من لمعة بارق.. وخلسة سارق، وحسوة طائر: جمهرة الأمثال ٤٤٨/١

[١٦٠] يضرب بها المثل للمستعجل في الأمر، ويشبه بمن يدخل دارا ليقتبس نارا فلا يمكثّ فيها إلا قليلا، ريثما يقتبس، ثم يخرج، ومثلها عجالة الراكب. قال الشاعر :

ويقترف، ويعمل به ويحترف، ويقضي المهماتِ، ويكشفُ الملمّاتِ، وليلُه للطرب، وقضاء الإربِ والتنعم. والعجبُ كلُّ العجب ممن يستوخمُ فيه ما ينالُه من الطعام، وهو (١٩ب) يقودُه بأشهى الأدام [١٦١]، ويسوقه بأهنأ المُدام.

وذكر جالينوس :

أن الأوباءَ [١٦٢] التي تقع من العفونةِ تعمّ أثناءَ الناس إهلاكا وإفناءً إلاّ، مدمني الخمر، فإنهم يتخلصون ؛لأنَّ فضولَ الخمرِ لا تتعفنُ، فالخريفُ يمتّعُ بالطيباتِ المطلوبة، والملاذِ المحبوبة، ويُصلحُ ما أفسده القيظُ بمزاجه الحار اليابس بترطيب الشراب المري، ويسوّي ما عوّجه الصيف من النحولِ والذهولِ بتغذية الطعام الهنيّ، فهذا صلاح الخريف، وفساد الربيع.

قال الربيع:

(٢٠أ) لله أنت شيخٌ يُبهر بل يبهتُ العقولَ فيما يقول، ويعمي بل يعمه [١٦٣] الذكيَّ الفطِن بما يظهر مما يريدُ، أو يبطنُ إلاّ أن كلامَه لا يعدو مناعمَ المطاعمِ أو مطارب المشارب، والشيخُ مثلُك يجب أن يقنعَ من الدنيا باللذات التي تروّح الروحَ، وتنفّس النفس، وتقرّ العيون، وتسرّ القلوب، وتطرّب الأفهام الذكية، وتطرّي الأوهام الصفيةَ من مباهج الربيع، وملاذِه وطيباتِه ومسارِّه، فكلما صعّد الناظرُ فيه ناظرَه رأى وجها للسماء ببهجةِ البيضاء أبلجَ، وعينا سوداءَ من ظلامِ الغمام ذاتَ حدق أدعج، وهواءً (٢٠ب) باعتدال قوامه، وحسنِ نظامه، جدٌّ سجسج. والشمسُ تسفر حينا وحينا تتَّقد، والسماءُ تتخلعُ طورا وطورا تتسحبُ، والرعد يقهقِهُ من برقٍ يبتسم، ونبل الوبل[١٦٤] يرتمي عن قوسٍ في معارج الهواء، تتلونُ وترتسمُ، والسّحابُ كخليع من الفتيان يسكبُ دمَه، وقد هزّه طربُ الرّاح، والنسيمُ نشوانٌ والجو صاحٍ، وكلَّما صوّب ناظرَه إلى الأرضِ صعّد بصرَه بوشي ديباجٍ، حاكته يدُ الربيعِ ووّشته ونمنمته أناملُه بضروبٍ من الرُّقم، ونقشته وطرّزته من الورد بأحمرَ رغما للياقوت، وأصفرّ غيضا للعين، (٢١أ) وابيضّ خجلا للدرّ واللجين، وصبغته – أعني الورد– آونة على لونين ليتسلّى به العاشق والمعشوق، ويتفاءل باجتماعهما الشائق والمشوق، ومتّعت منه طورا باللّين الناعمِ حاسةَ الشَّم، وتارة بالرائحةِ الفائحة حاسة الشمّ، ، ومرة باللون الرائق الرائع حاسة البصر ،ثم جلت كل وقت عروسا من الرياض في

وزائر زار وما زارا كأنه مقتبس نارا.

جمهرة الأمثال ١/٥٨٦

(١٦١) الإدام ما يؤتدم به مع الخبز

(١٦٢) جمع وبأ

(١٦٣) يعمه: يتحير ويتردد

(١٦٤) االوبل المطر الشديد،ونبل الوبل سوقه ونزوله

ألوان من الأزهار، وأنواع من الأنوار، وقد غسلتها أيدي الغوادي،ومشّطتهاُ لمقابض[١٦٥] الروائح، وعطّرتها من النسيم المسكي بأطيب الروائح، فهي تختال وتتبرج، وتتعطر وتتأرج، وترفل في[١٦٦] حُلِلها (٢١ب)وحليِّها بين مرقّم ومنقّط، ومسهّمٍ ومخطط، ومسيّر[١٦٧] وملوَّن، وموجهٍّ ومعين، ومقرّط ومشنّف، ومتوَّج ومعصّب، ومكلّل ومزبرْج، وممسَّك ومعنبّر، ومصندَل ومكفَّر[١٦٨]، ومدرهمٍ ومدنّر؛ (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)[١٦٩] وصيغة، ومن يأت بمثله صبغة لا صنعة، وهل له شريك في صنعته :

كأنَّ السماءَ تجلو عروسا

وكأنّا من قطرِهِ في نثارِ[١٧٠]

وكأنَّ الرياضَ تنظرُ إلفا

وكأنّا لحسنِها في نظار

فالربيع أنموذجُ الجِنان، وترابُه المِسك الأصْهب، والعنبرُ الأشهب، والكافورُ الأزهر، (٢٢أ) وهواؤه لا حرٌّ ولا قرّ، وماؤه كوثر، وأنهار من ماء غير آسن وأنهار من عسل مصفّى، وأنهار من خمر لذة للشاربين[١٧١]، كذلك ماء الربيع خلوقي[١٧٢] في اللون، عسَلي بالذوق، خّمري بالصفاء والاستمراء.

وأما ما ذكرت من اعتدال زمان الخريف المسوّى[١٧٣] بالميزان، فهذا الاعتدال بالحقيقة موجود في الربيع، فإنّه معتدلُ الليلِ والنهار والأصائلِ والهواجرِ، وذلك الاعتدالُ الذي هو للأوقات

---

[١٦٥] لعلها بمقابض. في ط : لمقابض

[١٦٦] في الأصلين: من

[١٦٧] المسير الثوب فيه خطوط من القز والحرير ونحوه كالسيور

[١٦٨] مصندل له رائحة خشب الصندل ولونهن ومكفر : مغطى

[١٦٩] الآية ١٣٨ من سورة البقرة

[١٧٠] ورد البيت الأول في نص نثري في قول عبد الصمد بن علي ا لطبري يصف متنزها . وعبد الصمد هذا من شعراء دمية القصر . وقال الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ أنه لقيه بنيسابور ينظر دمية القصر ٢١٣ انوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم علي صدر الدين المتوفى ١١٢٠هـ تحقيق شاكر هادي شكر النجف ن مطبعة النعمان ١٣٨٨هـ/١٩٦٨

[١٧١] اقتباس من قوله تعالى في سورة محمد(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وانهار من عسل مصفى)

[١٧٢] الخلوقي نسبة إلى الخلوق وهو طيب مركب من الزعفران وتغلب عليه الحمرة والصفة

[١٧٣] في خ المسوا

موجود في الكيفيات لاستوائها في الوزن من الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وهو مرضي[١٧٤]

(٢٢ب)والاعتدال الذي للخريف مسخوطُ الكيفيات لخروجها عن الاعتدال إلى البرودة واليبوسة .. فالربيع من الأركان بمنزلة الهواء في اعتداله ولطافته، ومن أحوال العمر بمنزلة الصبي[١٧٥] في طراوته ولطافته. ومن الأخلاط بمنزلة الدم في عذوبته وحلاوته ؛لأنه شبابُ الزمان وريعانُ الأكوان، وعنوانُ العام، وعنفوان الأيام، وباكورةُ العمر، وبِكرُ الدهر، وأنفٌ الكأس، ورأسُ النفس بل هو عينُ كلِّ رأس، ومطلعُ القصيدة، وأول الجريدة.

وبالجملة الربيع لب الزمان والخريف قشره،(٢٣أ) والربيع نقيه والخريفُ عظمه، والربيعُ صفوُه والخريفُ كدْره، والربيع سُلافه والخريف عِكره، والربيع نديّه [١٧٦]، والخريفُ درديه[١٧٧]، والربيُع أنفُه والخريفُ ذنبُه، ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا[١٧٨]. والربيعُ صدرٌ والخريف عجزٌ .وليست الأعجازُ كالصدور.

قال الخريف:

تبين أن الفصلين أكثرُ مناعمَ وأوفر مكارمَ، وأوفى إغناء وإقناء، وأقنى [١٧٩]إعطاء وإبلاء[١٨٠]، وأصفى ابتداء وانتهاء، وكلٌّ منّا يمدح (٢٣ب) صاحبَه، ومن يمدحُ العروسةَ غيرُ أهلها[١٨١]، ويذمُّ قرناه، ولا تعدم الحسناء ذاما[١٨٢]

---

[١٧٤] في ط مرضى

[١٧٥] في ط: الصبى

[١٧٦] في خ بديه

[١٧٧] الدردي ما يبقى أسفل الزيت والدهن والشراب

[١٧٨] اقتباس من قول الحطيئة (ديوانه١٢٨):

قوم ههم الأنف والأذناب غيرهم   ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا

مادحا بغيضا من قصيدته :

طافت أمامة بالركبان آونة   ياحسنه من قوام ما ومنتقبا

[١٧٩] في خ وأعفى

[١٨٠]

[١٨١] مثل يضرب في اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض وعجبهم بأنفسهم . قيل لأعرابي : ما أكثر ما تمدح نفسك !قال:فإلى من أكِل مدحها ؟ وهل يمدح العروس إلا أهلها .مجمع الأمثال ٣١١/٢

[١٨٢] جاء في المستقصى ٢١٣/٢ لا تعدم الحسناء ذاما، وأول من قالته حبّى بنت مالك بن عمرو العدوانية، وكانت من أجمل النساء فخطبها ملك غساني، وتأخرت النساء عن تطيبها وفي الصباح سئل زوجها عنها فقال، ما رايت كالليلة قط لولا رويحة عنها، فقالت هي من وراء الستر (لا تعدم الحسناء ذاما) وفي خ: لاتعدم خرقاء ذاما

فعلينا أن نبين وجه التفضيل، بخصائص كل منهما، وأنت تدّعي أن الربيعَ أبينُ صفاء، وأحسنُ اعتدالا، وأولى التئاما، وأبلغُ انعداما . أما الاعتدال بالذات فغير موجود للأشياء الكائنة الفاسدة؛ لأنها لو اعتدلتْ وتكافأتْ قواها، وتساوتْ أجزاؤها لامتنعتْ عن الفساد ؛ لأن كل واحد منهما منع صاحبه عن القهر والعناد .وأما الاعتدال بالإضافة فإنه يكون .

فلنبحث عن الفصلين أيهما أبين اعتدالا . (٢٤أ) فقد علمنا أنَّ الربيع أولُه عند مبلغِ الشمسِ رأس الحمل . والحمل تأثيرُه بالحرارة واليبوسة، ولفضله برودةٌ ورطوبةٌ ورثهما عن الحوت الذي استدبرَه وبرود ة ويبوسة يستفيدهما من الثور للذي يستقبله والميزان في نفسه تأثيره الحرارة والرطوبة، ولفضله برودةٌ ويبوسةٌ مستفادةٌ من السّنبلة التي استدبرَها، وبرودة ورطوبة من العقرب التي يستقبلها، فإذا قوبل كلُّ واحدٍ منهما بصاحبه ساوى الحوت والعقرب والثور السنبلة في كيفياتها، وبقي الحَمل في نفسه (٢٤أ) حارا يابسا ؛ لأنه بيتُ المريخ وشرف الشمس وناهيك بما لهما من الحرارة واليبوسة .والميزان بيت الزهرة وهي أحد السعدين، فبقي للميزان الاعتدال، ولذلك سمي به ؛لأن فصل الخريف استفاد من الصيف حرارة ويبوسة، ويستقبل من الشتاء رطوبة ويبوسة، وهو في نفسه حار رطب. وأما تشبيهك إياه بالشيخ ، وتشبيهُ الربيع بالصبي، ثم تفضيلُ الصبي على الشيخ. فهو أمرٌ غريب، ومعنى بديع، وهبْ أنَّ الخريفَ في طبع الشيخ والربيعَ في طبع الصبي، أ في الدنيا أحدٌ يفضّل الصبي على الشيخ ـ فإن للصبي (٢٥أ) رطوبة موجية مضطربة تمنعه عن جودة إدراك المحسوسات، فضلا عن إدراك المعقولات، والشيخُ ذهبتْ عنه رطوبةُ الصبي، وانفصلت منه حرارةُ الشيبةِ المفرطة، واعتدلتْ كيفياتُه، وتكافأتْ قواه، وتساوت أحوالُ مزاجه فلذلك يكون أدركَ، وأدرى، وأبلغَ وأبلى، وألطفَ وألظى، وأذكرَ وأذكى .

وشبّهت طبعَ الربيع بطبع الهواءِ، فلَعمري إنَّ الميزان أليقُ بهذا التمثيل من الحَمل لو أنصفت ؛ فإن المنجِّمين والأطباءَ أطبقوا على قولهم إنَّ الميزانَ (٢٥ب)هوائي أيْ له طبعُه وكذلك الدم .

وأما ما ذكرتَ أنَّ الربيع استبدّ بالورد والنَّور والزَّهر، واختص بالشراب الصافي، والماءِ الخلوقي، والهواءِ الرقيق، والسماءِ المبرقةِ المرعدةِ، فقد علمنا ذلك .

أما الورد فقد يكون أيضا في أيام الخريفِ وخصوصا النسرين[١٨٣]، وهو أطيبُ ألوانه، وكذلك النَّور والزهر، وكلُّها في الخريف أطيبُ منها في الربيع، لأن رائحتَها محصورةٌ فيها غير منبعثةٍ عنها . وإن كان الربيعُ يزهى بالورد السريعِ الورود، العاجلِ الصدور الذي لا يتشممه الشامُّ صالحا، (٢٦أ) وإذا هو ذابل ولا يشمُّه اللامس وافيا،وإذا هو ذاوٍ، ولهذا يعيِّر العشّاق

(١٨٣) في ط النسترن

معشوقيهم بالانتقال عن العهد، والزوالِ عن الودّ، ويشبهونه بالآس، وإنما منعهم أن يتشبهوا بالنرجسِ مع بقائه، وحسنِ عهدِه ووفائه ؛لأنه يكون تزكيةً لأنفسهم وتفضيلا لذواتِهم على معشوقيهم [١٨٤] بالحسن الرائق البهِج، والطيب الريح الأرِج، والطرفِ الفاتر الغنِج، والقدّ المستوي المنعرِج،هذا مع بقائه، ووفائِه وإمتاعِه بنفسه جملة أشياعه وأتباعه، والخريف مختصٌّ به، وبالزعفران أيضا، وهو من الحسن (٢٦ب) والطيب، والتفريح والترطيب العطر والطبخ والأدوية والطيب، وله والتفريحُ والتطريبُ والنفعُ في أدوية كثيرة، ومعاجينَ جمّة، وذرائرَ [١٨٥] عزيزة ما لا خفاءَ به. وله مدخل في عداد العطر والطبخ والأدوية، وإصلاح الأغذية، وتطييب المآكل، ويبلغ في التفريح مبلغا لا يبلغه شيء إلاّ الخمر. وقد يلقى فيها، ويسقى الشارب تعمّدا، فيصير به ضاحكا آتيا بعجائب من المطاربِ [١٨٦]والملاعب .

واما الشرابُ الصافي فقد يكونُ أيضا في الخريفِ أصفرَ وأعتقَ منه في الربيع، ويفضَّل الخريفُ بالحديثِ الطريفِ، وما للربيع فمن الخريف استفادَ، وكلٌّ خير له من عنده، (٢٧أ) والشربُ من أوفقِ الأشياءِ بالخريف، وهو أصلح منه في سائر الفصول؛لأنَّ الشراب فعلُه التسخينُ والترطيبُ ؛لأن هذا الفصلَ مكتسٍ و مكتسِب من الصيف يبوسةً، ومن الشتاء برودةً، فيكسر سوْرتَهما به، ويفلُّ غائلَتهما بسببه، وهو ضارٌّ في الربيع ؛لأن فصلَه اجتلب رطوبةً من الشتاء، واكتسب حرارةً من الصيف، فلا يقوى على حرارةِ الشرابِ والفصل ورطوبتيهما، فلا تحتملهما طباعُه ولا يستقل بهما مزاجه، وهو ضار أيضاً في الصيف لإفراط الحرارة . وفي الشتاء أيضا لكثرة رطوبته، (٢٧أ) فأوفق الفصول للشراب الخريفُ، وتعديل المزاج قلمّا يتأتّى إلاّ لمن يتعاطى الشُّرب هذا مع ما فيه من الطرب والسرور والفرح .وأجمع الأطباءُ أنّهم ما وجدوا شيئا يقوم مقامَه في تعديل المزاج، وتسويةِ القوى بلا مضرّة واجتلابِ الفرح والمسرّة إذا أُخذ على وجهه منه ؛ولذلك فال فيه القائل:

هما ما هما لم يبق شيئا سواهما

حديث صديقٍ أو عتيق رحيق[١٨٧]

---

[١٨٤] في ح معاشيقهم

[١٨٥] الذرائر ومفردها ذرور وهي مسحوق ما يذر في العينأو على الجرحمن دواء يابس، أو ما يذر على الطعام من ملح وغيره

[١٨٦] في ح المظارب

[١٨٧] البيت الأول منسوب ليزيد بن معاوية في وفيات الأعيان ١٦٢/٤ وفوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس. بيروت ن دار صادر١٩٧٣ج١/ ٣٣٢ ومنسوبان لأبي الفتح الحاتمي في خريدة القصر وذكر الباخرزي لأن أبا حاتم أنشده لنفسه في هرات سنة ٤٤٥هـ ورواية البيت الثاني : وإني من

وهوّنت حلو الحادثات ومرها

بحلو حديث أو بمر عتيق

وأما الماء الخلوقي الذي اعتددتَ به، فما أدناه من اعتدادٍ وأقصاه من سَداد . أي خِير في ماء اختلط بالطين،وامتزج بالتراب والصلصال (٢٨أ) المهين، فلا يمكّن الشارب العطشان أن يقربه فضلا عن أن يشربه .

وأما البرقُ والرعدُ فأيُّ فائدة فيّ بارقة ربما عادت شرَّ صاعقة[١٨٨]، وحرقت أشخاصا كثيرة ولا تخلو من إحراق قط إذا كثرت حتى أنه تُذهب كثيرا[١٨٩] من الأثمار مثل الكمثرى وغيره .

وأما الرعد فإنه في قلة المنفعةِ كصوت الطبل، بل دونه، فإنَّ في هذا إنذارا بأمرِ حادث وسلطان طاريء، والرَّعد يهدم كثيرا من الأبنية البرية، ويفزع [١٩٠] جمّا غفيرا من البرية، ولهذا يقال لمن يتهدد بباطل: فلان يرعد ويبرق، كما قال الشاعر :

أبرق وأرعد يا يزيد

فما وعيدك لي بضائر [١٩١]

قال الربيعُ:

(٢٨أ) ما أحسنَ كلامك لو كنتَ تراعيه، فلا تنقضُ في القابلِ ما تبيّنه في الغابرِ. زعمتَ أنّ الخريفَ تأثيرُه بالحرارةِ والرطوبة لأنَّ الميزانَ يتولاه، هوائي دموي، ثم جئتَ إلى ذكرِ الشرابِ وقلتَ هو موافقٌ في الخريف،لأنَّ طبعَ الخريف بارد يابس وطبع الشراب حار رطب، ونسيت ما ذكره الحكماء في طبع الخريف وأنه بارد يابسٌ مبرحٌ، مكرِب مترِح، ولذلك كانت أمراضُه مزمْنة، وإطباقهم أنَّ طبعَ الربيع حارٌ رطبٌ (٢٩أ) مفرحٌ مطرِبٌ مُروَح؛ ولذلك صارتْ الدماءُ به في الأجساد منبثة، والحرارةُ الغريزيةُ منبعثة، وادّعيتَ أن الشُّر ب في الخريفِ أوفقُ وأطيب، وأغفلت أن الشرابَ حارٌ رطبٌ، وكذلك الربيعُ ،فالملاءمةُ بينهما أكثرُ والموافقةُ لهما به أوفرُ، والصحيحُ يغذِى المشاكل [١٩٢] الموافقِ، والمريضُ يعالَج بالضدِّ، وهبْكَ لم تعلمه

لذات دهري قانع بحلو حديث أو بمر عتيق، ونسب البيتان ليزيد بن معاوية وغيره في رسالة الطيف لعلي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي المتوفى سنة ٦٩٢ ص ١٧ (خلو من سنة الطبع ومكانه)

[١٨٨] في ط: صاعقه

[١٨٩] في خ يذهب كثيرا

[١٩٠] في خ وتفرع

[١٩١] البيت للكميت بن زيد في شعره، تحقيق داود سلوم، دار الأندلس بغداد١٩٦٩ ج١ ٢٢٥ .وقد كتب في المخطوط نثرا

[١٩٢] في ط بالمشاكل

.أما شَهدَ لك الحسُّ الصادقُ بطيبِ الشرابِ الموردِ على الورد ؟

أوَ ما سمعتَ ما قال فيه القائلون، وما تقلَّب في أفانينِه الشعراءُ والملهون؟

أوَ ما بلغك أنّ (٢٩ب) أحدَهم يحلّف ابنا له ألاّ يشرب، فلما بلغ إلى آخره قال :أو زمان الورد أيضا، وامتنع من اليمين، ووثق أن يحنثَ فيه أو يمينَ .

وما حُكي أن حائكا في زمان المأمون كان يعمل عامه أجمعَ [١٩٣] اكتعَ[١٩٤] لا يستريحُ ليلا ولا نهارا ولا يجمُّ[١٩٥] سرا ولا جهارا، ولا يترك عملَه في الجُمعات والأعياد، ولا يفترُ عن شغلِه بالنوائب والمصائب، فإذا جاء زمنُ الورد ألقى خفه [١٩٦] واشتغل بالشرب أربعين يوما، ووُصفت حالُه للمأمون، فأجرى عليه ما أغناه عن عملِه وأجزاه عن حياكتِه وشغلِه .[١٩٧]

ولو ذكرت كله (٣٠أ) لتعسّر الخطبُ وطال الخطابُ، وعرضت حبالَ المقال، وامتدّت طُنب الأطناب، وإنما قلنا ذلك لأنَّ الشرابَ والربيعَ يتزاوجان بالامتزاجِ ويتحدّا ن في الازدواج، فيقوِّي فعل الروح لاتخاذها في الراح، وهذه هي علةُ الخمر في اجتلاب الفرح والأريحية والهزةِ التي تحدثُ للشارب؛ وذلك لأنَّ الدمَ ينبوعُ الحياة، ومطلعُ السرور بزيادة الحرارةِ الغريزية، ولهذا يكثرُ الفرحُ والضحكُ في الصبيان ولمن يغلب عليه الدم، وبهذا السبب بعينه يستولي الطرب على الناس في الربيع؛ (٣٠أ) لأنه فصل معتدل، والغالب عليه الحرارة والرطوبة، وهما طبع الدم الذي هو ينبوع الروح. فقد تبيّن أن الربيع يزيدُ في الروحِ، ويمدُّ في الرَّوْح، ولهذا المعنى اتفق اشتقاق الروح والراح والروح كلِّها من الريح معنى مُصيبا[١٩٨]. وأحسنَ ابن الرومي حيث قال :

واللهِ لا أدري لأية علّة

يدعونَه للراح باسم الراح

---

[١٩٣] في ط عمامة، وغي ط عامة

[١٩٤] أكتع اتباع لأجمع . يقال جاء الجيش أجمع أكتع، والاكتع الذي تثنت أصابعه إلى كفه ويد ل ذلك لمواصلته العمل

[١٩٥] لا يجم : لا يرتاح

[١٩٦] في ط: حفه

[١٩٧] الخبر في ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .بيروت، المكتبة العصرية ١٤٢٩هـ/٢٠٠٥م ص٣٤حلبة الكميت للنواجي شمس الدين محمد بن الحسن .مصر١٩١٦، ص٢٠٤ ثقافة الورد في التراث العربي/ابتسام مرهون الصفار .الشارقة، دائرة الشؤون الثقافية ٢٠١٤ ص٣٢

[١٩٨] الروح نسيم الريح، وراح يراح روحا :برد وطاب، والروح الرحمة، والرَّوح السرور والراح الخمرح إذا مرَّ ع ليها النسيم

أ لريحه أم روحه تحت الحشا

أم لارتياح نديمه المرتاح[١٩٩]

ويسمى الدم أيضا نفسا لهذا المعنى .ولمشاكلة الربيعِ الدمَ الذي هو مادةُ الروحِّ، وعنصر النفس(٣١أ) يهيج الربيع الدم خاصة ويثير سائر الأخلاط عامة، وفي إثارتهما فائدة خفيتِ عليك، وهي لكي تتداركُ بالمعالجةِ والمداواةِ، وشربِ الأدويةِ التي تجعل الأجسادَ منقّاة من الفضول، مسوّاة مصفّاة، والربيعُ ينثرُ حتى الجماد، وينبت حتى الأحجار، فضلا عن الحشائشِ والأشجار، ويُطلع الأزهارَ والأنوار، وينجم[٢٠٠] الأوراقَ والأثمارَ، ويظلّل السماءَ بالمطارفِ الغُبر، ويفرش الأرضَ بالمطارحِ الخُضر، ويجلِّل الجبالَ(٣١ب) بالحُللِ الحُمر، ويعقدُ على الرؤوس أكلّة[٢٠١] من الأشجار المتشعبة، ويحلل بها نثارا من الأنوار المونِقة، وينصب للطيور منابرُ تغني[٢٠٢] عليها ،وترمزُ أطيبَ الأغاني والزمر، ويطيِّبُ للناس لذيذَ العمر، فكأنه يضمهم عرسٌ واحدٌ ويجمعهم[٢٠٣] دعوة الجفلى[٢٠٤]، ويقرِّبهم مأدبةَ فوضى أو كأن كلُّهم ملك الأرض بأسرها، وكأن أزهارَها وأنوارها دراهمُ ولآلىء منثورةٌ عليهم، وورودهم وشقائقُهم دنانير، ويواقيتٌ مبذولةٌ لهم، وكأن نباتَها زبرجِّد ومينا وفيروزج (٣٢أ) متوَّجّة إياهم، وكأنّ أمواهَها الخلوقيةَ صهباءُ عتيقةٌ يشربونها فتطرب بها قلوبهم وترتاح، وتنزاح بها عنهم الكرب وتزول .

فهل يستوي هذا وقشف الخريف وظلفه ويبسه وقتره وغباره وكدره وتقبيضه وعبوسه وتقطيبه وبؤسه[٢٠٥]!، فعيونُ الناس فيه سائلة، وعيونُ الأرض جامدةٌ، ووجوه السماء مغبرَّة[٢٠٦]، وخدودُ الخلق مصفرّة، وظواهرُ الجبالِ ومفارقُها من هول البردِ مبيَضةٌ، وبواطنُ الورى وصدورُها من (٣٢ب) كْرب الخريفِ مُسوَدة، والشمائلُ من الأرواح عاصفةٌ، وشمائلُ البرية بالأرواح عاسِفة[٢٠٧]، فهذا حال الأغنياء منهم. فكيف ظنُّك بالفقراء الذين ما لهم غطاء ولا وطاء ؟

---

(١٩٩) البيتان في ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، دار الكتب مركز تحقيق التراث ٢٠٠٢ن الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢ج٢/٥٥٣

رواية الشطر الثني من البيت الثاني في الديوان :

أ لريحها ولروحها تحت الحشا

(٢٠٠) ينجم : يظهر

(٢٠١) في ط: أكله

(٢٠٢) في ط: تغنى

(٢٠٣) في ط: يجمهم

(٢٠٤) الجفلى : الدعوة العامة التي لا تخص بها جماعة دون جماعة، فإن خصّ سميت النّقرى

(٢٠٥) في ط: وبوسه

(٢٠٦) في ط: مغبره مصفره

(٢٠٧) عاسفة من العسف وهو السير على غير هداية

وأين [٢٠٨] مخيلتك في الغرباء الذين ليس عندهم ثاغية ولا راغية[٢٠٩] ولهذا كان عمر رضي الله عنه إذا أظل الشتاء كتب إلى كل ناحية : جاءكم العدو الحاضر فاستعدوا له .[٢١٠]

وإذا سفر الربيع نقابَه، واكتسى جلبابَه ارتاحت لمقدمه القلوبُ، وانتفتْ (٣٣أ) الغمومُ عمّن لا يملك قيدَ سبد ولا لبد [٢١١] ولا يلوي إلى والد ولا ولد .

وأما وصفك طبعَ الربيعِ بالاعتدال فالله كافيك، وحسبُك أنَّك تقول شيئا، وتعلم خلافه، وتظهرُ معنى وتضمر سواه، وإن يدري جميعُ الناسِ انَّك مموّه فيه، ومزخرف في ما تخلصه منه وتستصفيه. أوَ ما يخافُ الكذوب أن يذوبَ والفصل المعتدل لا تزمن أمراضه، ولا تدمن أوجاعه[٢١٢] : ولا تقتل أعراضه. وهذه قصيرة من طويلة.

قال الخريف:

(٣٣ب) حاصلُ كلامِك أنَّ الربيعَ ينبتُ ويورقُ ويزهرُ ويرعدُ ويبرقُ، وبقي لأن تنظر ما الشيء الذي يثمر ويجني[٢١٣] ويطعم، ويحصد ويقطف، وينعم بنعم ويزرع ويبذر، ويربي ويوفر . وليس ذلك إلا الخريف. و تفضيلُ الخريفَ على الربيع أمرٌ متفق عليه قد صنِّفت فيه كتبٌ سائرة، ودُوّنت به أشعارٌ في أيدي المتأدبين دائرة . فمن ذلك ما كتب علي بن حمزة [٢١٤] الى أبي الحسن ابن طباطبا[٢١٥] فقال:

---

[٢٠٨] في الأصل وأنّى

[٢٠٩] أي مال هم شاة ولا ناقة والثاغية صوت النعجة والراغية صوت الناقة

[٢١٠] في لطائف المعارف لابن رجب عبد الرحمن بن أحمد .تحقيق عامر علي ياسين. دار ابن خزيمة. ٧١١ إن عمر كان يكتب:إن الشتاء قد حضر وهو عدو، فتأهبوا له أهبته من الصوف والخفاف والجوارب، واتخذوا الصوف شعارا ودثارا، فإن البرد عدوٌّ سريع دخوله، بعيد خروجه. وعلق ابن رجبب أن عمر كان يكتب إلى أهل الشام لما فتحت في زمانه، فكان يخشى على من بها من الصحابة وغيرهم ممن لم يكن له عهد

[٢١١] قيل كلّ ما كان من الصوف والوبر فهو لبد، والسبد الشَعر

[٢١٢] في ح لا يزمن ولا يقتل

[٢١٣] في ط: ويجنى

[٢١٤] علي بن حمزة بن عمارة بن حمزة الاصفهاني، أبو الحسن . كان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف، وصنّف كتبا . وله مفاوضات ورسائل مع ابن طباطبا، وغيره . معجم الادباء٢٣١٤

[٢١٥] **أبو الحسن ابن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد الهاشمي القرشي** (ت. ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م) عالم وشاعر وأديب ولد في أصبهان وتوفي فيها.[1]

نسبه

الخريفُ ثمرةُ الربيع كالشجرة التي تُثمر، ولولا الثمرُ(٣٤أ) لم تكن في الشجر فائدة .

وفي الخريف تحصل أصناف ما يُتموّل، وما يدّخر من أقواتِ الخلائقِ الممسكةِ أرواحُها إلى الخريف القابلِ، وفيه يكون الزعفرانُ، وله على جميع أنوار الربيع فضلٌ، وله وردٌ يطلع كنصْل السهم الناوكي[٢١٦]، وقرْن الخشف [٢١٧] في لون الياقوت الأزرق، واللازورد المونق كالعيون الشهل ،وأعراف الطواويس المحجلة، وبتفتح عن شَعر[٢١٨] كخيوط الذهب، والخطوطُ الحمرُ في أغلاف الحُلَل الخضر،(٣٤ب٩)وكشرر نارٍ يلوحُ من حدائقِ البنفسج كألسنِ الحيّاتِ المنضنضة[٢١٩]، ويطلعُ وردُ الزعفران البري في السنة مرتين ربيعا وخريفا غير أنَّ البري لا يكون له نَورٌ، والزعفرانُ المستعمل وحشيشُ الزعفران يشبه أذنابَ الخيل، ويُصبِر على البرد، فيبقى أخضرَ ناضرا، والزروعَ مصفرّة، وله أصولٌ كعقد من العاج، وفلك مغازل الابريسم .. ويبقى تحت الأرض طويلا فلا يتغيرُ متدثرا بخمْل كصوفِ الخز، وليفِ جوزِ الهند .

وفي الخريف يُجد[٢٢٠] النخل(٣٥أ) . وتجزر[٢٢١] أعسال النحل، وتُقطف [٢٢٢] الأعنابُ التي فيها المنافعُ . وفيه اجتناءُ الأقطانِ التي منها لباسُ الناسِ وزينتُهم أحياء، وسترُهم بعد الفناء. وفيه يُقطف اللوزُ والجوزُ والعنّابُ والنبقُ وغير ذلك مما يعمُّ نفعه ، وفيه تتلاقح ذواتُ الأظلاف الإنسيةِ والوحشيةِ، وفيه مطارحُ البزاة .[٢٢٣]

وفيه ينضج [٢٢٤]الأترجُ وأوراقُه تشبه شقَقَ الفرند.[٢٢٥] إذا خطرتْ فيه الرياحُ خفقت خفقَ المطارفِ الخضْر، وله ورد كالفاغية[٢٢٦] وهي ثمرة الحنّاء، (٣٥ا) ويتفتَّقُ عن مثل خرزات الزبرجد ،ثم يعظُم وتشوبُ خضرتهُا صفرةَ الرحيقِ الأصفرِ، فإذا خلصت الصفرةُ صار ذلك كقلال ظاهرُها ذهَب، وباطنُها فضة، فيها حبٌّ كاللؤلؤ والمَرجان، وقشره ينفع المعمود، وله إذا حرِّك عرف يفوق أرج رياحين الربيع، ويستخرج منه دهن أذكى من النار، وله حِماض لذيذ يطيب

---

[٢١٦] الناوكي؟؟؟

[٢١٧] الخشف ولد الظبية أول ما يولد

[٢١٨] في خ شِعربكسر الشين

[٢١٩] المنضنضة : الحيات النشطة التي لا تثبت لنشاطها وقوة حركتها

[٢٢٠] يثجد: يُقطَع

[٢٢١] جزر العسل اشتياره واستخراجه من الخلية

[٢٢٢] في الأصل ويقطف

[٢٢٣] البزاة جمع باز وهي طيور جارحة

[٢٢٤] في خ يلحق

[٢٢٥] في الأصل والمخطوط الفريد والصواب الفرند والفرندوشي السيف

[٢٢٦] الفاغية هي ورد الحناء،وهي كل ما له رائحة طيبة

القدور، وينفع المحزون . وإذا تصرَّمت الرياحين في الشتاء فالأترج غضٌّ طريٌّ، وقد اجتمعَ فيه وفي العنب الطبائع الأربع. (٣٦أ) فوصف الخريف وذكر فضائله واقتص خصائصَه كما ترى في النثر .

وأما النظمُ، فمن ذلك ما قاله ابن الرومي من قصيدة:[٢٢٧]

لولا فواكهُ أيلولٍ إذا اجتمعتْ

من كلِّ نوعٍ ورقَّ الجو والماءُ

إذاً لما حفلت نفسي متى اشتملت

عليَّ هائلةٌ الجالين غبراءُ[٢٢٨]

يا حبذا ليلُ أيلولٍ إذا بردتْ

فيه مضاجعُنا والريحُ سجواء[٢٢٩]

وجمَّشَ[٢٣٠] القرّ ُ فيه الجلدَ واشتملتْ

من الضجيعين أحشاءٌ فاحشاء

وأسفرَ القمرُ الساري بصفحتِه

ريا لها من صفاءِ الجو لألاءُ[٢٣١]

ياحبذا نفحةٌ من ريحِه سحَرا

يأتيكَ فيها من الريحانِ أنباءُ[٢٣٢]

(٣٦ب) قل [٢٣٣] فيه ما شئتَ من شهر تعهَّده

في كلِّ يوم يدٌ لله بيضاء

---

(٢٢٧) ديوانه ١/٥٠

(٢٢٨) في ط وخ الحالين وهو تحريف وصوابه الجالين والجال هو ما تجول به الريح على وجه الأرض من تراب وحصا

(٢٢٩) سجواء : ليّنة

(٢٣٠) جمش : أحرق

(٢٣١) في ط. وريا لها وهو تحريف

(٢٣٢) في الديوان : تأتيك...إمضاء

(٢٣٣) في ط: بل، وهو تحريف

ومن ذلك ما قاله عبد الله ابن المعتز [٢٣٤]:

اشرب على طيب الزمان فقد حدا

بالصيف من أيلول أسرع حادي[٢٣٥]

وأشمّنا بالليل برد نسيمه

فارتاحت الأرواح في الأجساد

وافاك بالأنداد قدّام[٢٣٦] الحيا

والأرضُ للأمطار في استعداد

كم في ضمائر تربها من روضة

بمسيل ماء أو قرارة واد

تبدو إذا جاد السحاب بقطره

وكأنما كانا على ميعاد

وقال أبو عمر عبدان الفرخي [٢٣٧] يصف الخريف ويفضله على الربيع:

وأرى [٢٣٨] الربيع عيونَ قومٍ اغفلتْ

طيبَ الخريف وسجسجَ الأسحار

(٣٧أ) إن كان ذاك لواضحاتِ دراهمٍ

بين الرياض يثرن من أشجار

فلها نثارٌ في الخرِيف يفوقُها

حُسنا على الجنات والأنهار

---

(٢٣٤) هو الشاعر الخليفة المشهور الذي تولى الخلافة ليلة واحدة توفي ٢٩٦هـ تنظر ترجمته في معجم الادباء ١٥١٩/٤-١٥٢٦ ، يضرب بخلافته المثل فيقال خلافة ابن المعتز: جمهرة الأمثال ٤٤٨/١

(٢٣٥) الابيات في ديوانه، بيروت، دار صادر ١٧٧ وفيه: واشرب

(٢٣٦) في ط: إقدام والتصويب من الديوان

(٢٣٧) سماه التيفاشي عبدان بن عبد الله الأصفهاني، وأورد الأبيات في وصف الخريف : سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لأبي العباس التيفاشي، أحمد بن يوسف (ت٦٥١هـ) ص٦٥٥

(٢٣٨) في سرور النفس : راب وهو تحريف

تحكي دنانيرا لنا أوراقُها

ولها فضيلةُ مطعمِ الأثمار

وخلا الربيعُ فما لنا فيه سو

ى الأرواحِ والأنواءِ والأمطار [٢٣٩]

ومخافةِ الإرعاد[٢٤٠] إثرَ صواعقٍ

ترمي البلادَ وأهلَها بالنار

فاسعدْ بتشرينينِ وانعِمْ منهما

متعوِّذا بالله من آذار

واشربْ على ورديهما مشمولةً

من زعفرانٍ طالعٍ وبهارِ [٢٤١]

يغنيك عن وردِ الربيع وعُرفه

عن شم طيب لطيمة [٢٤٢] العطار

ياحبَّذا أيلولُ جاءَ مبشِّرا

بالخِصبِ بعد المحْلِ في الأمصار

والشمسُ فيه وفيهما ميزانُه

حلّت لوزنٍ عادلٍ المعيارِ

أخذ النهار وليلنا حظيهما

فالليل عن وزن كفاء نهار

وكفاكَ في ذمِّ الربيعِ روايةً

يُنبيكَ عنها حاملُ الأخبار

---

(٢٣٩) روايته في سرور النفس وخلا

(٢٤٠) في خ ومخافة الإرعاد

(٢٤١) بعدها خمسة أبيات لم يوردها التيفاشي

(٢٤٢) اللطيمة ك العير التي تحمل الطيب وقيل هي وعاء الطيب

فاذكرْ كلامَ نبيّنا في قولِه

صلّى عليه ملائكُ الجبّار

إذ قال هلْ بخروجِ آذارٍ لنا

خوفُ القيامةِ فيه من بشّار [٢٤٣]

وقال أيضا يصفه:

آذارُ جوُّك للغيومِ مسخَّرٌ

إذْ لستَ أنتَ لنا الخريفُ الأزهرُ

وضرُ الشتاء بنا أضرَّ وبرده

فابعدْ رشيدا أنت منه أوضَرُ

(٣٨أ)ركدتْ غيومُك في السماءِ كأنَّما

غطّى عليها منك لبدٌ أغبرُ

هاذاك أوَّلُ برده متزايدا

من ظلّ كانونين مرّا أكدر

والشمسُ عن نظرِالورى محجوبةٌ

فكأنَّها عذراءُ أو هي أسترُ

تغدو وتُمسي في إسار أصايب[٢٤٤]

ولها متى طلعت شُعاع أعبر

ما بين نيسانٍ [٢٤٥] وبينَك عامنا

ضاعَ الربيعُ وظلّ ذاك المنظرُ

---

[٢٤٣] البيت فيه إشارة الى حديث موضوع نسب للرسول صلى الله عليه وسلم بقوله من بشرني بخروج آذار ضمنت له الجنة ،كتاب الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق نور الدين بن شكري بن علي . أصول السلف، المكتبة التدمرية هـ ١٤١٨/ ١٩٩٧

[٢٤٤] جمع صيب وهي سحاب كثيف قاتم تصحبه عواصف الرعد الممطرة

[٢٤٥] في خ ما بين ميسان وهو تحريف

فمتى نرى مِلأ السماءِ وثوبَها

إلاّ لبودٍ لازورد أخضر

ومتى يقلُّ بكاؤها وربوعُنا[٢٤٦]

من دمعِها خربت وهذا أهدرُ

ومتى ترى شمسَ السماءِ شماتةً

بالغيم يبسمُها شعاعٌ أنور

(٣٨ب)أوليس ليلُك والنهارُ تساويا

والشرُّ فيك من المنايا أكثر

والفصلُ يؤذِن بالحياةِ وطيبِها

ما بالُنا فيه نموتُ ونُقبرُ

عاما أرتكَ عجائبا أيامُه

عين التفكّر فيه ليلا يسهر

فيه وفي الماضي كسوفٌ ستَّة

كلّ على الإنسان منه يُحذَرُ

موتُ الفجاءة والخوانيق التي

كلاً أصابت بالمنية تُنذر

أحكامُ كلٍ من شهور ستة

عن قول بطليموس ذلك يؤثر

منها ثلاثٌ قد مضت وثلاثةٌ

فيها لمنْ ينجو و يعبرُ معبر

إنَّ[٢٤٧] المنجمَ والطبيبَ تعجبا

إذْ لم يكنْ في العُرف مما يذكَرُ

---

[٢٤٦] في خ ورباعنا

[٢٤٧] في خوأي

والفيلسوفُ بذاكَ أيضا جاهلٌ

فهمُ جميعا في المنايا حُيَّرُ

(٣٩أ) إن كان ذلك في الورى في دورِها

سنتين إنْ صدقتْ بما قد خبَّروا

لكنْ أقولُ إذا أراد إلهُنا

أمرا إليه يصيرُ عبدا يؤمَّرٌ

لا تكذبنَّ فإننا بقضائه

طوعَ الرَّدى حتما نموتُ ونُنشرُ

والفوزُ في الدنيا وللأخرى[٢٤٨] الذي

منّا على البلوى الممحّض أصبر

وقال أيضا في فضل الخريف على الربيع:

فضُلَ الخريفُ على الربيعِ بحسنِه

إنْ عمّ كلَّ مدينةٍ آثاره

وله مناظرُ حسنِ ذاك وزادُنا

طيبُ الفواكهِ كلَّها أثماره

يصفو الهواءُ لنا ويبردُ ماؤنا

ويطيبُ مرقدُنا وتحمد ناره

تلتذُّ فيه صَبوحُنا وغبوقُنا

عبَق النهارِ وسجسجٌ أسحارُه

(٣٩ب) وأرى المخالفَ ذا قياسٍ فاسدٍ

قد ضلَّ لما راقَه أنوارُه

إذْ قال ضاهى النورُ فيه دراهما

ما للخريفِ على الرياضِ نثارُه

---

[٢٤٨] في ط: الأخرى....للذي

غفلَ الركيكُ عن المجالسِ كّلها

فيه إذا ما دنَّرت أشجاره

وتناثرت أوراقُها مصفرةً

كالتِبرِ أُخلِصَ فاستنارَ نضارُه

والمهرجانُ فمخصِب بنعيمِه

فإذا تنورزَ مُقحِلٌ أنوارُه

وتخافُ وقعَ صواعقٍ وبوارقٍ

فيه وهدمُ رباعِنا أمطاره

وكذا المياهُ وهدّ واديها بها

مهما جرى وتدفقتْ أنهارُه

والمهرجانُ فوردُه عن وِردِه

مغنٍ يفضل حسنَه نظّاره

إذ [٢٤٩]كان فيه منافعٌ ولطيبِه

لم يخلُ منه طيبه عطارُه

والشمس في الميزان فيه يستوي

للوزن عدلا ليلُه ونهاره

يسقيك من حلبِ الكُرومِ جديدَه

سلسا بلا مزج يطير شرارُه

(٤٠أ)لاغولَ فيه ولا أذى لخمارِه

لا كالعتيق مصدِّع مصطارُه

فاشربْه مغتنِما لروحِ زمانِه

ودعِ الشقيَّ[٢٥٠] موفرا أوزارُه

---

[٢٤٩] في خ إذ ما

[٢٥٠] في ط: الشقى

وارتدْ له طيبَ الغناءِ ومزهرا

تُشجي فؤادَ متيّمٍ أوتارُه

والزمْر لا تقرعْ به أسماعَنا

إن الغناءَ يعيبُه [٢٥١]مزمارُه

هذا الزمان وما سواه دونه

لفتى تساعدُه [٢٥٢]به أوطارُه

إن كان يُنكرُ جاهلٌ هذا بلا

عقل فليس يضيرنا إنكارٌه

فإذا أتى النيروزُ فاقضِ حقوقَه

ما دام يُسعد وردَه أزهاره

وإذا رجوا فيه القيامةَ فارج أن

يأتي بوشك خروجه بشاره

وارقبْ طلوعَ النجم حتى ينقضي

نيسانُ تأمن إن دنا أيَاره

وقال الباذاني [٢٥٣] في نعت الخريف:[٢٥٤]

وأسعدك الله بالمهرجان

إذا ما انقضى عنك عاما يقرّ

---

(٢٥١) في خ يغشه

(٢٥٢) في خ يساعده

(٢٥٣) في محاضرات الراغب الأصفهاني البادي الأصفهاني ٢/ ٦١١ الباذاني والبيت الأول في المحاضرات نفسه٢/٢٥٣ . واستطعنا الوصول إلى صحة اسمه بمراجعة معجم البلدان ٣١٨/١ طبعة دار صادرج٣١٨/١ حين ذكر باذن بانه من قرى خابران من أعمال سرخس منها أبو عبد الله البا ذي .كان يمدح البلعمي الوزير ، شاعر مجود كان يمدح البلعمي الوزير وغيره، وكان ضريرا .وورد

(٢٥٤) الأبيات في من غاب عنه المطرب١٩ وفي سرور النفس/ التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.بيروت ١٩٨٠ ١٧٠ –١٧١ وبعد البيتين بيت ثالث هو:

يرى الماء منه ذاك الهواء يجلوهما نسم كالسحَر

(٤٠ب) ترى الماءَ فيه وذاك الهـ

ـواء يجلوهما نسْم ريح عطر

ترى الزعفرانَ بأعطافِه

يفوحُ التراب له المقشعِر

وأترجه عاشقٌ مدنفٌ

إذا ما رجا طيبَ وصل هجر

ولون سفرجلة حائلٌ

وأحسَبه من صدود حذر

وتفاحة فوق أغصانِه

خدودٌ خجَلن لوحي النظر

وما كنت احسَب أن الخــدو

د تكون ثمارا لتلك الشجَر

وقال آخر :

هنّاك[٢٥٥] إقبالُ الخريف

عليك بالزّهر الجني

تمَّ اعتدالا في الكمال

فجاء في خلق سوي

فاق الربيعَ بحسنِه

ونسيم ريّاه الذكي

وينوب ورد الزعــفر

ان به عن النَّور البهي

أهدى إليك المهرجان

يميس في زي الهدي

---

[٢٥٥] في ط: فهناك

(٤١أ) قد ضمِّخت بالزعفران

وهيئت في حسن زي

وتحلت التفاح والأتـــ

ـرج في نظم الحلي

قال الربيع:

ما كنت اظن أنك ترضى بحكومة الشعراء، وتقنع بالأشعار الركيكة في هذا الباب، وتُكيل علينا بهذا الصاع، بل تهيل بالباع والذراع، فهاك منه السيلَ الذي يحكي سيل الربيع:
فأما رسالة أبي الحسن علي بن حمزة بن عمارة الأصبهاني فهي مقابلة برسالة له أخرى في وصف النيروز كتب بها إلى أبي مسلم محمد بن بحر [٢٥٦] فقال:

- هذا يومٌ عجميٌّ، مشرقُ الأرجاء، بهيُّ الرواء، ممتعُ الذكاء، منيرُ السماء، صافي الهواءِ، اعتدل مزاجُه،(٤١ب)
-) واستوى ليلُه ونهارُه، ترتاحُ له القلوبُ، وتهتزُّ له النفوسُ، وتستريح إليه الأرواحُ، ، يروق العيونَ، ويؤنس القلوبَ، ويجلو الكروبَ . يومٌ مصطلّحٌ في تفضيلِه على الأيامِ، يهيّج السرورَ ، ويُصبي الكبيرَ، ويُطربُ الحليمَّ ويذكِّر الشيب الشباب،، ويجمعُ المتفرِّقَ، ويؤلِّف المتنافرَ، ويُدني المتباعد. له نسيمُ المسكِ المشوبِ بالعنبر المُداف[٢٥٧]، ويضاحِكُ أرجوانُه أقحوانَه .وجلّناره بهارَه، وخيريّه ياسمينَه، ووردِه نرجسه، فتبرج بعد التعنّس، وتنضر بعد التيبس، وابتهج بعد التعبّس، وتوشّح بالزبرجد،وتأزَّر بالاستبرق، (٤٢أ) وتحلَّى بالياقوت والمرجان، ونفى عن الفتيان خواطرَ الأحزانِ فهممُهم عليه موقوفة، وأشغالُهم إليه مصروفة، وقلوبُهم بالملاهي فيه مشغوفة، وعيونُهم إليه روانٍ، ونفوسُهم عليه حوانٍ، والظبا فيه تتنازى[٢٥٨] والطيور تتبارى ، وناطقُها فيه يطربُ فيرتجل الأغاني، ويقرب الأماني، ويغنّي الشرْبُ فيه عن كل صوتٍ شجٍ مطربٍ إذا تحاذتْ تطارحتْ الألحانُ بفصاحة سحبانّ[٢٥٩] وخالد بن

---

[٢٥٦] أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، من أهل أصبهان، معتزلي مفسِّر، وله شعر ومجموع رسائل . وله تفسير نشر الجزء الأول منه بتحقيق خضر محمد نبها في دار الكتب العلمية بيروت عام ٢٠٠٧. وكان كاتبا مترسلا بليغا متكلما ولد سنة ٣٥٤هـ وتوفي سنة ٣٢٢هـ . معجم الادباء ٢٤٢٨/٦

[٢٥٧] المداف : المخلوط

[٢٥٨] تتنازى تتحرك بخفة

[٢٥٩] هو المعروف بسحبان وائل وهو سحبان بن زفر بن الياس، أسلم زمن الرسول صلى الله عليه وسلم معروف ببلاغته وله خبر وفوده على معاوية، وخطبته خطبة طويلة، توفي سنة ٥٦هـ. ينظر معجم الأدباء ٢١١، ٢٣١٣، ٢٨٤٥

صفوان،[٢٦٠] فرجحت الأغصان بالنبرات والنغمات،فهن بمخضرَّة الرياض ساجعةٌ، وعيونُ الحوادثِ عليها هامعة[٢٦١]،فمتى خطرت (٤٢ب) الرواعدُ، ولمعت البوارقُ، مرَّت مرَّت الصّبا إخلاف العهاد،[٢٦٢] فاهتزت له الرّبى والوِهاد، وتلفّعتْ بورود [٢٦٣] اليمن، وتبسّمت الأرضُ عن ثغورِ الأقحوان، بكتَّها دموعُ الغيثِ في خيرِ أوان، وأجلِّ زمان، وتمايلتِ البقاعُ بالأزاهيرِ الناضرةِ تمايلّ النشوانِ يميسُ في الأرجوان، واختالتِ القيعانُ والجنانُ ببدائع الألوان، زاهرةً بأنواع نوّار الغياض، وأصنافِ أصباغِ الرياض من شقائق حُمرٍ ترفُّ بقطراتِ الدموعِ للمشتاق، وفواقعَ صفرٍ كألوان العشاق، وأزاهيرِ رائقة، مشفقةٍ مونقةٍ مؤنسة .هي الدهر(٤٣أ) ضاحكة لبكاء السماء، محيطةٌ بوادي الزرنرود، وهي كالمقرِم[٢٦٤] الصائل إذا جرجر بلعابه، والضيغمِ الهائج إذا زمجر وزأر في غيلِه ، فإذا اصطكَّت أمواجُه، وأطبقَ ضجاجُه [٢٦٥]وهمهّم وزجر، وجاءت أواذيِه [٢٦٦] معتجراتٍ [٢٦٧] بمطارف دكْن أقبلت ضروبُ نباتِه عائماتٍ متوشحاتٍ بتهاويلَ رقُمُها المنمنَم زهرُه مختالاتٍ [٢٦٨] عالمات بمجانفة الأمواج، آمناتٍ شبا الجوارح.

فنسأل الله تمام النعمةِ، وإليه أرغبُ في أن يجعلكَ بالنعمة تماما، وللمكارم نظاما[٢٦٩]، وللدنيا قواما بمنِّه.

ووصف علي بن عبيدة الريحاني[٢٧٠] الربيعَ فقال:

(٤٣ب)

---

[٢٦٠] خالد بن صفوان. أديب بليغ ولد ونشأ بالبصرة،له كلمات وأمثال . جالس الخلفاء الأمويين وأدرك أبا العباس السفاح وجالسه العباس . توفي عام ١٣٥معجم الأدباء ١٢٣١-١٢٣٦

[٢٦١] هامعة : دموعها تسيل

[٢٦٢] العهاد : مطر أول السنة

[٢٦٣] كذا في ط، ورجحنا البرود لأن اليمن مشهورة ببرودها

[٢٦٤] المقرم الذي يأكل أكلا ضعيفا أو بلا شهية

[٢٦٥] الضجاج هو الضجيج الشديد

[٢٦٦] الأواذي جمع مفردة الأذي وهو الموجة الشديدة

[٢٦٧] معتجرات متلفعة ملتفة، والمعتجر ما تلفه المرأة على رأسها

[٢٦٨] في ط مختالة

[٢٦٩] في خ نضاما

[٢٧٠] أحد البلغاء الأدباَء الفصحاء كان مقربا للمأمون . توفي سنة ٢٨٦هـ أنظر تاريخ بغداد١٩/١٢، معجم الأدباء ٢٨٢٣/١

ووصفه ابن أبي طاهر:

الربيعُ تامُ الجمال، حسَنٌ الدّلالِ، عظيمُ الخطرِ، لطيفُ النظَرِ، جميلُ الذكرِ، ذكيّ العطرِ، لذيذُ النسيم، طيّبُ الشّميم، غزيرُ النعيمِ، قليلُ الهموم، ظليلُ الغُموم.

وأما النظم فالقصيدة الأولى مقابلة بمثلها من قول بعض الشعراء :

طلعَ الربيعُ بغرّةٍ زهراءِ

تُجلي العيونَ بها من الأقذاءِ

(٤٤أ) وبدت وجوه الأرض بعد قطوبها

مفتّرة ببدائع الآلاء

فالأرض في حُلَلٍ وحلْي موثقٍ

فيما حبتْه به يدُ الأنواء

والروضُ يضحكٌ عن بكى وسميِّه

بتلألؤٍ من صنعةِ الأنداد

وترى الرياضَ كأنهن عرائسٌ

يرفُلْنَ من صفراءَ في حمراء

أوَ ما رأيت الأرضَ غبراءَ الرُّبى

حتى اغتدتْ في بُردة خضراء

إن الربيعَ لَبهجةُ الأرضِ التي

منها تكوَّن جوهرُ الأشياء

وله هواءٌ كالهوى من رقةٍ

دقَّت عن الأوهامِ والأهواء

وإذا تنفَّس بالنسيم نسيمُه

كتنفُسِ الصبواتِ [٢٧١] في الأحشاء

---

[٢٧١] الصبوات جمع صبوة وهو رقة الحب

زمنٌ جديدٌ للسرور تجددٌ

فيه اسُتحلّت حرمةُ الصَّهباء

وأما القصيدة الدالية فهي مقابلة بما قاله الحمدوي: [٢٧٢]

حيي الربيعَ فقد أتاك حميدا

بُدلت من خلِق الزمان جديدا

(٤٤ب)خلع السحابُ على الثرى وشيا ترى

منه الثرى ذا ثروة محسودا

روض أفادته السحاب صنائعا

أضحى بها كل البلاد سعيدا

نشأت سحابتُه عليه فأنشأتْ

نَورا تراه ناشئا ووليدا

فكأنَّها عدنٌ لدى أكنافِهِ

قد نشّرت فيه التجارُ بُرودا

عن أقحوانٍ ضاحكٍ متبسمٍ

يفتّر عن برّدٍ يُخال عقودا

فثغورُه عن لؤلؤ ولثاثُه

ذهبٌ بريقِ سحابِه قد جِيدا

ومعصفراتٍ من شقائق أُلبست

مُقَلا ترى فيها محاجرَ سودا

فانهضْ بطرفِك حيثُ شئتَ تجدْ له

من عطفه وردا يخال خدودا

---

[٢٧٢] الحمدوي اسمه إسماعيل بن إبراهيم الحمدوي شاعر عباسي، نسب إلى جده حمدويه . نشأفي البصرة، وهو شاعر مليح الشعر، حسن التضمين، اشتهر بشعره الذي قاله في طيلسان أحمد بن حرب الذي ضرب به المثل .توفي نحو ٢٥٠ هـ

تحكي لك الوجناتُ قد أشعرتَها

خجَلا فشرّب لونُها توريدا

قد وُشّحت أكنافُه ببنفسجٍ

خنِثٍ يغازلُ غانياتٍ غيدا

(١٤٥أ) وترى العذارى من بهارٍ باهِرٍ

للشمس تحسّب نظمهنَّ فريدا

زهرٌ يظل الطرفَ في أكنافِه

حسرا لرونقه النضير بليدا

فإذا الرياح مَشين فيه ظلَلنَ من

كسل النعيم رواكعا وسجودا

يصددن صيد منعم متهزَّم

أنحى له عذّاله تفنيدا

وأما القصيدة الرائية الأولى فمقابلة بما قاله أبو تمام [٢٧٣]، وبينهما بون بعيد:

رقَّت حواشي الدهر وهي تمرمَر

وغدا الثرى في حِليه يتكسر

نزلت مقدمة [٢٧٤]المصيفِ حميدةً

ويد الشتاء جديدة لا تكفر [٢٧٥]

مطرٌ يروقُ الصحوُ منه وبعده

صحوٌ يكادُ من الغضارةِ يمطر

غيثان فالأنواءُ غيثٌ ظاهرٌ

لك وجهُهُ والصحوُ غيثٌ مضمُر [٢٧٦]

---

[٢٧٣] من قصيدة يمدح بها المعتصم ديوانه ٣٣٢

[٢٧٤] في ط مقدمه

[٢٧٥] بعده بيتان في الديوان

[٢٧٦] بعده أربعة أبيات في الديوان

(٤٥ب) يا صاحبيَ تقصّيا نظريْكما

تريا وجوهَ الأرضِ كيف تَصوَّر

تريا نهارا مبصِرا قد شابه

زهرُ الرُّبى فكأنما هو مقمِر

دنيا معاشٌ للورى حتى إذا

جاءَ الربيعُ فكأنما هي منظر

أضحتْ تصوغُ بطونُها لظهورِها

نَورا تكادُ له القلوب تَنورُ

من كلِّ زاهرةٍ ترفرفُ

فكأنها عينٌ إليه تَحدّر

محمرَّةٌ مصفرةٌ فكأنها [٢٧٧]

عُصُبٌ تيمَّنُ في الوغى وتمضَّرّ

من فاقع غضِّ النبات كأنه

درٌّ يشقق قبل ثم يزعفر

أو ساطعٍ في حمرةٍ فكأنما

يدنو إليه من الهواء معصفرُ

صبغُ الذي لولا بدائعُ لطفِه

ما عاد أصفرَ بعد إذْ هو أخضر

والقصيدة الثانية الرائية مقابلة بما قال البحتري[٢٧٨]:

أ لم ترَ تغليسَ [٢٧٩] الربيعِ المبكِّر

وما حاكَ من وشي الرياضِ المنشّر

---

[٢٧٧] في الديوان مثصفرة محمرة

[٢٧٨] ديوان البحتري ٩٨٠ من قصيدة في مديج أحمد بن دينار

[٢٧٩] التغليس : السير في الغلس أي ظلمة آخر الليل

(٤٦أ) مررنا على بطياسَ[٢٨٠] وهي كأنما

سبائبُ عصْب أو زرابيٌّ عبقر

كأن القطر فيها إذا انثنى

إليها سقوط اللؤلؤ المتحدِّر

وفي أرجوانيٍّ من النَور أحمرٍ

يُشاب بإفرندٍ [٢٨١] من الروضِ أخضر

إذا ما الندى وافاهُ صبحا تمايلتْ

أعاليهِ من درٍّ نثير وجوهر

إذا قابلته [٢٨٢]الشمس قلت التفاتةٌ

لعَلوة في جاديّها المتعصفر

والقصيدة الثالثة مقابلة بما قال ابن المعتز[٢٨٣]:

أما ترى بهَجاتِ الروضِ في السحرِ

فوق الندى واتساق الوردِ في الشجر

إذا السحابُ سقاها في الدّجى خلعتْ

بعد السحاب عليها الشمس في البِكَر

والروضُ من زاهر زاهٍ بنظرتِه

وكامنٍ منه في الأغصان منتظرِ

(٤٦ب)حسبي من الورد توريدُ الخدود كما

حسبي مسرّةُ محسودٍ من البشر

---

[٢٨٠] بطياس اسم موضع

[٢٨١] الإفرند: جوهر السيف ووشيه

[٢٨٢] في الديوان :إذا عطفته الريح .والجادي الزعفران . والمعصفر :المصبوغ بالعصفر

[٢٨٣] الأبيات غير موجودة في ديوانه شرح الخطيب التبريزي، وهي في ديوانه شرح شكري فرحات ز دار الجيل،بيروت١٩٦٥

والقصيدة الرابعة مقابلة بما قال ابن الرومي:

أصبحتِ الدنيا تروقُ من نظرْ

بمنظرٍ فيه جلاءٌ للبصر

واها لها[٢٨٤] مصطنعا لقد شكر

أثنتْ على الله بآلاء المطر

والأرضُ في روضٍ كأفواف الحبر

(يهزُّه النوار زهراء الزهر)[٢٨٥]

تبرجت بعد حياء وخفر

تبرج الانثى تصدّت للذكر

هذا ما قيل في الأشعار، ولو استقصيتُ ما قيل في فضل الربيع لأدّى ذلك إلى الإكثار. ويكفيك من فضائلِه أنه ما ينبغ شاعر إلاّ وله شعر في الربيع .

وأما الآثار التي جاءتْ بها الأخبارُ فكثيرة أيضا، والنوروز الذي هو عنوانُ الربيع، تعظِّمه الفرسُ على سائرِ الأيامِ ، وتقول :إنه يومٌ فيروزيٌ روحانيٌ، (٤٧أ) فيه تحركتِ الأفلاكُ السبعةُ بعد أن كانت ساكنةً [٢٨٦]، وفيه دارتِ الكواكبُ السبعةُ في أفلاكِها بعد أن كانت واقفةً، وفي ساعة منه يزخُرُ فلك فيروزي بمعاني الأرواحِ لإنشاءِ الخلْق، وفيه خلق جُرمُ الشمسِ ، ولذلك يقال : أسعدُ ساعات النيروز ساعةُ الشمس.

قال الحسن بن سهل[٢٨٧]: سأل المأمونُ عليَّ بنَ موسى الرضا [٢٨٨]عن النيروز.

---

[٢٨٤] في ط وهالها

[٢٨٥] ساقطة من الأصلين والتصويب من الديوان

[٢٨٦] في ط واقفة

[٢٨٧] الحسن بن سهل، أبو محمد .تولى وزارة المأمون بعد أخيه ذي الرئاستين، زوج ابنته بوران للمأمون، وصف بأنه عالي الهمة كثير العطاء للشعراء وغيرهم .وفاته سنة ست وثلاثين ومائتين

تاريخ بغداد ٢٨٤/٨. / الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ). تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي١٤٢٢هـ/٢٠٠١وفيات الأعيان١٠١/٢ فما بعدها

[٢٨٨] أبو الحسن علي الرضا ابن موسى الكاظم كان المامون زوجه ابنته وجعله ولي عهده مما اثار غضب بني العباس فخلعوا المامون توفي ٢٠٢وصلى عليه المامون وقيل انه مات مسموما

وفيات الاعيان ٢٣٦/٣/٣

فقال: يوم عظَّمته الملائكةُ والأنبياء والملوك، فالملائكةُ عظّمته؛ لأنهم فيه خُلقوا والأنبياءُ عظّمته لأنه أولُ يومٍ طلعتْ فيه الشمسُ، والملوكُ عظّمته لأنه أولُ يوم من الزمان.

وعن عبد الصمد بن علي بن عبد الله [٢٨٩] رفعه إلى جدِّه (٤٧ب)عبد الله بن عباس قال: أُهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلّم في يومٍ جامُ فضةٍ عليه حَلاوةٌ فقال: ما هذا ؟

فقالوا : يومُ نيروز

.فقال : وما النيروز ؟

.فقالوا: عيدُ الفرس.

فقال: نِعمَ اليومُ الذي أحيا فيه العسكرة.

قالوا : وما العسكرةُ ؟

قال: القوم الذين خرجوا من ديارهم، وهم ألوفٌ، فأحياهم اللهُ في هذا اليوم، وردّ عليهم أرواحهم، وأمر السماءَ فأمطرتْهم مطرا كالشنف[٢٩٠] فلذلك اتخذ الناسُ صبّ الماءِ في النيروز سُنَّةً ، فأكلَ الحلاوةَ وقسّمها بين أصحابه وقال: نيروزا لنا كلّ يوم[٢٩١]

ويقال إن في النيروز أظهر جم [٢٩٢] الملك مقاديرَ (٤٨أ) الأشياءِ وتتبركُ الفرسُ صبيحتَه بأن تلعَقَ ثلاثَ لعقات من عسل، وتتبخَّرُ بثلاث قطَعٍ [٢٩٣] من شمْعٍ، وتزعمُ أنّه شفاءُ من ألفِ داء. زعم بعضُّهم أن من ذاق السُّكر صبيحتَه قبل الكلام، وأدهن[٢٩٤] بالزيتِ دفعَ عنه في عامِه أنواع البلايا.

قال الخريف:

رويتَ لنا يا بنيَّ أشعارا في صفةِ الربيعِ وفضائلِه ، وما تعرّضتَ لنقصِ الخريفِ ورذائلِه وعلى المناظرِ أن يقوِّي حججَه ودلائله، ويوهنُ براهينَ خصمِه وشواهدَه؛ ليتضحَ الحق، ويفتضحَ الباطل [٢٩٥] كما فعلنا ذلك، وإن لم نستوفِه، وأتينا على جُملٍ من ذلك ولم نستقصه .

---

[٢٨٩] هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أسند الحديث عن أبيه . توفي عام ١٨٥ ببغداد وصلى عليه الرشيد: تاريخ بغداد١٢/٣٠٠

[٢٩٠] الشنف ما يعلق بأعلى الأذن، وما يعلق بأسفلها يسمى القرط

[٢٩١] في بحار الانوار ٥/٢٣٧ روى المعلى بن خميس أن الإمام جعفر الصادق وقد سئل عن نيروز فقال : هو اليوم الذي أخذ الله ميثاق العباد أن يعبدوه . ووصفه المجلسي بأنه ضعيف : الموقع الرسمي للعتبة الحسينية

[٢٩٢] في النسختين جم الملك وجم الملك ينتسب إلي أفريدون مروج الذهب ٤٨/١

[٢٩٣] في خ ألقطاع

[٢٩٤] في خ وتدهن

[٢٩٥] في خ الرزق

وأما ما ذكرت من فضيلةِ النيروز فللمهرجان أيضا (٤٨ب) تُحصى، ومناقب لا تستقصى تزعم الفرس وغيرهم من الأمم أنه يوم خلق الله فيه الأجساد قرارا للأرواح، وفيه دحا الأرض دحوا، ونشر [٢٩٦] الخلائق، وهو يوم أفريغوني وعيد افريذوني، وفي ساعة منه يتنفس فلك أفريغون لتربية الأجساد . وفيه خلق الله القمر يوم خلقه كرة سوداء، فإذا كان يوم من المهرجان جلاها بضوئه .

ويقال إن القمرفي المهرجان يوفي على الشمس، وأسعدُ ساعاتِه ساعةُ القمر .

ويقال إن قمة [٢٩٧]جبلِ شاهينَ تُرى طوالَ أيامَ حتى صبيحة المهرجان ترى بيضاء، كأنَّ الثلج عليها .

(٤٩أ) وزعم المؤيد المتوكلي أن يوم المهرجان يطلع الشمس بمهاميز[٢٩٨] الواسط بين النور والظلمة، وتتحرك الأرواحُ في الأجساد ؛ ولذلك سمّته الفرس مير كان ؟.

(قال المسعودي : والسبب قي تسميته بالمهرجان أنه كان لهم ملك اسمه بهر يسير فيهم بالظلم والجور حتى مات، فسمي هذا اليوم بالمهرجان ومعناه :س وح بهر ذهبت . وقيل إن بهر بالفارسية حفاظ وجنان الروح. معناه. حفاظ الروح ذهبت .

ووقوعه في السادس عشر من مهرماه من شهور الفرس .وهو في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان .وفي التاسع والعشرين من شهر ابيب [٢٩٩] من شهور القبط)

وتتيمن الفرس صبيحة المهرجان بأكل الرمان، وشمّ ماء الورد، وهو يوم أفريذوني؛ مرّ أفريذون [٣٠٠] في طلب ببوراسف، فظفر به يومَ المهرجانِ الأكبر.[٣٠١]

فهذا ما حضرَ من فضائلِ الخريفِ وأولاها بأن يُذكَرُ أن الخريفَ في هذا الوقت الذي نحن فيه حاضرٌ لخدمةِ قوامِ الملك ونظامِ الدين أطال الله بقاءَه، وأدام في درج المعالي ارتقاءه . والربيعٌ غائب (٤٩ب)عن حضرتِه، آنسها الله بدوامِ نعمتِه، مشتاق إليها، والحاضر خير من الغائب، والموجودُ خيرٌ من المعدوم. فهذا آخرُ ما جرى بين الشيخ والفتى . وافترقا بعد ذلك. والسلام، والحمد لله أولا وآخرا، وباطنا وظاهرا، والصلاةُ على النبي محمد وآله أجمعين .

وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

---

(٢٩٦) في خ وأنشر

(٢٩٧) في الأصلين قلة وهو تحريف

(٢٩٨) المهاميز جمع مهمازوهو ما يهمز بهأي ينخس ويدفع

(٢٩٩) شهر أبيب هـ في السنة القبطية والشهر الحادي عشر

(٣٠٠) افريذون شخصية أسطورية يشترك بها الفرس والهنود، نسبت أليه أفعال وإنجازات كثيرة منها تذليله الفيلة وركوبه عليها، وعمل الترياق ورد المظالم، وأول من نظر في الطب .وغير ذلك: تاريخ ابن الأثير ٧٧/١، ويقول المسعودي : زعموا أن الفرس كلها من ولد افريدون الملك : مروج الذهب /المسعودي ٤٨/١

(٣٠١) ما بين القوس زيادة من هامش خ

المصادر:

– آباء الحداثة العربية، مدخل الى عالم الجاحظ والحلاج والتوحيدي / محيي الدين اللانقاني .دبي، دار مدارك ٢٠١٢

– الإعجاز والإيجاز/الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن منصور (٤٢٩هـ). القاهرة، المطبعة العمومية١٨٩٧

– الأنساب للسمعاني، أبو سعد عبد الكريم (ت٥٦٢هـ) تصحيح عبد الرحمن اليمان وعبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية١٣٨٣هـ/١٩٦٣م

–انوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم علي صدر الدين المتوفى ١١٢٠هـ تحقيق شاكر هادي شكر. النجف، مطبعة النعمان ١٣٨٨هـ/١٩٦٨

– تاج العروس من جواهر القاموس/ الزبيدي، مرتضى (ت١٧١٩م).الكويت تحقيق مجموعة من المحققين ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

– تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي/شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف

– تاريخ العراق في العصر السلجوقي /حسين أمين . بغداد ١٩٦٥

– التعريفات/ الجرجاني علي بن محمد (ت٨١٦هـ) بيروت، مكتبة لبنان ١٩٨٥

– خريدة القصر وجريدة العصر/العماد الأصبهاني (ت ٥٩٧هـ) تحقيق بهجة الأثري .بغداد مطبعة المجمع العلمي العراقي١٩٦٤

– دمية القصروعصرة أهل العصر /الباخرزي علي بن الحسن (٤٦٧هـ.حلب ١٩٣٠

– ديوان عبد الله بن المعتز، بيروت، دار صادر١٧٧

– رسائل الجاحظ/ الجاحظ أبو عثمان، عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) .تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة، مكتبة الخانجي

–رسالة الطيف / الإربلي، علي بن عيسى (ت ٦٩٢هـ) (خلو من سنة الطبع ومكانه

- فوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس.بيروت ن دار صادر١٩٧٣

– عيار الشعر /ابن طباطبا، تحقيق عباس عبد الساتر، ونعيم زرزور .بيروت دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ٢٠٠٥

–العين /الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٠هـ) . تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي .دار ومكتبة الهلال

– فوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس. بيروت،دار صادر١٩٧٣

- معجم البلدان /ياقوت الحموي (٦٢٩هـ) بيروت، دار صادر

- معجم المصطلحات الأدبية /علوش ،سعيد .بيروت، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- معجم مصطلحات النقد العربي القديم/ أحمد مطلوب . بيروت، مكتبة لبنان ناشرون ٢٠٠١

- الكامل في التاريخ /ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن ،ت٦٣٠هـ) تحقيق أبي صهيب الكرمي ،عمان، دار الأفكار.

- معاهد التنصيص /العباسي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد. بيروت، عالم الكتب .

– مفردات غريب القرآن الكريم/الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد(ت ٥٠٢هـ) تحقيق محمد سعيد كيلاني .بيروت، دار المعرفة .

–لسان العرب/ ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ) .بيروت، دار صادر

– مناقب الترك (رسالة)/الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)/ مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون. مصر مكتبة الخانجي

– من غاب عنه المطرب للثعالبي تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان . مكتبة الخانجي . القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤ .

– النجوم الزاهرة / ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ). مصر، دار الكتب المصرية وعنها نسخة مصورة في مصر، وزارة الثقافة ١٩٦٣ .

– الوافي بالوفيات / الصفدي، خليل بن أيبك (٧٦٤هـ) .تحقيق لأحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى .بيروت دار إحياء التراث١٤٢٠هـ٢٠٠٠ .

يتيمة الدهر /الثعالبي. تحقيق مفيد قميحة.بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ .

علم نحو القرآن

الأستاذ المتمرّس الدكتور محمد كاظم البكّاء

الملخص:

الذي عليه البحث أنّي وجدت القرآن نسيج وحده في بنية لغوية يختلف بها عن كلام العرب منثوره وشعره؛ فهو ثالث ثلاثة: شعر، ونثر، وقرآن، فدعانا ذلك لدراسة النحو فيه على وفق أسلوبه ومراميه؛ ليكون علما مستقلّا بنفسه هو (نحو القرآن).

إنّ مشروعية علم نحو القرآن هو بنيته اللغوية التي تتمثّل بالسورة والآية والنص على ما وضحناه، ثم إنّ مقاصده الشرعية تقتضي توجيهات نحوية تتسق وتلك المقاصد.

تمهيد

يُنسب (علم النحو العربي) إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يبادر الكلام على الباب الأوّل في قسمة الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، ثم ختم كلامه بقوله " فانحوا هذا النحو"، وهي قسمة منطقية في ضوء قاعدة مانعة الخلو: اللفظ لا يخلو من أن يكون له معنى مفيد بنفسه مقترنا بزمن معيّن فهو الفعل، نحو: كتب ويكتب واكتب الفعل، وأمّا له معنى مفيد بنفسه وليس له زمن معيّن فهو الاسم نحو: رجل وفرس وحائط، وأمّا ليس له معنى مفيد بنفسه، وإنّما يحتاج إلى ضميمة وهو قول النحاس في شرح كتاب سيبويه نحو: هل، في، لم؛ فاكتسب (علم النحو) تسميته لغة ومصطلحا، وقد اجتمعت أبواب النحو عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٠هـ ؛ فعهد بها إلى تلميذه سيبويه ١٨٠هـ فكان (الكتاب)، وتكاثرت نسخه وشروحه، وقد عانى الدارسون صعوبة في قراءته؛ فألّف ابن السراج ٣١٦ هـ كتابه (الأصول في النحو) وقد أخذ مسائل كتاب سيبويه؛ ورتّبها على منهج يختلف به عن منهج سيبويه، وقد ازدادت مصنّفات النحويون وشروحهم، ولاقت طبعة شيخ المحققين محمد عبد السلام هارون انتشارا واسعا، ولكنّي واجهت الصعوبة في دراسته ؛ فاتخذت رسالة الدكتوراه بعنوان (منهج التقويم النحوي في كتاب سيبويه)، فكشفت أنّ الصعوبة في منهجه وترتيب أبوابه وعنوانات أبوابه، فنشرته بعنوان (كتاب سيبويه تصنيف منهجي وشرح وتحقيق علمي).

وفي القرن العشرين أدرك الباحثون النحويون أنّ القرآن جدير بالدراسة مستقلّا بنفسه، فأقبلوا يتنافسون في بحوث موسومة بـ (علم النحو القرآني)، وتفرّد الدكتور أحمد عبد الستار الجواري بعنوان (نحو القرآن)، وهو عنوان دقيق، ولخّص هدفه بما نصه " قد كان خليقاً بمن وضعوا النحو وأسسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية أهم ما يقيمون عليه تلك القواعد ويستندون

إليه في وضع النحو"، ومن تلك الدراسات: النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري، وجاء في تقويم محمد حسن إسماعيل " يدرس هذا البحث دراسة ناقدة لكتاب: نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري " وينتهي البحث إلى أن هناك نظرية للنحو العربي تعتمد في قواعدها على القرآن أولاً، والحديث النبوي الشريف ثانياً، وكلام العرب من شعر ونثر ثالثاً، وليس من اليسير ولا السهل الاقتصار على القرآن الكريم وحده –كما يقول المؤلف– في إقامة قواعد النحو العربي .

كما ساق الباحث بعض المحاولات في النحو القرآني سبقت محاولة المؤلف هذه، مما يقطع بأنّ محاولة المؤلف ليست المحاولة الأولى من جنسها"، ومن المؤلفات في النحو القرآني (النحو القرآني في ضوء لسانيات النص) للدكتورة هناء محمود إسماعيل، و(النحو القرآني قواعد وشواهد) للدكتور جميل أحمد ظفر، وغيرها، وانتهى الدكتور ميثم الحمامي إلى أنّ النحو القرآني في الدراسات المتكاثرة هو النحو العربي، في محاضرته في المكتبة الفقهية المتخصصة (النحو القرآني النحو العربي) .

وقد واجهت بحوث (النحو القرآني) معارضة ؛ ذهب إليها الكاتب محمد حجر " ليس من الغلو في شيء إذا قلنا إن اعتماد النحاة على القرآن الكريم في استنباط أحكام اللغة العربية والتقعيد لها وكونه مصدرهم الأوّل هو من المعلوم بالضرورة عند الدارسين قديما وحديثا، ولم يحدث أن شكّك أحد في ذلك إلا بعض الدارسين المعاصرين في النصف الثاني من القرن العشرين، ادّعوا أنّ النحاة لم يعتمدوا في بناء قواعد النحو على القرآن وحده، وأنّهم خالفوه في قواعد كثيرة، حيث اعتمدوا على الشعر أكثر وهو لغة خاصة، وعلى لهجات العرب وهي يختلف بعضها عن بعض ولا يمكن توحيد قواعدها، ودعوا إلى إعادة النظر في النحو العربي كله، بالاقتصار في قواعده على القرآن وحده. فمن يا ترى هؤلاء الدارسون ؟ وكيف وصل بهم الأمر إلى ذلك؟ وما أدلتهم عليه ؟ وهل دعواهم حقيقة جديرة بالنظر فيها والاهتمام بها ؟ أم هي مجرد خيال لا نصيب له من الحق في الواقع ؟ وهل صحيح ما زعموه من وجود نحو قرآني يكفي وحده لتقعيد اللغة ووضع أحكامها ؟ ولم كان الحق في نظرهم هكذا وليس كما فعل النحاة الأولون ؟ كلّ هذه الأسئلة تقتضي منا الإجابةُ عليها أن نعرف أولية هذه الدعوى: كيف بدأت ؟ ومن قال بها ؟ وما دافعه إليها ؟ وهل هي بريئة غير مغرضة ؟ حتى نخلص للكلمة الحاسمة في الموضوع، ويتبين لنا بجلاء ما إن كان النحو القرآني حقيقة أم خيالا ؟" .

وهذا يوضّح أنّ الباحثين في موضوع (النحو القرآني) في مذاهب متباينة: أحدها، من يرى أنّ (النحو العربي) ينبغي أن يعتمد على القرآن، والمذهب الثاني: أنكر الدعوة إلى تبني النحو القرآني، والمذهب الثالث: كان محايدا بالاعتماد على القرآن والشعر والنثر على حدّ سواء .

ولكنّ الذي عليه موضوعنا لا ينتمي إلى واحد من هذه المذاهب المتكاثرة؛ وقد قوّمت هذه العلاقة في ضوء (علم المنطق) فاكتشفت أنّ ثمة علاقة منطقية بين (النحو العربي) و(نحو القرآن)، هي علاقة العموم والخصوص مطلقا، وهي أن ينطبق أحدهما على بعض مصاديق الثاني، وينطبق الثاني على كُلّ مصاديق الأوّل، مثل: الكاتب والانسان: كلّ كاتب إنسان، وليس كل إنسان كاتب؛ فالإنسان يشمل الكاتب وغير الكاتب، فنحو القرآن هو نحو عربي، وليس كلّ نحو عربي يشمل نحو القرآن؛ فثمة قضايا في نحو القرآن لا توجد في النحو العربي –وسيأتي بيانها – وذلك لاختلاف موضوعه وغايته مقيّدا بمبادئ الإسلام وأحكامه .

وهذه هي العلاقة التي لم يدركها الباحثون في (علم النحو القرآني)، فهم بين متطرف يجعل القرآن هو ما ينبغي أن يكون مرجعا للنحو العربي، وبين مخالف له، ومنهم من توسّط بين الحالين على ما أوضحناه.

***

وقبل ذلك لابدّ من توضيح معنى الإضافة في (النحو القرآني) وهي تعني أنّ ثمة علاقة بين النحو والقران في كونه من شواهد النحو مثل شواهد الشعر؛ فقولك: (خاتم ذهبي) إنما يعني ثمة علاقة بين الخاتم والذهب من حيث لونه، ولا تعني أنّ الخاتم صيغ من الذهب على سمت قولك: خاتم من ذهب أو خاتم ذهبٍ، أو خاتم ذهباً؛ وقد عنوّن سيبويه هذا الباب (باب الإضافة) في حين سمّاه النحويون المتأخرون (باب النسب)، وقد نظروا فيه إلى النسبة للبلدان والقبائل نحو: خوارزمي، وحجازي، وإنما هو باب واسع يتسع لكلّ إضافة تتعدّى البلدان والقبائل نحو (السكة الحديدية) و (النحو القرآني) بمعنى كشف الصلة بين النحو والقرآن على ما أوضحناه .

والذي عليه البحث أنّي وجدت القرآن نسيج وحده في بنية لغوية يختلف بها عن كلام العرب منثوره وشعره؛ فهو ثالث ثلاثة: شعر، ونثر، وقرآن، فدعانا ذلك لدراسة النحو فيه على وفق أسلوبه ومراميه؛ ليكون علما مستقلّا بنفسه هو (نحو القرآن) .

***

<u>تعريف علم نحو القرآن وموضوعه وغرضه:</u>

النحو لغة: من (نَحَوَ)، ومنه الناحية، والجهة، والقصد، وهو أقرب المعاني اللغوية لمعناه في الاصطلاح، والنحو اصطلاحا: هو العلم الذي تعصم مراعاته الخطأ في قراءة القرآن الكريم وتفسيره، وموضوعه: المباحث النحوية في القرآن التي تتمثّل في السورة والآية والنص، وغايته: تفسير القرآن الكريم على وفق الدين الإسلامي، وتوجيه الإعراب على وفق ذلك التفسير .

وقد ذكرنا أنّ العلاقة بين (نحو القرآن) و (النحو العربي) هي علاقة العموم والخصوص

مطلقا، وكذلك يصحّ أن نقول: إنّ ثمة (نحو الشعر) على سمت علاقة (نحو القرآن) بـ (النحو العربي)، وهو الذي يعرف بـ (الضرورة الشعرية)؛ قال سيبويه (١/ ٧٣): " هذا باب ما يحتمل الشعر: اعلم أنّه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام "،؛ فهم يصرفون ما لا ينصرف، نحو: قواطناً مكة من ورق الحمي، وذلك ما يقع في القرآن أيضا، نحو قوله تعالى " اهْبِطُواْ مِصْراً [البقرة: ٦١] "، وقال تعالى " وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ [يوسف: ٢١]"

ومشروعية هذا العلم وموجباته:

إنّ مشروعية علم نحو القرآن هو بنيته اللغوية التي تتمثّل بالسورة والآية والنص على ما وضحناه، ثم إنّ مقاصده الشرعية تقتضي توجيهات نحوية تتسق وتلك المقاصد، نحو قوله تعالى "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون: ١٤]"؛ فلا يصحّ إعراب (أَحْسَنُ) حالا لكون الحال منتقلا؛ فلا يصحّ أن نقول: نحن نبارك الله تعالى في حال كونه أحسنَ الخالقين، وهو القادر على الخلق كيف يشاء " أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [الأعراف: ٥٤]"؛ ولذلك تعرب (أَحْسَنُ) نعتا للفظ الجلالة لثبوت حسن الخَلق له سبحانه، ولكن يصحّ كونها حالا في نحو: تبارك زيدٌ أحسنَ المدرسينَ ؛ وهذا يعني أنّ نحو القرآن يتقيد بغرضه على وفق المبادئ الشرعية .

ولو قال قائل: بلغت مقاولة بناء المستشفى ثلاثة ملايين دولار، وأنت ترى أنّها تستحق أكثر فقلت: لا تقل: ثلاثةٌ، أي: لا تقلْ: الكلفةُ ثلاثةٌ، قل: أربعة فأكثر، ولكن قوله تعالى (وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ) في الآية " وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ [النساء: ١٧١]"؛ لا يصحّ تأويله: هم ثلاثة؛ لصحة الأربعة فصاعدا، وإنما ينبغي أن تقول: لا تقولوا: لنا ثلاثة، بمعنى: الموجود لنا ثلاثة، وفيه (ثلاثة) مبتدأ، و (الموجود)؛ فهو نفي للوجود أصلا؛ وهذا ينطلق من القاعدة: (النفي يتسلّط على الخبر)، وذلك هو الإعراب الذي تفرّد به [1].

" تفسير ذلك أنّه يصحّ أن تقول: (ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان)، لأنّ ذلك يجري مجرى أن تقول: (ليس لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان)، وهذا صحيح. ولا يصح لهم أن يقولوا: (ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ولا إلهان)؛ لأنّ ذلك يجري مجرى أن يقولوا: (ولا تقولوا آلهتنا إلهان)، وذلك فاسد فاعرفه، وأحسن تأمله."

وقال تعالى " وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ [المؤمنون:

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ١١٠.

١١٧]، لو أعربنا " لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ " نعتا لالتبس بكونه قيدا احترازيا، ويصدق فيه مفهوم المخالفة؛ بمعنى: من كان له برهان به فلا حساب؛ وعليه ينبغي التقدير أنّها جملة اعتراضية، وتقدير فعل مناسب لتحقيق القصد، نحو: نؤكّد لا برهان له به .

ولابدّ من الاستدراك لبيان حاجة نحو القرآن لعلوم اللغة العربية، مثل: الإعراب فرع المعنى، والأصل عدم التقدير، وكذلك الدراسات الصوتية،نحو قوله تعالى " وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ [محمد: ٣٠]"، فليس لك أن تفسّر قوله تعالى على وفق (التنغيم) أو (موسيقى الكلام)، وهو (لحن القول) نفسه في الآية الكريمة، في حين ذهب المفسّرون فيما وقفت عليه من كتب التفسير على أنّه القول أو فحوى الكلام، أي: مضمونه ومَرْماهُ الذي يتَّجه إليه القائل؛ قال الطبري " وقوله : فلعرفتهم بسيماهم، يقول: فلتعرفهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم " [٢].

وقد عني الباحثون بـ (نحو القرآن) في مصنّفاتهم الواسعة في كتب التفسير، وعلم التجويد، والقراءات، والقطع والائتناف، والإعجاز في كتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وغيره، وعالج ابن شهر آشوب في كتابه (متشابه القرآن والمختلف فيه):باب ما جاء من طريق النحو، في الجزء الرابع منه، [٣]، وكذلك مؤلفنا (القرآن الكريم تصنيف موضوعي على وفق نظرية النص) [٤].

وخطة البحث في نحو القرآن على الوجه الآتي:

المقدّمة

- الفصل الأوّل – الجملة في القرآن وأثرها في التفسير

تمهيد : بنية القرآن اللغوية (السورة، الآية، النص)

المبحث الأوّل – تعريف الجملة في القرآن

المبحث الثاني – الجملة في القرآن وأثره التفسير

- الفصل الثاني – النص في القرآن وأثره في التفسير

المبحث الأوّل– تعريف النص في القرآن

المبحث الثاني – النص في القرآن وأثره التفسير

---

[٢] تفسير الطبري الآية [محمد: ٣٠].

[٣] ابن شهر آشوب، متشابه القرآن والمختلف فيه، الجزء الرابع .

[٤] الدكتور محمد كاظم البكّاء، القرآن الكريم تصنيف موضوعي على وفق نظرية النص، الفهرس.

- الفصل الثالث –التراكيب النحوية والمسائل الخاصة في القرآن

المبحث الأوّل – تحديد التراكيب النحوية والمسائل الخاصة

المبحث الثاني – التراكيب النحوية وأثرها في التفسير

***

تطبيقات نحو القرآن على وفق السور

الفصل الأوّل – الجملة في القرآن وأثرها في التفسير

تمهيد في بنية القرآن اللغوية (السورة، الآية، النص)

المبحث الأوّل – تعريف الجملة في القرآن

المبحث الثاني – الجملة في القرآن وأثره في التفسير

***

تمهيد في بنية القرآن اللغوية

(السورة، الآية، النص)

بني القرآن الكريم على (الآية) و(السورة)، والسورة في نصوص؛ فقد كان الرسول العظيم (ص) عندما يتلقى الآية يأمر بوضعها في النص الذي يناسبها الذي تكتمل به نصّا (ينظر: القرآن الكريم – تصنيف موضوعي على وفق نظرية النص للدكتور البكّاء)؛ فالحاصل أنّه في ثلاثة: آيات ونصوص وسور .

وفي مقاربة للدرس النحوي، تكون الجملة: هي الآية القرآنية؛ لأنّها (الصورة القرآنية للفكرة)، وهي التي تنتهي بفاصلة ينبغي الوقوف عندها، فقد روي عن أم سلمة (رحمها الله) أنّ الرسول العظيم (ص) كان يقف على رؤوس الآيات .

والذي ننتهي إليه: إنّ البحث في (نحو القرآن) يقتضي دراسة (الآية)، نقابل بها الجملة في النحو: (الصورة اللفظية للفكرة)، وكذلك دراسة (النص) وهو : الآية أو مجموع الآيات – والسورة: مجموع النصوص–؛ فالبحث بأصغريه يقتضي دراسة: والجملة، والنص .

***

المبحث الأوّل – الجملة في القرآن

إذا كانت الجملة في النحو العربي هي: "الصورة اللفظية للفكرة الواحدة " نحو قول ابن مالك " كلامنا لفظ مفيد كاستقم "، فالجملة في القرآن هي " مجموعة أفكار يحسن الوقوف بتمامها، وعند كلّ فكرة منها؛ والفكرة هي الآية "، وبتعبير آخر هي " مجموعة الآيات التي يحسن الوقوف بتمامها، وعند كلّ آية منها"؛ فهي (تكاملية) تتألف من أفكار متعددة، وليست فكرة واحدة

كاملة، نحو الآيات في (سورة الفاتحة) التي يحسن الوقوف عند بعض آياتها، وعند اكتمالها في قوله تعالى " مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة: ٤]" .

وههنا تتضح فاعلية (الفاصلة القرآنية) وأثرها في تحديد الجملة في القرآن، وهو ما لم يتح لكلام آخر أن يناظره في هذه المزيّة؛ فالفاصلة: هي الحد الأدنى الذي ينبغي الوقوف عليه، وقد تتكامل الجملة الواحدة في أكثر من آية؛ فلا يصحّ لك أن تقف على " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً [الفرقان: ٦٣] " حتى يكمل قوله تعالى " أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً [الفرقان: ٧٥]"؛ فهي جملة المبتدأ فيها (وعِبَادُ الرَّحْمَنِ) الآية ٦٣ ، وخبرها (أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ) الآية ٧٥، أي: بعد ١٣ ثلاث عشرة آية – منها آيتان ٦٨، ٦٩ يؤلفان جملة اعتراضية – وإنّ هذا التأليف اللغوي للجملة لم يرد نظيره في غير القرآن الكريم لولا اعتماده على الفاصلة القرآنية التي تتيح سعة التعبير عن أفكار متعدّدة مع جودة السبك والاتساق، فضلا من أهمية الفاصلة من أثر التنغيم في حسن الأداء عند التجويد:

"وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ ... أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ "

وقد تحقّق الفاصلة القرآنية مفهوم المصداق، ثم شروطه، نحو قوله تعالى " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)" فقد أوضحت الآيتان أنّ ثمة هدفا رئيسا في سورة الحمد هو تحقيق المصداق بطلب الهداية للطريق المستقيم الذي ينتهي بالآية السادسة، ثم بيّنت تمييزه من فئتين هما من يصدق عليهم " الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ"، و " الضَّالِّينَ" اللتين تضمنتهما الآية السابعة .

***

المبحث الثاني – الجملة في القرآن وأثره التفسير

إنّ الجملة في القرآن تميّزت بخصائص لغوية لها أثرها في التفسير وتبيان المقاصد الدينية، وعلى الوجه الآتي:

أوّلا– ظاهرة كسر النمط:

من خصائص الجملة في القرآن " كسر النمط"، قال تعالى " فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ [الضحى:٩– ١١]"؛ فهذه الجملة المتكاملة صيغت بأسلوبين " فأمّا فلا "، و " أمّا فافعل"؛ وهذه الظاهرة القرآنية؛ لغرض تأكيد المعنى قوله تعالى " فَأَمَّا

الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ [الضحى:٩- ١١]"، وهذا التغيير في نمط الجملة وصياغتها وتنغيمها وتأديتها يمنح الجملة التي تختلف بنمطها أهمية خاصة في التأكيد على تنفيذها، ومثلها قوله تعالى " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ [التين: ١]، وَطُورِ سِينِينَ [التين: ٢]، وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ [التين: ٣]، إذ كانت الجملة الثالثة مزيدة بالإشارة لأهميتها؛ فهو قسم بهذا البلد الأمين من كل خوف وهو (مكة) مهبط الإسلام، وإنما ظاهرة كسر النمط قد تمت بتغيير التركيب اللغوي .

وتوجد أمثلة من كسر النمط بسبب التنغيم، والخلاصة أنّ كسر النمط يقع في ثلاثة وجوه، هي:

١-تغيير التركيب اللغوي على ما أوضحناه

٢-الالتفات

٣-القطع والائتناف

والوجهان الثاني والثالث يتضحان بما يعرف بـ (التنغيم) .

ثانيا – التنغيم: لم تعد مهمة التعبير في خلق التواصل بين المنشئ والمتلقي مقتصرة على بيان القيمة المفهومية للأسلوب فحسب، بل يعد التأثير في المستمع وبعث الشعور الملائم الدال على موقف المتكلم من سامعه وموضوعه، من خصائص التعبير خلال ما تحمله متغيرات الأداء ضمن السياق التنغيمي للجملة، وهو الاطار الصوتي الذي تؤدى به، فلكل جملة صيغة تنغيمية خاصة، فالصيغة التنغيمية لجملة الاستفهام وادؤها غير الصيغة التنغيمية لجملة التعجب أو الاخبار[٥]، فاللغة أصوات والجملة هي الصورة الصوتية للفكرة ومن الثابت أن الصوت يكتسب صفته مما هو جارٍ في النفس فعلا فهو يختلف تبعاً للمعنى والانفعال، قال (ريتشاردز):"ليست هناك حركات أو مقاطع كئيبة ولا بهيجة... ان تأثير صوت الكلمة يختلف تبعاً للانفعال الذي هو موجود فعلا، ولكنّه يختلف أيضاً تبعاً للمعنى" [٦]؛ وقال تعالى "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ [محمد: ٣٠]"، فالمنافقون في كلامهم يظهر الكذب في أداء قولهم، وإنما (لحن القول) هو التنغيم، فلكلّ امرئ بصمة خاصة في كلامه وفي حالات نطقه من انفعال أو غضب أو غيره نتبيّنها عندما نسمع صوته، وثمة بصمة عامة لكلّ قوم من الأقوام، فالشعب المصري له بصمة في كلامه، وكذلك السوريون، والعراقيون، وقد سمّاها إبراهيم أنيس (موسيقى الكلام) [٧].

---

[٥] الدكتور تمّام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٦.

[٦] شكري محمد عباد: موسيقى الشعر العربي: ١٤٠.

[٧] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، موسيقى الكلام.

فالتنغيم قرينة فاعلة في تمييز الخطاب وتنوعه، نحو قولك: محمدٌ مسافرٌ .، محمدٌ مسافرٌ ؟، محمدٌ مسافرٌ !، وقد وظّف القرآن الكريم التنغيم في التعبير عن بعض المواقف على وفق الأحكام الشرعية، نحو قوله تعالى " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ [الأنعام: ٧٦]"، فالآية بلسان سيدنا إبراهيم، وهي تؤدى بتنغيم يفهم منه الإنكار أو الإقرار، ولكن بلحاظ ديني ينبغي أن يفهم منها الإنكار قطعا؛ لأن الربّ لا يجوز عليه التغير والانتقال؛ فهما من شأن ما يحدث والله سبحانه قديم أزلي، ولابدّ أن يكون ذلك هو المعنى الذي قصده سيدنا إبراهيم لنبوته وعصمته .

إنّ القرّاء صنّفوا في التنغيم كتباً كثيرة منها كتاب (كتاب القطع والائتناف) للنحاس [٨]، وقد أوضح ابن الجزري في أوقاف القرآن الكريم "؛ لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حال الوصل بل وذلك كالتنفس في أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتحتم أن لا يكون ذلك بما يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم، اذ بذلك يظهر الاعجاز ويحصل القصد" [٩].

وقد عالجت العربية الاطراد والتتابع في الكلام المتصل ضمن نظامها اللغوي في موضعين كما يظهر لنا:

الأول: الالتفات: اسلوب بلاغي يراد به الانتقال من كلّ من التكلم أو الخطاب أو الغيبة الى صاحبه تلوينا للخطاب حتى لا يمل السامع من التزام حالة واحدة وصورة متعددة ومن أمثلته قوله تعالى:" وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"، والقياس وإليه أرجع). [١٠].

فالتلوين الخطابي بالالتفات قد اعتمد التفنن في طرح التشكيل اللغوي المتنوع.

الثاني: القطع والاتباع: أسلوب نحوي استخدم لمعالجة اطراد الصيغ المتتابعة، تنبّه له ائمة اللغة واعتمده القرآن الكريم والكلام العربي الفصيح وقد نقل ابن جني قول أبي عبيدة: "اذا طال الكلام خرجوا من الرفع الى النصب، ومن النصب الى الرفع يريد ما نحن عليه لتختلف ضروبه وتتباين تراكيبه" [١١].

إنّ تتابع الكلمات في صيغ واحدة اصطلحنا عليه بـ(الاتباع) وفي مقابلة (القطع) نجاري به (القطع والاتباع) في موضوع (النعت) لوحدة الملاك بينهما، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "لَّيْسَ

---

[٨] النحاس،كتاب القطع والائتناف، الفهرس.

[٩] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر: ج١: ٢٢٥.

[١٠] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ٢٣٩/ ٢٤٠.

[١١] ابن جني: للمحتسب في تبيين شواذ القراءات والايضاح عنها: ج٢: ١٩٨.

الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" والقياس (والصابرون) عطفاً على (من آمن) وكذلك قوله تعالى: " لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً"، وقياسه (المقيمون) وقال أيضاً:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ [المائدة: ٦٩]" فكلمة (الصابئون) مرفوعة بعد العاطف وقبل أن تستكمل (إنّ) خبرها والقياس نصبها، ومثلها قراءة قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ" برفع كلمة (ملائكتُه) وكذلك قول الشاعر:

فمن يكُ أمسى في المدينة رحله   فأني (وقبار) بها لغريب

ومثله قول الآخر:

وإلا فاعلموا انا و(انتم)   بغاة ما بقينا في شقاق

وقد تصرف القوم في تأويل ذلك كله تصرفاً طال به بحثهم وكثر فيه جدلهم حتى وجدنا (النحو الوافي) يضيق بها ذرعاً ويقول: "وبالرغم من الاعتبارات السالفة تقضي الحكمة ألا نلجأ الى استعمال تلك الأساليب ما وجدنا مندوحة للبعد عنها" (١٢).

ثالثا– وقد راعى القراء والمنشدون تقسيم الكلام تنغيمياً بما يتطلبه المعنى "ومن ذلك قراءة الأعرج ومسلم بن جندب وأبي الزناد: (ياحسرة) ساكنة الهاء، (على العباد)، وقرأ (يا حسرة العباد) مضافاً ابن عباس والضحاك وعلي بن حسين ومجاهد وأبي بن كعب.

قال ابو الفتح: أمّا (يا حسرة) بالهاء الساكنة ففيه النظر، وذلك أنّ قوله (على العباد) متعلق بها أو صفة لها: وكلاهما لا يحسن الوقوف عليه دونه، ووجه ذلك عندي ما اذكره... ان قراءة من قرأ " يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ [يس: ٣٠]" بالهاء الساكنة انما هو لتقوية المعنى في النفس، وذلك انه في موضع وعظ وتنبيه وإيقاظ وتحذير فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر، المتعجب منه الدال على انه قد بهره، وملك عليه لفظه وخاطره، ثم قال من بعد (على العباد) عاذراً نفسه في الوقوف على الموصول دون صلته وضعف الاعراب وتحجره على جملته؛ ليفيد السامع منه ذهاب الصورة بالناطق". (١٣)

---

(١٢) عباس حسن: النحو الوافي: ج١: ٦٧٠ الحاشية.

(١٣) ابن جني: المحتسب في تبيين شواذ القراءات والايضاح عنها: ج٢ ٢٠٨/٢٠٩.

وهذا يعني تميّز القرآن الكريم من الكلام العرب عامة ؛ إذ عومل معاملة الشعر العربي في التماس الضرورات نحو: صرف غير المصروف، واستجابته لتجويد حروفه، فكان (علم التجويد)؛، و(علم القراءات) ووضعوا له القواعد والرموز،، وقد اختلف في قراءته وتأديته وتبارى القرّاء في هذا المجال على وجه لا نألفه في كلام العرب المنثور؛ فهو ذو أسلوب خاص يتطلب البحث فيه بقواعد خاصة في النحو.

ومن المناسب أن نتكلّم على عناية القرآن الكريم بالأصوات، ومنه قوله تعالى " فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً [الإسراء: ٢٣]"؛ إنما أراد صوت الفاء .

رابعا – أثر القطع والائتناف في الكشف عن المقاصد القرآنية:

في علم نحو القرآن يستعان في الكشف عن بعض المعاني غير الواضحة بالقطع والائتناف، نحو قوله تعالى " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً [الكهف: ٢٥]"؛ فقد كانت (سِنِينَ) جمعا، والقاعدة أنّها تمييز مفرد، ولا يتضح ذلك إلا بالرجوع إلى النحاس (القطع والائتناف، ٣٨٧) [١٤]" وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ، تمام، ثم قال تعالى " سِنِينَ" .

فكأنّه سئل عَنَى بهذه الساعات أم الأيام، أم الشهور، أم السنين، فكانت: قصدت السنين .

ووهم ابن شهر آشوب (٤ / ٤٠٨) [١٥]" وقيل: ولم يقل سنة؛ لأنّها في المعنى مقدّمة، وإن كانت في اللفظ مؤخرّة، معناه: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ سنين ثَلَاثَ مِئَةٍ، فجمعه على وجه التقديم؛ والعدد إذا كان مقدّما يجوز جمعه كما يقال: أعطيت دراهم ثلاثمائة، أو ستمائة، وهي منصوبة لوقوع الفعل، نظيره " وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً [الأعراف: ١٦٠]"؛ فقد اضطر ابن شهر آشوب أن يلتمس أكثر من وجه على صحة ما ذهب إليه، وهي على ما تراه صحت على وجه القطع .

خامسا – تميّزه ببعض الألفاظ والأدوات والتراكيب

١– وردت (لمّا حرفا) في القرآن الكريم بمعنى (إلاّ) تدلّ على الاستثناء نحو قوله تعالى " إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ [الطارق: ٤]"، وفي سورة يس " وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ [يس: ٣٢]"، وقوله تعالى "وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ [الزخرف: ٣٥]"، وقوله تعالى " وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [هود: ١١١]" وفي هذه الآية: (لمَا) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر أو فارقة، وفي قراءة بتشديد لمَّا بمعنى إلا .

---

[١٤] النحاس، القطع والائتناف، ٣٨٧.

[١٥] ابن شهر آشوب، متشابه القرآن والمختلف فيه: ٤ / ٤٠٨.

ويتضح أنّ خصائص (لمّا) بعنى (إلّا) في القرآن الكريم أنّها تقع بعد (كلّ) .

ولكنّ لم أقف على (لمّا) في أدوات الاستثناء في النحو العربي .

٢- ولفظ (الرحمن) في القرآن الكريم جعلها النحويون (صفة خاصّة بالله تعالى)، ولو استقرينا مواضع استعمالها في القرآن الكريم لوجدنا مثل قوله تعالى " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: ٥]"، وقوله تعالى " وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ [يس: ١٥]"؛ فهي في الآية الأولى مبتدأ، وهو اسم نتحدّث عنه، وفي الآية الثانية فاعل، وهو اسم نتحدّث عنه أسند للفعل .

وهذا يوضّح أنّ (الرحمن) اسم وليس (وصفا)، وقد قال تعالى" قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى [الإسراء: ١١٠]".

وعندئذٍ يكون إعرابه في (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [الفاتحة: ١]" بدل كلّ من كلّ، وكذلك في قوله تعالى " الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [الفاتحة:٢- ٣]"

تركيب (أمّا التفصيلية): قال تعالى " هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران: ٧]"

حذف (أمّا الثانية) وتصرف في التركيب، والتقدير: (فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ، وأمّا وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا.

وقد تحذف (أمّا) الثانية في نحو قوله تعالى " فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [آل عمران: ١٠٦]"، والتقدير: فيقال لهم: أكفرتم .

سادسا- تسمية السور على الحكاية

حرص القرآن الكريم على تسمية السور على ما وردت عليه في نصوصها: سورة المطففين، وسورة المؤمنون، وسورة المنافقون، وسورة الكافرون، والمضاف اليه فيها جمع مذكر سالم، ولكن بقي بالواو والنون على الحكاية؛ قال تعالى " إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ [المنافقون: ١]، وقال تعالى " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ [المؤمنون: ١]"، وجاء مجرورا على القاعدة في الجرّ بالحرف وللحكاية أيضا (سورة المطففين)؛ قال تعالى " وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ [المطففين: ١]" .

سابعا– تضمنه بعض لغات العرب واللهجات

تضمن القرآن الكريم بعض لغات العرب؛ لأنّه رسالته لجميع العرب فنزل بما كان في اللسان العربي من لهجات نحو قوله تعالى " قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ [طه: ٦٣]؛ وهذه هي لغة بني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وجماعة من قبائل اليمن، لذلك قال شاعرهم:

إنَّ أباها وأبا أباها * قد بلغا بالمجد غايتاها

فلم يقل الشاعر (وأبا أبيها) كما هو مقتضى القياس في حال الإضافة أي إنَّ (أباها) الثانية لما كانت في موقع المضاف؛ فذلك يقتضي الجر بالياء .

ومن أثر اللهجات قوله تعالى " الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحة: ٢]"، قرئت بضم الدال واللام (الحمدُ لُله)، وقرئت بكسرهما (الحمدِ لِله)، وتلك ظاهرة لغوية تجري في القرآن الكريم، وهو باب واسع في القرآن الكريم .

وقد تضمن القرآن الكريم بعض اللهجات نحو قوله تعالى " وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [الأعراف: ٨٩]"، وقال تعالى " رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [الأعراف: ٨٩]".

قال الطبري في تفسيره " ذكر الفرّاء أنّ أهل عُمان يسمّون القاضي (الفاتح) و(الفتّاح)، وقال الفخر الرازي في تفسيره يمثّل ما قال الطبري إلّا أنّه زاد: لأنّه يفتح مواضع الحق " (١٦)[١٦].

وقال تعالى " لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ [الأنبياء: ٣]" قال النحّاس: "أحسنها وهو أن يكون التقدير: يقول الذين ظلموا، وحذف القول " .

وبهذا يتبيّن خطأ الطّاعنين، وخداعهم، ولقد فات هؤلاء أنّ قواعد النَّحو والبيان إنما هي موضوعة على أساس القرآن؛ لأنّه الأصل العربي الذي تواتر عن نبيّنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وتحدّى به أفصح العرب.

ثامنا– أثر الفاصلة القرآنية:

من خصائص الفاصلة القرآنية إثارة فاعلية المخاطب في التلقي، نحو قوله تعالى " فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ [الماعون: ٤]، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ [الماعون: ٥]"، فقوله تعالى " الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ" ليست نعتا للمصلين، وإنما هي خبر لمبتدإ محذوف تقديره (هم)، وهي في هذا التوجيه تتضح أهمية السهو في الصلاة فيما لو كانت (نعتا) .

[١٦] تفسير الطبري، [الأعراف: ٨٩]

وكذلك قوله تعالى " فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ [النور: ٣٦]، ثم قوله تعالى " رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ [النور: ٣٧]"،؛ فقوله (رجال) لا تكون فاعلا للفعل (يسبّح) في الآية السابقة، وإنما هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم) حرصا على إثارة المخاطب بالاستفسار عن هؤلاء الذين يسبّحون بالغدو والآصال .

وقد تقتضي الفاصلة القرآنية التقديم والتأخير وإضافة دلالة أخرى للجملة كقوله تعالى " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [البقرة: ٣]" ؛ فإنّ الأصل في الجملة " يُنفِقُونَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ"، لكنّه قدّم وأخّر للتأكيد بسبب التقديم والتأخير، وأنّه تعالى أراد الإنفاق من رزقه تعالى الذي رزقهم به؛ وفي معنى المخالفة لا يصحّ الإنفاق من غير رزق الله لالتباسه بالحرام، وكقوله تعالى " إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى [الليل: ١٢]، وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى [الليل: ١٣]" قدّم (الآخِرَةَ) لأهميتها في العبادات، وأنّها لله تعالى فمن طلبها من غيرنا فقد أخطأ.

تاسعا –أثر بنية الجملة في تعدّد وجوه الإعراب

إنّ تميّز الجملة في القرآن في كونها متكاملة، أي: تتألف من أفكار متعددة، وليست فكرة واحدة كاملة، نحو الآيات في (سورة الفاتحة) التي يحسن الوقوف عند آياتها آية آية، والوقف تام عند اكتمالها في قوله تعالى " مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة: ٤]" ؛ فنتج عنه ما يعرف بـ (ظاهرة القطع والائتناف)، أي: إنّك تستطيع الوقوف عند بعض أفكار الجملة المتكاملة أو تستأنف، وأنّ الوقف تام عند اكتمالها، وقد عبّر علماء التجويد عن ذلك برموز، منها : الوصل أولى، والفصل أولى، وجواز الوصل والفصل؛ ويلزم ذلك تعدّد الوجوه في (نحو القرآن) على وجه يختلف به عن النحو في كلام العرب الذي وإن توافر على وجوه من الإعراب المتعدّد فهو مبنيّ على احتمال تعدّد وجوه المعنى الذي يقصده المتكلّم، وهو لا يزيد على الوجهين غالبا، فقولك: مررت بزيدٍ الكريمِ، وقد تقطع، فتقول: مررت بزيد الكريمُ أو الكريمَ، ولكنّ الوجوه المحتملة في نحو القرآن تتعدّد على وفق الروايات والآراء في القطع والائتناف؛ قال تعالى " خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ [البقرة: ٧]"، قد تكون (غِشَاوَةٌ) على الرفع لكونها مبتدأ، وقد تكون منصوبة على تقدير (وجعل عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً)، فيكون القطع على (قُلُوبِهمْ)، أو (سَمْعِهِمْ)، فالقطع على (قُلُوبِهمْ) قاله الأخفش، والوقف على (سمعهم) قاله الأخفش سعيد ويعقوب، والقول بالنصب (غِشَاوَةٌ) برواية المفضل عن عاصم (القطع و الائتناف، ٣٦) .

وإنما تعدد وجوه الإعراب في (النحو العربي) يقع في الجملة الواحدة لأسباب مختلفة على وفق المقاصد والأغراض؛ وتحكمه قاعدة الإعراب فرع المعنى .

***

الفصل الثاني – النص في نحو القرآن وأثره في التفسير

تمهيد في مفهوم النص

المبحث الأوّل – تعريف النص في القرآن

المبحث الثاني –النص في القرآن والتفسير

المبحث الأوّل – تعريف النص في القرآن

تمهيد في مفهوم النص:

قال تعالى " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً [الفرقان: ٣٢]"

قولـه تعالى " وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً" يعني أنّ القرآن الكريم على هيئة أرتال إذ تنزّل الآية؛ فيأمر الرسول العظيم بنظمها مع غيرها؛ وفي تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٤، وفي الاتقان ١/ ١٦٨، ٧٨٢ رواية: أتاني جبرائيل؛ فأمرني أن أضع هذه الآية (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بهذا الموضع؛ فجعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد "، أي: يكون ترتيب الآيات على الوجه الآتي " وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ"(٩١)؛ وهذا النظم لهذه الآيات يعني أنّ ثمة منهجا في ترتيب الآيات التي تنزّل، وقد اتضح لنا أنّ الآيات التي تنتظم في موضع واحد تؤلّف رتلا، أي: مجموعة من الآيات المنتظمة في موضوع معيّن على ما هو عليه هذه الآيات في سورة النحل التي انتظمت في نص (٩– ٧٩) موضوعه أوامر الله تعالى ونواهيه، ومثله قوله تعالى " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ [البقرة: ١٨٦]" التي أنزلت في سب نزول اتفقت الروايات على أنّها أنزلت في قوم سألوا الرسول العظيم (ص): هل الله تعالى قريب فنناجيه أو بعيد فنناديه بعلو أصواتنا؛ فقد انتظمت مع نص الصوم (١٨٣–١٨٧):"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ

مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون (١٨٦)"؛ لكون الآية (١٨٦) في الدعاء، وهو من شعائر الصوم؛ فهو شهر الدعاء والغفران .

وعلى هذا النحو كانت الآيات منتظمة في نصوص، على الوجه الذي نتلوه في السور القصار، وكذلك جميع سور القرآن الكريم؛ فالنص هو " الآيات الي تنتظم في موضوع واحد.

وقد تصاغ النصوص في القرآن الكريم بأسلوب (البيان والتعقيب) نحو قوله تعالى" الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)"

وكذلك قوله " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٧) "

وإنّ الذي عليه البحث أنّ القرآن الكريم هو مجموعة نصوص؛ وذلك أنّ الإسلام دولة بما توافرت عليه من الأركان الأربعة: (الشعب) وهو الناس كافة " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ [سبأ: ٢٨]، و(الأرض) " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً"، وثالثها (حكومة الولاية لله تعالى ورسوله الكريم والأئمة أهل البيت عليهم السلام) " وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ [المائدة: ٥٦]" ثم (الدستور) الذي يتمثّل في لفظ (الكتاب)؛ قال الله تعالى " ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ [البقرة: ٢]"، ولفظ (الكتاب) في القرآن الكريم يعني التوثيق " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ"، والمعنى الثاني: هو الفرض والوجوب " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة: ١٨٣]" فالكتاب هو الوثيقة المفروضة؛ وذلك هو (الدستور) في المجتمعات، وإنما قوله تعالى" ذَلِكَ " التي يشار بها إلى البعد والعلو يؤكد على أنّ هذا الدستور هو أعلى جهة تشريعية في (دولة القرآن) .

ووجدت أنّ هذا الدستور يتوافر على خصائص الدستور القانونية في القوانين الوضعية؛ فهو ذو ديباجة تمثّلها (سورة الفاتحة)، ويضمّ المصطلحات في مفتتحه متمثلة بـ (المهتدين، الكافرين، المنافقين) على وفق الأنموذج في القوانين الوضعية التي تحرص على شرح المصطلحات في بدء الكلام على المواد القانونية، ثم تتوالى مواده القانونية بالسور ونصوصها، وتختم بـ (الأحكام الختامية) ابتداء من (سورة الحجرات).

وقد استنبطت معرفة (الأحكام الختامية) لدستور القرآن الكريم من الحديث الحسن "أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل" حسّنه الألباني"، فأمّا (السبع)، فهي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة؛ لأنّهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة، وأمّا (المِئُون)، فهي السور التي يقترب عدد آياتها من المائة أو تزيد، وأمّا (المفصّل)، فهو لفظ يطلق على السور بَدْءًا من (سورة ق) إلى آخر المصحف، وقيل :إنّ أوّله سورة الحجرات، وقد اتضح لنا صحة هذا القول بدراسة النصوص، وقد وجدت المفسرين يذهبون في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام بـ (المفصّل) في آراء منها: لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ منه؛ ولهذا يسمى المحكم أيضًا، كما روى البخاري عن سعيد بن جبير (رضي الله عنه) قال: "إنّ الذي تدعونه المفصّل هو المحكم "، ولكن اتضح لي بدراسة النصوص أنّما (المفصّل) من التفصيل وهو الأحكام التفصيلية للسور والآيات التي سبق الكلام عليها في مواضعها من القرآن الكريم؛ ومن أمثلة ذلك الكلام على(المنافقين) في سورة (المنافقون رقم ٦٣)، والكلام على الكافرين (سورة) الكافرون رقم ١٠٩)، والكلام على الطلاق في سورة البقرة " فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ [البقرة: ٢٣٠]"، والآيات التي بعدها إلى (الآية ٢٣٣)، فعاد وتكلّم على هذا الموضوع بتفصيل أكثر في (سورة الطلاق رقم ٦٥)، وهي التي تقابل الأحكام الختامية في القوانين الوضعية.

وعندئذٍ يتحقّق لنا كون الفاتحة ديباجة الدسستور ومقدمته، ثم تبتدئ النصوص، وعلى الوجه الآتي:

- الديباجة (سورة الفاتحة)
- المصطلحات (مفتتح سورة البقرة)
- المواد القانونية (نصوص سورة البقرة إلى سورة الفتح)
- الأحكام الختامية (سورة الحجرات حتى سورة الناس)

إضافة إلى أنّ القرآن الكريم فيه تبيان مطالب العقيدة وأحكام العبادات والمعاملات " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ [النحل: ٨٩].

وبهذا يتضح بناء دستور الإسلام في نصوص متكاملة مترابطة تضمنتها السور، وسنضع ملحقا للنصوص في سورتي الفاتحة والبقرة أنموذجين .

***

المبحث الثاني – النص في القرآن وأثره في التفسير

إنّ النص في القرآن الكريم تفرّد بخصائص لها أثرها في التفسير، وعلى الوجه الآتي:

أوّلا- أثر النص في تفسير بعض المفاهيم التي وقع الاختلاف فيها، منها:

١-قوله تعالى " وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [البقرة: ٢٣٣]"

أراد الله سبحانه وتعالى (الوالدات المطلقات) بحذف النعت؛ على وفق القاعدة العامة: (إذا دلّ الدليل جاز الحذف)، والدلالة سياق النص (٢٣١- ٢٣٣) الذي يتضمن الكلام على الطلاق، وبداية النص " وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النَّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة: ٢٣١]" ثم قوله تعالى " وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ [البقرة: ٢٣٢]" .

وقوله تعالى " وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ" ولم يقل على الزوج، ثم إنّ الزوجة تتمتع بالنفقة كاملة، فلا تقتصر على الرزق والكسوة .

ولا يصحّ تضمن النص المرضعات غير المطلقات بالنص؛ لكون الآية على ما ذكره النحويون والبلاغيون أنّها جملة خبرية يراد بها الإنشاء (لِيُرْضِعْنَ)؛ وهل يعقل أن تؤمر الزوجة التي على ذمة زوجها متمتعة بالنفقة على إرضاع وليدها؛ إنما تقبل عليه بالفطرة الإنسانية، ولكن الإكراه يتوجه للمرضعات المطلقات بسبب العلاقة بين الزوجين التي نالها ما نالها من الطلاق والانفصال .

وفي فتاوى حجة الإسلام والمسلمين السيد السيستاني:

مسألة (١٠٨٢): الأمّ أحقّ بإرضاع ولدها من غيرها، فليس للأب تعيين غيرها لإرضاع الولد، إلّا إذا طالبت بأجرة وكانت غيرها تقبل الإرضاع بأجرة أقلّ أو بدون أجرة، فإنّ للأب حينئذٍ أن يسترضع له أخرى، وإن كان الأفضل أن لا يفعل ذلك ويتركه مع أمّه؛ لأنّها خيرٌ له وأرفق به كما ورد في الخبر [١٧].

الأم أحقّ بإرضاع ولدها، إنما تستحق الأجرة بالطلب؛ وعندئذ يبحث الزوج عن مرضعة أخرى بأجرة أقلّ.

---

[١٧] موقع السيد السيستاني .

ونص المطلقات ورد بعده قوله تعالى " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [البقرة: ٢٣٤]"، وهو يتضمن النساء الأرامل؛ فالآية ٢٣٣ موضوع البحث لابدّ أن تكون مع النص المتعلّق بالمطلقات .

٢- قوله تعالى " وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً [النساء: ٤]

وقال تعالى " فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً [النساء: ٢٤]

قوله (نحلة)، أي: هدية عن طيب نفس؛ فعقد الزواج يتم من غير اشترط المهر، وإذا ما ذكر في العقد فالزوجة تستحقّه بعقد المداينة، وأمّا زواج الاستمتاع، أي: المتعة، فالزوجة تستحقّ فيه الأجرة (فريضة)، وينبغي النص عليه في العقد مع مدّة الاستمتاع .

إنّ النص القرآني حرص على التقابل بين التقابل بين الأسلوبين عامة، واللفظين خاصة (نحلة، وفريضة)، لتأكيد كونهما في موضوع واحد، وهو أنّ الزواج نوعان (الدائم، والمتعة)؛ فقد وظّف القرآن التقابل في موقع اللفظين نحويا وهو (المفعول له) لبيان حكم شرعي .

ثانيا – تبيان الأحكام الشرعية المختلف فيها، ومنها :

١- قوله تعالى " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [البقرة: ١٨٥]

وقوله تعالى (فَعِدَّةٌ) نكرة تليها معرفة (الْعِدَّةَ) تعني أنّ الألف واللام عهدية للتعريف نحو قوله تعالى " كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً، فعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً [المزّمّل:١٥- ١٦]"؛ وهذا يوضّح أن ثمة نقصا بسبب السفر والمرض، ويجب على المسلم إكماله؛ وهذا يعني وجوب الإفطار في السفر والمرض ثم وجوب إكماله في أيام أخر .

واستدلّ بعضهم بالآية " أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ١٨٤]"، وفيها " وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ" وهموا أنّها تدلّ على صحة الصيام للمسافر والمريض، وهو خطأ لتعلق ذلك بقضاء الصيام، ومع التسليم بصحته فهو صيام يقع في غير رمضان بدلالة (أنّ) المصدرية التي تفيد الاستقبال .

قال ابن شهرآشوب (متشابه القرآن والمختلف فيه، ٤/ ١٩٦) " [١٨] قوله سبحانه " وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ [البقرة: ١٨٥]" ...ثم إنّه راجع إلى القضاء؛ لأنّه قال –عقيب ذكر السفر والمرض – " فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ [البقرة: ١٨٥]" .

٢– دلالة النص في (آية الوضوء) قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [المائدة: ٦]" .

قد أراد (إلى المرافق)، أي: مع المرافق، بدلالة قوله تعالى " قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ [ص: ٢٤]"، وقال تعالى "وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ [النساء: ٢]"،وليس إلى (نهاية المرافق) بمعنى النهاية؛ وإنما التحديد لفعل الغسل، وليس لتحديد البداية مع نهاية العضو المغسول، وعليه جميع الروايات (*)، ولمّا أقف على رواية غسل اليدين منكوسة .

قال ابن شهر آشوب (٤/ ١٤٨) [١٩]" أي: مع المرافق؛ لأنّ لفظة (إلى) مشتركة بين الغاية، وبين (مع) ...فإذا صحّ اشتراكهما؛ فلا يجوز أن يحمل على الغاية؛ لأنّ يوجب الابتداء من الأصابع، والانتهاء إلى المرافق " .

وما ما يتعلّق بالأرجل فهو المسح لكون: الفعل (مسح) متعدّ بنفسه (مسح الرؤوسَ، ومسح الأرجلَ)، وإنما أثّر حرف الجرّ في (بِرُؤُوسِكُمْ) خاصة، وبقي (أَرْجُلَكُمْ) منصوبا بفعل المسح المتعدّ .

والذي يدلّ على ذلك قوله تعالى " فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ"، وفيه يتضح أنّ المسح تضمن ما كان يغسل في الوضوء تحديدا " فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ "، ف (الأرجل) لكونها لا تغسل فلم يتضمنها المسح بالتيمم .

(*) في تفسير ابن كثير " وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدثنا سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس ؛ أنّه توضأ فغسل وجهه، ثم أخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنثر، ثم أخذ غرفة فجعل بها هكذا، يعني أضافها إلى يده الأخرى، فغسل بهما وجهه . ثم أخذ غرفة من ماء، فغسل بها يده اليمنى، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى".

---

[١٨] ابن شهر آشوب، متشابه القرآن والمختلف فيه، ٤/ ١٩٦.

[١٩] المصدر نفسه، ٤/ ١٤٨.

والرواية لم تشر إلى غسل الأيدي منكوسة، أي: من أطراف الأصابع إلى المرافق.

روي في متشابه القرآن والمختلف فيه لابن شهر آشوب (٤/ ١٥٢) [٢٠]" وفي غريبي الحديث عن أبي عبيد، والزمخشري: أنّ النبي عليه السلام أتى كظامة قوم، فتوضأ، ومسح على قدمه " كظامة سقاية؛ غريب الحديث ١/ ٣٣٩؛ الفائق في غريب الحديث ٣/ ٢٦٩.

وعن نُعيم بن عبد الله المُجمِر قال: رأيتُ أبا هُرَيرةَ يتوضَّأ، فغَسَل وجهَه، فأسْبَغ الوضوء، ثمَّ غَسَل يدَه اليُمنى حتَّى أشرع في العَضُد، ثمَّ يدَه اليسرى حتَّى أشرعَ في العَضُد، ثمَّ مسَح رأسَه" (غسل اليدين إلى المرفقين – الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (dorar.net) [٢١].

وقوله (العضد) لم يتضح منه الغسل منكوسا، وربما أفاد البدء والشروع بالعضد حتى نهاية الأصابع .، وقد بذلت جهدا في الوقوف على رواية في غسل اليدين منكوسة، ولمّا أجد، والغسل منكوسا يخالف الطبع في التصرف بغسل اليدين عادة .

ثالثا – الكشف عن الحوار الافتراضي في النصوص التي تتضمن (قل) نحو قوله تعالى " قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ [الإخلاص: ١]"؛ فثمة من يسأل ويحاور ؛ فتكون الإجابة بـ(قل)؛ بدلالة النصوص التي تضمنت هذا اللفظ وما تصرف منه نحو قوله تعالى " وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ [يونس: ٢٠]"، أو قوله تعالى " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ [البقرة: ١٨٦]" .

رابعا– تفسير بعض الألفاظ التي وقع الخلاف في إعرابها، نحو قوله تعالى " ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ [البقرة: ٢]"؛ فقد اختلف النحويون في بيان خبر (ذَلِكَ) لعدم وضوح المعنى، وإنما الصواب هو (هُدًى)، وقد أعربها بعضهم (حال) خطأ، ويدلّ على كونها هي الخبر تحديدا أنّها جاءت ضمن النص الذي يتكلّم عن المهتدين (١–٥)، وكذلك قوله تعالى " قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ [الأنبياء: ٦٣]"، فوهم بعضهم أنّ (هذا) تشير إلى كبيرهم، وإنما هي ترجع إلى قوله تعالى " قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء: ٥٩]" الذي تساءلوا فيه عن (هذا الفعل) وهو تحطيم الأصنام .

وفي ضوء ذلك يتضح أنّ إعراب (هذا) بتقدير (فعله كبيرهم هذا الفعل) بدل من الضمير في الفعل (فعله) .

***

---

[٢٠] المصدر نفسه، ٤/ ١٤٨.

[٢١] المصدر نفسه، ٤/ ١٥٢.

الفصل الثالث – التراكيب النحوية والمسائل الخاصة في القرآن

المبحث الأوّل – تحديد التراكيب النحوية والمسائل الخاصة في القرآن

المبحث الثاني – التراكيب النحوية وأثرها في التفسير

المبحث الأوّل – تحديد التراكيب النحوية في القرآن

يتضح أنّ ثمة تراكيب نحوية ومسائل خاصة تنتظم القرآن الكريم، مثل التأنيث والتذكير، ووقوع الفعل للعلم به، وغيرها، وهي تستوجب الدراسة لغرض استقراء القواعد النحوية الكلية التي تحكمها؛ لنفسّر في ضوئها التراكيب التي تناظرها .

***

المبحث الثاني – التراكيب النحوية والمسائل وأثرها في التفسير

الأوّل – التأنيث والتذكير: قال تعالى " كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [الحاقة: ٧]"، وقال تعالى" كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ [القمر: ٢٠]"

الجملتان راجعتان إلى (نخل)، ولكنّهما اختلفتا في التذكير والتأنيث؛ لأنّ النخل جمع تكسير؛ فهو بتقدير (جمع) فهو مذكّر، وبتقدير (جماعة) فهو مؤنّث .

١- قال تعالى " وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ [الروم: ٥١] "، وقال تعالى " جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ [يونس: ٢٢]" ؛ (ريح) تذكّر وتؤنّث.

٢- وقال تعالى " بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً [الفرقان: ٤٩]"، وقال تعالى " بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ [سبأ: ١٥]"

(طَيِّبَةٌ) على ظاهر الكلام، و(مَّيْتاً) على باطن معناه، يعني المكان.

٣- قال تعالى " لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ [النجم: ٥٨]"، وقال تعالى " فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ [الحاقة: ٥]" .

(الطاغية) بمعنى الطغيان، وكذلك (كاشفة) بمعنى البقاء؛ فقال: ليس .

وثمّة ألفاظ أخرى اختلفت في التذكير والتأنيث، وهي إمّا تعود للفظ يصحّ فيه التذكير والتأنيث، أو يلاحظ فيها اللفظ مرّة وباطن المعنى مرّة خرى، وقد يختلف اللفظان في العائدية والرجوع، أو يلاحظ فيه المعنى .

قال ابن شهر آشوب (٤/ ٤٠٥) [٢٢] " وسأل أبو بكر الأنباري المبرّد ألف مسألة من نحو ذلك، ما كام من هذا الباب؛ فتذكيره على لفظ محمول، وتأنيثه على المعنى "

---

[٢٢] موقع الموسوعة الفقهية – الدرر السنية(dorar.net) .

وهنا نستنبط قاعدة كلية في نحو القرآن وهي أن نتعامل مع الألفاظ بألفاظها من حيث معانيها اللغوية مرّة، وبمعانيها التي تستبنطها وتدلّ عليها بحكم السياق مرّة أخرى؛ فقوله تعالى " إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف: ٥٦]"، قال الفراء (معاني القرآن، ١/ ٣٨١)(٢٣)[٢٣] " فيه إضمارٌ، معناه: إنّ رحمة الله مكانها قريب "، وقال تعالى " وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً [النساء: ٦٩]"، أراد به الجمع، وقال تعالى " أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ [هود: ٦٨]، وقال تعالى " وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً [الإسراء: ٥٩]"، أراد في الأولى القبيلة؛ فجمع، وأراد في الثانية الحيّ ؛ فأفرد؛ فلا تناقض بين القولين .

ومنه أن يجمع اللفظين بحكم واحد بلحاظ الدلالة، نحو قوله تعالى " وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ [المؤمنون: ٥٠]"، جمعهما بلفظ واحد إذ أراد كونهما معا آية، ثم عاد للتثنية " وَآوَيْنَاهُمَا" بلحاظ الأصل .

الثاني – تحقّق الإرادة والفعل : قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ [المائدة: ٦]"، وكذلك قوله تعالى " فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [النحل: ٩٨]"، أي: بمعنى إذا أردتم الصلاة والقراءة، وإنما أراد تحقّق النيّة والإرادة لغرض قيام الصلاة و فعل القراءة .

وقال تعالى " قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [البقرة: ٩١]"، أي: قتلتم، وقال تعالى " وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ [البقرة: ١٠٢]"، أي: ما تلت، وكذلك عبّر عن تحقّق الفعلين .

الثالث – تحقّق الشيء ووقوعه بالعلم به: قال تعالى " فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ [البقرة: ١١٧]"، وليس شيء مخلوق بعدُ، وإنما كان علمه تعالى بوقوع الشيء، صار كأنّه ماثل بين يديه .

ومنه جميع الأفعال التي تقع من الإنسان، ولكنّ الله تعالى أسندها له سبحانه لعلمه بوقوعها من قبلُ، نحو قوله تعالى " خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ [البقرة: ٧]"، وكذلك قوله تعالى " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ [الأنعام: ١١٢]"، وقال تعالى " وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً [الأنعام: ٢٥]" قد علم الله سبحانه وقوع ذلك، فحكم بعلمه.

الرابع – تميّزه ببعض الألفاظ والأدوات والتراكيب

١- وردت (لمّا حرفا) في القرآن الكريم بمعنى (إلاّ) تدلّ على الاستثناء نحو قوله تعالى

---

[٢٣] الفرّاء، معاني القرآن، ١/ ٣٨١.

إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ [الطارق: ٤]"، وفي سورة يس " وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ [يس: ٣٢]"، وقوله تعالى "وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ [الزخرف: ٣٥]"، وقوله تعالى " وَإِنَّ كُـلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّـهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [هود: ١١١]" وفي هذه الآية: (لَمَا) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر أو فارقة، وفي قراءة بتشديد لمَّا بمعنى إلا .

ويتضح أنّ خصائص (لمّا) بعنى (إلّا) في القرآن الكريم أنّها تقع بعد (كلّ) .

ولكنّ لم أقف على (لمّا) في أدوات الاستثناء في النحو العربي .

١-ولفظ (الرحمن) في القرآن الكريم جعلها النحويون (صفة خاصّة بالله تعالى)، ولو استقرينا مواضع استعمالها في القرآن الكريم لوجدنا مثل قوله تعالى " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى [طه: ٥]"، وقوله تعالى " وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ [يس: ١٥]"؛ فهي في الآية الأولى مبتدأ، وهو اسم نتحدّث عنه، وفي الآية الثانية فاعل، وهو اسم نتحدّث عنه أسند للفعل .

وهذا يوضّح أنّ (الرحمن) اسم وليس (وصفا)، وقد قال تعالى" قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى [الإسراء: ١١٠]".

وعندئذ يكون إعرابه في (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [الفاتحة: ١]" بدل كلّ من كلّ، وكذلك في قوله تعالى " الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [الفاتحة:٢- ٣]"

الخامس زيادة غير مؤثرة في المعنى والإعراب: قال تعالى " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً [مريم: ٢٩]"، وقال تعالى " قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الشعراء: ١١٢]"، وفيهما زيادة (كان)، و (كانوا)، وكذلك الزيادة بالحروف، نحو قوله تعالى " قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي [طه: ٩٤]"، وقوله تعالى " وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ [الأنعام: ٥٩]"؛ بزيادة الباء و(من) .

وهو باب واسع في القرآن الكريم؛ قال ابن شهر آشوب (٥/ ١٢-١٤) " وهذه الزيادات في الاسم والفعل والحرف، إنما زيدت تحسينا للنظم، وعمادا للكلام، وإن كان المعنى يحصل مع تركها، ومتى ما اسقطت لم يختلّ الكلام" .

***

تطبيقات نحو القرآن على وفق السور

سنتابع الجمل والنصوص وأثرها في التفسير في سورة الفاتحة أنموذجا:

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(١)

"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ "(٧)

الوقف على " مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ "، والثاني " نَسْتَعِينُ "، والثالث نهاية السورة:

– الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)

–الجملة " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" استئنافية،

– جملة " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ " استئنافية .

وفي هذا النص تتضح أهميبة هذه السورة، لتأكيد كونها فاتحة الكتاب، فهي تحدّد صفات الربوبية والإلهية، وأمّا الحمد، والعبدة والاستعانة؛ فهي من لوازم الإقرار بكونه تعالى ربّ العالمين، ومالك يوم الدين، وأنّه سبحانه يسوس هذه الملكية بالرحمة .

وتفيد الجملة الثالثة بيان قسمة الناس في ضوء الهداية إلى الفئات الثلاث هي (المهتدون) من قوله تعالى " اهدنا"، والمغضوب عليهم، أي: الكافرون، والفئة الثالثة وهم المنافقون .

المصادر

١- القرآن الكريم

٢- التنغيم، الدكتور محمد كاظم البكّاء، النجف الأشرف –مجلة الرابطة الأدبية، العدد ٤، ١٩٧٧م .

٣- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السد أحمد الهاشمي، مصر، المكتبة العصرية، ٢٠١٧ م .

٤- القطع والائتناف، الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، ١٩٩٢م .

٥- القرآن الكريم –تصنيف موضوعي على وفق نظرية النص، الدكتور محمد كاظم البكّاء، بيروت –منشورات زين الحقوقية والأدبية، ٢٠١٩ م

٦- قراءة في كتاب نظرية النحو العربي للدكتور أحمد مكي الأنصاري (emarefa.net)

٧- الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، تصنيف منهجي وشرح وتحقيق علمي، الدكتور محمد كاظم البكّاء، بيروت –منشورات زين الحقوقية والأدبية، النجف الأشرف –المكتبة الأدبية المختصة، ٢٠١٥ م .

٨- متشابه القرآن والمختلف فيه،أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المتوفى ٥٨٨هـ، تحقيق وتعليق حامد المؤمن، جمعية منتدى النشر –النجف الأشرف، بيروت –مؤسسة العارف للمطبوعات، ٢٠٠٨ م .

٩- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الـتح عثمان بن جني الموصلي، الناشر: وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠ هـ.
١٠- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الطبعة: الأولى .
١١- موسيقى الشعر العربي –مشروع دراسة علمية، شكري محمد عياد، مصر، دار المعرفة .
١٢- نحو القرآن، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، بغداد –مكتبة اللغة العربية، ٢٠٠٩ م.
١٣- النحو القرآني حقيقة أم خيال، الدكتور محمد حجر –جامعة يحيى فارس بالمدية – موقع الكتروني Microsoft Word–2mohammed ben hedjar (cerist.dz)
١٤- النحو القرآني النحو العربي، الدكتور ميثم الحمامي (محاضرة في المكتبة الفقهية المتخصصة) –النجف الأشرف، حزيران ٢٠٢٢ م .
١٥- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري، مصر، المطبعة التجارية الكبرى، ٢٠٠٩ م.
١٦- النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مصر، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة
١٧- نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية، الدكتور أحمد مكي الأنصاري، القاهرة –دار القبلة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥(نشر في مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة) .
١٨- النحو القرآني قواعد وشواهد، د. جميل أحمد ظفر/ ط٢-١٩٩٨-مكة المكرمة
١٩- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود إسماعيل، تقديم د. كريم حسين ناصح- دار الكتب العلمية- لبنان

التوجيه الصوتي لبنية الكلمة العربية

الأستاذ الدكتور حسام سعيد النعيمي
أستاذ الدراسات اللغوية (مِن قَبْلُ) في جامعة بغداد–
والجامعة العراقية– وجامعة محمد الخامس– وجامعة الشارقة

الملخص:

بنية الكلمة العربية وما يصيبها من تغيير تناوله علماء العربية فيما سمي بـ(علم الصرف)؛ وكانت لهم وجهات نظر في تفسير ما جاء في اللغة على خلاف الأصل المتوقع للفظ؛ منه ما وافقه الدرس الصوتي الحديث؛ ومنه ما خالفه، فتصوُّر الأصول مثلًا كان موضع اتفاق؛ كالقول بأن أصل قال قَوَل بزنة نصر وأصل استعاد استعْوَد بزنة استفعل، ولكن الافتراق كان في تصور ما حدث في ذهن ابن اللغة (في البنية العميقة) بحيث تحول قوَل إلى قال واستعْوَد إلى استعاد، وكيف تحول اسم المفعول من قال وباع مثلًا إلى مقول ومبيع. وأبرز أسباب الافتراق ما وصل إليه الدرس الصوتي في مختبرات الصوت من نفي وجود حركات قبل حروف المد؛ سواء من جنسها أو من غير جنسها: وكذلك التفريق بين حقيقة صوت المد؛ وصوت اللين؛ وإن رسما بصورة واحدة؛ فالياء في نرمي غير الياء في لن نرميَ؛ فالأولى مصوِّت طويل (حركة طويلة) لا تكون في الطيف المقطعي إلا قمة للمقطع؛ ولا يمكن أن تكون قاعدة له، والثانية صوت لين قيمته قيمة صامت(حرف) فلا تكون إلا قاعدة للمقطع؛ ولا يمكن أن تكون قمة له. وكذلك القول بانقلاب صوت إلى صوت كالقول في نحو: (قد تعلمون) إن الدال انقلبت إلى تاء وأدغمت في التاء، والصوت اللغوي في السلسلة المنطوقة له كيانه الذاتي؛ مثله كمثل الكائن الحي في المجموعة يمكن أن يُخرج منها ويؤتى إليها بغيره؛ ولكن لا يمكن أن يقلب هو من ذات إلى ذات أخرى. وسنحاول في هذا البحث أن نقف بتفصيل عند ما وقع فيه الافتراق؛ مبينين سبب ذلك وما يقترحه الدرس الصوتي في معالجة المشكل، مكتفين بالإشارة إلى ما اتُّفق عليه في مواضعه.

المقدمة:

بنية الكلمة العربية وما يصيبها من تغيير تناوله علماء العربية فيما سمي بـ(علم الصرف) أو (علم التصريف)؛ وكانت لهم وجهات نظر في تفسير ما جاء في اللغة على خلاف الأصل المتوقع لِلَّفظ؛ منه ما وافقه الدرس الصوتي الحديث؛ ومنه ما خالفه، فتصوُّر الأصول مثلًا كان موضع اتفاق؛ كالقول بأن أصل قال قَوَل بزنة نصر وأصل استعاد استعْوَد

بزنة استفعل، ولكن الافتراق كان في تصور ما حدث في ذهن ابن اللغة (في البنية العميقة) بحيث تحول قوَل إلى قال؛ واستعْوَد إلى استعاد، وكيف تحول اسم المفعول من قال وباع مثلًا إلى مقول ومبيع. وأبرز أسباب الافتراق ما وصل إليه الدرس الصوتي في مختبرات الصوت من نفي وجود حركات قبل حروف المد سواء من جنسها أو من غير جنسها(قَال:/ق[×ـَ] ـَـَ ا ل ـَ/؛ نَقُوْلُ: /ن ـَ ا ق[×ـُ] ـُـُ ا ل ـُ/). وكذلك التفريق بين حقيقة صوت المد؛ وصوت اللين؛ وإن رُسما بصورة واحدة؛ فالياءُ مثلًا في (نرمي:/ن ـَ ر ا م ـِـِ/) غير الياء في (لن نرميَ:/ ل ـَ ن ا ن ـَ ر ا م ـِ ا يِ ـَ/) فالأولى مصوت طويل (صوت مدّ؛ حركة طويلة) لا تكون في الطيف المقطعي إلا قمة للمقطع؛ ولا يمكن أن تكون قاعدة له، والثانية صوت لين قيمته قيمة صامت(حرف) فلا تكون إلا قاعدة للمقطع؛ ولا يمكن أن تكون قمة له. وكذلك القول بانقلاب صوت إلى صوت كالقول في نحو: {وقد تعلمون} إن الدال انقلبت إلى تاء وأدغمت في التاء، والقول في نحو: {قد أجيبت دعوتكما} إن التاء انقلبت إلى دال وأدغمت في الدال؛ ذلك أنَّ الصوت اللغوي في السلسلة المنطوقة له كيانه الذاتي؛ مثله كمثل الكائن الحي في المجموعة؛ يمكن أن يُخرَج منها ويؤتى إليها بغيره؛ ولكن لا يمكن أن يقلب هو من ذات إلى ذات أخرى. وسنحاول في هذا البحث أن نقف بتفصيل عند ما وقع فيه الافتراق؛ مبينين علة ذلك وما يقترحه الدرس الصوتي في معالجة المشكل، مكتفين بالإشارة إلى ما اتُّفق عليه في مواضعه. ويحسن أن نشرح الألفاظ الأساسية وما يتصل بها قبل الشروع في التطبيق بشأن ما عقدنا عليه عنوان البحث:

الصامت(الحرف، غير المُصوِّت، الساكن: consonant): الصوت اللغوي الذي يولد بانطباقٍ في نقطةٍ ما من جهاز النطق؛ أو بتقاربٍ يؤدي إلى احتكاك مسموع. وهو ما اصطُلح عليه بحروف الألف باء، أو حروف الهجاء، أو الأبجدية، ومنه ما يكون باهتزاز الوترين(وهو المجهور) ومنه ما لا يكون باهتزازهما (وهو المهموس) وهي جميعًا لا تكون إلا قاعدة للمقطع في السلسلة المنطوقة، وترسم بالكتابة الصوتية بصورها في آخر الكلمة: /ء/، /ب/، /ت/، /ث/، /ج/... وهلم جرّا.

المُصَـوِّت(الحركة؛ وحرف المدّ، العِلَّة، الصائت: vowel): الصوت اللغوي الذي يولد باهتزازِ الوترين وتَكَيُّفٍ في جهاز النطق لا يؤدي إلى انطباق في نقطةٍ ما؛ ولا يؤدي إلى احتكاك مسموع. وله صورتان: المصوت القصير وهو المصطلح عليه بالحركات: الفتحة؛ والضمة؛ والكسرة، وهذه صوره بالكتابة الصوتية: /ـَ/، /ـُ/، /ـِ/، والمصوت الطويل وينشأ من مدّ الصوت بالقصير؛ وهو ما اصطلح عليه بحروف المدّ، وهو الألف؛

والـواو المديـة؛ واليـاء المديـة، وهـذه صـوره بالكتابـة الصـوتية: /ـَـ/، /ـُـ/، /ـِـ/ . ولا يكـون المصوِّتُ إلّا قِمَّةً للمَقْطَـع فـي السلسـلة المنطوقـة. ويلاحظ أن المصـوت الطويل(صـوت المـد) ليس قبلـه حركـة؛ لا مـن جنسـه ولا مـن غيـر جنسـه، وهذا النفـي مـن بديهيات الدرس الصـوتي الحديث، ولـه أصـل صـريح فـي كتابـات الفـارابي وابـن سـينا؛ علـى مـا سنفصـل القـول فيـه بعنوانه الخاص.

اللين(شبه صائت، نصف صائت، نصف حركة: semi vowel): الصوت اللغوي الذي يولد باهتزاز الوترين وارتفاع اللسان قليلًا من موضع المُصوِّت نحو سقف الفم؛ بحيث يؤدي إلـى احتكـاك مسـموع. وهـو صـوت اليـاء الاحتكـاكي (اليـاء غيـر المدّيّـة) الـذي يولـد مـن فـوقِ موضـع الكسـرة؛ فـي نحـو: يَـبِس، و: لَيْـت، ويرسـم فـي الكتابـة الصـوتية بهـذه الصـورة / ي/، وصـوت الـواو الاحتكـاكي (الـواو غيـر المدّيّـة) الـذي يولـد مـن فـوقِ موضـع الضـمَّة؛ فـي نحـو: وَجـد، و: سَـوْف، ويرسـم فـي الكتابـة الصـوتية بهـذه الصـورة: / و/. ولا يكـون إلا قاعدةً للمَقْطَـع فـي السلسـلة المنطوقـة؛ فهو بوصـف الاحتكـاك؛ وبكونـه لا يكـون إلا قاعـدة للمقطـع؛ ينـدرج تحـت مصـطلح الصـوت الصـامت، ولكنـه أفـرد عنـه بمـا فيـه مـن خصوصـية العلاقـة مـع المصـوت بتلبسـه بموقعـه بوجـود الاحتكـاك؛ ثـم فـي الـتلاؤم فـي عمليتـي الاتحـاد، والانشطار، علـى مـا سيأتي بيانـه. ويلاحظ اخـتلاف صـوت اللـين مـن حيـث قبـول المـد فإنـه إذا تبعه المصوِّت في نحو: (يَبس) و: (وَجد) (وهو المزدوِج الصاعد) قُطـع عنـه إمكان المدّ؛ وإذا تقدم عليه المصوت في نحو: لَيْت و: سَوْف (وهو المزدوِج الهابط) احتَمل إطالةَ المدّ. وقد جعل بعض الدارسين لكلا النوعين مصطلحًا واحدًا بتغليب الصورة التي فيها القطـع عن إمكان المد فسماه نصفَ حركة[(١)]، وبعضهم سماه: شبه صائت أو نصف صائت[(٢)]، ومنهم من فصَّل؛ فجعل ما يمكن أن يمتد به الصوت نصفَ علَّة؛ وما لا يمكن أن يمتد به الصوت نصفَ ساكن: ((إذا كان كل من w [الواو غير المدية] والـ y [الياء غير المدية] تاليًا للعلة الأساسية[المصوت في المقطع نفسه] سمي نصف علة(semi vowel)[نحو: لَيْتَ ولَوْن] وإذا كان سابقًا لها سمي نصف ساكن(semi consonant) [نحو: يَبِس، و: وَجَد]))[(٣)]. ولم نشأ تكثير المصطلح ما دام كلا الصوتين قيمتُه قيمةُ صامت؛ ولا يكون إلا قاعدة للمقطع[(٤)].

---

(١) ينظر: قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدّي، ص١٦٢

(٢) ينظر: علم اللغة، محمود السعران، ص٣٨٠

(٣) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص١٤٠

(٤) فرّق الأحمد نكري بينها أيضًا بقوله: ((اعْلَم أَن حرف الْعلَّة إِذا سكن يُسمى حرف لين. ثمَّ إِذا جانسه حَرَكَة مَا قبله فَهُوَ حرف مد؛ فَكل حرف مد حرف لين وَلَا ينعكس، وَالْأَلف حرف مد أبدًا، وَالْوَاو وَالْيَاء تَارَة حرفا لين كَمَا فِي قَوْل وَبَيْع؛ وَأُخْرَى حرفا مد كَمَا فِي يَقُول وَيبِيع. وثالثة ليستا حرفَي لين وَلَا حرفَي مد بل هما بِمَنْزِلَة

ويلاحظ أن علماء العربية استعملوا مصطلح (الحرف) للتعبير عن أصوات الهجاء (الألف باء). واستعملوا مصطلح (الحركة) للتعبير عن الفتحة، والضمة، والكسرة، واستعملوا مصطلح حروف (المد واللين) للتعبير عن الألف؛ والواو والياء المديتين وغير المديتين، قال سيبويه(١٨٠هـ): ((ومنها اللينة: وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما...ومنها الهاوي وهو حرفٌ اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو...وهو الألف. وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها. وأخفاهن وأوسعهن مخرجًا الألف، ثم الياء، ثم الواو.))[٥] وقال: ((وإنما الحركات من الألف والياء والواو.))[٦]، وقال المبرِّد (٢٨٦هـ): ((فَمن حُرُوف الْبَدَل حُرُوف المدّ واللين المُصَوِّتة وَهِي: الأَلف والواو والياء؛ فالأَلف تكون بَدَلًا من كلِّ وَاحِدَة مِنْهُمَا.))[٧] ويلاحظ وصف المبرد حروف المد بـ(المُصوِّتة)؛ ولعله أقدم من استعمل هذا اللفظ من علماء اللغة. أما الذين كتبوا في الموسيقا من الفلاسفة والذين عنوا بترجمة كتب أرسطو فتعددت عباراتهم عن ذلك؛ فمثلًا استعمل الكندي(نحو ٢٦٠هـ) مصطلح (الحرف والحركة)، و(الحرف والمُصوِّت)، قال: ((والسببُ: نَقرةٌ وإمساك، وهو حرفان متحرك وساكن، مثل: هَلْ، بَلْ، قُمْ))[٨] وقال: ((والطنين الممدود له تركيبان: أحدهما حرفٌ مصوِّتٌ بترجيع، والآخر حرف مصوت مع حرف ساكن مركب، وهذه الثلاثة الأحرف التي يتولد منها الصوت، وهي: الألف، والياء، والواو...))[٩]. واستعمل متّى بن يونس(٣٢٨هـ) مصطلحي (مصوت)، و(لا مصوت)؛ قال:((وأما الاقتضاب[المقطع] فصوت مركب غير مدلول، مركب من أسطقس[حرف] مصوّت ولا مصوّت))[١٠]. واستعمل الفارابي(٣٣٩هـ) مصطلحي (مصوت) للحركة، و(غير مصوت) للحرف؛ قال وهو يشرح كلام أرسطو في كتاب العبارة: ((يريد بالمقطع: مجموع حرف مصوّت وحرف غير مصوت))[١١] وفي موضع آخر فصَّل في ذكر نوعي المصوت باستعمال مصطلحي المصوت القصير(الحركات) والمصوت الطويل(حرف المد) قال: ((والحروف منها مصوت ومنها غير مصوت، والمصوتات

الصَّحِيح. وَذَلِكَ إِذا تحركتا كَمَا فِي وَعد وَيَسر. وَكَثِيرًا مَا يطلقون على هَذِه الْحُرُوف حُرُوف الْمَدّ واللين مُطلقًا)) دستور العلماء،ج٢ ص٢٢

[٥] الكتاب، ج٤ ص٤٣٥

[٦] الكتاب، ج٤ ص١٠١

[٧] المقتصب، ج١ ص٦١

[٨] مؤلفات الكندي الموسيقية، ص٨١

[٩] م ن ، ص١١٩

[١٠] كتاب أرسطو في الشعر، نقل متى بن يوسف، ص١١١

[١١] شرح كتاب أرسطوطاليس في العبارة، للفارابي، ص٤٩

منها قصيرة[يعني الحركات] ومنها طويلة[يعني حروف المد]))[١٢]. وقد استبدل ابن سينا (٤٢٨هـ) بمصطلحِ (غير مصوت) مصطلحَ (الصامت) ((المقطع الممدود والمقصور كما علمت ويؤلف من الحروف الصامتةِ والمصوِّتاتِ الممدودة التي نسميها مدات، والمقصورةِ وهي الحركات.))[١٣]، وفي موضع آخر فصَّل القول في الياء والواو المديتين، وغير المديتين: ((وأما الواو الصامتة[يعني اللين في نحو: وَجد ولَوْن] فإنها تحدث حيث تحدث الفاء ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يمانعه في انضغاطه سطحُ الشفة. وأما الياء الصامتة[يعني اللين في نحو: يَبس ولَيْت] فإنها تحدث حيث تحدث السين والزاي ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف؛ لا يبلغ أن يُحدِث صفيرًا. وأما الألف المُصَوِّتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجهما مع إطلاقِ الهواء سَلِسًا غيرَ مزاحَم. وأما الواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميلٍ به سَلِسٍ إلى فَوقُ. وأما الياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميلٍ به سلِسٍ إلى أسفلُ.))[١٤]. واستعمل ابن رشد(٥٩٥هـ) مصطلحي (مصوت)، و(غير مصوت) مع تقدم ابن سينا في التخلص من مصطلح (غير مصوت) وجعل (الصامت) بدله ((وأما هذا الصوت الذي هو المقطع فأجزاؤه: الحرف المصوت والحرف غير المصوت... وبالجملة فينبغي أن تعلم أن الصوت يحدث من شيئين: أحدهما ما ينزل منه منزلة المادة، وهو الذي يسمى حرفًا غير مصوت، والثاني منزلة الصورة وهو الذي يسمى حرفًا مصوتًا، ويسميه أهل لساننا الحركاتِ وحروفَ المدِّ واللين.))[١٥]

أما المعاصرون من مترجمي المصطلحات الأجنبية:(Vowels ، Semi vowels ، Consonants) فقد تعددت ترجماتهم واضطربت؛ فمنهم من استعمل (الساكن) و(الحركة): ((تقسم الأصوات عادة إلى: سواكن وحركات))[١٦]، ومنهم من استعمل (الصامت) و(الصائت): ((نمثل للصامتة أو الصوامت بكل الأصوات العربية؛ فيما عدا الحركات وحروف المد واللين، أما الحركات وحروف المد واللين... فإنا نسميها صائتة أو صوائت))[١٧]، ومنهم من استعمل (الصامت) و(الحركة): ((وقد استخدمنا حتى الآن المصطلحين التقليديين: صامت

---

[١٢] كتاب الموسيقا الكبير، للفارابي، ص١٠٧٢

[١٣] فن الشعر، لابن سينا، ص٢٤٣

[١٤] أسباب حدوث الحروف، لابن سينا، ص٨٣-٨٥

[١٥] تلخيص كتاب أرسطو في الشعر، لابن رشد، ص١٣٣-١٣٥

[١٦] اللغة، لفندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص، ص٤٧

[١٧] علم اللغة، محمود السعران، ص٨٩

وحركة))[١٨]، ومنهم من استعمل (الصامت) و(الحركة) القصيرة؛ والطويلة : ((١- مقطع قصير قصير مفتوح= صامت+ حركة قصيرة. ٢- مقطع طويل مفتوح= صامت+ حركة طويلة.))[١٩]، ومنهم من استعمل (الساكن) و(العلة؛ وشبه العلة): ((وقد درج اللغويون على تقسيم أصوات الكلام - في شيء من التحكم- إلى أصوات علة Vowels وأشباه العلة Semi vowels وسواكن Consonants))[٢٠].

ومنهم من وافق ما استعمله القدماء من الفلاسفة، فاستعمل (الصامت) و(المصوت)؛ منهم كمال بشر: ((فقد اشتمل الحرف على الإمكانيتين: المصوّت... والصامت.))[٢١]، ومنهم عبد الصبور شاهين إذ استعمل مصطلح الصوامت، ومصطلح المصوتات القصيرة؛ والمصوتات الطويلة: ((التعديل الداخلي للأصل الاشتقاقي أو للعنصر النحوي سواء أكان ذلك في المصوتات أم في الصوامت))[٢٢]، وفي موضع آخر قال: ((ورسم خط فوق المصوت يدل على أنه مصوت طويل...فإذا لم نرسم هذا الخط دل ذلك على أنه مصوت قصير.))[٢٣]، وهو موافق لما تقدم عند ابن سينا وغيره، وهما المصطلحان اللذان ارتضيناهما في بحثنا لأنهما جمعا بين الأصيل والحديث.

الاتحاد: إجراء صوتي متصور في الذهن (في البنية العميقة) يتحد فيه المزدوِج المكوَّن من المصوت القصير مع اللين ليشكلا مصوتًا طويلًا من جنسهما، أو من جنس قمته على ما سيأتي ذكره، كما لو أريد صياغة لفظ بزنة فِعْلَة من السَّير إذ يكون (سِيْرة) بمزدوج بين السين والراء مكون من المصوت القصير (ـِ الكسرة) وصوت اللين(ي الياء الاحتكاكية غير المدّية) : / س ـِ ي ا ر ـَ ه/ يتحد المزدوج ليشكل مصوتًا طويلًا هو الياء المدية: / س ـِـِ ا ر ـَ ه/. ((اتحاد الواو أو الياء الساكنة مع ضمة أو كسرة سابقة لها؛ فمثال الواو مع الضمة: يُوْجَد [بزنة يُفْعَل: ي ـُ و ا ج ـَ د/ يكون بالاتحاد:[يوجد؛ بزنة يوعَل/ ي ـُـُ ا ج ـَ د/] ومثال الياء مع الكسرة: سِيْرَة [تقدم بيانها].))[٢٤].

الانشطار: إجراء صوتي متصوَّر في الذهن (في البنية العميقة) ينشطر فيه المصوت

---

[١٨] اللغة وعلم اللغة، جون لوينز، ترجمة: مصطفى التوني، ص ١٠٢

[١٩] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ص١٠٢

[٢٠] أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، ص٤٦

[٢١] دراسات في علم اللغة، كمال بشر، ص٤٧

[٢٢] العربية الفصحى، هنري فليش، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، ص ٣٩

[٢٣] م. ن.، ص ٤٥

[٢٤] التطور النحوي للغة العربية، برجستراسير، ص ٤٧

الطويل(ـِـ، ـُـ إلى مصوت قصير وصوتِ لين من جنسه(في الياء والواو): (ـِـ: ـِ ي، ـُـ: ـُ و) أو من قريب من جنسه (في الألف) : (ـَـ: ـَ ي) فيكون مزدوِجًا هابطًا . وهو عكس الاتحاد، وذلك في نحو إظهار علامة النصب مع المعتل الآخر: نرمي و: لن نرمِيَ: / ن ـَ ر ا م ـِـ / بدخول الناصب والحاجة إلى مصوت قصير في الآخر هو علامة النصب؛ ومع بقاء المصوت الطويل في آخر الفعل يتعذر النطق بالمصوت القصير؛ إذ لا يتوالى مصوتان؛ فينشطر المصوت الطويل (ـِـ) إلى مصوت قصير(ـِ) ولين من جنسه (ي): (ـِـ ينشطر إلى: ـِ ي) ليتحمل علامة النصب(ـَ): / ل ـَ ن ا ن ـَ ر ا م ـِـ + ـَ/ ينشطر (ـِـ) إلى: (ـِ ي) + ـَ / ويعاد التشكيل المقطعي فيكون: / ل ـَ ن ا ن ـَ ر ا م ـِ ا ي ـَ/.

المزدوِج: توالي مصوتٍ ولينٍ في المقطع؛ يكون ملفوظًا (في البنية السطحية)؛ أو متصَوَّرًا في الذهن (في البنية العميقة)، وله صورتان[٢٥]: الأولى: يتقدم فيها المصوِّت؛ وهو المزدوج الهابط؛ نحو: (لَوْن) و(بَيْت) من الملفوظ ونحو: فِعْلة من حال يحول(حِوْلة) أصلِ (حِيْلة) من المتصوَّر في الذهن، والثانية: يتقدم فيها اللين؛ وهو المزدوج الصاعد؛ نحو: (يَسمع)، و(يُسمِع)، و: (وَجَد)، و: (وُجِد)، من الملفوظ، ونحو: يقْوُل ويبْيِع ويَخْوَف ويُخْوِف من المتصوَّر في الذهن. والمزدوج المتصوَّر في الذهن (في البنية العميقة)؛ له صورتان: الأولى: المزدوج الهابط؛ بأن يلي صوتُ اللين فيه بسبب الصيغة مصوتًا قصيرًا من جنسه في مقطع واحد، كصياغة المضارع من المعتل اللام نحو: تكوُّن يدعو من يدعُوُ؛ فمن توجيه ذلك أن يقال: تحذف ضمة اللام للثقل فيتشكل في المقطع مزدوج مكونٌ من لينٍ(و) مسبوقٍ بمصوت قصير من جنسه(ـُ)، يعالج بالاتحاد ليكون مصوِّتًا طويلًا؛ أي: / ي ـَ د ا ع ـُ ا و ـُ/: / ي ـَ د ا ع ـُ ا و ×(ـُ)/: يحذف المصوت القصير(ـُ) للثقل؛ ويعاد التشكيل: / ي ـَ د ا ع ـُ و/ بالاتحاد يتحول المزدوج الهابط (ـُ و) إلى مصوت طويل(ـُـ صوت مد): / ي ـَ د ا ع [ـُ و: ـُـ]؛ فيكون: /ي ـَ د ا ع ـُـ/. الصورة الثانية المزدوج الصاعد؛ بأن يتقدم اللين ويتلوه مصوت قصير؛ إما أن يكون من جنسه أو من غير جنسه؛ فإن كانا من جنس واحد اتحدا مشكِّلَين مصوتًا طويلًا من جنسهما، كالتوجيه الثاني في تكون يدعو من يدْعُوُ / ي ـَ د ا ع ـُ ا و ـُ/: اتحد المزدوج الصاعد(و ـُ) مشكلًا مصوتًا طويلًا من جنسه(ـُـ) وحذف المصوت الذي بعد العين(ـُ) إذ لا يتوالى مصوتان: / ي ـَ د ا ع ×(ـُ) ا و ـُ:ـُـ/؛ فصار: /ي ـَ د ا ع ـُـ/. وإن اختلفا اتحدا مكونين مصوتًا طويلًا من جنس قمته، كالتوجيه الثاني في تكون أخافَ يُخيف من أخْوَف يُخْوِفُ: / ء ـَ خ ا و ـَ ا ف ـَ/: اتحد المزدوج الصاعد مشكلًا مصوتًا طويلًا من جنس قمته لاختلاف عنصريه(واو وفتحة) وأعيد التشكيل المقطعي: / ء ـَ ا خ ـَـ ا ف ـَ/. ويقال في يخْوِف:/ ي ـُ خ ا و ـِ ا ف ـُ/: اتحد

---

[٢٥] ينظ: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص١٦١

المزدوج الصاعد مشكلًا مصوتًا طويلًا من جنس قمته لاختلاف عنصريه(واو وكسرة) وأعيد التشكيل المقطعي:/ي ـُ ا خ ـِ ا ف ـُ/.

المَقطَـــع: مجموعة صوتية في السلسلة المنطوقة؛ تبدأ بصامت متبوعٍ بمصوِّت؛ وتنتهي قبل أوَّل صامت يرد متبوعًا بمصوت، أو حيث تنتهي السلسلة المنطوقة بمصوت المقطع؛ أو بصامته الذي يشكل قاعدته الثانية. وذلك نحو: أكرمي ضيفَيكما: /ء ـَ ك ا ر ـِ ا م ـِ ا ض ـَ ي ا ف ـَ ي ا ك ـُ ا م ـَ /، ونحو: عاونوهم : /ع ـَ ا و ـِ ا ن ـُ ا ه ـُ م /.

نفي الحركات قبل حروف المد: من الأمور الجوهرية التي يختلف فيها الدرس الصوتي مع الدرس الصرفي التقليدي مسألةُ القولِ بوجودِ حركة قبل صوت المد من جنسيه عند القدماء؛ ونفيِ ذلك على سبيل القطع في الدرس الصوتي: ((ولكن القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركاتٍ قصيرةً قبل حروف المد؛ فقالوا مثلًا: إن هناك فتحةً على التاء في (كتاب)، وكسرةً تحت الراء في (كريم) وضمةً فوق القاف في (يقول)؛ والحقيقة أن هذه الحركات القصيرة لا وجودَ لها في تلك المواضع، فالتاءُ في (كتاب) محركةٌ بألف المد وحدَها، والراءُ في (كريم) محركةٌ بياء المد وحدها، والقاف في (يقول) محركةٌ بواو المد وحدها.))[٢٦]. والحركات إما قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة، وإما طويلة وهي الألف والواو المدية والياء المدية، وقد وجد في الدراسة القائمة على استعمال مختبر الصوت ((أن الحركاتِ الطويلةَ تبدو ضعفَ طول الحركات القصيرة))[٢٧]، وأنه ((وفقًا لهذا الفصل بين الحركات والسواكن فإن عدد مقاطع لفظٍ ما سيطابق عدد الحركات الموجودة فيه))[٢٨]، فمقاطع (تسابقوا) مثلًا أربعة ؛ هي: تَ ا سا ا بَ ا قوا ا فينبغي أن يكون فيها أربع حركات فإذا قلنا بوجود حركة قبل حرف المد (وحرف المد حركة طويلة) سيكون عندنا ست حركات في أربعة مقاطع: / ت ـَ ا س ـَ ـَ ا ب ـَ ا ق ـُ ـُ / وهذا منفي فيما يظهرة الدرس القائم على استعمال مختبر الصوت؛ إذ لا يمكن أن يكون للمقطع

---

[٢٦] م. ن. ، ص ٣٩

[٢٧] التشكيل الصوتي، سلمان العاني، ترجمة: ياسر الملاح، ص ٣٨ ، وفي كلام ابن جني ما يمكن أن يستفاد منه في هذا الباب وإن كان مراده نفي كون الحركة تحدث مع الحرف أو قبله: ((الحركة قد ثبت أنها بعض حرف؛ فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو؛ فكما أن الحرف لا يجامع حرفًا آخر فينشآن معًا في وقت واحد؛ فكذلك بعض الحرف لا يجوز أن ينشأ مع حرف آخر في وقت واحد؛ لأن حكم البعض في هذا جارٍ مجرى حكم الكل.)) الخصائص، ج٢ ص ٣٢٩ ويعنينا قوله: (بعض الحرف لا يجوز أن ينشأ مع حرف آخر في وقت واحد)فإذا كان لا ينشأ مع حرف آخر في وقت واحد فمن باب أولى أنه لا ينشأ مع حرفٍ هو بعضه؛ لأنه سيندمج معه ويشكلان حرفًا طويلًا بعودِ بعض الحرف إلى أصله.

[٢٨] م. ن. ، ص ١٣١

الواحد قمتان، لأنه لا يتوالى مصوتان (حركتان) في السلسلة الكلامية؛ بصرف النظر عن الطول والقصر؛ لأن المصوتات القصيرة والطويلة تكون قممًا في السلسلة المنطوقة؛ والصوامت تكون قواعدَ فيها؛ ولا يمكن أن تتجاور قمتان من غير أن تفصل بينهما قاعدة، فكل قمة في مقطعٍ يلزم ((أن تكون صوتًا واحدًا))[٢٩]، وقد قال بعضهم في تعريف المقطع إنه: ((وحدة تحتوي على صوتِ علّة[مصَوِّت] واحد؛ واحد فقط.))[٣٠].

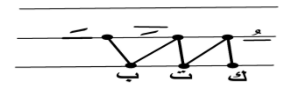
ومن قبلِ هؤلاء المعاصرين كان كلام الفارابي قاطعًا بأن صوت المد لا توجد قبله حركة؛ فالمقطع الطويل مكون من حرف غير مصوت؛ قُرِن به مصوت طويل، ولم يقل قرن به مصوت قصير يتبعه مصوت طويل، قال: ((وكل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرفَ المتحرك؛ من قِبل أنهم يسمون المصوتاتِ القصيرةَ حركاتٍ... وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل.))[٣١] .

لكل ما تقدم فإن القول بوجود حركة قبل حرف المد لم يعد له مكان في الدرس الصوتي؛ فكل تفسير يقوم على وجود هذه الحركة ينبغي أن يستبعد ويبحث عن تفسير آخر .

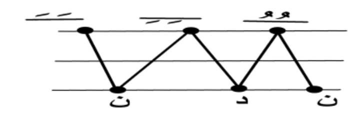
موقع المصوِّت، واللِّين، والصامت:

ذكرنا آنفًا أن المصوتات القصيرة والطويلة تكون قِممًا للمقاطع، وأن قيمة المصوت الطويل تكاد تكون ضعف قيمة القصير. ويلاحظ أن صوتي اللين (الياء والواو غير المَدِّيَتين) تكون كل منهما قاعدة للمقطع شأنهما شأن سائر الأصوات الصامتة:

كُتِبَ : / ك ـُ ا ت ـِ ا ب ـَ /



نودينا: / ن ـُـ ا د ـِـ ا ن ـَ /

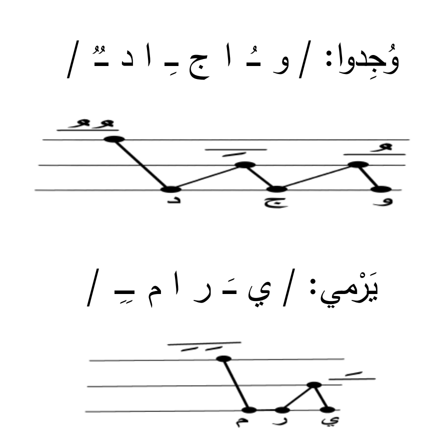


---

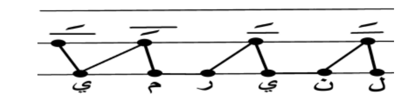
[٢٩] دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص ٢٩١

[٣٠] م. ن . ، ص٢٨٦

[٣١] كتاب الموسيقا الكبير، للفارابي، ص١٠٧٥



لَن يرميَ: / ل ـَ ن ا ي ـَ ر ا م ـِ ا ي ـَ /



التغيير في بنية الكلم:

التغيير الذي نعتني به في بحثنا يتصل بتعامل المصوتات، واللين، والهمزة، والصوامت التي من مخرج واحد؛ ونبدأ بالمصوتات واللين في أبواب الثلاثي:

أبواب الثلاثي : فتْحُ ضَمٍّ فتحُ كسرٍ فتحتانْ   كسرُ فتحٍ ضمُّ ضمٍّ كسرتانْ

الباب الأول: نصَر ينصُر، ومن معتل العين: قالَ يقول، ومن معتل اللام: دعا يدعو. الباب الثاني: ضرب يضرِب، ومن معتل العين: سار يسير، ومن معتل اللام: رمى يرمي. الباب الثالث: فتَح يفتَح، ومن معتل اللام: سعى يسعى. الباب الرابع: علِم يعلَم، ومن معتل العين: خاف يخاف، ومن معتل اللام: هوِيَ يهوى، الباب الخامس: شرُف يشرُف ومن معتل العين: طال يطول، ومن معتل اللام: قَضُوَ يقْضو(بمعنى التعجب من حسن قضائه)، الباب السادس: حسِب يحسِب، ومن معتل اللام: ولي يلي: ((اعلم أن الأفعال الثلاثية المعتلة العينات تأتي على ثلاثة أضرب: فَعَلْتُ، وفَعِلت، وفَعُلت؛ كما أن الصحيح كذلك، ففعَلت، وفعِلت يجيئان فيما عينه واو وياء جميعًا، ففَعَلت من الواو والياء نحو: قُلْت، وبِعْت، وفَعِلت منهما: خِفْت، وهِبْت. فأما فعُلتُ فلا يأتي إلا من الواو دون الياء نحو طُلْت فأنا طويل.))[٣٢]

المعتل من الباب الأول: الفعل قال مضارعه يقول؛ ويتفق الدرس الصوتي مع الدرس الصرفي في تصوُّر أصله؛ وهو: قَوَل يقْوُل بزنة نصَر ينصُر؛ ذلك لأنهم وجدوا الفعل الثلاثي

(٣٢) المنصف، لابن جني ج١ ص٢٣٤

الصحيح في العربية ينحصر في ستة أبواب؛ فلا بدَّ من أن يكون المعتل على واحد منها؛ ثم إنهم وجدوا المضارع بالواو فحكموا أنه في الماضي بالواو لأن النظر في عموم اللغة أدى بالعلماء إلى القول: إن الألف إذا قابل العين أو اللام في الفعل أو في الاسم المتمكن فهو من واو أو ياء: ((ولا يكون الألفُ أصلًا فِي مُتَمَكِّنٍ؛ ولا في فِعلٍ؛ ولكنْ عن واوٍ أَو ياء))[٣٣]. ولكنا لا نقول إن الواو قلبت ألفًا، لأن الصوت اللغوي كما ذكرنا آنفًا له كيانه الذاتي في السلسلة المنطوقة؛ فهو كالكائن الحي في مجموعة؛ يمكن أن يُخرَج منها ويؤتى إليها بغيره؛ لا أن يقلب من كائن إلى كائن؛ مهما كانت العلاقة بين الكائنين وثيقة، فقد يتفق الصوتان اللغويان مثلًا في المخرج وفي إحدى الصفات الأساسية؛ ولكنهما سيختلفان ولا بدَّ في صفة أساسية أخرى؛ ولولا ذلك ما كان لكل منهما كيانهُ الذاتي؛ فالسين والصاد مثلًا يتفقان في المخرج وفي صفة أساسية وهي الرخاوة(الاحتكاك)؛ وفي صفة أساسية وهي الهمس؛ ولكنهما كيانان لما في الصاد من إطباق؛ فإذا زال إطباق الصاد لم يعد صادًا بل هو سين حينئذ((ولولا الإطباق لصارت الطاء دالًا، والصاد سينًا، والظاء ذالًا))[٣٤]، والدال مثلًا تاء مجهور؛ فإذا لم يهتزَّ به الوتران فهو ليس دالًا بل هو تاء حينئذ؛ وهلمَّ جرًّا. فالقول بحذف الصوت اللغوي والإتيان بصوت غيره أصل يفترق فيه الدرس الصوتي عن الدرس الصرفي؛ وسوف نجد ذلك في التوجيه فيما يأتي من ألفاظ. أما بشأن (قال) وأنه من (قَوَلَ) ففي الدرس الصرفي يقال: تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، ويرد السؤال بشأن مصير الفتحة التي بعد الواو / ق ـَا و ـَا ل ـَ/ بعد أن قلبت الواو ألفًا، وكذلك مصير الفتحة التي قبل الواو وقد صارت قبل الألف، ونفي مثل هذه الفتحة من أوليات الدرس الصوتي. وفي التوجيه الصوتي يقال: حذف المزدوج الصاعد/و ـَ/ تخفيفًا، ومُد الصوت بالمصوت القصير قبله/ـَ/ تعويضًا، فصار: (قال) بزنة: فال: / ق ـَا وـَا ل ـَ / : / ق ـَ[ـَـ] ا ×(و ـَـ) ا ل ـَ / فيكون: / ق ـَـ ا ل ـَ/. أو يقال حذفت قاعدة المزدوج(×و) فالتقت فتحتان / ق ـَا [×و] ـَا ل ـَ / مشَكِّلتين صوت الألف: ((اتحاد الحركة السابقة للواو أو الياء بالحركة التالية لها، مع حذف الواو أو الياء نفسها))[٣٥]. أما مضارع قال؛ فأصله: يقْوُل بزنة ينْصُر، في التوجيه الصرفي يقال: نقلت الضمة من المعتل إلى الصحيح الذي قبله، وأقر المعتل لأن المنقول منه من جنسه. ويُشكِل عليه أن الواو في الأصل(و) لينٌ احتكاكي هو قاعدة مقطع: (يقْوُلُ: ي ـَ ق ا و ـُ ا ل ـُ/) وفي (يقول:/ي ـَ ا ق ـُـا ل ـُ/) مصوِّت طويل (ـُـ)

---

[٣٣] الشافية، لابن الحاجب، ص٩٤

[٣٤] الكتاب، لسيبويه، ج٤ ص٤٣٦، وقوله:(لصارت الطاء دالًا)، صريح في أن الطاء التي وصفها هي الضاد الحالية في مصر والشام مثلًا، وانظر مناقشة الأمر؛ وتوجيه عبارة سيبويه في كتابنا: أصوات العربية بين التحول والثبات: ص٣١ وما بعدها.

[٣٥] التطور النحوي، برجستراسير، ص ٤٨

هو قمة مقطع، فهذا غير ذاك، فضلًا عن مشكل القول بوجود حركة قبل حرف المد من جنسه. في التوجيه الصوتي يقال: حذفت قاعدة المزدوج(و) (×وـُ) ومد الصوت بقمته(ـُ:ـُـُ) وأعيد التشكيل المقطعي؛ أي: / ي ـَ ق ا ×(و) ـُ[ـُـُ] ا ل ـُ/ فصار: /ي ـَ ا ق ـُـُ ا ل ـُ/ فوزنه: يفول.

دعا يدعو من باب نصر ينصر فأصل الفعل: دَعَوَ يدْعُوُ، قالوا في دَعَوَ: تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا؛ وتقدم السؤال عن مصير فتحة الواو في دعوَ؛ والقول بوجود فتحة قبل الألف. في الدرس الصوتي يقال: دعوَ: حذف المزدوج الصاعد ×(و ـَ) تخفيفًا، ومدّ الصوت بالمصوت الذي قبله(ـَ) تعويضًا؛ (ـَـَ) فصار: دعا؛ بزنة: فعا: / د ـَ ا ع ـَ [:ـَـَ] ا ×(و ـَ)/ فصار: /د ـَ ا ع ـَـَ/. يدعُوُ: حذف المزدوج الصاعد ×(وـُ) تخفيفًا ومدّ الصوت بالمصوت الذي قبله (ـُ) فصار(ـُـُ) يدعو بزنة: يفْعو، /ي ـَ د ا ع ـُ[ـُـُ] ا ×(وـُ)/: /ي ـَ د ا ع ـُـُ/.

ويقال في إعرابه: يدعو؛ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على المصوت الطويل؛ منع من ظهورها التعذر؛ إذ لا يتوالى مصوِّتان في مقطع واحد. أو يقال على ما تقدم في ذكر المزدوج: / ي ـَ د ا ع ـُ ا و ـُ/: / ي ـَ د ا ع ـُ ا و ×(ـُ)/: يحذف المصوت القصير(ـُ) للثقل؛ ويعاد التشكيل: / ي ـَ د ا ع ـُ و/ بالاتحاد يتحول المزدوج (ـُ و) إلى مصوت طويل(ـُـُ صوت مد): / ي ـَ د ا ع [ـُ و: ـُـُ]؛ فيكون: /ي ـَ د ا ع ـُـُ/.

فإذا نُصب الفعل ظهرت علامة النصب على شطر من المصوت؛ وهو اللين الذي ينشطر المصوت الطويل إليه وإلى مصوت قصير من جنسه، أي: /ي ـَ د ا ع ـُـُ/ بدخول حرف النصب(لن ندعـ ـُـُ+ـَ) ينبغي مجيء مصوت قصير في الآخر هو الفتحة علامة النصب، ولا يمكن ذلك مع وجود مصوت في آخر الفعل إذ لا يتوالى مصوتان؛ فينشطر المصوت الطويل(ـُـُ) إلى مصوت قصير(ـُ) يليه لين من جنسه(و): (ـُـُ: ـُ و) وهو الذي يليه مصوت علامة النصب: أي: / ل ـَ ن ا ن ـَ د ا ع [ـُـُ]+ـَ/ بالانشطار: [ـُ و] + [ـَ] فيكون: /ل ـَ ن ا ن ـَ د ا ع ـُ ا و ـَ/. وفي حال الجزم يحذف مصوت قصير(ـُ) من آخر الفعل؛ كما يحذف من الصحيح الآخر في نحو يكتبُ ولم يكتبْ، أي: /ل ـَ م ا ي ـَ د ا ع [ـُـُ]/ بحذف مصوت قصير من الآخِر(ـُ[ـُ×]) يبقى مصوت قصير: (ـُ) : /ل ـَ م ا ي ـَ د ا ع ـُ/ ويقال علامة جزمه حذف مصوت قصير من آخره.

ومن الباب الثاني يقال في باع يبيع ما قيل في قال يقول: باع أصله بَيَع بزنة ضرَب؛ حذف المزدوج ومدّ الصوت بالمصوت القصير الذي قبله؛ فصار : /ب ـَ ا ع ـَ/

بزنة: فال، يبيع أصله يبْيِع بزنة يضْرِب / ي ـَ ب ا يِ ـِ ا ع ـُ/ حذفت قاعدة المزدوج (×ي) تخفيفًا؛ ومد الصوت بقمته(ـِ[ـِ]) تعويضًا وأعيد التشكيل المقطعي: / ي ـَ ا ب ـِ ا ع ـُ/. ومثل دعا يدعو يقال في رمى يرمي ، رمى أصله رَمَيَ بزنة ضرَب: حذف المزدوج الصاعد(ي ـَ) تخفيفًا، ومد الصوت بالمصوت الذي قبله(ـَ[ـَ]) تعويضًا: فصار: /ر ـَ ا م ـَ/ بزنة: فعا. يرمي أصله يرْمِيُ بزنة يضْرِبُ /ي ـَ ر ا م ـِ ا ي ـُ/ حذف المزدوج الصاعد (ي ـُ) تخفيفًا، ومدَّ الصوت بالمصوت الذي قبله تعويضًا (ـِ[ـِ]) فصار: /ي ـَ ر ا م ـِ/ بزنة يفعي.

ومن الباب الثالث يقال في سعى يسعى: أصله: سَعَيَ يسْعَيُ بزنة فتَح يفْتَح، حذف المزدوج الصاعد في كل منهما تخفيفًا؛ ومد الصوت بالمصوت الذي قبله تعويضًا، أي: سعى أصله سَعَيَ / س ـَ ا ع ـَ ا ي ـَ/ : /س ـَ ا ع ـَ[ـَ] ا ×(ي ـَ)/ فيكون: /س ـَ ا ع ـَ/ بزنة: فعا، و يسعى أصله يسْعَيُ: /ي ـَ س ا ع ـَ ا ي ـُ/ حذف المزدوج الصاعد (ي ـُ) تخفيفًا؛ ومد الصوت بالمصوت الذي قبله(ـَ[ـَ]) تعويضًا/ي ـَ س ا ع ـَ[ـَ] ا ×(ي ـُ)/ فكان: /ي ـَ س ا ع ـَ/ بزنة يفعا.

ومن الباب الرابع مثل علِم يعلَم، يقال في خاف يخاف: أصله: خَوِف يخْوَف، خَوِفَ: /خ ـَ ا و ـِ ا ف ـَ/ حذف المزدوج الصاعد(و ـِ) تخفيفًا؛ ومد الصوت بالمصوت الذي قبله(ـَ) تعويضًا/خ ـَ[ـَ] ا ×(و ـِ) ا ف ـَ/ فصار: /خ ـَ ا ف ـَ/ ، يَخْوَفُ: /ي ـَ خ ا و ـَ ا ف ـُ/ حذفت قاعدة المزدوج(×و) تخفيفًا؛ ومد الصوت بقمته(ـَ[ـَ]) تعويضًا/ي ـَ خ ا [×و] ـَ[ـَ] ا ف ـُ/ وأعيد التشكيل المقطعي : /ي ـَ ا خ ـَ ا ف ـُ/ بزنة: يفال . وفي هوِيَ يهوى من الباب نفسه يقال: هوِي لم يحدث فيه تغيير، فهو بزنة فَعِلَ، يهوَيُ: /ي ـَ ه ا و ـَ ا ي ـُ/ حذف المزدوج الصاعد (ي ـُ) تخفيفًا، ومد الصوت بالمصوت الذي قبله(ـَ[ـَ] تعويضًا:/ي ـَ ه ا و ـَ[ـَ] ا ×ي ـُ/ فصار: / ي ـَ ه ا و ـَ/ بزنة: يفْعا.

ومن الباب الخامس بزنة شرُف يشرُف، يقال في معتل العين نحو: طال يطول: أصله طَوُل يطْوُل؛ طَوُل: / ط ـَ ا و ـُ ا ل ـَ/ : حذف المزدوج الصاعد (و ـُ) تخفيفًا، ومد الصوت بالمصوت الذي قبله(ـَ[ـَ]) تعويضًا/ ط ـَ[ـَ] ا ×(و ـُ) ا ل ـَ/ فصار: /ط ـَ ا ل ـَ/ بزنة: فال، يَطْوُل: / ي ـَ ط ا و ـُ ا ل ـُ/ : حذفت قاعدة المزدوج (×و) تخفيفًا؛ ومد الصوت بقمته(ـُ[ـُ]) تعويضًا:/ي ـَ ط ا ×و ـُ[ـُ] ا ل ـُ/ وأعيد التشكيل المقطعي فصار: /ي ـَ ا ط ـُ ا ل ـُ/ بزنة: يفول. ويقال في معتل اللام؛ نحو: قَضُوَ يقْضو، قَضُوَ بزنة شَرُفَ لم يحدث في تغيير، يقْضُوُ: /ي ـَ ق ا ض ـُ ا و ـُ/: حذف المزدوج الصاعد من آخره تخفيفًا؛ ومد الصوت بالمصوت الذي قبله تعويضًا: /ي ـَ ق ا ض ـُ[ـُ] ا ×(و ـُ)/ فصار: /ي ـَ ق ا ض ـُ/

بزنة: يفْعو. أو يقال: حذفت ضمة اللام للثقل؛ وأعيد التشكيل المقطعي؛ فتكون مزدوج هابط: / ي ـَ ق ا ض ـُ ا و ×(ـُ)/ : /ي ـَ ق ا ض ـُ و/ ثم يتحد المزدوج الهابط مشكلًا مصوتًا طويلًا من جنسه: /ي ـَ ق ا ض ـُـُ/.

ومن الباب السادس بزنة حسِب يحسِب ولِي يلي، الماضي لم يحدث فيه تغيير، يلي أصله: يلِيُ: / ي ـَ ا ل ـِ ا ي ـُ/ حذف المزدوج الصاعد(ي ـُ) تخفيفًا، ومد الصوت بالمصوت الذي قبله(ـِ[ـِ] تعويضًا: / ي ـَ ا ل ـِ[ـِ] ا ×(ي ـُ)/ فصار: /ي ـَ ا ل ـِـِ/ بزنة: يفي.

العلاقة بين الهمزة واللين والمصوتات وهمزة بينَ بينَ:

الناظر في بنية الكلمة العربية يجد الهمزة تحُلُّ محَلَّ اللين أحيانًا كما في سماءٍ وبناءٍ، وقائلٍ وبائعٍ، ويجد اللين يحل محلها كما في جمع خطيئة على خطايا. ويجد المصوت يحُلّ محلها أحيانًا كما في آمَنَ وأومِنُ وإيمان. ولا يبعد أن يكون الذي شجع على ذلك التبادل في الموقع اشتراكُ الوترين في توليد الهمزة وفي توليد كلٍّ من اللين والمصوتات؛ فالهمزة تولد من انطباق الوترين ثم انفصالهما فجأة، وأهم ما في المصوتات واللين صفة الجهر الحاصلة من اهتزاز الوترين. وسواء أكان هذا سببَ التبادل أو غيرُه؛ فقد وقع الإبدال في بنية الكلمة في مواضع ينبغي أن يوقف عندها، ومن ذلك ما سمي بهمزة بينَ بينَ:

همزة بينَ بينَ:

التحول عن صوت الهمزة إلى الصوت الذي سمي بهمزة بينَ بينَ يندرج في باب الإبدال الجائز إذ هو صورة لهجية؛ فنجد العلماء يقولون: (إذا أردت تخفيفها): ((اعلم أن كل همزةٍ مفتوحة كانت قبلها فتحةٌ فإنَّك تجعلها – إذا أردت تخفيفها– بين الهمزة والألف الساكنة؛ وتكون بزنتها محققَّةً، غير أنَّك تُضْعفُ الصوت ولا تُتمُّه؛ وتُخفي؛ لأنك تقرِّبها من هذه الألف. وذلك قولك: (سأل) في لغة أهل الحجاز؛ إذا لم تحقِّق كما يحقِّق بنو تميم؛ و: (قد قرَأَ قَبلُ)[٣٦]؛ بينَ بينَ. وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة؛ كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة. ألا ترى أنك لا تتم الصوت ههنا وتضعِفه لأنَّك تقرِّبها من الساكن، ولولا ذلك لم يدخل الحرفَ وَهَن، وذلك قولك: (يئس) و: (سئم)، و: { إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ } [البقرة:٢٥٨] وكذلك أشباه هذا.

وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة، والمضمومةُ

---

(٣٦) بدا لي أن الأصل: قرأ (قُبُل)، فبحثت في القرءات فلم أجد ذكرًا لقراءة بين بين في لفظ {سَأَل) عنده. والله أعلم.

قصتها وقصة الواو قصة المكسورة والياء، فكل همزة تقرَّب من الحرف الذي حركتُها منه؛ فإنما جُعلت هذه الحروف بينَ بينَ ولم تُجعل ألفاتٍ ولا ياءاتٍ ولا واواتٍ؛ لأنَّ أصلها الهمز، فكرهوا أن يخفِّفوا على غير ذلك فتُحوَّلَ عن بابها؛ فجعلوها بينَ بينَ ليُعلموا أنَّ أصلَها عندهم الهمز.

وإذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها كسرة أو ضمة فهذا أمرها أيضًا، وذلك قولك: (من عندِ إبِلك) و: (مرتعُ إبِلك).

وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها ضمة أو كسرة فإنَّك تصيِّرها بينَ بينَ؛ وذلك قولك: (هذا درهمُ أُختك)، و: (من عندِ أُمِّك)، وهو قول العرب وقول الخليل.))[٣٧]

والهمزة تولد بانطباق الوترين فانفصالِهما فجأة؛ ولا عمل لغير الوترين في إخراجها؛ وعملية الغلق والفتح المفاجئ لا تفسح المجال للتنويع؛ ولهذا لا يمكن القول إنها نوع من الهمزة؛ بل هي صوت جديد؛ نسميه صوت التخفيف؛ اخترنا أن يكون رمزه في الكتابة الصوتية هذه العلامة: (!)، وهذا الصوت قد يقال في حقيقته إنه صوتُ لينٍ احتكاكيٍّ من الألف؛ فيكون اللين من أصوات المد الثلاثة وليس من الواو والياء وحدهما؛ لكن يُعَكِّر عليه أن الألف في الانشطار يَؤول إلى فتحة وياء لين؛ وليس إلى فتحةٍ وصوتٍ بينَ بينَ؛ وذلك في نحو تحول المثنى من الرفع إلى النصب والجر كـ(رجُلانِ) / ر ـَ ا ج ـُ ا ل ـَ ـا ن ـِ/ و: (رجُلَيْن) /ر ـَ ا ج ـُ ا ل ـَ ي ا ن ـِ/ واختيرت الياء من الليئَينِ لأنها أخف من الواو. وقد يقال في حقيقته إنه نوع من الهاء؛ لأنه من الوترين مخرجِ الهمزة؛ إذ يولد بتباعد الوترين من غير اهتزاز؛ بأن يُحدث الهواء المار بينهما احتكاكًا مسموعًا؛ ويقوي هذا الاختيار عندنا ما سمعناه من قراءة بعض المجودين للقرآن للآية الرابعة والأربعين من سورة فُصِّلَتْ وهو الشيخ عبد الفتاح الشعشاعي إذ نطَقَها هاءً في قوله تعالى: {ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ}. وعلى كلا القولين يكون ما سمي بهمزة بين بين صامتًا يشكل قاعدة للمقطع الذي هو فيه؛ ولهذا قالوا إنها بوزنها محققة؛ أي أنّ الوزن لا يختل بها.

والذي نقوله في الدرس الصوتي بشأن تخفيف الهمزة بتحولها إلى ما سمي بهمزة بين بين: إن الهمزة حذفت تخفيفًا في صورها المذكورة جميعًا؛ وجيء بصوت التخفيف الذي سموه بين بين تعويضًا، وما قالوه من كونها بينها وبين حرف حركتها لعله ناجم من الإحساس بأثر المصوت الذي بعدها، أما هي فلا تتشكل من جزأين؛ جزءٍ من الهمزة؛ وجزء من المصوت الذي بعدها؛ لأن الهمزة غير قابلة للتنويع؛ فنقول: تحذف الهمزة (ء) ويحل مكانها صوت النخفيف الذي

---

[٣٧] الكتاب، لسيبويه، ج٣ ص ٥٤١

جعلنا رمزه في الكتابة: (!). وهذا بيان ما نقترحه بشأن أمثلة سيبويه؛ فنقول: (سَأَلَ): / س ـَ ا ءِ ـَ ا ل ـَ/؛ تحذف الهمزة تخفيفًا(×ء) ويؤتى بصوت التخفيف(!) مكانها تعويضًا / س ـَ ا (×ء[!]) ـَ ا ل ـَ/؛ فيؤول إلى: / س ـَ ا ! ـَ ا ل ـَ/ . (قد قرأَ قَبلُ) /ق ـَ د ا ق ـَ ا ر ـَ ا ء ـَ ا ق ـَ ب ا ل ـُ/: /ق ـَ د ا ق ـَ ا ر ـَ ا (×ء[!] ـَ ا ق ـَ ب ا ل ـُ/؛ بالحذف تخفيفًا؛ والتعويض يؤول إلى: /ق ـَ د ا ق ـَ ا ر ـَ ا ! ـَ ا ق ـَ ب ا ل ـُ/. (يَئِس): / ي ـَ ا ×ء[!] ـِ ا س ـَ/ بالحذف تخفيفًا والتعويض يؤول إلى: / ي ـَ ا ! ـِ ا س ـَ/ ، (سَئِم) : / س ـَ ا ×ء[!] ـِ ا م ـَ/ بالحذف تخفيفًا والتعويض يؤول إلى: / س ـَ ا ! ـِ ا م ـَ/، (وإذْ قال إبراهيم) / و ـَ ا ء ـِ ذ ا ق ـَ ا ل ـَ ا ×ء[!] ـِ ب ا ر ـَ ا ه ـِ ا م ـُ/ بالحذف تخفيفًا والتعويض يؤول إلى: / و ـَ ا ء ـِ ذ ا ق ـَ ا ل ـَ ا ! ـِ ب ا ر ـَ ا ه ـِ ا م ـُ/ . (من عندِ إبِلِكَ): / م ـِ ن ا ع ـِ ن ا د ـِ ا ×ء[!] ـِ ا ب ـِ ا ل ـِ ا ك ـَ / بالحذف تخفيفًا والتعويض يؤول إلى: / م ـِ ن ا ع ـِ ن ا د ـِ ا ! ـِ ا ب ـِ ا ل ـِ ا ك ـَ /، (مرتعُ إبِلِكَ): / م ـَ ر ا ت ـَ ا ع ـُ ا ×ء[!] ـِ ا ب ـِ ا ل ـِ ا ك ـَ / بالحذف تخفيفًا والتعويض يؤول إلى: / م ـَ ر ا ت ـَ ا ع ـُ ا ! ـِ ا ب ـِ ا ل ـِ ا ك ـَ /، (هذا درهمُ أُختك): / ه ـَ ا ذ ـَ ا د ـِ ر ا ه ـَ ا م ـُ ا ×ء[!] ـُ خ ا ت ـِ ا ك ـَ / بالحذف تخفيفًا والتعويض يؤول إلى: / ه ـَ ا ذ ـَ ا د ـِ ر ا ه ـَ ا م ـُ ا! ـُ خ ا ت ـِ ا ك ـَ /، (من عندِ أُمِّك): / م ـِ ن ا ع ـِ ن ا د ـِ ا ×ء[!] ـُ م ا م ـِ ا ك ـَ /؛ بالحذف تخفيفًا والتعويض يؤول إلى: / م ـِ ن ا ع ـِ ن ا د ـِ ا ! ـُ م ا م ـِ ا ك ـَ /.

قلب اللين همزة(حذف اللين والتعويض بالهمزة) وجوبًا:

١) إذا أدى بناء اللفظة إلى وجود لينٍ في الطرف منحصرٍ بن مصوت طويل هو (الألف/ـَـ/) ومصوت قصير(/ـُ/ ، /ـِ/ ، /ـَ/ وفقًا لموقع الكلمة من الإعراب) يحذف اللين تخفيفًا؛ ويؤتى بالهمزة عوضًا عنه؛ لأنها أقدر على قبول المصوت في الطرف(قبول حركة الإعراب)، نحو: سماءٍ وأصله سماو لأنه من سما يسمو، / س ـَ ا م ـَـ ا و ـُ ن (و ـِ ن، و ـَ ن/، وفقًا لموقع الكلمة من الإعراب)، يحذف اللين(و) وهو قاعدة المزدوج الصاعد؛ تخفيفًا، لوقوعه بين مصوت طويل/ـَـ/ ومصوت قصير[ـُ أو ـِ أو ـَ] وتجتلب الهمزة تعويضًا/ س ـَ ا م ـَـ ا (×و[ء] ـُ ن(و ـِ ن، و ـَ ن) / ، فيكون: / س ـَ ا م ـَـ ا ء ـُ ن (ء ـِ ن، ـَ ن). ومثل هذا يقال عن: بناءٍ؛ وأصله بناي لأنه من بنى يبني.

٢) إذا أدى البناء إلى وجود لينٍ في حشو اللفظ منحصرٍ بين مصوت طويل/ـَـ/ ومصوت قصير(هو الكسرة /ـِ/) نحو: قائل بزنة فاعِل وأصله قاوِل لأنه من القول، وبائع وأصله بايع لأنه من البيع، وخائف وأصله خاوِف لأنه من الخوف: يحذف اللين وهو قاعدة المزدوج الصاعد

تخفيفًا؛ لوقوعه بين مصوت طويل/ـَ/ ومصوت قصير (هو الكسرة /ـِ/) ويؤتى بالهمزة تعويضًا؛ قاوِلٌ: /ق ـَ ا و ـِ ا ل ـُ ن(ل ـِ ن، ل ـَ ن/ وفقًا لموقع الكلمة من الإعراب : /ق ـَ ا ×و[ء] ـِ ا ل ـُ ن/ فيكون: /ق ـَ ا ء ـِ ا ل ـُ ن/. ومثل هذا يقال عن بايِع وبائع، وعن خاوِف وخائف، ونحو ذلك. وهذا الذي اخترنا فيه أن يكون من قبيل الحذف والتعويض؛ قد علله ابن جني على منهجه في حفظ المراتب باجتماع ألفين وانقلاب الثانية همزة للاضطرار إلى تحريكها: ((إنما وجب همز عين اسم الفاعل إذا كان على وزن فاعل نحو: (قائم)، و(بائع)؛ لأن العين كانت قد اعتلت فانقلبت في (قام) و(باع) ألفًا [أصلهما: قَوَم، و: بَيَع] ، فلما جئت إلى اسم الفاعل وهو على (فاعل) صارت قبل عينه ألف (فاعل)؛ والعين قد كانت انقلبت ألفا في الماضي [في قام]، فالتقت في اسم الفاعل ألفان، وهذه صورتهما (قَاْاْم) فلم يجز حذف إحداهما فيعود إلى لفظ (قام) فحُرِّكت الثانية التي هي عين كما حرّكت راء (ضارِب) فانقلبت همزة؛ لأن الألف إذا حُرِّكت صارت همزة، فصارت (قائم)، و(بائع) كما ترى.))[٣٨].

أما إذا أدى التغيير في الأصل إلى لبس؛ فيقرّ اللين نحو: عَيِنَ فهو عايِنٌ، وعَوِرَ فهو عاوِر، وحَوِل فهو حاوِل؛ لأن اللين لما أقرّ في الفعل خوف الإلباس بعانَ وعارَ وحالَ أقرّ في اسم الفاعل تبعًا للفعل.

٣) فعايل وفعاول: وبالانحصار بين الألف والكسرة يوجه الإبدال بحذف اللين تخفيفًا والإتيان بالهمزة تعويضًا في الجمع إذا جاء صحيحَ اللام على صيغة فعايِل، وفعاوِل؛ إذ سوف ينحصر اللين بين مصوت طويل/ـَ/ ومصوت قصير (هو الكسرة /ـِ/) بشرط أن يكون أصل اللين مدة زائدة في المفرد لضعف صوت المدّ؛ ثم لضعفه بالزيادة على الأصل، وذلك نحو: عجائز؛ ومفردها: عجوز؛ فواوه مدة زائدة لأنه من عجَز يعجِز، وصحائف؛ ومفرده صحيفة؛ فياؤه مدة زائدة لأنه من الصَّحْفة(إناء واسع كالقَصْعَة)، فيحذف اللين(و) وهو قاعدة المزدوِج الصاعد(وِـ) تخفيفًا؛ ويؤتى بالهمزة(ء) تعويضًا: /ع ـَ ا ج ـَ ا و ـِ ز/ : /ع ـَ ا ج ـَ ا ×و[ء] ـِ ز/، بالحذف والتعويض يكون:/ع ـَ ا ج ـَ ا ء ـِ ز/ . ومثل هذا يقال في صحايف وصحائف: / ص ـَ ا ح ـَ ا ي ـِ ف/: / ص ـَ ا ح ـَ ا ×ي[ء] ـِ ف/ بالحذف والتعويض يكون: / ص ـَ ا ح ـَ ا ء ـِ ف/. وكذلك في انحصار الألف التي في المفرد/ ـَ/ في التصوُّر بين ألف صيغة الجمع/ ـَ/ والكسرة/ ـِ/ التي قبل لام الكلمة، نحو: رسالةٍ وجمعها رسائل والأصل المتصوَّر (رساْاْـِ ل) الأولى ألف صيغة الجمع؛ والثانية ألف المفرد، فلما اضطروا لتحريك الألف على ما تقدم من قول ابن جني؛ قلبوها إلى همزة لأنها أقرب الحروف إلى الألف؛ والذي نقول به: إن الألف حذفت لاستحالة توالي مصوتين واجتلبت

---

[٣٨] المنصف لابن جني، ج١ ص٢٨٠

الهمزة تعويضًا، رسائل / ر َـ ا س َـ[ألف الجمع] َـ[ألف رسالة] ـِ ل/ : / ر َـ ا س َـ .[ألف الجمع] ×َـ[ألف رسالة] [ء] ـِ ل/ تحذف ألف رسالة(ألف المفرد) تجنبًا لتوالي مصوتين، ويؤتى بالهمزة عوضًا عنها فيكون: / ر َـ ا س َـ ا ء ـِ ا ل َـ /. ومثل هذا يقال في قلادة وقلائد.

أما نحو: قساوِرَ ونيازِكَ فلم يقع فيهما إبدال مع كون اللين منحصرًا بين ألف وكسرة لقوة اللين في مفرديهما قَسْوَر ونَيْزَك، وأما نحو: مفاوِزَ ومعايِشَ فلم يقع فيهما إبدال لأصالة المدّ في مفرديهما مفازة أصلها مَفْوَزة بزنة مَفْعَلة، ومعيشة أصلها مَعْيِشة بزنة مفْعِلة لأنهما من فاز يفوز؛ وعاش يعيش، فاللين فيهما في موضع العين. أما الإبدال في منارة ومنائر، ومصيبة ومصائب؛ مع أصالة اللين فيهما فهذا مما ورد به السماع فيحفظ ولا يقاس عليه.

فإن كان ما جاء على (فعيلة) معتَلَّ اللام جُمع على صيغة (فَعالَى)؛ نحو: قضيَّةٍ وقضايا، وصبيَّة وصبايا، وهدية وهدايا ومَطِيَّةٍ ومطايا، فيقال: /ق َـ ا ض ـِ ي ا ي َـ ا ت ـُ ن/ تحذف هاء التأنيث من الآخر، ومصوتُها وتنوينُها إذا درست الكلمة في حال الوصل: ×(ت ـُ ن)، أو ×(ت ـِ ن)، أو ×(ت َـ ن): /ق َـ ا ض ×(ـِ ي)[َـ] ا ي َـ/ : ويحذف المزدوج الهابط الذي بين العين واللام(×ـِ ي) ليحل محله ألف الجمع [َـ] /ق َـ ا ض َـ ا ي َـ / ولم يقع الإبدال ههنا مع انحصار اللين بين مصوت طويل ومصوت قصير؛ لأنَّ المصوِّت القصير فتحة وهي خفيفة؛ فيمد الصوت بها(المصوت القصير الذي بعد اللام)(ي َـ[َـ]) إذ لا يوقف على مصوت قصير؛ فيكون: / ق َـ ا ض َـ ا ي َـ/ بزنة فَعالى. ومثل هذا يقال عن صبيَّة وصبايا، وهديَّة وهدايا ونحو ذلك.

وينبغي أن يلاحظ أن قضِيَّة أصله قبل الإدغام: قَضيِيَة / ق َـ ا ض ـِـ ا ي َـ هـ/ بزنة فعيْلة أي بياء مدية(ـِـ) تليها ياء لين(ي)، ولكي يتحقق الإدغام انشطرت الياء المدية(ـِـ) إلى مصوت من جنسها(ـِ) وهي الكسرة وصوت لين(ي): (ـِ ي) أدغم اللين في اللين الذي يليه، أي: / ق َـ ا ض ـِـ ا ي َـ ا ت ـُ ن / : ينشطر(ـِـ) إلى: (ـِ ي) فيكون: / ق َـ ا ض ـِ ي ا ي َـ ا ت ـُ ن / .

٤) فعائل: وبانحصار اللين بين صوت المد الألف /َـ/ والمصوت القصير الكسرة /ـِ/ يوجه الإبدال بحذف اللين والإتيان بالهمزة تعويضًا، نحو نيائف جمع نَيِّف، وأوائل جمع أوَّل، وسيائد جمع سيد، والأصل: نيايِف، وأواوِل، وسياوِد، أي: / ن َـ ا ي َـ ا ي ـِ ف / ثمَّ / ن َـ ا ي َـ ا ×ي[ء] ـِ ف / فيكون: / ن َـ ا ي َـ ا ء ـِ ف / ومثل هذا يقال في أواول وأوائل، وفي سياود وسيائد.

قلب الهمزة: في مقابل قلب المدّ واللين همزة ذكروا قلب الهمزة مدًّا ولينا **وجوبًا أو جوازًا**، وكله في حقيقته حذف للهمزة تخفيفًا والإتيان بالمد أو اللين تعويضًا؛ وسنبين ذلك إن شاء الله فيما يأتي:

قلب الهمزة وجوبًا: ويكون في مواضع:

أوَّلًا: جمع فعيلة على فَعالَى: ما جاء على فعيلة ولامه همزة فجمعه على مثال فَعالى نحو: خطيئة وخطايا، وربيئة وربايا، ودريئة ودرايا، وبريئة(مخلوقة) وبرايا، ودنيئة(نقيصة) ودنايا؛ فيكون بحذف هاء التأنيث ومصوتها وتنوينها؛ والإتيانِ بألفِ الجمع بعد العين؛ وحذفِ الهمزة تخفيفًا؛ ومدِّ الصوت بالمصوت الذي كان بعدها تعويضًا؛ وإبدال الياء المدّية لينًا من جنسها لاستحالة توالي المصوِّتات؛ أي: / خ ـَ ا ط ـِـ ا ء ـَ ا ×(ت ـُ ن)/: تحذف هاء التأنيث وما اتصل بها: / خ ـَ ا ط ـِـ ا ء ـَ / يؤتى بألف الجمع بعد العين(الطاء): / خ ـَ ا ط[ـَـ] ـِـ ا ء ـَ / فيتوالى مصوتان يحذف المصوت الثاني (ـِـ) ويؤتى بلين من جنسه(ي) تعويضًا: / خ ـَ ا ط ـَـ ×(ـِـ):[ي] ا ء ـَ / : / خ ـَ ا ط ـَـ ي ا ×(ء) ـَ:[ـَـ] / تحذف الهمزة(لام الكلمة) ويمد الصوت بالمصوت الذي بعدها(الفتحة) ويعاد التشكيل المقطعي: / خ ـَ ا ط ـَـ ا ي ـَـ / فوزنه: فعايا، أو بالنظر إلى كون الياء حلت محل اللام في إعادة التشكيل يكون الوزن: فعالى. وإذا نظرنا إلى حفظ المراتب قلنا: انشطرت الياء المدية (التي بعد عين الكلمة) إلى كسرة وياء لين، وحذفت الكسرة لسبقها بألف الجمع إذ لا يتوالى مصوتان؛ وحلت ياء اللين محل لام الكلمة المحذوفة؛ وحذفت الهمزة(لام الكلمة) مع مصوتها تخفيفًا؛ واجتلبت الألف التي من جنس المصوت المحذوف تعويضًا. وهذا بيان المراتب بالكتابة الصوتية: خطيئة لامها همزة لأنها من الخطأ: /خ ـَ ا ط ـِـ ا ء ـَ ه/ على نية الوقف، لجمعها أتينا بألف الجمع بعد العين(الطاء) وحذفنا هاء التأنيث من الآخر: /خ ـَ ا ط [ـَـ] ـِـ ا ء ـَ[ـَـ] ×ه/ فصار في التصوُّر(في البنية العميقة): / خ ـَ ا ط ـَـ ـِـ ا ء ـَ / وفيه توالي مصوتين طويلين(ـَـ ـِـ) ألف الجمع وياء فعيلة التي في المفرد وهو غير ممكن في اللفظ، والوقف على مصوت قصير(ء ـَ) وهو غير جائز؛ فمدَّ الصوت بمصوت لام الكلمة القصير(ـَ) ليكون طويلًا(ـَـ) إذ لا يوقف على مصوت قصير ويوقف على مصوت طويل، فصار في التصور: / خ ـَ ا ط ـَـ ـِـ ا ء ـَـ / شطرت ياء فعيلة إلى مصوت قصير وياء لين (ـِـ: ـِ ي) ، فصار في التصور: / خ ـَ ا ط ـَـ ـِـ[×(ـِ) ي] ا ء ـَـ / حذف المصوت القصير لالتقائه بالمصوت الطويل قبله(ألف الجمع) فصار: / خ ـَ ا ط ـَـ ي ا ء ـَـ / تشكل مقطع مديد في الدرج وهو ثقيل اجتمع إلى ثقل الهمزة بعده فحذفت الهمزة تخفيفًا؛ وأعيد التشكيل المقطعي ليحل ياء اللين محل لام الكلمة؛ فصار: /خ ـَ ا ط ـَـ ا ي ـَـ/ بزنة: فَعالى لأن الياء اللينة حلت محل الهمزة التي هي لام الكلمة.

والقول بأن جمع خطيئة جاء على زنة فَعالى مذهب قديم؛ إذ جُعل هذا الجمع على نية تخفيف الهمزة في المفرد؛ فالذي جَمَعَ على خطايا على قول بعضهم إنما نظر إلى تخفيف خطيئة إلى خطيَّة ثم جمع: ((ومنهم [أي الكوفيين] من قال: إنه على فَعالَى؛ لأن خطيئة جمعت على ترك الهمز؛ لأن ترك الهمز يكثر فيها، فصارت بمنزلة فعيلة من ذوات الواو والياء، وكل فعيلة من ذوات الواو والياء نحو وصيّة؛ وحَشيَّة؛ فإنه يجمع على فَعالَى دون فعائل.))(٣٩) فيكون المتكلم قد خفف همزة خطيئة بحذفها والإتيان بياء مكانها وأدغم الياء في الياء فصار خطيّة؛ ثم جمعها على خطايا وفقًا للقياس في فعيلة من ذوات الواو والياء كما قال الكوفيون. وفي التوجيه الصوتي نقول لبيان تحول خطيئة إلى خطِيَّة على نية الوقف: / خ َـ ا ط ِـِ ا ء َـ هـ/ حذفت الهمزة تخفيفًا؛ وجيء بلين(ي) مناسب لما قبلها وهو الياء المدية،/ خ َـ ا ط ِـِ ا ×ء[ي] َـ هـ / فصار: ،/ خ َـ ا ط ِـِ ا ي َـ هـ / وانشطرت الياء المدية التي بعد العين(ِـِ) إلى كسرة ولين(ِـ ي)؛ ليتحقق الإدغام؛/ خ َـ ا ط ِـ[ِـ ي] ا ي َـ هـ / أي: / خ َـ ا ط ِـ ي ا ي َـ هـ / ، وتجمع على فَعالى فتكون: خطايا، أي: / خ َـ ا ط ِـ ي ا ي َـ هـ / : باجتلاب ألف الجمع بعد عين الكلمة (الطاء) يكون في التصور:/ خ َـ ا ط [َـَ] ِـ ي ا ي َـ هـ / وحذف المزدوج الهابط لتجنب توالي مصوته مع المصوت المجتلب(ألف الجمع) :/ خ َـ ا ط َـَ ×(ِـ ي) ا ي َـ هـ / وحذف هاء التأنيث: / خ َـ ا ط َـَ ا ي َـ ×هـ / : / خ َـ ا ط َـَ ا ي َـ / ، ولأنه لا يجوز الوقف على مصوت قصير (َـ) مد به الصوت ليكون طويلًا(َـَ) يصح الوقف عليه فصار: / خ َـ ا ط َـَ ا ي َـَ/ بزنة فَعالى؛ ولام الكلمة ياء اللين الذي جيء به عوضًا عن الهمزة التي هي لام الكلمة في الأصل.

ومذهب الكوفيين في جعل خطيئة مجموعة على فَعالَى كما تقدم له وجه في القياس الذي يحرص عليه الصرفيون؛ مع ما فيه من التيسير في التوجيه؛ ولو نظرت إلى قولهم هذا مع قول الآخرين لظهر لك الفرق، انظر مثلًا إلى قول ابن جني في باب حفظ المراتب: ((هذا موضع يتسمَّح الناس فيه فيخلّون ببعض رتبه تجاوزًا لها وربما كان سهوًا عنها، وإذا تنبهت على ذلك من كلامنا هذا قوِيتَ به على ألا تُضيعَ مرتبة يوجبها القياس بإذن الله؛ فمن ذلك قولهم في خطايا: إن أصله كان خطائِئ ثم التقت الهمزتان غير عينين فأبدلت الثانية على حركة الأولى فصارت ياء: خطائي، ثم أبدلت الياء ألفا لأن الهمزة عرضت في الجمع واللام معتلة فصارت خطاءا، فأبدلت الهمزة على ما كان في الواحد وهو الياء فصارت خطايا. فتلك أربع مراتب: خطائِئ ثم خطائِي ثم خطاءا ثم خطايا. وهو –لعمري– كما ذكروا، إلا أنهم قد أخلوا من الرتب بثنتين: أما إحداهما فإن أصل هذه الكلمة قبل أن تبدل ياؤها همزة خطايِئ بوزن خطايع ثم أبدلت الياء همزة

(٣٩) الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري، ج٢ ص ٦٦٣

فصارت: خطائِئ بوزن خطاعع. والثانية أنك لما صرت إلى خطائِي فآثرت إبدال الياء ألفا لاعتراض الهمزة في الجمع مع اعتلال اللام؛ لاطفت الصنعة فبدأت بإبدال الكسرة فتحة لتنقلب الياء ألفا فصرت من خطائِي إلى خطاءَي بوزن خطاعَي ثم أبدلتها لتحركها وانفتاح ما قبلها على حد ما تقول في إبدال لام رحى وعصا؛ فصارت خطاءا بوزن خطاعى ثم أبدلت الهمزة ياء على ما مضى فصارت خطايا. فالمراتب إذًا ست لا أربع. وهي خطايِئ ثم خطائِئ ثم خطائِي ثم خطاءَي ثم خطاءا ثم خطايا. فإذا أنت حفظت هذه المراتب ولم تُضع موضعًا منها قويَت دِرْبتك بأمثالها وتصرفتْ بك الصنعة فيما هو جارٍ مَجراها.))[٤٠]

ثانيًا: الحذف في تصريف عدد من الأفعال والصِّيَغ:

١) صيغة (أَفْعَلَ يُفْعِل): تحذف الهمزة تخفيفًا مع مصوِّتها في صيغة (أَفْعَلَ) الثلاثي المزيد بالهمزة في المضارع، وفي اسم الفاعل، وكذلك في اسم المفعول واسمَي الزمان والمكان والمصدر الميمي؛ وهذه الأربعة لفظها واحد، نحو: يُكْرِم، ومُكْرِم، ومُكْرَم، والأصل: يُؤَكْرِم، مُؤَكْرِم، مُؤَكْرَم. وتعود الهمزة في الأمر نحو: أَكْرِم. وحكم بالحذف لأن المضارع يؤخذ من الماضي بزيادة لاصقة المضارعة من أوله(اللاصقة: أحد أحرف أنيت مع مصوِّته) نحو: كتب يكتب فالأصل في مضارع أَكْرَمَ: يُؤَكْرِم / ي ـُ ا ء ـَ ك ا ر ـِ ا م ـُ / : / ي ـُ ا ×(ء ـَ) ك ا ر ـِ ا م ـُ / تحذف الهمزة مع مصوتها ويعاد التشكيل المقطعي فيكون: / ي ـُ ك ا ر ـِ ا م ـُ / ، ومثل ذلك يقال في: / م ـُ ا ×(ء ـَ) ك ا ر ـِ ا م ـُ ن / : / م ـُ ك ا ر ـِ ا م ـُ ن / . و: / م ـُ ا × (ء ـَ) ك ا ر ـَ ا م ـُ ن /: / م ـُ ك ا ر ـَ ا م ـُ ن /.

٢) تحذف الهمزة في المضارعِ والأمر من (رأى) وفيما جاء منه بسكون الراء من تصاريفِ (أفْعَل) نحو: أراه ويُريه وأرِه.((والتزم ذلك في باب يَرَى وَأَرَى يُري؛ [فـ]كل ما كان من تركيب رأى سواء كان من الرؤية أو من الرأي أو الرؤيا إذا زدت عليه حرفًا آخر لبناء صيغة وسُكِّن راؤُه؛ وجب حذف همزته بعد نقل حركتها، إلّا مَرْأًى، ومِرْآة))[٤١]، فأصل الفعل: رأَيَ يرْأَيُ من الباب الثالث (فتَح يفتَح)، قالوا: تحركت الياء فيهما وانفتح ماقبلها فقلبت ألفًا؛ ويشكل عليه السكوت عن فتحة الياء؛ والقول بتوالي مصوتين الألف وفتحة الهمزة قبلها، وفي المضارع قالوا: حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى الراء الساكنة فصار يَرَى؛ ويشكل عليه أيضًا السكوت عن ضمَّة الياء؛ والقول بتوالي مصوتين الألف وفتحة الراء قبلها. وفي الدرس الصوتي يقال: في الماضي حذف المزدوج الصاعد(لام الكلمة) تخفيفًا؛ ومدَّ المصوت القصير الذي قبله تعويضًا؛ فصار: رأى؛ فوزنه: فعا؛ أي: / ر ـَ ا ء ـَ ا ي ـَ / : / ر ـَ ا ء ـَ[ـَ] ا ×(ي ـَ) / : / ر ـَ ا ء ـَـَ/ .

---

[٤٠] الخصائص، لابن جني، ج٣ ص ٧–٨

[٤١] شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الأستربادي، ج٣ ص٤٢

وفي المضارع أيضًا: /ي ـَ ر ا ء ـَ ا ×(ي ـُ)/ حذف المزدوج الصاعد (لام الكلمة) تخفيفًا؛ ومدَّ المصوت القصير الذي قبله تعويضًا/ي ـَ ر ا ء ـَ[ـَ] / ؛ فصار: يرْأى /ي ـَ ر ا ء ـَـَ/ ووزنه: يَفْعا، ثم حذفت الهمزة (عين الكلمة) تخفيفًا: /ي ـَ ر ا ×(ء) ـَـَ/ ؛ وأعيد التشكيل المقطعي؛ فصار: يرى / ي ـَ ا ر ـَـَ/ فوزنه: يَفا. أما أرى يُري فأصله أرْأَيَ يُرْئِيُ بزنة أفعَل يُفعِل، قالوا تحركت الياء في الماضي وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا فصار: أرْأَى؛ ويشكل عليه السكوت عن فتحة الياء، ثم حذفت الهمزة(عين الكلمة) بعد نقل حركتها إلى الراء(فاء الكلمة) فصار: أرَى؛ فوزنه: أفَل ويشكل عليه القول بوجود حركة قبل حرف المد من جنسه. أما المضارع: يُرْئِيُ فقالوا فيه إن الضمة حذفت من آخره لثقلها على الياء؛ ويشكل عليه أن الياء التي حذفت الحركة منها صوت لين هي قاعدة للمقطع، والياء بعد حذف الحركي هي صوت مدّ هي قمة للمقطع فهذه غير تلك وإن رسمتا بصورة واحدة. ثم حذفت الهمزة(عين الكلمة) بعد نقل حركتها إلى الراء(فاء الكلمة) فصار: يُرِيْ فوزنه الآن: يُفِل، ويشكل عليه القول بوجود حركة قبل حرف المد من جنسه. وفي الدرس الصوتي يقال: الأصل أرأَيَ يُرْئِيُ كما قيل؛ حذف المزدوج الصاعد من الفعلين تخفيفًا؛ ومد الصوت بالمصوت قبله تعويضًا فصار أرْأى يُرئي؛ ثمّ حذفت الهمزة تخفيفًا فصار أرى يُري فوزنهما: أفا يُفي، أي: / ء ـَ ر ا ء ـَ ا ي ـَ / : / ء ـَ ر ا ×(ء) ـَ[ـَ] ا ×(ي ـَ) / : / ء ـَ ا ر ـَـَ/ فوزنه: أفا. / ي ـُ ر ا ء ـِ ا ي ـُ / : / ي ـُ ر ا ×(ء) ـِ[ـِ] ا ×(ي ـُ) /: / ي ـُ ا ر ـِـِ / فوزنه يُفي.

٣) تحذف الهمزة في الأمر من: (أَخذَ) و(أَكل) فيقال خُذْ وكُل، لأن الأمر يؤخذ من المضارع بحذف لاصقة المضارعة (حرف المضارعة ومصوته) من أوله، وحذف المصوت القصير من آخره؛ نقول: الأصل: يَأْخُذُ لأن الفعل من الباب الأول فتضم عينه، وتحذف لاصقة المضارعة من أوله، والمصوت القصير من آخره؛ وتحذف الهمزة (فاء الكلمة) تخفيفًا؛ ويعاد التشكيل المقطعي؛ فيكون خُذْ بزنة: عُلْ؛ / ي ـَ ء ا خ ـُ ا ذ ـُ/: /×(ي ـَ)×(ء) ا خ ـُ ا ذ ×(ـُ) /: /خ ـُ ذ/، ومثل هذا يقال عن يأكُلُ وكُلْ.

ثالثًا: الحذف في اجتماع الهمزتين:

((واعلم أن الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بُدٌّ من بدل الآخرة))[٤٢] فمن ذلك أن تكون الهمزتان في أول الكلمة ((نحو قولك في (أفْعِلْ) من (أَمِنَ): (آمِنْ) وأصلها (أَأْمِنْ) فقلبت الثانية ألفًا لاجتماع الهمزتين وانفتاح الأولى وسكون الثانية. ومثله (آلفت زيدًا) أي: (أَأْلفته)...فهذا إبدال لازم كراهية التقاء الهمزتين في حرف واحد))[٤٣] والقاعدة العامة

[٤٢] الكتاب، لسيبويه، ج٣ ص٥٥٢

[٤٣] سر صناعة الإعراب، لابن جني، ج٢ ص٣٠٥

في ذلك أن يقال إنه إذا اجتمعت همزتان في كلمة ((فإن كانت الأولى متحركة والثانية ساكنة أبدلت الثانية من جنس حركة الأولى؛ نحو: آمنتُ، أومِنُ، إيمانًا، والأصل: أأْمَنْتُ، أؤْمِن، إئْمَانًا))[٤٤].

والتوجيه الصوتي لذلك أن يقال: حذفت الهمزة تخفيفًا ومدَّ الصوت بالمصوّت القصير الذي قبلها تعويضًا؛ فإن كان فتحة صار ألفًا، وإن كان ضمة صار واوًا مدّيّة، وإن كان كسرة صار ياءً مدّيّة؛ فـ(أَفْعَلَ) من (أَمِنَ) (أَأْمَنَ) تحذف الهمزة الثانية الساكنة تخفيفًا ويمد المصوت القصير(الفتحة) قبلها تعويضًا فيكون ألفًا، ويرسم مع الهمزة الأولى بصورة ألف فوقها مدة (آ) إشارة إلى وجود صوت الهمزة يتبعه صوت الألف(ءا)، وفي الكتابة الصوتية يقال: / ء ـَ ء ا م ـَ ا ن ـَ /: / ء ـَ[ـَ] ×(ءِ) ا م ـَ ا ن ـَ / تحذف الهمزة تخفيفًا؛ ويمد المصوت القصير تعويضًا: فيكون: / ء ـَـ ا م ـَ ا ن ـَ / ومثل هذا يقال في تحول أَأْلفت إلى آلفت، وأأْمنت إلى آمنت، وأَأْدم إلى آدم. ويقال في تحول أُأْمِن إلى أومن حذفت الهمزة الثانية الساكنة تخفيفًا؛ ومد المصوت القصير(الضمة) تعويضًا فصار واوًا مدّيّة؛ أي:/ ء ـُ ء ا م ـِ ا ن ـُ / : / ء ـُ [ـُ] ×(ءِ) ا م ـِ ا ن ـُ / بحذف الهمزة الثانية؛ والتعويض بمد المصوت القصير يكون: / ء ـُـ ا م ـِ ا ن ـُ / ومثل هذا يقال في تحول أُأْخِذَ إلى أوخِذ، وأُأْجِر إلى أوجِر، وأُأْلِمَ إلى أولِمَ. ويقال في تحول إئْمان إلى إيمان حذفت الهمزة الثانية الساكنة تخفيفًا؛ ومدَّ المصوت القصير (الكسرة) تعويضًا؛ فصار ياءً مدِّيَّة؛ أي: / ء ـِ ء ا م ـَ ن / : / ء ـِ[ـِ] ×(ءِ) ا م ـَ ن / بحذف الهمزة الثانية؛ والتعويض بمد المصوت القصير يكون: / ء ـِـ ا م ـَ ن /، ومثل هذا يقال في تحول إئْجاد إلى إيجاد، وإِئْبَ الذُّلَّ إلى إيبَ الذُّلَّ، وإِئْسَفْ إلى إيْسَف.

حذف الهمزة جوازًا:

١) إذا سكنت الهمزة وتحرك ما قبلها قالوا يجوز تخفيفًا أن تقلب إلى جنس حركة ما قبلها نحو: رَأْس وراس، وبِئْر وبير، ومُؤْمِن ومُومِن، ويُشكل عليه القول بتوالي مصوتين في كل مثال: المصوت القصير الذي كان قبل الهمزة والمصوت الطويل الذي حل محل الهمزة، وفي الدرس الصوتي يقال: حذفت الهمزة تخفيفًا؛ ومُدَّ الصوت بالمصوت القصير الذي قبلها تعويضًا: / ر ـَ ء ا س ـُ ن/: / ر ـَ[ـَ] ×(ءِ) ا س ـُ ن/ : / ر ـَـ ا س ـُ ن/ و: / ب ـِ ء ا ر ـُ ن/ : / ب ـِ[ـِ] ×(ءِ) ا ر ـُ ن/ : / ب ـِـ ا ر ـُ ن/ و: / م ـُ ء ا م ـِ ا ن ـُ ن / : / م ـُ [ـُ] ×(ءِ) ا م ـِ ا ن ـُ ن / : / م ـُـ ا م ـِ ا ن ـُ ن /.

٢) إذا تحركت الهمزة وقبلها متحرك:((وكل همزة متحركة قبلها حرف متحرك فهذا حكمها:

---

[٤٤] شذا العرف، للحملاوي، ص١٢٧

أن تجعلها (بينَ بينَ)، إلا ما استثنيته من الهمزة المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة...[فـ] إن كان قبلها ضمة أبدلتها واوًا، وإن كان قبلها كسرة أبدلتها ياءً؛ فتقول في التخفيف في التُّؤَدةِ: التُّوَدةَ؛ فيجعلونها واوًا خالصة، ونريدُ أن نُقْرِيَكَ في نُقْرِئك، وفي المِئَرِ [جمع مِئْرَة وهي العداوة] المِيَرَ بياءٍ خالصة، وتقول في المنفصل: مِنْ غلامِ يَبِيكَ، وهذا غلامُ وَبِيكَ))[٤٥]

والكلام على همزة بينَ بينَ تقدم آنفًا، والتخفيف في هذا الباب إنما هو حذف الهمزة تخفيفًا والإتيان بلين مناسب للمصوت الذي قبلها تعويضًا، (التُّؤَدة): /ء ـَ ت ا ت ـُ ا ء ـَ ا د ـَ هـ/ : /ء ـَ ت ا ت ـُ ا ×(ءِ)[و] ـَ ا د ـَ هـ/ : تحذف الهمزة تخفيفًا؛ ويؤتى بلين(و) مجانس للمصوت الذي قبلها(ـُ) تعويضًا: (التُّوَدَة) فيكون: /ء ـَ ت ا ت ـُ ا و ـَ ا د ـَ هـ/ . وفي حفظ المراتب يقال: تحذف الهمزة مع مصوِّتها /ء ـَ/ ويؤتى بلينٍ مجانس للمصوت الذي قبلها متبوعٍ بمصوت قصير من جنس مصوت الهمزة المحذوف معها. (المِئَر): / ء ـَ ل ا م ـِ ا ء ـَ ر/:/ ء ـَ ل ا م ـِ ا ×(ءِ)[ي] ـَ ر/ : تحذف الهمزة تخفيفًا؛ ويؤتى بلين (ي) مجانس للمصوت الذي قبلها(ـِ) تعويضًا: (المِيَر): / ء ـَ ل ا م ـِ ا ي ـَ ر/. (ونريدُ أن نقرِيَكَ): (نُقْرِئَكَ): / ن ـُ ق ا ر ـِ ا ء ـَ ا ك ـَ/ : / ن ـُ ق ا ر ـِ ا ×(ءِ)[ي] ـَ ا ك ـَ/: تحذف الهمزة تخفيفًا؛ ويؤتى بلين(ي) مجانس للمصوت الذي قبلها(ـِ) تعويضًا: (نُقْرِيَكَ): / ن ـُ ق ا ر ـِ ا ي ـَ ا ك ـَ/. (مِنْ غلامِ أَبِيكَ): / م ـِ ن ا غ ـُ ا ل ـَ ا م ـِ ا ء ـَ ا ب ـِ ا ك ـَ/ : / م ـِ ن ا غ ـُ ا ل ـَ ا م ـِ ا ×(ءِ)[ي] ـَ ا ب ـِ ا ك ـَ/ تحذف الهمزة تخفيفًا؛ ويؤتى بلين(ي) مجانس للمصوت الذي قبلها (ـِ) تعويضًا: (مِنْ غلامِ يَبِيكَ): / م ـِ ن ا غ ـُ ا ل ـَ ا م ـِ اي ـَ ا ب ـِ ا ك ـَ/. (هذا غلامُ أَبِيكَ): / هـ ـَ ا ذ ـَ ا غ ـُ ا ل ـَ ا م ـُ ا ء ـَ ا ب ـِ ا ك ـَ/ : / هـ ـَ ا ذ ـَ ا غ ـُ ا ل ـَ ا م ـُ ا ×(ءِ)[و] ـَ ا ب ـِ ا ك ـَ/ تحذف الهمزة تخفيفًا؛ ويؤتى بلين(و) مجانس للمصوت الذي قبلها(ـُ) تعويضًا: (هذا غلامُ وَبِيكَ): / هـ ـَ ا ذ ـَ ا غ ـُ ا ل ـَ ا م ـُ ا و ـَ ا ب ـِ ا ك ـَ/.

الإبدال بين المُصَوِّتات واللِّينَيْنِ[٤٦]: وهو ما اصطلح عليه بالإعلال وهو في حقيقته من الحذف؛ أو من إبدال صوت بصوت:

الإعلال بالألِف: ورد قلب الألف ياءً في مواضع؛ وواوًا في مواضع:

قلب الألف ياء:

تقلب الألف ياء في موضعين:((الأول: أن يعرض كسرُ ما قبلها، كقولك في جمع مصباح

---

[٤٥] الأصول، لابن السَّرَّاج: ج٢ ص٤٠١

[٤٦] ينظر شرح الأشموني ج٤ ص١٠٢ وما بعدها، وشرح التصريح، ج٢ ص٧٠٩ وما بعدها، وشذا العرف، للحملاوي، ص١٢٨ وما بعدها، وجامع الدروس العربية للغلاييني، ج٢ ص١٠٧ وما بعدها.

ودينـار: مصـابيح ودنـانير، وفـي تصـغيرهما: مُصَـيْبيح ودُنَيْنيـر. والثـاني: أن يقـع قبلهـا يـاء التصـغير، كقولك فـي تصـغير غزال: غُزَيِّل.))[٤٧] ففي الجمـع قالوا قُلبت الألـفُ يـاء لانكسـار ما قبلها؛ أي يقال: (مِصْبَاح) وجمعه: في التصوُّر (مَصَابِاح) بكسر الحرف الذي قبل الألف؛ ولا يكون ما قبل الألف إلا مفتوحًا؛ فقلبت الألف ياء مجانسة للكسرة فصار: مَصَابِيْح. وفـي التوجيه الصـوتي يمكن أن يقال إن (مِفعالًا) جمعت علـى (مَفاعيل) بإبدال الألـف يـاء مدّيـة للتخفُّف مـن مجـيء ألفين بينهما حرف واحد/ م ـِ ص ا ب ـَ ح/ جمعه: / م ـَ ا ص ـَ ا ب ـَ ح/؛ / م ـَ ا ص ـَ ا ب ×ـَ/ـِ] ح/ فحذفت الألف وجيء بأقرب المصوتات الطويلة إليه من حيث الخفة وهو الياء فقيل: / م ـَ ا ص ـَ ا ب ـِ ح/، أو يقال إن الأصل فـي مِفعال ونحوه (مِفْعَل) وجمعه (مَفاعِل) مثل: مِنْجَل ومناجل، ومِضـرَب ومضـارِب، ودِرْهم ودراهم؛ فإذا قيل: مِنجال ومِضراب ودِرهام بمد الصوت بالمصوت القصير الذي قبل الآخر جاء الجمع على مناجيل ومضاريب ودراهيم؛ بمدِّ الصوت بالمصوت القصير الذي قبل الآخر كما مدَّ فـي المفرد؛ فلا يكون إبدال مصوت(الألف: ـَ) بغيره(مصوت اليـاء المدّيّـة ـِ) بـل هـو إطالة الصوت بالمصوت نفسه في المفرد(ـَ: ـَ)؛ وفي الجمع (ـِ: ـِ)؛ أي: / م ـِ ص ا ب ـَ ح/: / م ـِ ص ا ب ـَ[ـَ] ح/ مد المصوت القصير الذي قبل الآخر (الفتحة: ـَ) فصار (ألِفًا: ـَ): / م ـِ ص ا ب ـَ ح/، وجمع (مِصْبَح) (مَصابِح) فلما مد الصوت بالمفرد فصار إلى: (مِصباح) مدّ بجمعه؛ فصار إلى (مصابيح): / م ـَ ا ص ـَ ا ب ـِ ح / مدَّ الصوت بالمصوت القصير الذي قبل الآخر(الكسرة: ـِ) فصار: (ياء مَدِّيَّة ـِ): / م ـَ ا ص ـَ ا ب ـِ ح /.

وفي التصغير قالوا: قلبت الألف ياء((لأن ما بعد ياء التصغير لا يكون إلا متحركًا؛ والألف لا تقبل الحركة؛ وما قبل الألف لا يكون إلا متحركًا [بالفتح]، وياء التصغير لا تكون إلا ساكنة، فوجب قلب الألف حرفًا يتحرك بعد ياء التصغير، ولا يمنع سكون ما قبله، فقلبت الألف ياء، لمناسبتها ما قبلها.))[٤٨] أي في تصغير (غزال) ونحوه؛ قالوا: مصغره في التصوُّر: (غُزَيْال) قلبت الألف ياء لمناسبة ياء التصغير وأدغمت ياء التصغير فيها فقيل: (غُزَيِّل)، ويلاحظ أنه في التصغير: يضم الأوّل، وتُجتلب ياء التصغير ساكنة بعد العين، وقبلها فتحة، وبعدها حرف يقبل الحركة(صامت يمكن أن يليه مصوت قصير "حركة" أو "ياء مدية" لأن أوزان التصغير: فَعَيْلٌ وفُعَيْعِل وفُعَيْعيل). والتوجيه الصوتي في تصغير ما جاء على فَعال كغزال مما فيه صوت مدّ قبل الآخر ككِتاب، ورَباب، وصبور، وصديق؛ أن يقال الأصل:/ غ ـَ ا ز ـَ ل/ لتصغيره

---

[٤٧] شرح الأشموني، ج ٤ ص ١٠٢

[٤٨] شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهري، ج ٢ ص ٧٠٩

يضم الأوَّل، وتجتلب ياء التصغير ساكنة بعد العين وقبلها فتحة؛ فصار في التصوُّر:/ غ ـَ[ـُ] ا ز[ـَ ي] ـَـ ل/ يحذف مصوت فاء الكلمة لمجيء مصوت صيغة التصغير؛ إذ لا يجتمع مصوتان(غ ×(ـَ) [ـُ])، فصار في التصور: / غ ـُ ا ز ـَ ي ـَـ ل / ، وفيه ياء التصغير وقد وليها مصوِّت؛ والمصوت لا يقبل الحركة (لا يتوالى مصوتان) وياء التصغير في الصيغة لا يجوز أن يليها مصوت أو كما قالوا واجبة السكون؛ فانشطر المصوت الطويل الذي بعدها(صوت المدّ) (ـَـ) إلى مصوت قصير (فتحة) وياء لين(ـَ ي) إذ ليس من الألف صوت لين؛ فكانت الياء لأنها أخف من الواو؛ فصار:/ غ ـُ ا ز ـَ ي ×(ـَ) ي ل/ حذف المصوت القصير الذي انشطر من المصوت الطويل: :/ غ ـُ ا ز ـَ ي ×(ـَ) ي ل/ لأن ياء التصغير كما تقدم لا يليها مصوت(يجب أن تكون ساكنة) فصار في التصور: / غ ـُ ا ز ـَ ي ا ي ل/ اجتلب مصوِّت قصير للصامت(اللين) الذي يلي ياء التصغير ليصح المقطع؛ إذ لا يكون مقطع من غير قمة؛ ولأن صيغة التصغير تطلبه؛ وكان الكسرة لمناسبة الياء؛ أي: / غ ـُ ا ز ـَ ي ا ي ـِ ل/ وتكتب غُزَيِّل، ومثل هذا يقال في كُتَيِّب؛ ورُبَيِّب وصُبَيِّر وصُدَيِّق.

وفي (مِصْبَاح) ونحوه قالوا مصَغَّرُه في التصور (مُصَيْبِاح) بألف قبلها كسرة، فقلبت الألف ياء لمناسبة الكسرة التي قبلها في التصور فصار: مُصَيْبِيْح. وفي التوجيه الصوتي يمكن أن يقال اجتلبت ياء التصغير وقبلها الفتحة لخفتها لتكون قمة للمقطع المشكل منها ومما قبلها، وحذف صوت المدّ (ـَـ) وجيء بالياء المدية لأن صيغة التصغير تطلبها(لأن الكسرة بعضها)؛ أي: / م ـِ ص ا ب ـَـ ح/ : / م ـُ ا ص ـَ ي [ـَ ي ياء التصغير مع القمة قبلها] ا ب ×(ـَـ) [ـِـ] ح/ . أو يقال الأصل (مِفعَل) ومصغَّرُه (مُفَيْعِل) فلما مدّ الصوت بما قبل الآخر في الأصل فقيل (مِفعال) مدّ الصوت بما قبل الآخر في مصغره فقيل: (مُفَيْعيل): / م ـِ ص ا ب ـَ ح/ مصغره: / م ـُ ا ص ـَ ي ا ب ـِ ح/ مُدَّ الصوت بالمصوت الذي قبل الآخر في (مِصبَح) : / م ـِ ص ا ب ـَ[ـَ] ح/ فصار (مِصباح): / م ـِ ص ا ب ـَـ ح/ ، فمد الصوت بمصَغَّره (مُصيبِح): / م ـُ ا ص ـَ ي ا ب ـِ[ـِ] ح/ فصار (مُصيْبيح): / م ـُ ا ص ـَ ي ا ب ـِـ ح/.

قلب الألف واوًا:

تقلب الألف واوًا إذا انضم ما قبلها كبُويع وضُورب ببناء الفعل للمجهول من ضارَبَ وبايَع، وضُوَيْرِب بصيغة التصغير من ضارب. قالوا لأن الألف لا يأتي قبله إلا الفتحة فلما وجب ضم ما قبله بسبب الصيغة قلب إلى مجانس للضمة وهو الواو. وفي الدرس الصوتي يقال: في بُويع ونحوه: لما أوجبت الصيغة مجيء الضمة قبل الألف حذف الألف إذ لا يتوالى مصوِّتان؛ ومدَّ الصوت بالضمة تعويضًا: / ب ـَـ ا ي ـَ ا ع ـَ / للبناء للمجهول يضم الأول ويكسر ما قبل الآخر فيكون في التصوّر:/ ب [ـُ] ـَـ ا ي ـَ ا [ـِ] ع ـَ/ : / ب [ـُ:ـُ] ×(ـَـ) ا ي ـَ ا [ـِ]

ع ـَـ/ حذف الألف(ـَـ) لمجيء ضمة الصيغة(ـُـ) لتعذر توالي مصوِّتَين؛ ومد الصوت بالمصوت القصير الضمة (ـُ) فصار مصوتًا طويلًا(واوًا مدية): (ـُـ) :/ ب ـُـُ ا ي ×(ـَ) ا [ـِ]

ع ـَـ/ حذفت الفتحة التي قبل الآخر لمجيء كسرة الصيغة؛ لتعذر توالي مصوِّتَين؛ وأعيد التشكيل المقطعي؛ فصار: / ب ـُـُ ا ي ـِ ا ع ـَ / بويِعَ، ومثل هذا يقال في ضارَبَ وضورِبَ ونحوه. ويقال في صيغة التصغير في ضُوَيْرِب من ضاربٍ؛ وكويتب من كاتب؛ وصوَيْلح من صالح؛ ونحوه: صيغة (فاعل) تصغَّر على (فُوَيعل) بزنة التصغير (فُعَيْعل)؛ وضم الفاء يقتضي حذف الألف التي بعده إذ لا يتوالى مصوِّتان؛ ولكن صيغة التصغير (فُعيعل) تقتضي وجود صامت قبل ياء التصغير؛ لذا نقول انشطر الألف إلى مصوت قصير (فتحة ـَ) وصوت لين (ي) (ياءغير مدية وهي صامت) ثم حذفت الفتحة إذ لا يتوالى مصوتان(ضمة الصيغة وفتحة الانشطار) فصار في التصور / ض ـُ ي ي ا ر ـِ ب/ باجتماع ياء الانشطار وياء التصغير، ثم قلبت ياء الانشطار إلى واو لسكونها وانضمام ما قبلها، فصار / ض ـُ و ي ا ر ـِ ب/ ثم اجتلب المصوت القصير (ـَ الفتحة لخفتها) ليكون قمَّةً بين الصامتين(و[ـَ] ي) ليتشكل المقطع؛ إذ لا يكون مقطع من قاعدين من غير قمة، وأعيد التشكيل المقطعي؛ فصار: / ض ـُ ا و ـَ ي ا ر ـِ ب/ ومثل هذا يقال في كُوَيتِب من كاتب وصُوَيلِح من صالح؛ ونحو ذلك.

اتصال الألف بالضمير أو ألف التثنية:

إذا كانت الألف ثالثةً واتصلت بضمير رفع متحرك؛ أو ضمير المثنى؛ أو ألف التثنية؛ ردَّت إلى أصلها، من ذلك: غزَوتُ وغَزَوا وعَصوَان؛ وهي من الواو، و: رَميتُ ورمَيا والفَتَيان؛ وهي من الياء. فإذا اتصل نحو قَوَل وبَيَع بضمير رفع متحرك قيل: قُلت وبِعت؛ وقيل في تفسير ذلك: إنَّ ((أصل قُلتُ، وبِعتُ: قَوَلْتُ، وبَيَعْتُ؛ فنقلت قَوَلت إلى قَوُلْت؛ لأن الضمة من الواو، ونقلت بَيَعْت إلى بَيِعْت لأن الكسرة من الياء، ثم قلبت العين لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت ألفًا في التقدير[قَالْتُ]، وبعدها لام الفعل ساكنة لاتصالها بالضمير؛ أعني: التاء؛ فسقطت العين، فنقلت حركتها المجتلبة لها إلى الفاء قبلها؛ فصارت قُلْت، وبِعْت".))[٤٩]. ولسائل أن يسأل إذا قلبت العين ألفًا فقد زالت حركتها كما زالت في خَوِف فصار خاف فما الذي أعاد وجودها هنا، ثم إن سقوط العين إنما وقع لسكونها وهي ألف وسكون لام الكلمة؛ والقول بنقل الحركة إلى الفاء يستدعي ذكر فتحة الفاء وما الذي حلَّ بها، وفي الدرس الصوتي يقال: الأصل قَوَلْت: /ق ـَ ا و ـَ ل ا ت ـُ/ حذف المزدوج الصاعد(و ـَ) تخفيفًا، واستبدل بالفتحة التي بعد الفاء الضمة (ق ×(ـَ)[ـُ]) تنبيهًا على أن العين المحذوفة واو، والضمة من

---

(٤٩) المنصف لابن جني، ج١ ص٢٣٤

الواو كما قالوا؛ فصار: قُلْت / ق ـُ ل ا ت ـُ/، ويقال عن بِعْت: الأصل بَيَعْتُ: /ب ـَ ا ي ـَ ع ا ت ـُ/ حذف المزدوج الصاعد(ي ـَ) تخفيفًا، واستبدلت الكسرة بالفتحة التي بعد الفاء (ب ×(ـَ):[ـِ]) تنبيهًا على أن العين المحذوفة ياء. والكسرة من الياء كما قالوا؛ فصار: بِعْتُ / ب ـِ ع ا ت ـُ/.

وإذا كانت الألف رابعة فصاعدًا قلبت ياءً تخفيفًا لأن الياء أخف من الواو؛ بصرف النظر عن كونها من واو أو من ياء، من ذلك: أرْضَيْتُه؛ والأصل: أرضَوْتُه، وترَضَّيْتُه؛ والأصل: ترَضَّوْته، واسترضيتُه؛ والأصل: استرضَوْتُه؛ واسترضياه؛ ومسترضيانِ، وهي من الواو من (الرِّضوان)، واستهديته؛ واستهدياه؛ ومستهديان، وهي من الياء؛ من (الهَدْي).

قلب الواو والياء ألِفًا:

تكون الألف منقلبة عن الواو أو الياء في نحو: قال والأصل: قَوَلَ؛ وباع والأصل: بَيَعَ؛ وقد ذكرنا من قبل التوجيه الصوتي في هذا التحول وهو حذف المزدوج الصاعد تخفيفًا(و ـَ) في قَوَل ونحوه، أو (و ـِ) في خَوِف ونحوه، أو (و ـُ) في طَوُلَ ونحوه، أو: (ي ـَ) في بَيَع ونحوه؛ ومد الصوت بالمصوت الذي قبله (ـَ) تعويضًا.

الإعلال في الواو والياء:

قلب الواو ياءً: تقلب الواو ياءً في عشر صور:

١) إذا تحركت الواو متطرفةً وقبلَها كسرة: ولا يؤثر في تطرفها مجيء هاء التأنيث بعدها؛ لأنَّ هذه في حكم الانفصال؛ فمن مجيئها بعد كسر في الطرف: رَضِيَ؛ وأصلها: رَضِوَ لأنها من الرِّضْوان. وفي التوجيه الصوتي يقال: حذفت قاعدة المزدوج تخفيفًا وهي الواو اللينة لتطرفها بين كسر وفتح؛ وجيء بقاعدة أخف منها مناسبةٍ للمصوت الذي قبلها وهي الياء اللينة: / ر ـَ ا ض ـِ ا و ـَ / : / ر ـَ ا ض ـِ ا ×و[ي] ـَ / : / ر ـَ ا ض ـِ ا ي ـَ /. ومثل هذا يقال في قوِيَ وأصلها: قَوِوَ لأنَّها من القُوَّة، وعُفِيَ عنه؛ والأصل: عَفِوَ لأنه من العفو، و: جُفِيَ والأصل جُفِوَ لأنه من الجَفْو. ومن مجيئها قبل هاء التأنيث وتعدّ متطرفة: الشَّجِيَة من الشجْوِ وهو الحزن والأصل: الشَّجِوَة، والغازِية من الغزو؛ والأصل الغازِوَة، وَأكْسِيَة جمع كساء والأصل أكْسِوَة من الكِسْوَة. ومنه: تُرَيْقِيَة في تصغير: تَرْقُوَة والأصل: تُرَيْقِوَة.

قالوا ومن مجيئها في الطرف بعد كسرة: الغازِي وأصله الغازِوُ لأنه من الغزو، والداعي وأصله الداعِوُ لأنه من الدعوة. وفي التوجيه الصوتي يقال في هذا ونحوه: يحذف المزدوج الصاعد المتطرف تخفيفًا؛ ويمد الصوت بالمصوت الذي قبله تعويضًا:

/ ء ـَ ل ا غ ـَـ ا ز ـِ ا و ـُ/ : / ء ـَ ل ا غ ـَـ ا ز ـِ[ـِ] ا ×(و ـُ)/: / ء ـَ ل ا غ ـَـ ا ز ـِـ/، ومثل هذا يقال عن الداعي ونحوه. فإذا دخل عليه الناصب انشطر المصوت الطويل الذي في الآخر إلى مصوت قصير ولين ليتحمل مجيء مصوت الإعراب بعده: رأيتُ الغازِيَ: / ء ـَ ل ا غ ـَـ ا ز ـِـ + ـَ/ : / ء ـَ ل ا غ ـَـ ا ز ـِ:[ـِ ي] + ـَ/ ويعاد التشكيل المقطعي:/ ء ـَ ل ا غ ـَ ا ز ـِ ا ي ـَ/.

٢) أن تكون الواو في موضع العين لمصدرٍ أعِلَّت في فعله؛ وقبلها كسرة وبعدها ألف[٥٠]؛ نحو: صِيام وأصله صِوام من صام يصوم والأصل صَوَم يصْوُم بزنة نصَر ينْصُر. وفي الدرس الصوتي يشار إلى أن الصياغة تكون من الفعل الماضي بعد إعلاله؛ أي صام صِياما حيث جاءت ألف فِعال بعد العين وهي الآن ألف فالتقى مصوت قصير وهو كسرة الفاء ومصوتان طويلان هما ألف الفعل وألف المصدر وهو متعذر في النطق فحذفت الألف الأولى (عين الكلمة) واجتلب صوتُ لين موافقٌ للمصوت الذي قبلها (الكسرة) وهو الياء غير المدِّيَّة(ي) لبناء المقطع إذ لا يكون المقطع من مصوتين؛ وأتي بنون التنوين في الآخر؛ أي: / ص ـَ ا م ـَ/ : يؤخذ منه مصدر بزنة فِعال يكون في التصوُّر(في البنية العميقة) / ص ـِ ا ـَ ـَ ا م ـَ/ : / ص ـِ ا ×ـَ[ي] ـَ ا م ـَ [ن]/: / ص ـِ ا ي ـَ ا م ـَ ن/، ومثل هذا يقال عن قِيام وأصله قِوام من قام يقوم، وانقياد وأصله انْقِواد لأنه من القَوْد، واعتياد وأصله اعْتِواد لأنه من العَوْد، فإذا فُقدت صفةٌ مما ذكر أقرت الواو؛ كما في سِوار وسِواك لانتفاء المصدرية، وفي لِواذ وجِوار لانتفاء الإعلال في الفعل إذ هما من لاوَذ وجاوَر بصحة الواو فيهما، وفي رَواج من راج يروج لأن قبلها فتحة وليس كسره، وفي حالَ الشيءُ حِوَلًا؛ وعاد المريضَ عِوَدًا، إذ ليس بعدها ألف فيهما. هكذا قالوا؛ ومردها جميعًا في الدرس الصوتي إلى كونها لم تؤخذ بزنة فِعال من ماضٍ عينه ألف. أما راج رَواجًا ونحوه فالقول فيه كالقول في صيام سوى أنه جاء على وزن فَعال بفتح الفاء فناسبه الإتيان بأصل العين إذ ليس من الفتحة صوت لين؛ أي: / ر ـَ ا ج ـَ / : بمجيء فتحة فاء المصدر وألفه تتوالى المصوِّتات / ر ـَ ا ـَ ـَ ا ج ـَ /:/ ر ـَ ا ×ـَ[و] ـَ ا ج ـَ [ن]/ فتحذف العين(الألف الأولى) ويؤتى بصوت لين لبناء المقطع إذ لا يكون مقطع من مصوتين، فجاء من أصل الفعل وهو الواو لأن فتحة الفاء ليس منها صوت لين ؛ ويؤتى بنون التنوين في الآخر: / ر ـَ ا و ـَ ا ج ـَ ن /.

---

(٥٠) أغفلوا ذكر الفتحة قبل الألف. وينظر مثلًا: شرح الأشموني ج٤ ص١٠٣، وشرح التصريح، لخالد الأزهري،ج٢ ص ٧١١

٣) أَن تكون في موضع العين؛ وقبلها كسرة؛ في جمعٍ صحيح اللام؛ أعِلَّت العين في مفردِه أو سُكِّنت؛ فالذي أعلت في مفرده نحو: دِيار والأصل دِوار ومفرده دار والأصل: دَوَر لأنه من دار يدور. وفي التوجيه الصوتي يقال في هذا ونحوه في حال الوقف: جاءت ألف الجمع فالتقى في التصور مصوتان طويلان (دِاار) الأول (الألف) التي حلت محل عين الكلمة، والثاني (ألف جمع التكسير) وقبلهما مصوت قصير (حركة صيغة الجمع وهي الكسرة) فحذف المصوت الأول إذ لا يتوالى مصوتان؛ واجتلب صوت اللين الموافق للمصوت القصير (الكسرة) التي قبله؛ وهو الياء؛ وأعيد التشكيل المقطعي: /د ـَ ر/: / د ـِ ـَـَ ـَ ر/ تحذف الألف الأولى ويؤتى بلين موافق لما قبلها: / د ـِ ×(ـَ)[ي] ـَ ر/ ويعاد التشكيل المقطعي؛ فيكون: / د ـِ ا ي ـَ ر/. وفي حال الوصل يؤتى بالمصوت القصير المناسب(ضمة أو كسرة أو فتحة) مع نون التنوين ويعاد التشكيل بجعل لام الكلمة قاعدة أولى للمقطع الجديد؛ ويعاد التشكيل المقطعي: / د ـِ ا ي ـَ ر/ :/ د ـِ ا ي ـَ ا ر ـُ ن (ر ـِ ن، ر ـَ ن)/. وما قيل في ديار يقال في رياح في الوقف والأصل رِواح ومفرده ريح والأصل رِوْح لأنه من راح يروح، أي: جاءت ألف الجمع فالتقى في التصور مصوتان طويلان (ر يـ ا ح) الأول (ياء المد) التي حلت محل عين الكلمة، والثاني (ألف جمع التكسير) وقبلهما مصوت قصير (حركة صيغة الجمع وهي الكسرة) فحذف المصوت الأول(ياء المد) إذ لا يتوالى مصوتان؛ واجتلب صوت اللين الموافق للمصوت القصير (الكسرة) التي قبله؛ وهو الياء(ي)؛ وأعيد التشكيل المقطعي: / ر ـِـ ح/: /ر ـِـ ×(ـِـ)[ي] ـَـ ح/ يحذف المصوت الطويل الأول(ياء المد) ويؤتى بلين موافق لما قبله (ي): / ر ـِ ×(ـَ)[ي] ـَ ح/ ويعاد التشكيل المقطعي؛ فيكون: / ر ـِ ا ي ـَ ح/. وفي حال الوصل يؤتى بالمصوت القصير المناسب للإعراب(ضمة أو كسرة أو فتحة) مع نون التنوين ويعاد التشكيل بجعل لام الكلمة قاعدة أولى للمقطع الجديد؛ ويعاد التشكيل المقطعي: / ر ـِ ا ي ـَ ح/ :/ ر ـِ ا ي ـَ ا ح ـُ ن (ح ـِ ن، ح ـَ ن)/

أما حِيَل والأصل حِوَل ومفرده حِيْلة والأصل حِوْلة لأنه من حال يحول؛ ففي التوجيه الصوتي يقال: جمع فِعْلَة في الصحيح يأتي على زنة فِعَل مثل فِرْقة وفِرَق وقِرْبة وقِرَب، ولكنه في معتل العين كما في جمع حيلة وحِيَل ونحوها هو: فيلة وفِيَل؛ فالأصل: (حِوْلة) بزنة فِعْلة / ح ـِ و ا ل ـَ ه/: تحذف قاعدة المزدوج الهابط وهي العين(و) تخفيفًا؛ ويمد الصوت بقمته(ـِ) تعويضًا:/ ح ـِ[ـِ] ×(و) ا ل ـَ ه/ فيكون:/ ح ـِ ا ل ـَ ه/ بزنة فيلة، وفي الجمع يقال: المفرد/ ح ـِ ا ل ـَ ه/ ؛ وصيغة الجمع (فِعَل) توجب مصوتًا قصيرًا(ـِ كسرة) بعد الفاء؛ وفتحةً قبل اللام:/ح[ـِ] ـِ ا [ـَ] ل ـَ ه/ ولتحقيق

هذا ينبغي في التصوُّر أن ينشطر المصوت الطويل(ـِ) الذي بين الفاء واللام / ح ـِ[ـِ ي] ا [ـَ]ل ـَ هـ/ إلى مصوت قصير(ـِ) ولين(ي) من جنسه (ـِ:ـِ ي)؛ وتجتلب قمة الصيغة(ـَ الفتحة) قبل اللام فيتحقق تكوُّن المقطع، ويعاد التشكيل المقطعي بعد حذف هاء التأنيث والمصوت الذي قبلها ليتهيَّأ الموضع لمصوتات الإعراب (الضمة والكسرة والفتحة) / ح (ـِ):[ـِ ي][ـَ] ا ل ×(ـَ هـ)/ فيكون: / ح ـِ ا ي ـَ ل/ وفي حال الوصل يؤتى بالمصوت القصير المناسب للإعراب (ضمة أو كسرة أو فتحة) مع نون التنوين ويعاد التشكيل بجعل لام الكلمة قاعدة أولى للمقطع الجديد؛ ويعاد التشكيل المقطعي: / ح ـِ ا ي ـَ ل/ : / ح ـِ ا ي ـَ ا ل ـُ ن(ل ـِ ن، ل ـَ ن). ومثل حِيَلٍ: قِيَمٌ؛ والأصل قِوَم ومفرده قِيْمة والأصل قِوْمَة لأنه من قام يقوم، ودِيَم والأصل دِوَم ومفرده دِيْمة والأصل دِوْمة لأنه من دام يدوم.

فهذا كله مما أعلت عينه في المفرد فأعلّ في جمعه الصحيح اللام، أما ما سكنت عينه في المفرد وأعِلَّ في جمعه الصحيح اللام؛ فنحو: سِياط ومفرده سَوْط؛ ورِياض ومفرده رَوْض؛ وثِياب ومفرده ثَوْب، وشرط القلب في هذه أن تكون بعدها في الجمع ألف كما هو ظاهر من الأمثلة المتقدمة. وفي التوجيه الصوتي يقال في جمع سَوْط وما يماثله على صيغة (فِعال): إن صيغة الجمع تتطلب مجيء كسرة(ـِ) بعد الفاء؛ فتحذف لها الفتحة(ـَ) التي كانت في المفرد؛ إذ لا يتوالى مصوتان، وتأتي الف الجمع (ـَ) بعد العين فيكون: (سِواط) / س[ـِ] ×(ـَ) و [ـَ] ط /: /س ـِ ا و ـَ ط/ فكأنهم استثقلوا الواو(و) بين كسرة وألف في صيغة الجمع فحذفوها؛ وجاءوا بلين مناسب للكسرة(ـِ) التي قبل العين وهو الياء(ي)؛ فصار: سِياط /س ـِ ا ي ـَ ط/ وفي الوصل: /س ـِ ا ي ـَ ا ط ـُ ن(ط ـِ ن) (ط ـَ ن) / .

فإذا فقد شرطُ إعلالِ العين في المفرد؛ أو إسكانِها فيه؛ أو اعتلَّت اللام، قالوا: حينئذٍ تسْلم الواو من أن تُعَلّ؛ من ذلك مثلًا تحركها وعدم إعلالها في طوِيل وطِوال ونحوه، والدرس الصوتي لا يرى أن الواو محركة بالكسرة قبل ياء المد بل هي متبوعة بهذه الياء(أو إن شئت محركة بالياء) فلما جاءت ألف التكسير حذفت ياء المد لتوالي مصوتين؛ وحذفت فتحة الفاء التي في المفرد لأجل كسرة الصيغة: /ط ـَ ا و ـِ ل/:/ط ×(ـَ) [ـِ] ا و (×ـِ) [ـَ] ل/ : / ط ـِ ا و ـَ ل/، وكذلك إن أعِلَّت لامُ المفرد؛ مثل رِواء في جمع رَيَّان والأصل رِواي لأنه من رَوْيان: / ر ـَ و ا ي ـَ ن/: لصوغ الجمع على زِنة فِعال تحذف االألف والنون الزائدتان(ـَ ن)؛ ويؤتى بالكسرة بعد الفاء(ـِ) للصيغة فتحذف الفتحة(ـَ) إذ لا يتوالى مصوتان؛ ويؤتى بألف الجمع(ـَ) بعد العين؛ فيكون: رِواي / ر ×(ـَ)[ـِ] و[ـَ] ا ي ×(ـَ ن)/ : / ر ـِ ا و ـَ ي / تحذف الياء

تخفيفًا، ويؤتى بالهمزة (ء) تعويضًا لأنها أقدر غلى تحمل علامات الإعراب؛ فيكون: رِواء / ر ـِ ا و ـَ ء/، وفي حال الوصل: / ر ـِ ا و ـَ ا ء ـُ ن (ء ـِ ن، ء ـَ ن)/، ومثل هذا يقال في جِواء جمع جوّ والأصل جِواو لأنه من (ج و و).

٤) أن تقع الواو طَرفًا رابعةً فصاعدًا بعد فتح؛ نحو: أعطَيت والأصل أعطَوت لأنه من عطا يعطو(بمعنى: أخذ يأخذ)؛ وأصل عطا عَطَوَ؛ حذف المزدوج الصاعد(و ـَ) تخفيفًا، ومد الصوت بالمصوت الذي قبله(ط ـَ: ط ـَ) تعويضًا فصار: عطا/ع ـَ ا ط ـَ/ بزنة: فعا، فإذا دخل ضمير الرفع (تُ) صار على الأصل: عَطَوَ+ ت، يحذف المصوت الذي قبل التاء لأن الماضي إذا اتصل به ضمير رفع متحرك بني على السكون؛ فيكون: عَطَوْتُ؛ /ع ـَ ا ط ـَ ا و ـَ + ت ـُ/ : /ع ـَ ا ط ـَ ا و×(ـَ) + ت ـُ/ يحذف المصوت القصير قبل التاء ويعاد التشكيل المقطعي: فيكون: /ع ـَ ا ط ـَ و ا ت ـُ/؛ فإذا دخلت الهمزة من أوله مع مصوِّتها صار في التصور بزنة أَفْعَلت: /(ء ـَ)ع ×(ـَ) ا ط ـَ و ا ت ـُ/ بحذف المصوت القصير الذي بعد الفاء وإعادة التشكيل يكون:/ء ـَ ع ا ط ـَ و ا ت ـُ/ ويبدو أنهم استثقلوا الواو اللينة رابعةً في مثل هذه الصيغة فحذفوها وأتوا بالياء اللينة لأنها أخف تعويضًا؛ فصار: أعطَيْتُ :/ء ـَ ع ا ط ـَ ي ا ت ـُ/ . ومثل هذا يقال في زكوت وزكَّيت والأصل زكَّوْت لأنه من زكا يزكو(بمعنى: نَما ينمو)؛ وتقول في اسم المفعول من أعطيت، وزكَّيت؛ إذا اتصل به علامة تثنية: معطَيان، ومزكَّيان.

٥) إذا كانت الواو ساكنة مفردة متوسطة بعد كسر؛ نحو: مِيْعاد والأصل مِوْعاد لأنه من الوَعد، ومِيْزان والأصل مِوْزان لأنه من الوَزن. نقول في مِوْعاد ونحوه: / م ـِ و ا ع ـَ د/ : / م ـِ[ـِ] ×(و) ا ع ـَ د/ حذفت قاعدة المزدوج الهابط تخفيفًا، ومدَّ الصوت بقمته تعويضًا؛ فصار: / م ـِ ا ع ـَ د/ فوزنه: ميعال؛ ومثل هذا يقال في ميزان من وزَن، وميراث من ورِث. ومثل هذا يقال في إيجاد من وجد؛ وإيصال من وصل ووزنه (إيعال).

٦) أن تكون الواو في موضع اللام لوصفٍ على زنة (فُعْلى) نحو: الدُّنيا والأصل الدُّنْوى لأنه من الدُّنُوّ، والعُلْيا والأصل العُلْوى لأنه من العُلُوّ: استثقلوا الواو والضمة وألف التأنيث في الصفة، فحذفوا اللام(الواو اللينة) تخفيفًا؛ واجتلبوا الياء اللينة لأنها أخف من الواو تعويضًا: دُنْوا/ د ـُ ن ا و ـَ/:/ د ـُ ن ا ×(و)[ي] ـَ/ فصار: / د ـُ ن ا ي ـَ/ . وجاء تصحيح الواو في (القُصْوى) على غير القياس؛ وهو الأكثر في الاستعمال؛ كما ورد (القُصيا) على القياس.

٧) أن تلتقي الواو والياء في كلمة واحدة؛ والسابق منهما متأصِّل ذاتًا وسكونًا؛ تقدَّمت الواو أو تأخَّرت؛ ويؤدي ذلك إلى التخفيف بالإدغام؛ فيجب حينئذ إدغام الياء في الياء لاجتماع مثلين أوَّلُهما ساكن. فمن تقدمها: طَيٌّ والأصل: طَوْيٌ من طوَى يطوي : / ط ـَ و ا ي ـُ ن / لكي يتأتى الإدغام وهو أخف عليهم حذفت الواو(عين الكلمة) تخفيفًا، وأتي بالياء/ ط ـَ ×(و)[ي] ا ي ـُ ن / فتحصل الإدغام: /ط ـَ ي ا ي ـُ ن/ ووزنه فَعْل باعتبار حلول الياء المجتلبة محل عين الكلمة المحذوفة، أو فَيل بالنظر إلى أن الياء ليست العين بل هي مجتلبة تعويضًا والمعوض ليست له قوة الأصل؛ ومثل هذا يقال في: لَيٌّ والأصل لَوْي من لوَى يلوي. ومن تأخُّرِها: سَيِّد والأصل سَيْوِد من ساد يسود: س ـَ ي ا و ـِ د/ لأجل الإدغام حذفت عين الكلمة تخفيفًا؛ واجتلبت الياء تعويضًا: س ـَ ي ا ×(و)[ي] ـِ د/ فتحصَّل الإدغام: / س ـَ ي ا ي ـِ د/ ووزنه فيعِل بالنظر إلى حلول الياء المجتلبة محل العين تعويضًا، أو فَيِّل بالنظر إلى حذف العين والمعوض لا يكون بقوة الأصل، ومثل هذا يقال في: مَيِّت والأصل ميْوِت من مات يموت. وما أضيف إلى الضمير حكمه حكم الكلمة الواحدة؛ نحو: هؤلاءِ مُعلمِيَّ والأصل: مَعَلِّمُوْيَ: / م ـُ ا ع ـَ ل ا ل ـِ ا م ـُـُ ا ي ـَ/ انشطرت في التصوُّر واو الرفع المدية(ـُـُ) وهي مصوت طويل إلى مصوت قصير(ـُ) وصوت لين(و) من جنس المصوت الطويل، / م ـُ ا ع ـَ ل ا ل ـِ ا م ـُـُ[ـُ و] ا ي ـَ/ وحذفت واو اللين لتأتي مكانها ياء اللين ليتحقق الإدغام: / م ـُ ا ع ـَ ل ا ل ـِ ا م ـُ ×(و)[ي] ا ي ـَ/، وحذف المصوت القصير الذي انشطر من المصوت الطويل(ـُ) واجتلب مصوت قصير(ـِ) مناسب للياء المجتلبة؛ كي لا نحذف الياء المجتلبة لسكونها وانضمام ماقبلها ونجتلب واوا وندخل في الدَّور:/ م ـُ ا ع ـَ ل ا ل ـِ ا م ×(ـُ)[ـِ] ي ا ي ـَ/ فتحصل: / م ـُ ا ع ـَ ل ا ل ـِ ا م ـِ ي ا ي ـَ/، ومثل هذا يقال في مكرِمِيَّ؛ والأصل مُكرمُوْيَ. ويندرج في هذا أن تقعَ الواو بعد ياءِ التصغير كعَجوز وعُجَيِّز والأصل عُجَيْوِز، وصغير وصُغَيِّر والأصل صُغَيْوِر، ودَلْو ودُلَيّ والأصل دُلَيْو. ولم تقلب الواو في نحو: يدعو ياسر، ويرمي واقد، قالوا: لأنهما التقتا في كلمتين وليسا في كلمة واحدة، وفي الدرس الصوتي يقال: لم يقع حذف وتعويض لأن الواو في يدعو مصوت طويل:/ي ـَ د ا ع ـُـُ ا ي ـَـَ ا س ـِ ر/ وهو غير قابل للإدغام؛ إذ الإدغام من شأن الصوامت لا المصوتات؛ وكذلك الياء في يرمي: / ي ـَ ر ا م ـِـِ ا و ـَـَ ا ق ـِ د/. ولم تقلب في نحو: طوِيْل وغيُوْر؛ قالوا: لتحرك السابق منهما؛ ونقول: لأن الثاني منهما مصوت طويل والمصوِّت غير قابل للإدغام: /ط ـَ ا و ـِـِ ل/،/ غ ـَ ا ي ـُـُ ر/. ولم تقلب في نحو: ديْوان قالوا: لأن الياء ليست متأصلة ذاتًا إذ أصلها واو قلبت ياء لسكونها وانكسار

ما قبلها إذ أصله دِوَّان، ونقول: لأن الياء فيه مصوت طويل وهو غير قابل للإدغام ، وقالوا كذلك لم تقلب في بُوْيِعَ لانقلابها عن ألف بايَع، ونقول: لأن الياء فيه مصوت طويل وهو غير قابل للإدغام.

٨) أن تكون الواو لام مَفْعُول الذى ماضيه على فَعِل؛ من ذلك: مَرْضيٌّ والأصل مرضوْيٌ لأن من الرِّضوان وفعله مكسور العين: رَضِيَ والأصل: رضِوَ :/ م ـَ ر ا ض ـُـ ا ي ـُ ن/ واو الصيغة (واو مفعول المدية) هي مصوت طويل؛ انشطر في التصوُّر إلى مصوت قصير (ـُ) وصوت لين(و) من جنس المصوت الطويل، /م ـَ ر ا ض ـُـ:[ـُ و] ا ي ـُ ن/ : /م ـَ ر ا ض ـُ ×(و):[ي] ا ي ـُ ن/ حذفت واو اللين لتأتي مكانها ياء اللين ليتحقق الإدغام فصار في التصور: /م ـَ ر ا ض ـُ ي ا ي ـُ ن/ حذف المصوت القصير الذي انشطر من المصوت الطويل(ـُ) واجتلب مصوت قصير (ـِ) مناسب للياء المجتلبة؛ كي لا نحذف الياء المجتلبة لسكونها وانضمام ماقبلها ونجتلب واوا وندخل في الدَّور: /م ـَ ر ا ض ×(ـُ)[ـِ] ي ا ي ـُ ن/ فتحصل: /م ـَ ر ا ض ـِ ي ا ي ـُ ن/ ووزنه مَفْعِلٌّ، ومثل هذا يقال في: مَقْوِيّ عليه والأصل: مقْوُوْيٌ لأنه من القُوَّة وفعله قَوِيَ بكسر العين. فإن كانت عينُ الفعل مفتوحة قالوا صحت الواو، كمدعوّ والأصل مدعُوْوٌ وفعله دعا وأصله دَعَو. وفي الدرس الصوتي يقال: واو صيغة مفعول مصوت طويل؛ والواو في مدعوّ ونحوها صوت لين فهذه غير تلك؛ لذا نقول: أصل الفعل/ د ـَ ا ع ـَ ا و ـَ / بناؤه بزنة مفعول يقتضي حذف المصوت القصير الذي في الآخر لتحل محله مصوتات الإعراب(وفقًا لموضعه في الجملة) وحذف المصوت القصير الذي بعد الفاء إذ لا وجود لمصوت في هذا الموضع في الصيغة، وحذف المصوت الذي بعد العين ليحل محله مصوت الصيغة(الواو المدية) ويؤتى بالميم متبوعًا بمصوت قصير هو الفتحة وفقًا للصيغة؛ ويعاد التشكيل المقطعي؛ أي: / [م ـَ] د ×(ـَ) ا ع ×(ـَ) [ـُـ] ا و ×(ـَ) ـُ ن/: فيكون في التصوّر/ م ـَ د ا ع ـُـ ا و ـُ ن/ ووزنه مفعولٌ، ويتعذر الإدغام لأن الأول مصوت طويل وليس موضع إدغام؛ فينشطر المصوت الطويل(ـُـ) واو مفعول إلى مصوت قصير (ـُ) ولين(و) من جنس المصوت الطويل(ـُـ) :/ م ـَ د ا ع (ـُـ:ـُ و) ا و ـُ ن/؛ ويعاد التشكيل:/ م ـَ د ا ع ـُ و ا و ـُ ن/ ووزنه: مَفْعُلٌّ، وقد تحصل الإدغام. ومثل هذا يقال في مغزوّ وأصله مغزووٌ وفعله غزا وأصله غزَوَ.

٩) أن تكون لام فُعُول جمعًا؛ نحو: عِصِيّ جمع عصًا من عصا يعصو؛ والأصل: عَصَوٌ وعُصووٌ مثل أسَد وأُسود: قالوا: استثقلوا اجتماع واوين في الجمع، فقلبوا الواو الأخيرة ياء فقيل: عُصُوْيٌ؛ فقلبت الأولى ياء لاجتماعهما والأول متأصل ذاتًا وسكونًا؛

وأدغما للتماثلِ وسكونِ الأول؛ فقيل عُصُيّ؛ والمشكل في هذا أن الواو الأولى مصوت طويل(ـُـُ) غير قابل للإدغام؛ فما يأتي مكانه حكمه كحكمه لأنه ينبغي أن يكون مصوتًا طويلًا؛ قالوا: وكُسر ما قبل الياء الأولى كي لا تنقلب إلى واو لسكونها وانضمام ما قبلها؛ فقيل: عُصِيٌّ، والمشكل أن واو مفعول مصوت فلا يكون قبله مصوت إذ لا يتوالى مصوتان؛ فهذه الضمة لا وجود لها؛ قالوا: وكسرت الفاء لتجانس كسرة العين فقيل عِصِيّ. وفي الدرس الصوتي يقال لتجنب مشكل التوجيه الصرفي: /ع ـُ ا ص ـُـُ ا و ـُ ن/ : /ع ـُ ا ص ـُـُ ا ×(و): ي ـُ ن/ حذفت لام الكلمة(الواو اللينة) تخفيفًا؛ وأتي بالياء اللينة(ي) تعويضًا لأنها أخف من الواو؛ فصار: /ع ـُ ا ص ـُـُ ي ـُ ن/ وحذفت واو مفعول وهي مصوت طويل وأتي بياء هي مصوت طويل أيضًا انسجامًا مع الياء التي حلت محل لام الكلمة؛ وحذف مصوت الفاء(الضمة) وأتي بالكسر انسجامًا مع الإتيان بصوت الياء مكان واو مفعول ولام مفعول: /ع ×(ـُ):[ـِ] ا ص ×(ـُـُ):[ـِـِ] ي ـُ ن/ ؛ فصار: /ع ـِ ا ص ـِـِ ا ي ـُ ن/ ولكي يتأتى الإدغام انشطر المصوت الطويل(الياء التي حلت محل واو مفعول ـِـِ) إلى مصوت قصير وصوت لين من جنسه (ـِ ي): /ع ـِ ا ص (ـِـِ):[ـِ ي] ا ي ـُ ن/ فصار: /ع ـِ ا ص ـِ ي ا ي ـُ ن/ وتحقق الإدغام. وبمثل هذا يوجَّه دِلِيٌّ في جمع دَلْوٍ والأصل: دُلووٌ بزنة فُعول وقِفِيٌّ في جمع قَفًا والأصل: قُفُووٌ بزنة فُعول.

فإن كان: فُعُولٌ مفردًا وجب التصحيح، نحو: {وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا} [الفرقان: ٢١]، و:{لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ} [القصص: ٨٣] ، وتقول: نما المال نُمُوًّا، إذا زاد، وسما زيدٌ سُمُوًّا إذا علا، والأصل فيها وهي بزنة فُعول: عُتوْوٌ، وعُلوْوٌ، ونُموْوٌ، وسُموْوٌ؛ بواوين أدغمت أولاهما في الثانية، هكذا قيل؛ والمشكل أن الأولى على هذا الوزن (فعول) مصوت طويل غير قابل للإدغام؛ والضمة قبله لا وجود لها إذ لا يتوالى مصوتان؛ لذا يقال للتخلص من المشكل: الأصل مثلًا: عُتوٌّ بزنة فُعول: / ع ـُ ا ت ـُـُ ا و ـُ ن/ : انشطر المصوت الطويل(واو فعول) إلى مصوت قصير(ـُ) وصوت لين(و) من جنسه: / ع ـُ ا ت (ـُـُ):[ـُ و] ا و ـُ ن/ فصار: / ع ـُ ا ت ـُ و ا و ـُ ن/ وتحصّل الإدغام. ومن العرب من يجري الإعلال في المفرد كما أجراه في الجمع؛ فيقول:عَتَا الشيخ عِتِيًّا؛ والقول في توجيهه كالقول المذكور آنفًا في توجيه الجمع. / ع ـَ ا ت ـَ ا و ـَ / لتحقيق صيغة فُعول تحذف المصوتات من الفعل وتحل محلها مصوتات الصيغة: / ع ×(ـَ):[ـُ] ا ت ×(ـَ):[ـُ] ا و×(ـَ):[ـُ ن،ـِ ن، ـَ ن]/ فيكون: /ع ـُ ا ت ـُـُ ا و (ـُ ن، و ـِ ن، و ـَ ن) / بزنة فُعول، حذفت لام الكلمة(و) وهي لين تخفيفًا وأتي بياءٍ(ي) لينٍ تعويضًا: /ع ـُ ا ت ـُـُ ا ×(و):[ي] (ـُ ن، و ـِ ن، و ـَ ن) /فصار:

/ع ـُ ا ت ـُـُ ا ي (ـُ ن، و ـِ ن، و ـَ ن) / ثم انشطر واو فعول وهو مصوت طويل: (ـُـُ: ـُ و) فصار: /ع ـُ ا ت (ـُـُ: ـُ و) ا ي (ـُ ن، ي ـِ ن، ي ـَ ن) /فصار: / ع ـُ ا ت ـُ و ا ي (ـُ ن، ي ـِ ن، ي ـَ ن)/ثم حذفت الواو وأتي بالياء مكانها ليتحصل الإدغام، وحذفت الضمة التي قبلها وأتي بالكسرة لمناسبة الياء وحذفت ضمة الفاء وأتي بالكسرة انسجامًا مع صوت الكسرة والياءين: / ع ×(ـُ):[ـِ] ا ت ×(ـُ): [ـِ] ×(و):[ي] ا ي (ـُ ن، ي ـِ ن، ي ـَ ن)/ فصار: / ع ـِ ا ت ـِ ي ا ي (ـُ ن، ي ـِ ن، ي ـَ ن)/ وتحصل الإدغام. أو يقال بعد حذف اللام والإتيان بالياء: حذفت واو فعول وهي مصوت طويل وأتي بياء مصوت طويل تعويضًا وانسجامًا مع الياء المجتلبة لموضع اللام: /ع ـُ ا ت ×(ـُـُ):[ـِـِ) ا ي (ـُ ن، و ـِ ن، و ـَ ن) فصار: /ع ـُ ا ت ـِـِ ا ي (ـُ ن، و ـِ ن، و ـَ ن)ثم انشطر المصوت الطويل لتحقيق الإدغام لأن المصوت لا يدغم فصار: /ع ـُ ا ت ـِ ي ا ي (ـُ ن، و ـِ ن، و ـَ ن) ثم حذفت ضمة الفاء وأتي بالكسرة انسجامًا مع صوت الكسرة والياءين: / ع ×(ـُ):[ـِ] ا ت ـِ ي ا ي (ـُ ن، ي ـِ ن، ي ـَ ن)/ فصار: / ع ـِ ا ت ـِ ي ا ي (ـُ ن، ي ـِ ن، ي ـَ ن)/ وتحصل الإدغام.

١٠) إذا كانت الواو في موضع العين؛ لجمعٍ صحيح اللام؛ على وزن فُعَّل؛ غيرَ مفصولة عن اللام؛ فالكثير فيها التصحيح فيقال مثلًا في جمع صائم صُوَّم وفي جمع نائم نُوَّم، ومن العرب من أعلَّ الواو بقلبها ياء؛ فقال: صُيَّم، ونُيَّم. ونختار في الدرس الصوتي أن يقال: حذفوا الواو المضعفة لأنهم استثقلوها وجاءوا بياء مضعفة تعويضًا لأنها أخف.

قلب الياء واوًا(حذف الياء والإتيان بالواو):

قالوا: تقلب الياء واوًا في أربع صور. والذي نختاره أن يقال تحذف الياء ويؤتى مكانها بالواو؛ لما قدمناه من أن الصوت اللغوي لا ينقلب إلى صوت آخر بل هو الحذف والتعويض:

١) أن تكون الياء مُفرَدة(غير مدغمة في مثلها) ساكنةً بعد ضمّةٍ، في غيرِ جمعٍ بزنة: (فُعْلٍ)؛ نحو: يُوقِنُ ومُوقن؛ والأصل: يُيْقِن ومُيْقِن من اليقين: / ي ـُ ي ا ق ـِ ن/ بزنة يُفْعِل؛ تحذف قاعدة المزدوج الهابط (فاء الكلمة) للثقل؛ ويمدّ الصوت بقمته تعويضًا: / ي ـُ[ـُـُ] ×(ي) ا ق ـِ ن/ فيكون: يوقن /ي ـُـُ ا ق ـِ ن/ بزنة يوعل، ومثل هذا يقال في موقن، ويُوسِرُ ومُوسِر والأصل يُيْسِر ومُيْسِر؛ من اليُسر. فإذا كانت مدغمة في مثلها لم تُعلَّ نحو: حُيَّض؛ في جمع حائض وهو من الحيض، كذلك إذا تحركت لم تقلب؛ نحو:

هُيَام (تحركت بالفتح بالنظر إلى قولهم بوجود حركة قبل الألف؛ أو بالقول إنها تحركت بحركة طويلة هي الألف)، كذلك تصح الياء ولا تقلب وإن كانت ساكنة بعد ضمّ إذا كانت عينًا لجمع على وزن (فُعْل)، من ذلك: بِيضٌ في جمع أبيض وبيضاء، وهِيمٌ في جمع أهيمَ وهيْماء، وقد قلبت ضمة الفاء كسرة لتصحَّ الياء.

٢) إذا كانت في موضع اللام لِفِعْلٍ من الباب الخامس (فَعُلَ)، من ذلك: نَهُوَ الرجلُ؛ من : نَهَيْتُ؛ والأصل نَهُيَ من النُّهْيَة وهي العَقْل (قياس مضارعه: ينْهُو؛ ولم يُسمع)، الأصل: نَهُيَ ينهُيُ؛ نَهُيَ: / ن ـَ ا هـ ـُ ا يِ ـَ/ تحذف لام الكلمة للثقل لوقوعها في الطرف بعد ضمة ويؤتى بالواو المناسبة للضمة تعويضًا، فيكون نُهُوَ. ومثل هذا يقال في ينهُيُ وينْهُوُ، ثم يقال في تحوله إلى ينهو: / ي ـَ ن ا هـ ـُ ا وِ ـُ / : / ي ـَ ن ا هـ ـُ ا و ×(ـُ) / تحذف قمة المزدوج الصاعد في الطرف ويعاد التشكيل المقطعي؛ فيكون: / ي ـَ ن ا هـ ـُ وِ/ يتحد المزدوج الهابط(ـُ و) مشكلًا مصوتًا طويلًا من جنسه(ـُـ)؛ أو يقال حذفت قاعدته ومد الصوت بقمته(ـُ[ـُـ] ×(و)) تعويضًا، وفي الحالين يكون: / ي ـَ ن ا هـ ـُـ /؛. ومثل هذا يقال في رَمُوَ؛ من: رمَيْتُ؛(قياس مضارعه يرمو كما قلنا في ينهو ولم يُسمع) والأصل رَمُيَ من الرَّمْي. ومثله قَضُوَ؛ من قَضَيْتُ؛ (قياس مضارعه يقْضُو كما قلنا في ينهو؛ ولم يُسمع) والأصل قَضُيَ من القضاء. وهذه الأفعال تُفْهِم معنى التعجب؛ أي: ما أنهاه!، وما أرماه!، وما أقضاه!، ولم يسمع لها تصرف إلا نهُوَ إذ ذكروا منه الوصفَ وجمعَه: ((وَقَدْ نَهُوَ مَا شَاءَ فَهُوَ نَهِيٌّ؛ مِنْ قَوْمٍ أَنْهِيَاءَ: كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَقْلِ))[٥١]

٣) أن تكون الياء في موضع العين لاسمٍ على زِنة (فُعْلى)؛ من ذلك: طُوبى مصدرَ طاب يطيب وأصله طُيْبى: / ط ـُ يِ ا ب ـَ/ : / ط ـُ[ـُـ] ×(ي) ا ب ـَ/ تحذف قاعدة المزدوج الهابط (ي) تخفيفًا، ويمد الصوت بقمته(ـُ) تعويضًا؛ فيكون: / ط ـُـ ا ب ـَ/. ومثل هذا يقال في الياء إذا كانت في موضع العين لمؤنثِ أفعلِ التفضيل؛ كالكُوسى والخُورى والطُّوبى والضُّوقى في تأنيث أكْيَسَ وأخير وأَطيب وأَضيق. وأصلها كُيْسى وخُيْرى وطُيْبى وضُيقى. وقد سمع كلمتان من هذا بالتصحيح هما: ضِيزى ومنه قوله تعالى: { تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) } [سورة النجم] أي جائرة ظالمة، وقولُهم: مِشْيَةٌ

---

[٥١] لسان العرب لابن منظور، مادة: نَهُوَ.

حِيْكَى: أي يتحرَّك فيها المَنْكِبان، وقد أبدلت الضمةُ كسرةً لتصحَّ الياءُ. ومن العلماء من أجاز التصحيح في (فُعْلى) إذا كانت لمؤنثِ أفعلِ التفضيل؛ فتقول في مؤنث أطيبَ ونحوِه: طُوبى وطِيبى، وكُوسى وكِيسى، وخُورى وخِيرى، وضُوقى وضِيقى.

إذا كانت الياء لامًا لاسم على زنة (فَعْلَى)، نحو: تَقْوَى؛ مِن تَقَيْت؛ والأصل: تَقْيا؛ من وقى يقي: وفاؤها واو وأصلها وَقْيا؛ حذفوا الواو وأتوا مكانها بالتاء: / و ـَ ق ا ي ـَـ/: / ×(و):[ت] ـَ ق ا يِ ـَـ/: / ت ـَ ق ا ي ـَـ/؛ ثم/ ت ـَ ق ا ×(ي)[و] ـَـ/ حذفت الياء وأتي مكانها بالواو؛ إشارة إلى الواو المحذوفة(فاء الكلمة) فصار: / ت ـَ ق ا و ـَـ/. ومثل هذا يقال عن شَرْوَى بمعنى: المِثل؛ من شرَيْت؛ والأصل: شَرْيا؛ من شرَى يشرِي، وفَتْوَى؛ من فَتِيْتُ؛ والأصل فَتْيا من فتِيَ يَفْتى. وإن كانت في الصفة لم تُعلَّ؛ نحو: خَزيا وصَديا مؤنثا خزيانَ وصديانَ، ففرقوا بين الاسم والصفة. أما إذا كانت لام فَعْلى واوًا فإنها تسلم في الاسم والصفة، فمن الاسم: دَعْوى؛ من الدُّعاء؛ والأصل: الدُّعاو (من دعا يدعو)، ومن الصفة: نَشْوى؛ من النَّشْوة (من نشِيَ ينشى والأصل: نَشِوَ ينْشَوُ).

الإعلال بالنقل(أو الإعلال بالإسكان):

قد يأتي في الكلمة حرف صحيح ساكن يليه معتل متحرك؛ بسبب إحداث صيغةٍ ما؛ كما لو أحدثنا من (الخَوْف) صيغةً بزنة (أفعَلَ يُفْعِل) كما يقال في الصحيح: أكرم يكرم؛ فسوف يكون المتصوَّر في الذهن أو في التقدير(في البنية العميقة): أَخْوَفَ يُخْوِف؛ قالوا: الصحيح أولى بالحركة من المعتل؛ فتنتقل الحركة إليه ويقلب المعتل إلى معتل مجانس للحركة المنقولة؛ فيقال في النطق(أو قل في البنية السطحية): أخَافَ؛ لأننا نقلنا فتحة ويجانسها الألف، ويقال: يُخِيف؛ لأننا نقلنا كسرة ويجانسها الياء. فإذا نقلنا ضمة من واو نحو: يقْوُل(بزنة ينْصُر) صار يَقُوْل، أو كسرة من ياء نحو: يبْيِع (بزنة يضرب) صار يَبِيْع؛ أي: أقرَّ الحرف المعتل ولم يقلب لأن المنقول من جنسه فليس فيه سوى نقل الحركة: ((وَإِذا نقل أبدلت العين بمجانس الحَرَكَة المنقولة...فَإِن جانست الْحَرَكَةُ الْعين فَلَيْسَ فِيهِ سوى النَّقْل؛ كيقُول وَيبِيع))[٥٢] قال ابن جني: ((ألا ترى أن أصل يقُول، ويبِيع: يَقْوُل، ويَبْيِع، وأصل يخاف ويهاب: يخوَف، ويهيَب، وأصل يَطْوُل... فنقلوا الضمة والكسرة من الواو والياء إلى ما قبلهما؛ وأسكنوهما؛ فصار: يقُول، ويَبِيع، ويَطُول... فأما يخاف، ويهاب فأصلهما: يخوَف ويهيَب؛ فأرادوا الإعلال فنقلوا الفتحة إلى الخاء والهاء فصارا في التقدير: يخَوْف، ويهَيْب، ثم قلبوا الواو والياء ألفين لتحركهما في الأصل؛

(٥٢) همع الهوامع، للسيوطي، ج٣ ص٤٧٨

وانفتاحِ ما قبلهما الآن.))[٥٣] ويلاحظ إغفال الفرق بين المصوت في يقول ويبيع واللين في يقْوُل ويبْيِع اغترارًا بصورة الرسم الواحدة، ويلاحظ أيضًا التكلف في التعليل في يخاف ويهاب بالجمع بين ما كان عليه اللين من حركة وهو الآن ساكن بعد نقلها منه؛ وماعليه الصحيح من حركة الآن وكان قبلُ ساكنًا؛ والمنطق يقول إما أن تنظر إلى اللفظ كيف كان أو كيف هو الآن؛ لا أن تنظر لجزء منه على ما كان وجزء منه على ما هو عليه الآن. ولو قيل تطبق القاعدة طردًا للباب؛ أي: تقلب الواو إلى واو أخرى، والياء إلى ياء أخرى، لكان أقرب إلى الدرس الصوتي؛ لأن الياء التي نقلت منها الكسرة في (يَبْيِع) كانت صوتَ لينٍ احتكاكيًّا قيمتها قيمة صامت؛ تكون قاعدة للمقطع؛ والياء التي جيء بها مصوت طويل (ياء مدية) هي كسرة طال بها الصوت، تكون قمة للمقطع؛ فهذه غير تلك. وكذلك الواو التي نقلت منها الضمة إنما هي صوتُ لينٍ احتكاكيٌّ يكون قاعدة للمقطع؛ والواو المجتلبة مصوت طويل(واو مدية) هي ضمة طال بها الصوت تكون قمة للمقطع؛ فهذه غير تلك. على أن الدرس الصوتي لا يرى أن ما وقع للفظ كان إعلالًا بنقلِ مصوِّت قصير وقلبِ لينٍ إلى مصوت طويل؛ بل الذي وقع للفظ أحد أمرين: إما حذف قاعدة المزدوج الصاعد وإطالة الصوت بقمته، وإما اتحاد المزدوج الصاعد ليشكل مصَوِّتًا طويلًا، ويعاد التشكيل المقطعي، فمثلًا: يَقْوُل/ ي ـَ ق ا و ـُ ا ل ـُ/ ؛ يقال في توجيه تحوله إلى يقول/ ي ـَ ا ق ـُـ ا ل ـُ/ إمّا: / ي ـَ ق ا و ـُ ا ل ـُ/ : / ي ـَ ق ا ×(و) ـُ[ـُـ] ا ل ـُ/ تحذف قاعدة المزدوج الصاعد تخفيفًا؛ ويمدّ الصوت بقمته تعويضًا؛ ويعاد التشكيل المقطعي؛ فيكون: / ي ـَ ا ق ـُـ ا ل ـُ/، وإما: / ي ـَ ق ا و ـُ ا ل ـُ/ يتحد عنصرا المزدوج الصاعد (و ـُ) ليشكلا مصوتًا طويلًا من جنسهما(ـُـ) ويعاد التشكيل المقطعي: / ي ـَ ق ا (و ـُ):ـُـ ا ل ـُ/ فيكون: / ي ـَ ا ق ـُـ ا ل ـُ/ وفي الحالين تذهب عين الكلمة لأنها قاعدة للمقطع وقد حل محلها قمة مقطع للقاعدة التي قبلها؛ فوزن الكلمة في الحالين: يفول. ومثل هذا يقال عن يَبيع وأصله (يَبْيِع) بزنة يضرِب، وكذلك في أخْوَف يُخْوِف؛ يقال: حذفت قاعدة المزدوج الصاعد فيهما تخفيفًا، ومد الصوت بقمته تعويضًا: (×وـَ:[ـَـ]) (×و ـِ:[ـِـ]) أو يقال: اتحد عنصرا المزدوج الصاعد مشكلين مصوتًا طويلًا من جنس قمته؛ ففي أخْوَف صار ألفًا مجانسةً للفتحة (وـَ: ـَـ)، وفي يُخْوِف صار ياءً مجانسة للكسرة(و ـِ: ـِـ).

النقل في صيغة مفْعُول:

يصاغ مفعول من الثلاثي الصحيح بزنة مفعول نحو: كتَب: مكتوب / ك ـَ ا ت ـَ ا ب ـَ/: يؤتى بميم مفعول ومصوتها (الفتحة) قبل الفاء؛ ويحذف المصوت الذي كان بعد الفاء ويؤتى بواو مفعول بعد العين وهو مصوت طويل؛ ويحذف المصوت الذي بعد العين(الفتحة)؛

[٥٣] المنصف، لابن جني، ج١ ص٢٤٧–٢٤٨

ويحذف المصوت الذي بعد اللام ليحل محله مصوت الإعراب وفقًا لموقع الكلمة يتبعه نون التنوين: /[م ـَ] ك ×(ـَ) ا ت[ـُ] ×(ـَ) ا ب ×(ـَ)/ ويعاد التشكيل المقطعي: فيكون:/ م ـَ ك ا ت ـُ ا ب ـُ ن(ب ـِ ن، ب ـَ ن)/ أما من الفعل الأجوف (المعتل العين) كمقُول ومبيع؛ فقالوا: من قال والأصل قَوَل؛ على طريقة الصحيح: مَقْوُوْل؛ تنقل حركة الواو إلى القاف فيكون في التصور: مَقُوْوْل؛ فيلتقي ساكنان فيحذف أحدهما فيكون: مَقُوْل. أما أي الساكنين المحذوف فلهم فيه قولان: ((قالَ الخليل: فحذفت واو مفعول...وكان أَبو الحسن الأَخفش يَزعُم: أَنَّ المحذوفةَ عينُ الفعل.))[٥٤]، ويشكل على القولين وجود ضمة قبل صوت المد، ويشكل على قول الخليل أن الواو التي نقلت منها الحركة صوتُ لين؛ والواو التي في مقول صوت مدّ؛ فلا يغني أن يقال نقلت الحركة منها إلى القاف فحسب بل لا بدَّ من بيان تحولها من لين إلى مدّ.((فالوزن على حذف آخره (مَفْعُل). وعلى حذف أوّله (مَفُول) .))[٥٥]. وفي الدرس الصوتي يقال: الأصل المتصور: مَقْوول بزنة مفْعول مثل مكتوب: / م ـَ ق ا و ـُ ل/:/ م ـَ ق ا ×(و) ـُ ل/حذفت قاعدة المزدوج الصاعد (و) (عين الكلمة وهو قول الأخفش) وأعيد التشكيل المقطعي؛ فصار: مَقول بزنة مفول: / م ـَ ا ق ـُ ل/. أما مبيع فالأصل المتصور: مَبْيوع بزنة مفعول وهو لغة لبعض العرب ((ولغة تميم تصحيح ما عينه ياء فيقولون مبيوع ومخيوط))[٥٦] وفي تحولها إلى مبيع وهو لغة عامة العرب؛ قيل: ((مَبِيع أصله مَبْيُوع، نقلت الضمة من العين إلى ما قبلها، فصار الياء واوًا لانضمام ما قبلها، فالتقى الساكنان، حذف آخر الساكنين؛ وقيل أوّله، ثم أبدلت الضمة كسرة لتصحَّ الياء، ثم قلبت الواو الساكنة ياءً لانكسار ما قبلها، فصار مَبِيعًا))[٥٧] وعلى قول الأخفش: ((إِنهم لما أسكنوا ياءَ (مبْيُوْع) وأَلقوا حركتَها على الباء انضمَّت الباء؛ وصارت بعدَها ياءٌ ساكنةٌ؛ فأبدلتْ مكانَ الضمةِ كسرةٌ للياءِ التي بعدَها؛ ثُمَّ حذفتِ الياءُ بعدَ أَن لزمتِ الباءُ الكسرةَ للياءِ التي حذفتَها؛ فوافقتْ واوُ مفعولِ الباءَ مكسورةً فانقلبتْ ياءً للكسرةِ التي قبلَها كما انقلبتْ واو (ميزان) ياءً للكسرة.))[٥٨]. وفي الدرس الصوتي يقال: الأصل المتصور مبْيوع: /م ـَ ب ا ي ـُ ع/ : /م ـَ ب ا ×(ي) ـُ ع/ حذفت قاعدة المزدوج الصاعد كما في مقوول ليجري الأجوف الواوي واليائي على سنن واحد طردًا للباب؛ وأعيد التشكيل المقطعي؛ فصار مبوع مثل مقول/م ـَ ا ب ـُ ع/ ؛ ثم حذف المصوت الطويل وهو الواو المدية(ـُ) واو مَفول كي لا يلتبس

---

[٥٤] الأصول في النحو، لابن السراج، ج٣ ص٢٨٣

[٥٥] المفتاح في الصرف، لعبد القاهر الجرجاني، ص٧٣

[٥٦] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج٤ ص٢٣٨

[٥٧] المفتاح، للجرجاني، ص٧٤

[٥٨] الأصول في النحو، لابن السراج، ج٣ ص٢٨٣

اليائي بالواوي؛ واجتلب مصوت طويل وهو الياء المدية(ـِ) تعويضًا: /م ـَ ا ب ×(ـُ)[ـِ] ع/ فصار (مَبيع) : /م ـَ ا ب ـِ ع/.

الإدغام (الحذف والتعويض) في الصوامت المتقاربة:

الإدغام موضعه: الصوامت وصوتا اللين؛ لأن حكمهما حكم الصامت؛ وحقيقته: نطق الصوت الأول من المثلين متبوعًا بمثله من غير مصوت بينهما؛ نحو: ردّا(رَدْدا) / ر ـَ د ا د ـَ/ و: اتْبَعْ عاصمًا (اتْبَعّاصمًا)

/ء ـِ ت ا ب ـَ ع ا ع ـَ ا ص ـِ ا م ـَ ن/. وتقارب الصوامت يكون في المخرج أو في الصفة؛ فإذا تحقق القرب حذف الأول تخفيفًا؛ وأتي بصامت مماثل للثاني؛ ليتحقق نقل اللسان عنهما مرة واحدة((فإن الحرف لما كان مدغمًا خفي فنبا اللسان عنه وعن الآخر بعدَه نبوة واحدة؛ فجريا لذلك مجرى الحرف الواحد))[٥٩] وفي ذلك تخفيف للجهد((قد علموا أنَّ إدغام الحرف في الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين))[٦٠]، ولا نقول في الدرس الصوتي قلب الأول إلى الثاني لما قدمناه من أن الصوت اللغوي كائن مستقل بذاته لا ينقلب إلى كائن آخر؛ بل يُخرَج من السلسلة المنطوقة ويؤتى بغيره تعويضًا. من ذلك ما يكون بين التاء والدال والطاء مثلًا وهي من مخرج واحد؛ واختلفت في صفة أساسية؛ فالفرق بين التاء والدال الجهر في الدال(اهتزاز الوترين)، وبين الدال والطاء (القديمة) الإطباق في الطاء؛ وعلى القول بعدم اهتزاز الوترين في الطاء (الحديثة) يكون الفرق الإطباق في الطاء والجهر في الدال، والفرق بين التاء والطاء(القديمة) الإطباق في الطاء والجهر، والفرق بينها وبين الطاء(الحديثة) الإطباق في الطاء؛ فإذا توالى أي اثنين من الثلاثة حذف الأول ليتأتى التخفيف بالإدغام؛ وأتي بصوت الثاني تعويضًا؛ وانتقل اللسان عنهما انتقالة واحدة؛ فمن إدغام الدال في التاء:{وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ} [الصف:٥]:/ و ـَ اق ـَ د ا ت ـَ ع ا ل ـَ ا م ـُ ن/:/ و ـَ ا ق ـَ ×(د)[ت] ا ت ـَ ع ا ل ـَ ا م ـُ ن/ إذ تحذف الدال في اللفظ تخفيفًا؛ ويؤتى بالتاء تعويضًا؛ ليتحصل الإدغام فيقال: قتَّعلمون: / ق ـَ ت ا ت ـَ ع ا ل ـَ ا م ـُ ن/، ومن إدغام التاء في الدال: {قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا} [يونس:٨٩] /ء ـُ ا ج ـِ ا ب ـَ ت ا د ـَ ع ا و ـَ ا ت ـُ ا ك ـُ ا م ـَ/:/ء ـُ ا ج ـِ ا ب ـَ ×(ت)[د] ا د ـَ ع ا و ـَ ا ت ـُ ا ك ـُ ا م ـَ/ إذ تحذف التاء في اللفظ تخفيفًا؛ ويؤتى بالدال تعويضًا؛ ليتحصل الإدغام فيقال:أجيبدَّعوتكما:/ء ـُ ا ج ـِ ا ب ـَ د ا د ـَ ع ا و ـَ ا

---

[٥٩] الخصائص، لابن جني، ج١ ص٩٣

[٦٠] م. ن. ج٢ ص٢٢٩

ت ـُ ا ك ـُ ا م ـَـ/، ومن إدغام الدال في الطاء: عُد طَّبيبًا، ومن إدغام التاء في الطاء: أثبِت طَّلبَك، ومن إدغام الطاء في الدال: لم يفَرِّط دُّرَيْد، ومن إدغام الطاء في التاء: { أَحَطتُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ } [النمل:٢٢] .

ويلاحظ أن الصوت المطبق(الطاء) إذا حذف وحل محله نظيره الذي من مخرجه (الدال، أو التاء) الذي لا إطباق فيه؛ فالكثير في لسان العرب بقاء شيء من صفة الإطباق؛ ومنهم من يدغم من غير أثر للإطباق: ((الطاء مع الدال كقولك: اضبِدَّلَمًا[اضْبِطْ دَلَمًا[٦١]]... إلّا أنك قد تدع الإطباق على حاله فلا تُذهِبه... وبعض العرب يُذهب الإطباق حتى يجعلها كالدال سواءً... وكلٌّ عربيٌّ.))[٦٢] وقد أثير إشكال بشأن بقاء الإطباق مع إدغام الصوت في غيره: ((لأن الإطباق لا يوجد إلا مع المطبقة، وعند الإدغام لم تبقَ المطبقة... كأنه إدغامٌ وليس بإدغام تحقيقًا.))[٦٣].

ووجود الإدغام مع بقاء شيء من صفات المدغم يمكن أن يندرج فيما سمي بـ(الإدغام الناقص)؛ وهو إشراب الصوت شيئًا من صفات الصوت المدغَم ((الإدغام مع عدم الغنة محضٌ كاملُ التشديد؛ ومعها غيرُ محضٍ ناقصُ التشديد؛ من أجل صوت الغنة الموجودة معه؛ فهو بمنزلة الإطباق الموجود مع الإدغام في {أَحَطتُّ} [النمل:٢٢]، و{بَسَطتَّ} [المائدة:٢٨]... وما ذكر من أن الإدغام إذا صاحبته الغنة يكون إدغامًا ناقصًا هو الصحيح في (النَّشْر) وغيره؛ خلافًا لمن جعله إخفاء))[٦٤] فالإدغام الناقص: أن يَترُك الحرفُ المحذوف صفةً أساسية؛ يتشربها الصوت الذي يُجلب مكانَه؛ ويدغم في مثله الذي ليس فيه تلك الصفة.

وينبغي أن نتذكر أن ما أوردناه من حديث بشأن ما يجري لبنية الكلم العربي في ذهن ابن اللغة إنما هو تفسير مبني على المنهج الصوتي الحديث؛ فالتوجيه لا يتناول المستوى السطحي الملفوظ من اللغة؛ لأنه مروي ثابت لا خلاف فيه، وإنما يتناول المستوى التكويني الذهني المتصور، وهو الذي كانت فيه المغايرة مع توجيه الدرس القديم، ولا سيما فيما يتصل بنفي القول بوجود حركة قبل حرف المد، وبتأكيد الفرق بين صوتي المد(ـِـ، ـُـ) وصوتي اللين(ي، و) لأن صوت المد يكون قمة للمقطع وصوت اللين يكون قاعدة؛ ومن ثم فرقنا في الرسم بينهما في الكتابة الصوتية، وبأن الصوت اللغوي لا يقلب إلى صوت آخر بل يُترك ويؤتى بصوت غيره؛ وذلك لتأكيد ذاتية كل صوت لغوي. ويبقى مجال الاجتهاد في التوجيه واسعًا ما دام مبنيًّا على حقائق ملموسة من التجارب في مختبرات الصوت.

---

(٦١) الضبط لزوم الشيء وحبسه؛ ودلَم:اسم شاعر؛ من دلِم: اشتدَّ سواده.

(٦٢) الكتاب، لسيبويه، ج٤ص٤٦١

(٦٣) شرح الشافية، لركن الدين الأستربادي، ج٢ ص٩٥٥

(٦٤) اتحاف فضلاء البشر في قراءات القراء الأربعة عشر، للدمياطي، ص٣١، وص٤٧

المصادر:

إتحاف فضلاء البشر في قراءات القراء الأربعة عشر، للدمياطي؛ تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان،١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

أسباب حدوث الحروف، لابن سينا، تحقيق: محمد الطيّان ويحيى علم، مطبوعات مجمع دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر،عالم الكتب، ط: (٨)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

أصوات العربية بين التحوّل والثبات، حسام سعيد النعيمي، سلسلة بيت الحمكة بجامعة بغداد، ١٩٨٩م

الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية، ط: (٥)، ١٩٧٥م

الأصول في النحو، لابن السرّاج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط: (٣)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

تاج العروس، للزَّبِيدي، تحقيق مجموعة من المحققين. طبعة الكويت.

التشكيل الصوتي، سلمان العاني، ترجمة: ياسر الملاح، النادي الثقافي بجدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

التطور النحوي للغة العربية، برجستراسير، نشرة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط: (٢) ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر، لابن رشد، تحقيق محمد سليم سالم، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م

جامع الدروس العربية، لمصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، لبنان، ط: (٢٨)، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

جامع العلوم في اصطلاحات الفنون= دستور العلماء

الخصائص، لابن جنّي، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٣٧١هـ

دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م

دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

دستور العلماء = جامع العلوم، للقاضي عبد النبي الأحمد نكري، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

الشافية في علم التصريف، لابن الحاجب، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م

شذا العرف في فن الصرف، لأحمد الحملاوي، تحقيق: نصر الله العزّاوي،: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد الأُشْمُوني، دار الكتب العلمية، لبنان١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

شرح التصريح على التوضيح، لخالد بن عبد الله الأزهري، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

شرح شافية ابن الحاجب، للرَّضي الأستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن؛ ومحمد الزفزاف؛ ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م

شرح شافية ابن الحاجب، لركن الدين الأستراباذي، تحقيق: عبد المقصود محمد، مكتبة الثقافة الدينية، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لعبد الله بن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط: (٢٠) ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م

شرح كتاب أرسطوطاليس في العبارة، لأبي نصر الفارابي، ط: (٢)، بيوت، ١٩٧١م

العربية الفصحى؛ دراسة في البناء اللغوي، هنري فليش، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ط: (٢) القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

علم اللغة العام، مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران، طبعة مصر ١٩٦٢م

فن الشعر، لابن سينا،(ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو، ترجمة عبد الرحمن بدوي) ط: (٢)، بيروت، ١٩٧٣م

قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م

كتاب أرسطو في الشعر، نقل متى بن يوسف؛ مع ترجمة شكري عيّاد، القاهرة، ١٩٦٧

الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: (٣)، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م

كتاب الموسيقى الكبير ، لأبي نصر الفارابي، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة ، القاهرة، (د ت)

لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: (٣)، ١٤١٤هـ

اللغة، لفندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م

اللغة وعلم اللغة، جون لوينز، ترجمة: مصطفى التوني، القاهرة، ١٩٨٧م

مؤلفات الكندي الموسيقية، تحقيق وشرح: زكريا يوسف، بغداد١٩٦٢ م

المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: (٣) ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

المفتاح في الصرف، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)

المقتضب، لأبي العباس المبرِّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٨٦هـ

المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق: إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين،دار إحياء التراث القديم، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية بمصر(د ت).

النشاط الدبلوماسي والسياسي الإسباني تجاه المغرب
أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

الدكتور أنس بوسلام (*)

الملخص:

تُعنى الدراسة بموضوع النشاط الدبلوماسي والسياسي الإسباني إتجاه المغرب أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بالاعتماد على الاتفاقيات والمعاهدات والمؤتمرات ذات العلاقة بهذا النشاط ، الذي عرف ازديادا في وتيرته وبشكل استثنائي في المرحلة المذكورة؛ وذلك مع انكشاف ضعف المغرب من جهة، ورغبة إسبانيا في اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من المغرب تعويضا لها عما فقدته في مناطق أخرى من العالم.

وقد خلصت الدراسة أن إسبانيا على الرغم من كونها دولة استعمارية من الدرجة الثانية، إن لم نقل من الدرجة الثالثة، استطاعت أن تقتطع لنفسها مجالا واسعا بالمغرب مستغلة موقعا وقربها الجغرافي من المغرب والتنافس الامبريالي بين القوى الاستعمارية الكبرى ولاسيما التنافس الفرنسي الإنجليزي.

الكلمات المفتاحية: النشاط الدبلوماسي والسياسي – إسبانيا – المغرب – الاستعمار الإسباني.

المقدمة:

تُعدُّ العلاقات الدبلوماسية والسياسية بين المغرب وإسبانيا علاقات ضاربة في القدم، وقد كانت كفة هذه العلاقات راجحة لصالح المغرب خلال العصر الوسيط، ثم توازنت الكفتان وأخذتا في الاختلال لصالح إسبانيا في التاريخ الحديث؛ لتختل موازين القوى بوضوح بين البلدين في التاريخ المعاصر، ولاسيما النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

عرف الاحتكاك الدبلوماسي والسياسي بين المغرب وإسبانيا أوجه نهاية في القرن التاسع عشر ، ولاسيما مطلع القرن العشرين ، إذ نشطت الدبلوماسية والسياسة الخارجية الإسبانية بشكل كبير في إطار مخطط استعماري هدفه اقتسام ما يمكن اقتسامه مع فرنسا بالمغرب .

(*) مفتش تربوي للتعليم الثانوي – وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة – المغرب، وباحث دكتوراه – تخصص التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق – جامعة الحسن الثاني – الدار البيضاء.

إن هذا النشاط الدبلوماسي والسياسي الإسباني تجاه المغرب قد تحددت معالمه وتجلياته من خلال مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات العلنية والسرية، إضافة إلى المؤتمرات وغيرها، والتي رامت إسبانيا من خلالها ضمان موطئ قدم لها بالمغرب مستغلة الجوار الجغرافي وتنافس الدول الاستعمارية القوية على المغرب (بريطانيا، فرنسا، ألمانيا) لتنفذ من هذا التنافس، وهي الدولة الاستعمارية الأضعف، إلى تحقيق مصالحها الخاصة بالمغرب، لاسيما بشماله وجنوبه.

١ - أبرز معالم النشاط الدبلوماسي والسياسي الإسباني إتجاه المغرب أواخر القرن التاسع عشر

كانت التحركات الدبلوماسية والسياسية إتجاه المغرب في هذه المدة خجولة ومحدودة، حيث اقتصرت الحكومة الاسبانية على إرسال منشور إلى الدول الأجنبية سنة ١٨٨٤م تبين فيه أنها بسطت حمايتها على الشاطئ المغربي الإفريقي محاولة بذلك إضفاء نوع من المشروعية الدولية على احتلالها للشواطئ الصحراوية[١] بعد أن أسست شركة استعمارية أطلقت على نفسها اسم "الشركة الإفريقية للمستعمرات" سنة ١٨٨٨، وأعلنت نيتها في استغلال المنطقة في صيد السمك، وهي المنطقة التي حددت في شبه جزيرة قي ناحية وادي الذهب وأمام الخطوة السياسية السالف ذكرها رفض المخزن[٢] المغربي من جهته أي محاولة اعتداء على حرمة البلاد، وعدّه ذلك بمثابة إعلان للحرب ضده، فحثّ قبائل المنطقة على المقاومة والجهاد ضد المعتدين الإسبان، غير أن اسبانيا زايدت على هذا الموقف بأن بعثت معمرا إسبانيا يدعى "بونيلي (Bonelli)"، الذي وصل إلى سواحل الداخلة يوم ٣ نونبر ١٨٨٤، وشرع في إقامة كوخ خشبي اتخذ منه مركزا للتجارة باسم الشركة المذكورة آنفا، وبمجرد أن قام الإسباني المذكور في بناء المركز بالحجارة قام المغاربة بهجوم ضده، فأخلوا المركز من الإسباني يوم ٩ مارس ١٨٨٥، مما أدى إلى تأزيم الوضع عبر طرح قضية بونيلي أمام البرلمان الإسباني (الكورطيس) وإرسال إسبانيا يوم ١٦ أبريل ١٨٨٥ باحتجاجٍ رسمي إلى المغرب، فأجاب المغرب بكونه قد سبق أن حذّر الأجانب من مغبة نزولهم بالسواحل المغربية غير المفتوحة للتجارة الخارجية، فما كان من إسبانيا إلا أن أرسلت بونيلي مرة أخرى كمندوب لها بالداخلة ودعمته بكتيبة عسكرية قوامها ٢٥ جنديا وذلك

---

(١) فنيتير، المصطفى: المطامع الاستعمارية الإسبانية في الصحراء المغربية خلال ق التاسع عشر وبداية ق العشرين، ضمن ندوة علمية حول جهاد الصحراء، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، ١٩٩٨، ص ٨٢.

(٢) المخزن: مفهوم اختلف في تعريفه مجموعة من المؤرخين والمفكرين، ورغم ذلك يمكن القول أنه يعني سلطة الدولة ببنياتها السياسية ومؤسساتها وكذا الأفراد الذين يديرون هذه السلطة سواء على المستوى المركزي أو الجهوي أو المحلي، وقد بدأ هذا المفهوم يتبلور منذ العصر المرابطي، وتعزز خلال العصر السعدي، وترسخ خلال العصر العلوي.

يوم ٨ يونيو ١٨٨٥، غير أن بونيلي أخفق في ربط علاقات تجارية مع القبائل الصحراوية بالمنطقة، بل إن هذه القبائل عملت على مقاومته فضلا عن مقاطعته[٣].

غير أن هذا الخجل والمحدودية في العمل السياسي الإسباني إتجاه المغرب سرعان ما تبدد بعد هزيمة إسبانيا في بحر الكراييب أمام الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٩٨ وفقدان الأولى لآخر مستعمراتها وهي كوبا وبورتوريكو والفلبين، فبدأت إسبانيا تفكر جديّا في أمر المغرب وضرورة نيل نصيب منه.

إن هذا التفكير كان نابعا من مجموعة عوامل متعددة، أولاها داخلية: تتمثل في البطالة، التي أصبح يعاني منها الجيش الإسباني، فقد طالب الكثير من الجنرالات وموظفي الجيش حكومته بضرورة القيام بأنشطة عسكرية توسعية، فضلا عن إحباط وانحدار معنويات الجيش الإسباني إلى الحضيض إثر سلسلة من الهزائم كهزيمته أمام قبائل "قلعية" قرب مدينة مليلية بمنطقة الريف سنة ١٨٩٣ وهزيمته أمام الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٩٨. أما ثاني هذه العوامل، فهي خارجية، وتتجلّى في الانكفاء الاستعماري والإحباط الإمبريالي لإسبانيا، فبدأت تنظر إلى المغرب أو ما يمكن أن تقتطع منه كتعويض عما فقدته في أمريكا وآسيا، زيادة على رغبتها الأكيدة في استعادة الاحترام الدولي بين القوى الإمبريالية العظمى بين العالم آنذاك، ويرى ميكل مرتين Miguel Martin أن فقدان آخر ما تبقى من الإمبراطورية الإسبانية الاستعمارية الكبرى في أمريكا سنة ١٨٩٨ أدى إلى وضع القضية المغربية في المقام الأول من التحرك الخارجي الإسباني، إذ لم يبق سوى الجنوب: أي التوسع عبر إفريقيا، وفضلا عن هذا السبب الذي جعل قضية المغرب تتصدر مشاكل الساحة محليا انضاف الواقع الأوروبي الذي عجل بالأحداث في المغرب؛ ليؤدي إلى وضع حدٍّ لنظام الاستقلال، وإطلاق العنان للجشع المندفع من أجل تقسيم هذا الشعب[٤]، ومع تبلور هذا الموقف الجديد بدأت الآلة الدبلوماسية والسياسية الإسبانية في التحرك بدءا من مطلع القرن العشرين قصد تنفيذ ما تم تسطيره من مخططات إتجاه المغرب.

٢– اتفاقية ٢٧ يونيو ١٩٠٠ بين فرنسا وإسبانيا

انطلاقا من سنة ١٩٠٠ وفي عهد السلطان عبد العزيز (حكم ما بين ١٨٩٤ – ١٩٠٨) تزايدت المشاكل الداخلية والتهديدات الأجنبية للحوزة المغربية بدأت محاولات لتقليص درجات

---

[٣] فنيتير: المرجع السابق ، ص ٨٣.

[٤] مرتين، ميكل: الاستعمار الإسباني في المغرب ١٨٦٠– ١٩٥٦، ترجمة عبد العزيز الوديي، منشورات التل، ١٩٨٨، الرباط، ص ١٧.

التنافس للقوى الكولونيالية قصد اقتسام الكعكة المغربية، وفي هذا السياق باشرت كل من فرنسا وإسبانيا مفاوضات أسفرت عن عقد معاهدة جزئية بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٠٠، وقد وقعها كل من صاحب السعادة السيد "تيوفيل ديلكاسي" بصفته وزير الشؤون الخارجية الفرنسية ونائبا عن الجمهورية الفرنسية في إبرام الاتفاق من جهة، وصاحب السعادة السيد "فرناند دي ليون أي كاستيو" بصفته سفير الملك الإسباني فوق العادة والمعتمد لدى رئيس الجمهورية الفرنسية ونائبا عن الملك الإسباني في عقد الاتفاق من جهة أخرى، وقد ضمت هذه الاتفاقية ١٠ فصول، زيادة على مجموعة من الملاحق وخصصت لتقسيم ساحل الصحراء المغربية وساحل خليج غينيا.

يحدد الفصل الأول من الاتفاقية ممتلكات الدولتين في شبه جزيرة "الرأس الأبيض"[٥] من الصحراء المغربية، بحيث تم منح إسبانيا القسم الغربي منها بما فيه "فرضة الغرب"، ويظل لفرنسا الرأس الأبيض والقسم الشرقي من شبه الجزيرة نفسها، في حين أبقى الفصل الثاني للإسبان المناطق الواقعة بين نقطة الرأس الأبيض وكومة "لابايادير" وكذا في مياه "فرضة ليفريي" المحدودة بخط يصل منتهى الرأس الأبيض بالنقطة التي تسمى "لاكوكي" لممارسة صيد الأسماك والأنشطة المرتبطة به بالتنافس مع الرعايا الفرنسيين، وفي الحدود أنفسها يمكنهم بناء منشآت خفيفة ووضع معسكرات مؤقتة، مع العلم بأن هذه المعسكرات مؤقتة، مع العلم بأن هذه المعسكرات وتلك المنشآت ينبغي أن يزيلها الصيادون الإسبان كلما توجهوا إلى عرض البحر على شرط أن لا يمَّس ذلك بأي حال من الأحوال وفي أي وقت من الأوقات بحرمة الأملاك العمومية أو الخصوصية.

أما الفصل الثالث، فأكد على عدم جباية أي واجب في التصدير على الملح المستخرج من الأحواض الملكية لمنطقة "إيدجيل"، الذي ينقل رأسا بطريق البر إلى الممتلكات الإسبانية في سائر الصحراء، في حين خُصصت الفصول ٤ و٥ و٧ و٨ لمسألة خليج غينيا أساسا، وهو ما لسنا بصدده في هذا المقال، وأكد الفصل السادس على نهائية وقطعية الاتفاق فيما يتعلق بالفصول: ٢ و٣ و٥.

أما الفصل ٩، ففيه تعهد من الدولتين بالمعاملة الحسنة مع الرؤساء الذين سبق أن أبرموا معاهدات مع أحدهما، ويوجدون الآن تحت سيادة الدولة الأخرى بمقتضى هذه الاتفاقية، في حين كان الفصل ١٠ والأخير فصلا بروتوكوليا، وجاءت الملاحق لتوضيح مجموعة من الأمور الواردة في الاتفاقية.

---

[٥] الرأس الأبيض: هو رأس نواذيبو حاليا، وهو شبه جزيرة على الساحل الأطلسي منقسمة إلى قسمين: قسم تابع لموريتانيا، والآخر للمغرب.

إن أهم ما أتت به هذه الاتفاقية وأهم ما حصدته الدبلوماسية الإسبانية منها هو منح إسبانيا الجهة الساحلية الممتدة من الرأس الأبيض في الجنوب إلى رأس بوجدور[٦] في الشمال: أي ما يعرف حاليا بوادي الذهب[٧].

٣- الاتفاقية الإسبانية الفرنسية الموقعة يوم ١١ نونبر ١٩٠٢

قسمت هذه الاتفاقية المغرب إلى منطقتين وكان نصيب إسبانيا المنطقة الجنوبية الممتدة من "رأس كير" قرب أكادير إلى "رأس بوجدور" بـ"الساقية الحمراء"[٨]، كما منحت هذه الاتفاقية منطقة الشمال لإسبانيا، وقد كانت مدينة فاس وتازة من نصيب الإسبان غير أن الكورطيس لم يصادق على هذه الاتفاقية؛ لأن اسبانيا كانت تراها ترجح مصلحة فرنسا[٩]، وعموما، نلاحظ أن هذه الاتفاقية قد منحت لإسبانيا مكاسب كبيرة بالمغرب غير أن هذه الدولة رفضته لتقنع بما دونه مستقبلا.

٤- نصيب إسبانيا من التصريح الفرنسي الإنجليزي المبرم في لندن بتاريخ ٨ أبريل ١٩٠٤ وفصوله الإضافية السرية الملحقة به يوم ١٨ أبريل ١٩٠٤

يتألف هذا التصريح من ٩ فصول، أما السرية منه، فهي ٥ فصول. ويؤكد الفصل ٧ من هذا التصريح على استثناء إسبانيا من عدم السماح بإقامة تحصينات أو أية منشآت استراتيجية في القسم من الشاطئ المغربي الواقع بين مليلية والمرتفعات التي تهيمن على الضفة اليمنى لسبو، ويؤكد الفصل ٨ على أخذ الدولتين بريطانيا وفرنسا بالحسبان المصالح التي لإسبانيا من جراء موقعها الجغرافي وممتلكاتها الواقعة على الشاطئ المغربي للبحر المتوسط ، التي سيراعي اتفاق الحكومتين الفرنسية والبريطانية على أن قسما من التراب المغربي مجاور لمليلية وسبتة والممتلكات الإسبانية الأخرى يجب - وبمجرد ما يتوقف السلطان عن ممارسة سلطته هناك - أن يدخل في نطلق النفوذ الإسباني شريطة التزام إسبانيا بمقتضيات الفصلين ٤ و٧ من التصريح السالف ذكره، ويرى ميكل مرتين أنه إذا كان البند ٨ من التصريح الفرنسي الإنجليزي قد منح لإسبانيا ما منح في شمال المغرب، فان الحكومة البريطانية لم تكن مكترثة بمن هي الدولة التي ستحل مقابل جبل طارق، ومن ثم كانت تفضل أن تكون إسبانيا بوصفها دولة بدون وزن

---

[٦] بوجدور: مدينة مغربية ساحلية توجد بالصحراء المغربية.

[٧] وادي الذهب: هي الجهة والمنطقة الجغرافية التي توجد بأقصى جنوب المغرب وتضم مدينة الداخلة.

[٨] الساقية الحمراء: منطقة جغرافية بالصحراء المغربية، وتقع شمال منطقة وادي الذهب.

[٩] موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، الجزء الأول، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، ٢٠٠٦، ص ٣٦.

ولا قوة إطلاقا[١٠].

٥- الاتفاقيــة الســرية الفرنســية الإســبانية حــول المغـرب والموقعــة فــي بــاريس يــوم ٣ أكتوبر ١٩٠٤

أبرم هذه الاتفاقية كل من السيد "تيوفيل ديلكاسي" والسيد "دي ليون أي كاستيو" المذكورين آنفا، وتتـألف هذه الاتفاقيـة من ١٦ فصـلا، يؤكد أولاها على إلحـاق نص الاتفاقيـة بمضـامين التصريح الفرنسي الإنجليزي السالف ذكره، أما الفصل ٢، فيحدد بتفصيل منطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب، حيث تبدأ هذه المنطقة من مصب نهر ملوية في البحر الأبيض المتوسط، ثم يصعد الخط تلعة النهر المذكور في محاذاة الضفة اليسرى لوادي "دلفا" من هذه النقطـة، وبدون أن يقطـع مجرى ملويـة بحال من الأحوال يصـل رأسا قدر الإمكان أي خط القمم الذي يفصـل أحواض ملوية وواد "إيناون" عن حوض "واد كير"، ثم يستمر في الاتجاه صوب غرب خط القسم الذي يفصـل أحواض واد "إينـاون" وواد "سبو" عن أحواض كير وواد "ورغة" ليصـل إلـي أقصـى الذروة الشمالية لجبل "مولاي بوشتة"، ثم يصعد بعد ذلك في اتجاه الشمال مبتعدا بمسافة لا تقل عن ٢٥ كلم شرقي الطريق المؤدية من فاس إلى القصـر الكبير[١١] علـى طريـق وزان[١٢] إلـى الالتقاء من واد "لكوس" أو "واد القوس"، ثم يهبط تلعة هدا النهر إلـى مسافة ٥ كلم في سافلة نقطة تقاطع هذا النهر مع الطريق المذكور طريق القصر الكبير من وزان، ومن هذه النقطة يتجه رأسا جهد الإمكان نحو ساحل المحيط الأطلسي فوق البحيرة الزرقاء، غير أن الملاحظ في هذه الاتفاقية من خلال هذا الفصل أنها تركت فاس وتازة خارج المنطقة الإسبانية مقارنة مع ما كان معترفـا لهـا بـه فـي مشـروع اتفـاق ١١ نـونبر ١٩٠٢[١٣]، ونـص الفصـل ٤ علـى أن الـدولتين ستتدخلان في حال عجز النظام المغربي والحكومة الشريفة على الاستمرار في البقاء، وفي حالـة ضـعف هذه الحكومـة أو وهنهـا المستمر عن تثبيت الأمـن والنظـام السياسـي، أمـا الفصـل ٤، فقد حدد منطقـة "سانتا كـروز دي مـار بيكينيـا Santa Cruz de la Mar pequeña" بـ"إفني"[١٤] من مجرى واد ميسا من ملتقاه هذا مع واد "تزروالت" إلى البحر، وحددت هذه المنطقة بخريطـة مرفقـة بالاتفاقيـة. وتجـدر الإشـارة إلـى أن هـذه الاتفاقيـة حـددت للمـرة الأولـى منطقـة

---

[١٠] مرتين: المرجع السابق، ص ١٨.

[١١] القصر الكبير: مدينة تقع بشمال المغرب.

[١٢] وزان: مدينة تقع بشمال المغرب.

[١٣] فنيتير: المرجع السابق، ص ٨٥.

[١٤] إفنـي أو سـيدي إفنـي: مدينـة مغربيـة سـاحلية تقـع جنـوب المغـرب، وتحديدا جنـوب مدينـة أكـادير بحـوالي ١٧٠ كلم.

إفني على أساس بوصفها هي المنطقة التي التزم المغرب بتسليمها إلى إسبانيا بمقتضى معاهدة تطوان سنة ١٨٦٠، وقلصت الاتفاقية، كذلك، من خلال الفصل ٥ منطقة نفوذ إسبانيا في جنوب المغرب[١٥]، أما باقي فصول الاتفاقية، فهي إجرائية وتنظيمية لما سبقها من فصول[١٦].

٦- الاتفاق السري بفاتح شتنبر ١٩٠٥ والمتعلق بضبط تسيير الفصول الإضافية السرية (١٨ أبريل ١٩٠٤) الملحقة بالتصريح الفرنسي الإنجليزي المبرم في لندن بتاريخ ٨ أبريل ١٩٠٤.

ركز هذا الاتفاق على مجموعة من النقط، أولاها تشكيل شرطة الموانئ بالإيالة الشريفة (أي المغرب) من الجيوش الأهلية، لكن بقيادة إسبانية في الشمال وفرنسية في الوسط، وأكد الاتفاق على ضرورة مراقبة وزجر تهريب الأسلحة، أما النقطة ٣، فتعلقت بالمصالح المالية والاقتصادية من تنظيم للأشغال العمومية وظروف عمل الإسبان والفرنسيين بالمغرب واستمرار دخول العملة الفضية الإسبانية بحرية إلى المغرب وإنشاء مؤسسة للقرض تحمل اسم البنك المخزني ووضع آليات المساهمة فيه والاستفادة منه، فضلا عن مضاعفة الرعايا الإسبان العاملين في مصلحة الديوان بالإيالة الشريفة وفي التزام دبلوماسي وسياسي للدولتين: فرنسا واسبانيا بتوحيد وتنسيق مواقفهما الدبلوماسية والسياسية إتجاه المغرب التزاما بروح ونص التصريح الفرنسي- الإنجليزي السالف ذكره.

٧- مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة ١٩٠٦ ونصيب إسبانيا منه

نجحت إسبانيا نتيجة تنافس الدول الأوروبية الامبريالية القوية في استضافة مؤتمر دولي حول المغرب انعقد بمدينة الجزيرة في ١٦ يناير ١٩٠٦، وانتهى بالمصادقة على ميثاق عام في ٠٧ أبريل ١٩٠٦، وقد احتوى هذا الميثاق على عدة أبواب وكل باب ضم عددا من المواد بلغت ١٢٣ مادة[١٧]، وقد أمضته ١٣ دولة[١٨]، وكان نصيب إسبانيا من هذا الميثاق

---

[١٥] مرتين: المرجع السابق، ص ١٨.

[١٦] الغربي، محمد: الساقية الحمراء ووادي الذهب، الجزء الثالث، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص ٢٦٧.

[١٧] الخديمي، علال: مؤتمر الجزيرة الخضراء ١٩٠٦، في موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، الجزء الأول، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، ٢٠٠٦، ص٣٩.

[١٨] الأزرق، رشيد: المغرب في سياق العلاقات الدولية من سنة ١٩٠٤ إلى سنة ١٩١٢، ضمن: المغرب من العهد العزيزي إلى سنة ١٩١٢، الجزء الأول، الجامعة الصيفية، المحمدية، ١٩٨٧.

أن تنظيم الشرطة بالموانئ المغربية يؤطره مدربون فرنسيون وإسبان تحت إشراف ضابط سويسري، كما منح الميثاق لإسبانيا وفرنسا على السواء تفويض منع تهريب السلاح في السواحل المغربية وغيرها[١٩].

٨- سفارة محمد المقري إلى مدريد في أكتوبر ١٩١٠ وتداعياتها

أرسل المغرب بعثة إلى إسبانيا في أكتوبر ١٩١٠ على رأسها محمد المقري وإثر محادثات مع الطرف الإسباني صادق السفير المغربي باسم السلطان عبد الحفيظ (١٩٠٨- ١٩١٢) مع ممثل الحكومة الاسبانية في مدريد معاهدة تنص على وضع حد للنزاع القائم بين المغرب وإسبانيا في مسألة "سانتاكروز"، وأكدت المعاهدة على ضرورة اجتماع اللجنة المغربية الإسبانية بمدينة الصويرة في شهر ماي ١٩١١، غير أنه عند وصول تاريخ الاجتماع، حضر الوفد الاسباني، في حين تخلف الوفد المغربي، نظرا؛ لكون السلطان عبد الحفيظ رفض بشدة تسليم بقعة من التراب المغربي وإن كانت لأهداف تجارية، وكان لهذا الموقف السياسي أثر واضح في الأوساط الداخلية الإسبانية، حيث عزمت إسبانيا على تعبئة قوة عسكرية ضخمة هدفها احتلال مناطق قريبة من إفني.

٩- أزمة أكادير وانعكاسها على إسبانيا

برزت أزمة أكادير سنة ١٩١١ من خلال التدخل الألماني القوي في المسألة المغربية، فقد أرسلت ألمانيا بارجة حربية بسواحل أكادير، وهددت بالتدخل العسكري في المغرب ما لم تتم تسوية الأمر معها، فاضطرت إسبانيا إلى التريث ريثما تتم هذه التسوية، وانتظرت إلى غاية إجبار السلطان عبد الحفيظ على توقيع معاهدة الحماية الفرنسية بتاريخ ٣٠ مارس ١٩١٢.

١٠- معاهدة الحماية الفرنسية الموقعة بفاس في ٣٠ مارس ١٩١٢ ونصيب إسبانيا منها

نصت المعاهد فيما يتعلق بإسبانيا، وفي فصلها الأول على أن حكومة الجمهورية الفرنسية ستتفق مع الحكومة الإسبانية فيما يرجع لمصالح هذه الحكومة تلك المصالح المترتبة عن وضعيتها الجغرافية وعن ممتلكاتها في الشاطئ المغربي.

١١ - الاتفاق الفرنسي- الإسباني المؤرخ في ٢٧ نونبر ١٩١٢

طبقا لمعاهدة الحماية السالف ذكرها عقد اتفاق بين فرنسا وإسبانيا يوم ٢٧ نونبر ١٩١٢، الذي تم توقيعه رسميا بمراكش بخصوص ما كان يمثل إلى حد ذلك الوقت منطقة نفوذ

---

[١٩] الخديمي: المرجع السابق، ص ٣.

اسباني، فانتقلت إلى منطقة حماية اسبانية، واعتبر هذا الاتفاق السند القانوني الذي تأسست عليه حيازة إسبانيا لمنطقتها بالمغرب، وقد تألف هذا الاتفاق من ٣٦ بندا زيادة إلى ملحق وخريطتين توضيحيتين، ويحدد الاتفاق أن تسيير وحكم منطقة الحماية بشمال المغرب من صلاحيات واختصاصات الخليفة كأنه السلطان في هذه المنطقة، وبالمقابل التزام من طرف إسبانيا بإدخال الإصلاحات والحفاظ على الأمن وسن القوانين وتغييرها وتقديم المرشح لمنصب الخليفة، والذي يرتبط دوما برضى الحكومة الإسبانية عنه، ثم تنظيم إدارة أهلية محلية مساعدة للخليفة، وأخرى إسبانية مكلفة بتوجيه قرارات السلطة المغربية والإشراف على الأمن، فضلا عن هذا فقد تم وضع تنظيم قائدي وباشوي للمنطقة غير أن السلطة التشريعية في المنطقة كانت للإدارة الاسبانية المرؤوسة من مفوض إسباني سامٍ، وهو في الوقت نفسه الحاكم العام لسبتة ومليلية يساعده جهاز مراقبة وإدارة له حق التدخل وتوجيه الهيأة الإدارية الأهلية كما يريد.

وعلى صعيد آخر، فقد شمل الاتفاق مناطق في الجنوب المغربي، حيث منحت إسبانيا قطعة أرضية جنوب "وادي درعة"[٢٠] بلغت مساحتها حوالي ٢٥ كلم^{2}، ولتطبيق المعاهدة وافقت فرنسا على التخلي لإسبانيا عن قطعة أرض وحصرت حدودها شمالا عند مصب "وادي بوسدرة" وجنوبا عند مصب "وادي نون"[٢١] وشرقا عند خط يبعد عن ساحل البحر ٢٥ كلم، ومع ذلك فقد فقد اعتبرت إسبانيا أنها قد أضاعت على نفسها مناطق شاسعة في وادي الذهب والساقية الحمراء ووادي نون.

الخاتمة:

إذا كانت هذه المعاهدات وذاك النشاط الدبلوماسي والسياسي الإسباني قد ضمن المظلة القانونية والشرعية للتدخل الإسباني في شمال وجنوب المغرب، فإن الواقع العسكري يؤكد أن إسبانيا لم تخضع منطقة الشمال نهائيا إلا بعد تهدئة عسكرية كان آخر حلقاتها القضاء على مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة ١٩٢٦، كما أن إسبانيا لم تكن تحتل من الجنوب المغربي الصحراوي وإلى نهاية ١٩١٦ سوى مركز الداخلية، ولم تتمكن من السيطرة على باقي أجزاء الصحراء المغربية إلا سنة ١٩٣٩[٢٢].

وتأسيسا على كل ما سلف نستخلص أن النشاط الدبلوماسي والسياسي الإسباني إتجاه المغربي لم يتكثف إلا بعد اندحار اسبانيا أمام الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٩٨، وفقدانها

---

[٢٠] نهر مغربي يصب قرب مدينة طانطان الساحلية الصحراوية، وهو في الوقت نفسه اسم منطقة جغرافية.

[٢١] نهر مغربي قريب من وادي درعة جنوب المغرب، وهو في الوقت ذاته اسم منطقة جغرافية.

[٢٢] تنظر مناطق الاستعمار الإسباني بالمغرب في الخريطة بالملحق.

آخر مستعمراتها، فتبلور إثر ذلك المشروع المغربي كتعويض امبريالي وكمداواة لجراح إسبانيا ورفعا لمعنويات شعب وجيش ودولة.

تمثلت قوة إسبانيا خلال تكثيفها هذا النشاط الدبلوماسي والسياسي إزاء المغرب في ضعفها كدولة استعمارية من الدرجة الثانية أو الثالثة، فاستثمرت موقعها الاستراتيجي نزاعات الدول الأوروبية القوية على المغرب وتنافسها، خاصة فيما يتعلق بالضفة المتوسطية المقابلة لجبل طارق وأهمية هذه المنطقة بالنسبة لبريطانيا لتكون هذه المنطقة من نصيب إسبانيا ذلك أنها دولة يؤمن جانبها بالنسبة لبريطانيا مقارنة مع فرنسا وألمانيا في حالة سيطرة إحداهما على المنطقة، كما ساعد إسبانيا عامل القرب الجغرافي من شمال المغرب، أما الصحراء المغربية، فقد تمسكت بها لحقوقها التاريخية المزعومة فيها منذ سنة ١٤٧٦م، فضلا عن تذرعها بحاجتها إلى جهة مقابلة آمنة لجزر الكناري الخاضعة لسيادتها.

ملحق: خريطة مناطق الاستعمار الإسباني والفرنسي بالمغرب[٢٣]:



---

(٢٣) يشار إلى أن خريطة المغرب أعلاه هي التحديد المجالي الحالي لهذا البلد، وليس امتداده التاريخي إبان المرحلة موضوع المقال، حيث كان يضم المغرب دولة موريطانيا الحالية التي خضعت للاستعمار الفرنسي والذي نجح في فصلها عن المغرب، والصحراء الشرقية التي اقتطعتها فرنسا من المغرب وألحقتها بالتراب الجزائري، وكذلك الشأن بالنسبة لشمال مالي.

البيبليوغرافيا

الوثائق الرسمية:

- اتفاقية ٢٧ يونيو ١٩٠٠ بين فرنسا وإسبانيا.
- الاتفاقية الإسبانية الفرنسية الموقعة يوم ١١ نونبر ١٩٠٢.
- نصيب إسبانيا من التصريح الفرنسي الإنجليزي المبرم في لندن بتاريخ ٨ أبريل ١٩٠٤.

وفصوله الإضافية السرية الملحقة به يوم ١٨ أبريل ١٩٠٤.

- الاتفاق السري بفاتح شتنبر ١٩٠٥ والمتعلق بضبط تسيير الاتفاقية الفصول الإضافية السرية (١٨ أبريل ١٩٠٤) الملحقة بالتصريح الفرنسي الإنجليزي المبرم في لندن بتاريخ ٨ أبريل ١٩٠٤.
- ميثاق مؤتمر الجزيرة الخضراء المؤرخ في ٠٧ أبريل ١٩٠٦.
- معاهدة الحماية الفرنسية الموقعة بفاس في ٣٠ مارس ١٩١٢.
- الاتفاق الفرنسي– الإسباني المؤرخ في ٢٧ نونبر ١٩١٢.

المراجع:

- الأزرق، رشيد: المغرب في سياق العلاقات الدولية من سنة ١٩٠٤ إلى سنة ١٩١٢، ضمن: المغرب من عهد العزيزي إلى سنة ١٩١٢، الجزء الأول، الجامعة الصيفية، المحمدية، ١٩٨٧.
- الخديمي، علال: مؤتمر الجزيرة الخضراء ١٩٠٦، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، الجزء الأول، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير الرباط، ٢٠٠٦.
- الغربي، محمد: الساقية الحمراء ووادي الذهب، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧.
- فنيتير، المصطفى: المطامع الاستعمارية الإسبانية في الصحراء المغربية خلال ق التاسع عشر وق العشرين ، ندوة علمية عن جهاد الصحراء، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ١٩٩٨.
- مرتين، ميكل: الاستعمار الإسباني في المغرب، ١٨٦٠ – ١٩٥٦، ترجمة عبد العزيز الوديي، منشورات التل، الرباط، ١٩٨٨.

من أيامِ العربِ التي أغفلتها كتبُ الأيامِ

الأستاذ الدكتور عبداللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد – كلية الآداب

الملخص:

الأيامُ جمعُ كلمة يومٍ، وهي ترمزُ الى وقوعات القبائل العربية ومغازيها فيما بينها في عصر ما قبل الإسلام وفي الإسلام ، فهي إذاً تمثلُ سجلَ مفاخرها ومآثرها وبطولاتها؛ لذلك اهتموا بها كثيراً؛ وحافظوا عليها من الضياع والاندثار، فتناقلوها من جيلٍ الى جيل، مخلدين ذكرياتها في أشعارِهم، وتُعدّ الأيام من أهم وثائق القبائل العربية التي تعتز فيها وتفتخر؛ ولعلّ أولَ من التفت الى أهميتها؛ ودوّنها وحفظها في كتاب، هو العالم الراوية أبو عُبيدة، وذلك حينما جمعَ نقائض جرير والفرزدق وشرحها؛ إذ كانت النقائضُ تضم بين دفتيها أيام العرب ومفاخرها التي ذكرها جريرُ والفرزدقُ في نقائضهم، فوثقها أبو عبيدة وشرحها؛ ولكنَّ هذا لا يعني أنَّ ما ذكرته قصائدُ النقائض يمثلُ كلّ أيام العرب، بل كانت هناك أيامٌ كثيرة لم يتطرقْ اليها جرير والفرزدق، ولم ترد في قصائدهم، وبذلك لاقت الإهمال والنسيان، وأطاح الزمن بكثيرٍ منها، فذهبتْ أدراج الرياح، ولم تحظَ بالعناية والحفظ، وعن أبي عُبيدة وكتابه الأيام نقلت كتب التاريخ والكتب الأخرى أخبارها ووثقتها .

المقدمة:

وفي دراستي للشعر العربي الذي سبق الإسلام وجدت هناك عدداً من الأيامِ أغفلتها كتب الأيام؛ ولم تشر إليها، وحاولت في هذا البحث البسيط جمع ما وقفتُ عليه والإشارة اليه، ولفت النظر له؛ ليطلع القرّاء الكرام عليها، وعملي في هذا البحث سيكون مقصوراً على ذكر الأيام التي وقفت عليها أنا، مستنداً الى ما ذكره الشعراء في أشعارهم، أو ما وقفتُ عليه من الأخبار، ومن ثَمَ أحددُ اليوم بين من جرى من القبائل، وما جرى فيه وحدث، معززاً بالأشعار إنْ وُجدتْ، وأرجو من الله التوفيق والسداد، والأيام التي وقفت عليها هي على النحو الآتي:

١– يومُ الإمرار [١]

في يومِ الشقيقةِ [٢] غزتْ قبيلةُ بكر بن وائل ممثلةً ببني شيبان قبيلةَ ضبَّة؛ واستاقوا أموالها،

---

[١] الإمرار: جبل يقع في ديار بكر في ارض تسمى الخوع؛ ينظر مادة الخوع من كتاب معجم ما استعجم: مادة الخوع .

[٢] يوم الشقيقة أو ما يعرف نقا الحسن وهو يوم لبني ضبّة على بني شيبان: النقائض: ١ / ١٣٧؛ العقد الفريد: ٣ / ٣٥٢؛ الكامل في التاريخ: ١/ ٣٧٩

وجاء الصريخُ [٣] منادياً واصباحاه؛ فلحقهم فرسانُ بني ضبَّة وأدركوهم في المراعي في منطقة الشقيقة، وجرى بين الطرفين قتالٌ شديدٌ، انتهى بانتصار بني ضبَّة على بني شيبان، وهزيمتهم ومقتل قائدهم بسطام بن قيس سيد بني شيبان على يد مجنون قبيلة ضبَّة عاصم بن خليفة، بعد أنْ طعنه بالرمح في صماخِ أذنه حتى أخرج السنانَ من الطرف الآخر فقال عاصم [٤]:

هذا وفي الحفلةِ لا يدعوني

وفي هذا اليوم قتل بنو ضبَّة رجالاً كثيرينَ من بني شيبان فضلاً عن أسرهم سبعين فارساً منهم؛ فقال الشاعر محرز بن المُكعبر الضبّي مفتخراً بذلك[٥]:

أطلقتُ من بني شيبانَ سبعينَ عانياً

فآبُوا جميعاً كلهم ليسَ يشكرُ [٦]

إذا كنتَ في أفناءِ شيبانَ مُنعماً

فجزُّ اللحى إنَّ النواصيَ تكفرُ

فيما قال شمعلةُ بن الأخضر الضبّي مفتخراً بمقتل بسطام بن قيس سيد بني شيبان [٧]:

شككنا بالرماحِ وهُنَ زورٌ

صماخَي كبشِهم حتى استدارا [٨]

فخرَّ على الألاءةِ لم يوسدْ

وقد كانَ الدماءُ لهُ خِمـارا

قال الرواة أنَّ ثأرَ بسطام لم يُدركْ؛ والحقيقة أنَّ ثأرَ بسطام تم ادراكهُ في يوم الإمرار؛ وذلك بعد قيام تجمع الرَّباب وضبَّة بالتعاون مع بني منقرٍ من تميم بغزوِ بني شيبان بزعامة زيد الفوارس سيد قبيلة ضبَّة والرَّباب؛ يساعده أعبد بن فدكي المنقري؛ فقد غزُوا بني شيبان في ديارهم في أرض الخوع في ديار بكر؛ وجرتْ بينَ الطرفينِ معركةً حاميةً قُـتِلَ فيها سيد قبيلة ضبّة زيدُ الفوارس زعيم الغزاة في ذات العرادس؛ قتلهُ التيميانِ: عمرو وأبو عمرو ابنا عبد العزى؛ ويُعرفان بالمسلبين[٩]؛ فقال قيس بن عاصم المنقري سيد بني منقر من تميم يرثي

---

[٣] الصريخ هو الشخص الذي يخبر قومه بحدوث الغارة عليهم؛ وصباحاه تعني أنَّ وقت الغارة كان في الصباح الباكر .

[٤] البخلاء للجاحظ: ١٩٨

[٥] النقائض: ١ / ٣٢٦

[٦] عانياً: أسيراً

[٧] كتاب الخيل لأبي عبيدة: ٤٣

[٨] كبشهم: زعيمهم وعنى بذلك بسطام بن قيس الشيباني

[٩] المسلبان: لأنَّهما سلبا زيد الفوارس سلاحه وثيابه

زيد الفوارس[١٠]:

لقد غادرَ السعدانُ حزماً ونائِلاً

لدى جبلِ الإمرارِ زيد الفوارسِ

فلو كان حياً صاحب الخوعِ لم تقظْ

سدوسٌ ولا شيبانُ ذات العرادسِ

٢- يومٌ مهمٌ أهملتْ المصادرُ ذكرَ اسمهِ أو نسيته، ولقيمته الخبرية سجلتُهُ هنا؛ واليوم يتمثل في أنَّ قبيلةَ كلبٍ وهي قبيلةٌ عربيةٌ مشهورةٌ سكنتْ في بادية السماوة وبادية الشام، وهي ذاتُ عددٍ وعدةٍ، وكانت في مسكنها محاذيةً لقبيلة طيّيء من الناحية الشمالية الغربية، وكانت بينهما جولاتٌ وصولاتٌ، وأيامٌ ومغازٍ متبادلة يكون الظفر فيها يوماً لقبيلة طيّيء وآخرَ لقبيلة كلب، وفي أحدى الغارت المباغتة لقبيلة كلب على قبيلة طيّيء أسرتْ مجموعة من رجالها من بينهم عدي بن حاتم الطائي، وكان قائد هذه الغارةِ هو قِعسيس رئيس بني جناب من كلب، فأخذه شُعيبٌ بن ربيع ابن مسعود العُليمي من قِعسيس وقال له: ما أنتَ وأسر الأشراف ؟ ومنَّ على عديٍ بغيرِ فداءٍ [١١]؛ فقال الشاعر عدي بن الرقاع العاملي مفتخراً بذلك[١٢]:

ونحنُ فككنا عن عَدي بن حاتمٍ

أخي طيّيّءِ الأجبالِ غِلاً مُحرما

فرّد عليه بشر بن عُليق الطائي ناقضاً قولهُ؛ ومُفنداً ادعاءَهُ فقال[١٣]:

كذبتَ ابن شُعلٍ ما فككتَ ابن حاتمٍ

ولا كانَ في الأقوامِ جدكَ مُنعما [١٤]

ولكنما فادى عَديَ بن حاتــمٍ

عُليمٌ وقد كانتْ لهُ مُتكرما [١٥]

٣- يوم أبضة

هو يومٌ لقبيلة طيّيء على قبيلة عاملة، فقد ادعى الشاعر عدي بن الرقاع العاملي بأنَّ قبيلتَهُ وجدَّهُ، هُم من أسروا عَدي بن حاتم الطائي، ومن بعد أسرهم إياه منوا عليه،

---

[١٠] معجم ما استعجم: ٢ / ٥١٨

[١١] الاشتقاق: ٣٧٤

[١٢] الاشتقاق: ٣٧٤؛ الأعلام: ٤ / ٢٢

[١٣] غِلا: قيدا

[١٤] شُعل: هي إحدى بطون كهلان؛ الاشتقاق: ٣٧٤

[١٥]عُليم بطن من بطون قبيلة كلب بن وبرة؛ الاشتقاق: ٥٤١

وفكوا قيوده وأطلقوا سراحه، فردَّ عليه الشاعر الطائي بشر بن عليق مُفنداً ادعاءَهُ بعدم مقدرتهم على حماية جارهم، فكيف يفكوا قيود عدي ويطلقوا سراحه، وأنْ لا مكرمة لقبيلة عاملة فقال في ذلك [١٦]:

أ عاملَ ما بالِ الخَنا تقذفوتـهُ

من الغورِ مسدًى بالقوافي وملحما [١٧]

بني الرقاعِ ما لقولكَ ينتمـي

وكنتَ أحقَ الناسِ ألا تكلمـا [١٨]

عهدتكُ عبداً لستَ من أصلِ معشرٍ

عن المجدِ مقطوعُ السواعدِ أجذما

وهل كنتَ إلا فقعُ قاعٍ يقرقِـرُ

وساقطةٍ بينَ القبائلِ مُسلمـا [١٩]

تلوذُ بقومٍ لستَ منهم وتعتـزي

إليهم ولم تعصمْ من الذُّلِ مِعصما

وما تركَ الأعداءُ والحربُ مسمعاً

لرأسكَ إلا مُستذلا مُصلمـا [٢٠]

وما تمنعونَ الجارِ منكم بذمـةٍ

تحوطُ ولا توفي دماؤُكم دمـا

لعمري لقد أرداكم يومَ أبضـةٍ

فتىً كانَ حامٍ للحقيقةِ مُعلمـا [٢١]

فتىً كان قوادُ الجيوشِ إلى العدى

شجاعاً إذا هابَ الفوارسَ أقدما[٢٢]

فأحلفُ ما هرقتم بعدهُ دمـا

---

[١٦] مساكن قبيلة طيّئ: ٦٩

[١٧] عاملة: قبيلة عربية وهي من قضاعة؛ وهم حلفاء لقبيلة كلب؛ جمهرة نسب العرب: ٤١٩ – ٤٢٠؛ الغور: أراد تهامة .

[١٨] ينتمي: من نمى القول؛ ونميت الحديث الى فلان إذا اسندته ورفعته إليه .

[١٩] الفقع: نوع من الكماة بيضاء رخوة؛ يُشبهُ بها الرجل الذليل .

[٢٠] مصلم: مقطوع الأذن من أصولها

[٢١] أبضة: ماء لقبيلة طيّئ؛ الحقيقة أراد ما يحق على الرجل أن يحميه

[٢٢] فتى: إشارة الى عدي بن حاتم الطائي

ولا قبله في سالفِ الدهرِ مِحجما

ولكنما لاقيتمُوهُ بغـــرةٍ

وكانت عليكم بعدُ وقعةَ أشأمـا [٢٣]

٤- يومُ المجر [٢٤]

المجر يومٌ لقبيلة طيّيء على قبيلة عاملة؛ تناسته كتب الأيام؛ ولم تشر إليه ولكنَّ الشاعر الطائي بشر بن عُليق وثقهُ في شعره فقال [٢٥]:

أخذناكمُ يومَ المجرِ فكنتـُم

نهاباً وسبياً بيننا مُتقســما[٢٦]

صبحناكم والخيلُ شعثٌ عوابسٌ

صفائحُ بُصرى والوشيجُ المقوما[٢٧]

أبى لكم أنْ تفخروا بعد أننـا

سقيناكم صاباً ممراً وعلقما[٢٨]

وإنّا صبحنا اليزنية منكــم

دماً ثم روينا الصفيحَ المصمما[٢٩]

ورحتم بأعضادِ المطايا جنابنـا

تشكون مصحوباً من القدِّ مُحكما

تسوقُ عضاريطَ الركابِ نساءَكم

وقد غادروا منهن نوحاً ومأتما[٣٠]

ينُحنَ على قتلاكم عندَ معركٍ

تركنا به هاماً يصيحُ مُهشما[٣١]

---

[٢٣] بغرةٍ: بغفلةٍ

[٢٤] المجر: غدير كبير يقع في بطن قوران؛ ويقال له: ذو مجر من ناحية السوارقية؛ معجم البلدان: ٥ / ٥٨

[٢٥] قصائد جاهلية نادرة: ١٨٧ – ١٩٠

[٢٦] يوم المجر: يوم لطيّيء على عاملة .

[٢٧] الصفائح: السيوف العريضة؛ الوشيج: تشابك الرماح وتشاجرها .

[٢٨] الصاب: هو عصارة شجرة، مرُّ الطعم؛ العلقم: الحنضل؛ وهو نبات صحراوي شديد المرارة .

[٢٩] اليزنية: رماحٌ تنسب إلى ذي يزن أحد ملوك حمير؛ الصفيح المصمم: السيوف القاطعة .

[٣٠] العضاريط: الخدم؛ والعضرط: هو الخادم الذي يعمل بطعام بطنه فقط .

[٣١] معرك: موضع الحرب؛ الهامة: الرأس وأراد هنا طير الليل؛ وهو الصدى؛ وكانت العرب تزعم أنَّ روح القتيل الذي لا يُدرك ثأره تصير هامةً فتزقو عند قبره وتصيح: اسقوني .... اسقوني فإذا أدرك ثأره طارت .

في هذا اليوم أغارت قبيلة طيّيء على قبيلة عاملة، فاستاقت أموالها وقتلت فرسانها وسبت نساءها، وجعلت نساء عاملة يبكين قتلاهن وما جرى عليهن من الذل والهوان .

٥- يوم سُميراء [٣٢]

يوم سُميراء من أيام قبيلة طيّيء على قبيلة أسد؛ لم تذكره كتب الأيام ولكنَّ الأعرج الطائي وثقه في شعره حين قال [٣٣]:

إنا تركنا لدى الهلتى أبا جُعَلٍ

ينوءُ في الرمحِ والأقتابُ تندلقُ[٣٤]

أجرُهُ خيبري صدرً مُطـردٍ

فيهِ سنانَ كنجمِ الرجمِ يأتلـقُ[٣٥]

إنَّ الفوارسَ من جَرْمٍ ومن ثُعلِ

آلوْا بآبائِهم أنْ تمنعَ الطـرقُ

أضحتْ سُميراء تردى في جوانبِها

خيلٌ عليها فتوءُ الوغى صدقُ[٣٦]

وأنـي أرجح أنَّ هذا اليوم حدث بعد قيام الشاعر الأسدي بشر بن أبي خازم بهجاء أوس بن حارثة سيد قبيلة طيّيء، وقد يكون هذا اليوم هو اليوم الذي أسرت فيه طيّيء بشر بن أبي خازم، وجاءوا به مُقيداً الى سيدهم أوس بن حارثة، الذي أطلق سراحه بأمرٍ من أمهِ سُعدى .

٦- يوم خُوي [٣٧]

خُوي من أيام قبيلة طيّيء على قبيلة أسد اغفلته كتب الأيام؛ إلا أنَّ الشاعر أبو قردودة وثقه في شعره في قوله [٣٨]:

وإنا أدعقنا برغمِ الأنوفِ حمى أسدٍ بالخـوي إدعاقـا[٣٩]

---

[٣٢] سُميراء: موضع يقع قرب المدينة المنورة؛ وفيه عسكر طليحة الأسدي في ردته؛ معجم البلدان: ٣/ ٢٥٦

[٣٣] قصائد جاهلية نادرة – القسم الأول: ٢٧٥ – ٢٧٧

[٣٤] الهلتى: نباتٌ إذا يبس صار أحمراً، أبا جُعل: أحد فرسان بني أسد قتلته طيّيء في يوم سابق .

[٣٥] خيبري: رمح منسوب إلى خيبر

[٣٦] سُميراء: منزل بطريق مكة بعد جبل ثور مصعداً، وقبل الحاجز حوله جبالٌ وآكام سود، يقطنه معظم بني أسد وفيه جرى هذا اليوم .

[٣٧] خوي: وادي بناحية الحمى من وراء نهر ابي موسى؛ ماؤه معين؛ معجم البلدان: ٢/ ٤٠٨

[٣٨] شعر بشر بن عليق

[٣٩] ادعقنا: وطئنا .

صلقناهم باللـوى صلقـةً   سقتهم من الموتِ كأساً دهاقا[٤٠]

فأضحتْ بنو أسدٍ بعدها   تشيمُ بشعفين برقــاً ألاقـا[٤١]

٧- يوم الإكليل

يوم الإكليل هو يومٌ لعُمير بن الحُباب السُلمي على بني جُلاحٍ من قبيلة كلب، وكذلك يعرف هذا اليوم بيوم الجوف، وخلاصة هذا اليوم أنَّ عُمير ابن الحُباب السلمي أغار على بني جُلاح فلقي جمعاً منهم بالإكليل، فقتل منهم عدداً كبيراً؛ فقالت هند الجُلاحية الكلبية:

ألا هل ثائرٌ بدمــاءِ قــومٍ   أصابهم عُمير بن الحُبابِ

وهل في عامرٍ يومــاً نكيــرٌ   وحيـي عبد ودٍّ جنــابِ[٤٢]

فإنْ لم يثأروا من قد أصابـوا   فكانوا أعبُداً لبني كـلابِ[٤٣]

أ بعدَ بني الجُلاحِ ومن تركتم   بجانب كوكبٍ تحت الترابِ

تطيبُ لغائرٍ منكم حيــاةٌ   ألا لا عيشَ للحيِّ المصابِ

بعد ذلك اجتمعت كلب فقاتلهم عُمير، وأصابهم؛ ثم كرر غارته عليهم فلقي جمعاً منهم بالجوف فقتل منهم مقتلة عظيمة، فقال عُميرٌ مفتخراً بذلك راداً على هند الجُلاحية [٤٤]:

ألا يا هندُ هندَ بني جُلاحِ   سُقيتِ الغيثَ من قُللِ السحابِ

٨- يوم بطنان [٤٥]

وهو يومٌ لكلب على قيس، وبُطنان وادٍ يقع بين منبج وحلب، فيه قرىً كثيرة متصلة، ومياه جارية، وموقعُهُ جنوب قنسرين[٤٦]، قال جواس بن قعطل [٤٧]:

فلو طاوعوني يومَ بُطنانَ أسْلِمتْ   لقيسٍ فُروجٌ منكم ومقاتلُ

٩- يوم جبلة [٤٨]

حدث هذا اليوم قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة، وكان للنعمان بن المنذر على عامر بن

---

[٤٠] صلقناهم: ضربناهم، الصلقة: الصدمة في الحرب، كأسا دهاقاً: كأسا مملوءة .

[٤١] تشيم البرق: تتطلع إلى موضعه ببصرها، الشعفين: موضع بغور تهامة، البرق ألاق: البرق اللامع .

[٤٢] عامر: المقصود عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة؛ ينظر النسب الكبير: ٣٥٧/٢

[٤٣] كلاب: هو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة؛ وهم بطن عظيم من بني عامر بن صعصعة من قيس عيلان؛ ينظر جمهرة أنساب العرب: ٢٨٢

[٤٤] الأغاني: ٢٤ / ٢٧

[٤٥] بطنان: موضع يقع في أرض الشام؛ معجم البلدان: ٤٤٨/١

[٤٦] معجم البلدان: مادة بُطنان

[٤٧] ديوان شعراء كلب بن وبرة: ٢ / ٤٥٩

[٤٨] جبلة: هضبة حمراء تقع في بلاد نجد بين الشُريف والشرف؛ وفيها ماء لبني نُمير؛ الأغاني: ١١/ ١٣٧

صعصعة طلباً لأخذ ثأرِ معبد بن زرارة [٤٩] ولم أقف على شعر يوثق هذا اليوم .

١٠- يوم نُهادة

يوم نُهادة من الأيام التي حدثت بين بطون كلب نفسها، وقع في منطقة الرَّبذة وما خلفها الى جبل طِمية، فقد قال ابن الكلبي: كانت كلب كلها يداً على بني كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور ابن كلب، وفي هذا اليوم قُتِلَ المُسكّر بن عمرو بن الحارث، وكان رئيساً لبني عبدالله بن نُهادة بن جعفر بن أبي خلاس، قتله القذعمل ابن الربيع بن حارثة؛ وهو من فرسان قبيلة كلب في الجاهلية [٥٠]؛ فيما كان على بني كنانة ثعلبة بن خيبري بن سلمة بن عمري [٥١] ولم أقف على شعر يوثق هذا اليوم .

١١- يوم الحَجْر [٥٢]

في هذا اليوم غزا جُزيُ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبي بني القين، ورئيسهم يومذاك هلال القيني من بني حُبى، فقتلهُ ربيع بن زياد بن سلامة، وقد افتخر جواس بن القعطل بذلك في شعره فقال [٥٣]:

ويوم الحَجْرِ نازلنا هلالاً   على دهشٍ وحدُّ السيفِ نابِ
فاقعى سيد القين بن جسرٍ   ربيعٌ عند معمعةِ الضِّرابِ

١٢- يوم كلب

وهو يومٌ لقبيلة ضبّة على قبيلة كلب، فقد غزا ضِرار بن عمرو الضبّي مع قومه بني عدي بن جناب من كلب، فأصابَ ضِرارٌ منهم يومئذٍ أهل بيت عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب، وكان صديقاً لضِرار، وفيمن سبى ضِرار كانت سلمى بنت وائل الصائغ، وكانت أمةً له، وأمها واختين لها، وسلمى هي أم النعمان بن المنذر بن ماء السماء، ولم يكن عمرو حاضراً وقت الغارة، فلما جاءه الخبر تبع ضِراراً وقال له: أنشدك المودة والإخاء، فإنك قد أصبت أهلي فأرددهم علي، فجعل يردهم واحداً واحداً حتى بقيت سلمى واختاها، وكانت سلمى قد أعجبت ضِرار، فسأله ردهنَّ فردَّ اختيها وأبقاها؛ فقال عمرو: يا ضِرار اتبع الفرس لجامَها، فأرسلها مثلاً فردها عليه، ومما زاده قوله: والدلو رشاءها [٥٤] .

---

[٤٩] النسب الكبير: ٢ / ٣٩٣

[٥٠] النسب الكبير: ٢ / ٣٨١ – ٣٨٢

[٥١] النسب لكبير: ٢ / ٣١٨

[٥٢] الحجر: ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام؛ ٢معجم البلدان: / ٢٢١

[٥٣] أمثال العرب – للمفضل الضبّي: ٢٧ – ٢٨؛ وجمهرة الأمثال: ١/ ٩٢

[٥٤] أسماء خيل العرب وفرسانها: ٧٨

وكان كلجُ الضبَّي من فرسان قبيلة ضبّة الذين شاركوا في هذه الغزوة؛ وهو فارس الدخيل فقال مفتخراً بعدما قتل فضالة وعقروا فرسه، وفضالة هو أبو دحية الكلبي [٥٥] .

أبدلتكم منه الدخيـ......ـل يكوس فاختلط حباله

١٣- يوم المِعا

وهو يوم لتميم على كلب؛ وفي هذا اليوم قُتل عبدالله بن الرائش الكلبي، فقال بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة [٥٦]:

ولقد رحلتُ على المكاره واحداً بالصيفِ تنبحني الكلابُ الحُصَّرُ

وطعنتُ عبدالله طعنةَ ثائـرٍ وبأيكم يـوم المِعـالم أثــرِ

فطعنته نجلاءَ يهدرُ فرغُهـا سنن الفروعِ من الرباطِ الأشـقرِ

وبدرٌ هذا هو أبو الشاعر المعروف الزبرقان بن بدر الصحابي .

١٤- يوم الغُوَير [٥٧]

في هذا اليوم أغار عُمير بن الحُباب السُّلمي القيسي على بني كلب وكان رئيسهم يوم ذاك حُميد بن حُريث بن بحدل وذلك في أيام الفتنة بين عبدالملك بن مروان وعبدالله بن الزبير، وسبب هذا اليوم هو أنَّ عُمير بعث الى حُميد رجلاً من بني نُمير، وأمره أن يدعوه الى أنْ يجيب رجلاً صاحب عقدٍ خرج قبل يومين من دمشق، وأمره أنْ لا يهيجه حتى يأتيه به، لأنَّ حُميد إذا ركب فرسه الحُسامية لم يدرك، فلما جاءه النُميري ركب فرسه الحُسامية وخرج يسير في أثر النُميري حتى طلع النُميري على عُمير، وكان حُميد قد قتل رجلاً من بني نُمير قبل ذلك، فحدثت النُميري نفسه بقتل حُميد فعطف عليه وولى حُميد هارباً تاركاً عسكره وراء ظهره، فمال عُمير وأصحابه على عسكر حُميد فاستباحوهم [٥٨] .

١٥- يوم الروضة

في هذا اليوم أغارت كلب على بني ذُهل، فظفرت بهم بنو ذُهل بعدما طردوا النعم ، وذُهل هو ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر [٥٩] .

١٦- يوم عُنازة

حدثَ هذا اليوم بين قبيلة كلب وبني شيبان؛ فقد أنذر عرفطة بن دعص ابن مسعود بن

---

[٥٥] جمهرة النسب: ١ / ٣٤٨؛ جمهرة انساب العرب: ٣١٨

[٥٦] الأغاني: ٢٤ / ٢٧ – ٢٨

[٥٧] الغوير: تصغير غور وهو ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام؛ معجم البلدان: ٤ / ٢٢٠

[٥٨] أسماء خيل العرب وفرسانها: ٩٣

[٥٩] النسب الكبير: ٢ / ٣٤٣

جنادة بن صهبان قومه يوم عُنازة وكان مجاوراً في بني شيبان، وبنو صهبان من قبيلة كلب [٦٠]، ولم يذكر المصدر لمن كانت الغلبة في هذا اليوم .

١٧- يوم القطفطانة [٦١]

حدثَ هذا اليوم بين قبيلة كلب وبني شيبان، وفيه أغار المُذَّمم بن عوف بن عامر الأكبر، وكان فارساً يغير على قبائل بكر بن وائل، فقتل من بني شيبان وسبى [٦٢] ولم أقف على شعر حتى اليوم .

١٨- يوم ظَبْي

في هذا اليوم قتل سُويد بن مالك وصهبة بن طارق النمريان رجلاً من قبيلة كلب، يُسمى ابن مرفق؛ وكان أسيراً في بني حُييّ بن ربيعة من النمر، وتسبب هذا القتل في يوم الظَبْي؛ فقال دينارُ بن شيبان النمري [٦٣]:

ومن حُماة النَّمر يوم ابن مرفق   بظَبْي وأطرافِ الرماحِ تصبَّبُ

١٩- يوم البيداء

وهو من أقدم أيام العرب، وكان بين قبيلتي كلب وبني عبد مناة بن أدّ ابن طابخة على حمير، ولهم فيه أشعارٌ كثيرة ضاعت مع ما ضاع من أشعار العرب، وفي هذا اليوم قُتِل علقمة بن ذي يزن من حمير [٦٤] .

٢٠- يوم سييف

بوم سييف من أيام العرب على الفرس، وكان لكلب على الفرس، حدث هذا اليوم خلال حكم أياس بن قبيصة الطائي على الحيرة [٦٥]، وفي أحداث هذا اليوم ألف ابن كلبي كتاباً سماه ((يوم سييف))؛ ولكنَّ الكتاب للأسف فقد مع ما فقد من المخطوطات العربية، ومع ذلك فأخبار هذا اليوم نادرة جداً، ولم أقف إلا على بعض الإشارات التي لا تغني ولا تسمن في كتاب النسب الكبير [٦٦] .

---

[٦٠] ديوان كلب بن وبرة: ١٠٠

[٦١] القطفطانة: ويقال القطقطانة؛ موضع يقع قرب الكوفة من الجهة البرية بالطف؛ وهي تبعد عن الرهبة باتجاه الغرب عشرين ميلاً إذا خرجت من القاسية تريد الشام ثم قصر مقاتل ثم السماوة؛ معجم البلدان: ٤ / ٣٧٤

[٦٢] ديوان كلب بن وبرة: ١٠٦

[٦٣] معجم الشعراء: ٤٥٩؛ مجمع الأمثال: ٤٣٨/٢؛ حماسة التبريزي: ٣١٣/١؛ نهاية الأرب: ٤٥٩؛ ديوان كلب بن وبرة: ١١٤ – ١١٥

[٦٤] ديوان كلب بن وبرة: ١٣٠

[٦٥] النسب الكبير: ٢/ ٣١٨؛ ٣٧١؛ ٣٤٤؛ ٣٨٠؛ ٣٢٦؛ ٣٧٩

[٦٦] معجم البلدان: ٤ / ٣٤

٢١- يوم ذي طريف

وقع هذا اليوم بين قبيلة عبدالقيس ولُجيم، وذي طريف موضع يقع في بلاد البحرين، وهي أرض وعرة ومقفرة ؛ حدثت فيه المعركة بين الطرفين، كان ثعلبة بن سَبْر رئيساً لبني لُجيم؛ فقال المفضل العبدي في هذا اليوم [٦٧]:

تلاقينا بغيبةِ ذي طريفٍ ... وبعضهم على بعضٍ حنيقُ

فجاءوا عارضاً برداً وجئنا ... كسيلِ العرضِ ضاق به الطريقُ

مشينا شطرهم ومشوا إلينا ... وقلنا اليومَ ما تقضى الحقوقُ

رمينا في وجوههم برشقٍ ... تغصُ به الحناجرُ والحلوقُ

كأنَّ النبلَ بينهم جرادٌ ... تكفيهِ شاميةٌ خريقُ [٦٨]

....

لقينا الجهمَ بن سبْر ... أضرَ بمن يجمعُ ويسوقُ

لدى الأعلام من تلعاتِ طفلٍ ... ومنهم من أضجَ به الفروقُ

فحوطُ عن بني عمرو بن عوفٍ ... وأبناءِ العُمورِ بها شقيقُ

وهذه القصيدة هي من منصفات الشعر العربي [٦٩] .

٢٢- يوم العطيف

وهو من أيام قابوس بن هند وأخاه عمرو بن هند ملك الحيرة على عبدالقيس[٧٠]، وأرجح أنَّ العطيف هي القطيف وهنا جاءت محرفة، قال سُويد بن الخذَّاق [٧١]:

جزى الله قابوس بن هندٍ بفعله ... بنا وأخاهُ غدرةً وآثاما[٧٢]

بما فجرا يوم العطيف وفرَّقا ... قبائل أحلافاً وحياً حراما

لعلَ لبونَ الملك تمنعُ درها ... ويبعثُ صرف الدهرِ قوماً نياما

وإلا تغاديني النيةُ أغشكم ... على عدواءِ الدهرِ جيشاً لُهاما[٧٣]

---

[٦٧] الأصمعيات: ١٩٩؛ شعر عبدالقيس: ٣٢٤/١

[٦٨] شعر عبدالقيس: ٣٧٠/١

[٦٩] الأصمعيات: ١٩٩

[٧٠] الشعر والشعراء: ١/ ٣٨٧؛ شعر عبدالقيس:١ / ٣٧٠؛

[٧١] قابوس بن هند حكم الحيرة لمدة أربع سنوات بعد مقتل أخيه عمرو ابن هند .

[٧٢] تغاديني: تتركني؛ عدواء: شواغل؛ صنائع؛ اللهام: الجيش اللهام هو الجيش الكثير الذي يلتهم كل شيء ويغتمر من دخل فيه ويغيبه ويسترقه؛ الشعر والشعراء:١/ ٣٨٧

[٧٣] تغاديني: تباكرني

٢٣- يوم برقة قادم

هو يومٌ لقبيلة ضبَّة على بني مصادٍ من قبيلة كلب [٧٤]، ذكره الشاعر العلاء بن قرظة الضبّي في قوله [٧٥]:

ونحنُ سقينا يومَ برقةَ قادمٍ مصادَ نفيلٍ بالدّعاقِ المُسممِ

يقول العلاء في هذه الغارة ضربنا (دعقنا) بني مصاد في جنبيهم، والدعق هو ضرب الفرس برجلي الفارس من جانبيها للتسرع به، ويكون في هذا الضرب، نوع من الشدة، وبرقة قادم موضع ذكره ياقوت الحموي في معجمه .

٢٤- يوم ذاتِ الحناظِل

هذا اليوم حدثَ بين قبيلتي تميم وأسد، فقد أغارَ عمرُو بن أبيز في بني كعب بن سعد بن زيد مناة من قبيلة تميم على قبيلة أسد، فالتقى الطرفان في موضع ذات الحناظِل [٧٦]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، قُتِلَ فيه من الطرفين مجموعة من الفرسان، كانَ أبرزهم معقِل بن عامر الأسدي رئيس بني أسد، قتله عمرُو بن أبيز، وبعد مقتل معقِل نعتهُ أختهُ قائلةً [٧٧]:

ألا إنَّ خيرَ الناسِ أصبحَ ثاوياً قتيلُ بني سعدٍ بذاتِ الحناظِـلِ

صبرتَ على حدِّ الرماحِ كأنَّها غداة توالى فيكَ وسميٌّ وابـلِ

فإنْ تكنْ الغاراتُ أردينَ معقِلاً وأصبحَ رهنَ القاعِ بين الأعاولِ

فما كانَ وقّافاً إذا الخيلُ أحجمتْ ولا طائشاً نكساً غداةِ المناصلِ

وقد كانَ مغياراً على كلِّ حُرَّةٍ وفارسِ أفراسٍ وكهفِ أرامِـلِ

أما عمرُو بن أبيز فارس تميم فقد افتخر ببطولته وقتلهِ لمعقِلٍ بن عامر فارس بني أسد فقال [٧٨]:

بني أسدٍ إنّا تركنا سراتكُم غداةَ التقينا حولَها الطيرُ تَحْجِلُ

ونحنُ طعنّا معقِلاً فكأنَّما هوى من طِمارٍ يومَ ذلك معقِلُ

فظلَّ مُكباً والكتيبةُ حولهُ يمجُّ دماً منهُ نياطٌ وأبجـلُ

---

[٧٤] الإشتقاق: ٥٦٦

[٧٥] معجم البلدان، مادة: برقة قادم .

[٧٦] معجم البلدان مادة: حناظل وهي اسم موضع

[٧٧] الأنوار ومحاسن الأشعار: ٧٧

[٧٨] المصدر السابق نفسه: ٧٨

٢٥- يوم الأثلب

يومٌ من أيام العرب، وكان لتغلبَ على عُليا هوازن (بنو عامر) فقد قادَ القرطُ بن السُفيح بن السّفاح التغلبي غزواً على بني عامرٍ في عقرِ دارهم، وبعد أنْ كلتْ خيلهم وأصابها التعبُ وصلوا الى ديار العامريين، فوجدوهم مجتمعين في منطقة الأثلب، فحذروه ولكنه لم يستمع الى تحذيرهم، فقاتلوه قتالاً شديداً كثرتْ فيه القتلى من الطرفين، فانهزمت تغلب في أول الأمر، ولكنَّ قائدهم القرطُ كشف رأسه، وصاحَ بأعلى صوته: يالَ مالكٍ، يا ألَ أسامةٍ الى أين ؟ وذمرهم فتراجعوا، وهنا حمل القرطُ قائد تغلب على مُلاعب الأسنة أبي براء قائد العامريين، فطعنه بالرمح فأراده عن فرسه، ولما سقط على الأرض تحامتهُ فرسان بني عامر حتى استنقذوه، وبعد ذلك انهزمت عُليا هوازن (بنو عامر)، والقرطُ يلاحقهم، فلا يلحقُ بفارسٍ إلا قتله، فغنمتْ تغلب أموالهم وسبتْ عدداً من نسائهم، فقال القرطُ مفتخراً بذلك [٧٩]:

يا ميَّ لو ابصرتني وفوارسي حولي وقد هُزِمتْ فوارس تغلبْ
إذْ قال فارسُ عامرٍ لهوازن لله درك قد قدحت فأثقبـي
فكشفتُ رأسي ثم قلتُ لمالكٍ كرّوا عليهم يا فداؤكم أبـي
فحموا فوارسَ مالكٍ من خلفهم شرق الأسنة من دمٍ متصبـبِ
لعرفتِ مني أي فارسٍ بُهمـةٍ قرطٌ وقومكِ في العجاجِ الأكذبِ
لـولا فوارس مالك وكفاحُهـم لهوتْ فوارسنا غداة الأثلـبِ
ولقد طعنتُ أبا براء طعنـةً شرقَ السنانُ بها وصدرُ الثعلبِ
نجلاءَ تقذفُ بالسبارِ كأنَّهـا دلْوٌ متي ما يسبروها تُشْعَـبِ
وخرائدٍ بيضِ الوجوهِ عقائـلٍ سبي الأراقمِ أُنسٍ كالربـربِ

وبعد انتهاء الغارة وعودة القرط الى دياره، عيرت هوازن أبا بُراء بانهزامه من قرط بن السُفيح، فقال أبو بُراءٍ يرد عليهم [٨٠]:

لعمركَ ما طعنُ الرئيسِ ببدعـةٍ خلالَ الوغى ذا نجدةٍ من هوازن
سموتُ الى الخيلِ المغيرةِ صُبحةً فعارضني قرطٌ بأسمر مـارنِ
فجاشتْ بهِ نفسي وللمـرءِ نبـوةٌ فكنتُ كضرغامٍ خضيبِ البراثنِ
نبا عطفهُ عن قرنهِ حيثُ لم يجدْ مصيداً بجأشٍ في العجاجةِ ساكنِ
فإنْ ألقَ قرطاً أُجره حذوَ نعلـهِ بواءِ وما قرطٌ لتلكَ بآمـنِ

---

[٧٩] الانوار ومحاسن الاشعار: ٨٨

[٨٠] المصدر السبق نفسه: ٨٨

٢٦- يوم حَقيل

هو يومٌ من أيامِ العربِ ذكرهُ الشاعرُ الطُفيل الغنوي في شعرهِ، ولم يُخبرنا كانَ هذا اليوم على منْ ؟ فقال [٨١]:

وكانَ سنانٌ من هُرَيْمٍ خليفةً وحصنٍ ومن أسماءَ لما تغيبوا
ومن قيسٍ الثّاوي برّمانَ بيتهُ ويومَ حقيلٍ زادَ آخرُ مُعْجِـبُ
وبالسهبِ ميمونُ النقيبة قولهُ لملتمسِ المعروفِ أهلٌ ومرحبُ

٢٧- يوم خلطاس

خلطاس موضع حدثت فيه غارة للحرشيين على اطراف دولة الروم وفيه قطعت اليدُ اليمنى للشاعر عبدالله بن سبرة الحَرَشِيّ في تلك الغارة، فقال يرثيها [٨٢]:

ويلُ أُمِّ جارِ غداةَ الجسرِ فارقني أعْزِزْ عليَّ بهِ إذْ بانَ فانصدعـا
يُمنى يدىً غدتْ مني مُفارقـةً لمْ استطع يومَ خلطاسٍ لها تبعـا
وما ضننتُ عليها أنْ أصاحبها لكن حرصتُ على أنْ نستريح معا

فيما قال أبو علي القالي[٨٣] هو يوم فلطاس، والصواب هو يوم خلطاس كما قال الأستاذ محقق كتاب الوحشيات .

٢٨- يوم الطَيْسَمِيينِ

هذا اليوم ذكره الشاعر بهدل بن خضرمِ في رثاء احد أبناء عمومته ولكنه لم يذكر لنا من قتله، فقال يرثيه[٨٤]:

ولو راحَ يومَ الطيْسَمِيينِ كهمسٌ مع الركبِ أمسى كهمسٍ وهو آيسُ
ولا يحـزنُ النظـراءَ الا بعالــمٍ على الليلِ ينضو والليلُ دامسُ
له بالحمى من يحرز النهبَ عندهُ وبالحرةِ الرّجلاءِ منهم مكانسُ

٢٩- يوم العَيْكتين

وفيه قتلت قبيلة هذيل الشاعر الصعلوك الشنفرى الأزدي، فقال تأبطَ شرا يرثيه [٨٥]:

على الشنفرى ساري الغمامِ فرائحٌ غريزُ الكُلى أو المـاءِ باكِـرُ
عليكَ حداءٌ مثلُ يومكَ بالحيــا وقد رعفتْ منّي السيُوفُ البواترٌ

---

[٨١] الوحشيات: ١٢٦، وسنانٌ هو ممدوح زهير بن أبي سلمى، وهُريمٌ هو مصغر هرم وهما سادة قبيلة ذبيان اللذان أطفئا نار حربِ داحسِ والغبراء .

[٨٢] الوحشيات: ٢٥

[٨٣] أمالي القالي: ١/ ٤٧

[٨٤] الوحشيات: ١٠٨ – ١٠٩

[٨٥] ديوان تأبط شرا: ٢٩، الوحشيات: ١٣٦

ويومكَ يوم العَيْكتينِ وعطفــةٌ   عطفتَ وقد مسَّ القلوبَ الحاجِرُ

تجيلُ سلاحَ الموتِ فيهم كأنّهـم   لشوكتكَ الحُدَّى ضئينٌ نوافِـرُ

٣٠- يوم فارعة المُنَقَّى

ذكر هذا اليوم الشاعرُ العبدي ثعلبةُ بن أم حزْنة في شعرٍ لهُ يرثي فيه أخاهُ الذي قُتِلَ في هذا اليومِ، وأم حذنة هي أمه، وأما أباه فهو أبو عمرو، ولكنَّ الشاعرَ لم يذكر لنا من قتله [٨٦]:

فكانَ أخي زعيمَ بني حُبـى   وكلُّ قبيلـة لهـمُ زعيــمُ

كأنّي يومَ فارعــةِ المُنَقّــى   على أنّي كظمتُ لها أميمُ

هجمتُ بحدٍّ سيفي ثم جاشتْ   إليَّ النفسُ وابتهشتْ رعومُ

٣١- يومي الهباتين واليعملة

ذكرهما الشاعر عمرو بن ذكوان الخُضري وهو من بني مُحارب في رثاء أحد أبناء هاشم بن حرملة (قاتل معاوية أخي الخنساء) والذي قتل في يوم الهباتين فقال يرثيه [٨٧]:

أُحيي أباُ هاشمٍ بنُ حرملـهْ   يومَ الهباتينَ ويومَ اليَعْملـهْ

والخيلُ تعدو بالحديدِ مُثقلهْ   ورمحهُ للوالدتِ متكلـــهْ

لا يمنعُ القتيلَ أنْ يُجدلـهْ   حدٌّ ولا يسلبُ عنهُ مِبذلــهْ

والقتلُ لا يقتلُ الا أجملـهْ   سائِل بذاكَ رمحَهُ ومِعبلــهْ

ترى الملوكَ حولهُ مُغربلهْ   يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنبَ لهْ

وهنـاك أيامـاً كثيـرة ذكرهـا الشـعراء فـي أشـعارهم، ولكـنهم لـم يـذكروا اسـمائها، ولا مكـان حدوثها، ولا مع من حدثت، فكنت مرغماً على تركها؛ لأنها لا تقدم للقارئ الكريم معلومة مفيدة، وبالتأكيد هناك أياماً كثيرة لم أصل اليها أملاً في أنْ يصل اليها باحثٌ آخر، فيكمل ما بدأتُ به والحمد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام علـى خـاتم الأنبيـاء والمرسـلين محمـدٍ والـه الطيبـين الطاهرين الكرام .

المصادر:

- أسماء خيل العرب وفرسانها – لأبي عبدالله محمد بن زياد الأعرابي (ت٢٣١هـ)؛ تحقيق جرجس لوى دلاوبدا؛ مطبعة بريل؛ ١٩٢٨م ليدن؛ هولندا .
- الاشتقاق – لابن دريد (٣٢١هـ)؛ تحقيق عبدالسلام هارون؛، مكتبة الخانجي بمصر، (د.ت) .

[٨٦] شعراء عبدالقيس في العصر الجاهلي: ١ / ٣٨٤، وهو ثعلبة بن أبي عمرو، وام حرنة هي امه، وينظر الوحشيات: ١٣٦

[٨٧] الوحشيات: ٢٥٢، ويوم الهباتين هو يوم الهباءات، مِبذله: ملابسه، مغربلة: مقتله، مُعبلة: قال الأصمعي: هي نوع من النصال، والمُعبلة هي نصلٌ طويلٌ عريضٌ، ينظر لسان العرب مادة: عبل .

- الاصمعيات: اختيار الأصمعي (ت٢١٦هـ)، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، ط٤، دار المعارف بمصر، (د.ت).
- الأغاني – لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٥٦ه)؛ دار احياء التراث العربي؛ بيروت .
- أمثال العرب . المفضل الضبّي(ت١٧٨ه)، تحقيق وشرح وفهرسة: الدكتور قصي الحسين؛ منشورات دار ومكتبة الهلال؛ ط ١؛ بيروت؛ ٢٠٠٣م .
- الأنوار ومحاسن الأشعار – لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، تحقيق صالح مهدي العزاوي، منشورات وزارة الاعلام العراقية، ١٩٧٦م .
- البخلاء . الجاحظ، حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري، القاهرة، دار الكاتب المصري، ط١، ١٩٤٨م .
- جمهرة الأمثال ـ أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عبدالمجيد قطامش، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
- جمهرة أنساب العرب . ابن حزم (ت٤٥٦ه) تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، ط٥، مصر، (د.ت) .
- ديوان الحماسة . أبو تمام الطائي، تحقيق الدكتور عبدالمنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، بغداد .
- ديوان الحماسة . شرح العلامة التبريزي، دار القلم، بيروت، (د.ت).
- ديوان تأبط شرا – اعداد وتقديم طلال حرب، ط ١، ١٩٩٦ م، دار صادر، بيروت .
- ديوان شعراء كلب بن وبرة – صنعة الدكتور محمد شفيق البيطار؛ دار صادر؛ الطبعة الأولى؛ ٢٠٠٢م ؛ بيروت .
- شعر عبدالقيس في العصر الجاهلي – جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبدالحميد المعيني؛ مؤسسة جائزة عبدالعزيز بن سعود البابطين للابداع الشعري؛ مطبعة الكويت؛ ٢٠٠٢م؛ الكويت .
- الشعر والشعراء . أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢م .
- العقد الفريد . ابن عبدربه الأندلسي (ت٤٢٨ه) تقديم الأستاذ شرف الدين، منشورات مكتبة الهلال، ط ١، ١٩٨٦م .
- قصائد جاهلية نادرة . الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط١، ١٤٠٢ه/١٩٨٢م .
- قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب؛ القسم الأول؛ تحقيق د . حاتم الضامن؛ نشره في مجلة المورد مج ٨؛ ع ٣ لسنة ١٩٧٩ م؛ بغداد .
- الكامل في التاريخ . ابن الأثير (ت٦٣٠ه) بيروت، ١٣٨٥ه . ١٩٦٥م.
- كتاب الخيل . أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩هـ)، رواية أبي حاتم السجستاني (ت٢٥٠هـ)، ط١، مطبعة دار المعارف العثمانية بحير أباد الدكن، الهند، ١٣٥٨ه .
- مساكن قبيلة طيّئ وعشائرها وديانتها قبل الإسلام مع عشرة شعراء طائيين – الأستاذ الدكتور عبداللطيف حمودي الطائي؛ دار الهلال للطباعة والنشر؛ دار رند للطباعة والنشر؛ ط ١؛ ٢٠١٠م؛ دمشق .
- مجمع الأمثال –لأحمد بن محمد الميداني (ت٥١٨هـ)؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد؛ مطبعة السنة المحمدية؛ ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م؛ القاهرة .
- معجم الأدباء – لياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦ه)؛ تحقيق أحمد فريد الرفاعي؛ دار احياء التراث؛ بيروت؛ (د . ت) .
- معجم البلدان – لياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦ه)؛ دار صادر ودار بيروت؛ ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م؛ بيروت .
- معجم الشعراء – لمحمد بن عمران المُرْزباني (٣٨٤ه)؛ تحقيق عبدالستار فراج؛ مطبعة عيسى البابي الحلبي؛ ١٩٦٠م .
- معجم ما استعجم – لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري (٤٨٧هـ)؛ تحقيق مصطفى السقا؛ لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ ١٣٦٤ه – ١٩٤٥م؛ القاهرة .
- النسب الكبير؛ نسب معد واليمن الكبير – لهشام بن محمد السائب الكلبي (٢٠٤هـ)؛ تحقيق محمد فردوس العظم؛ دار اليقظة؛ ١٩٨٨م؛ دمشق.
- نقائض جرير والفرزدق . أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مطبعة بريل، ١٩٠٥م، ليدن .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب – لأحمد بن عبدالله القلقشندي (ت٨٢١هـ)؛ تحقيق إبراهيم الأبياري؛ الشركة العربية للطباعة؛ ١٩٥٩م؛ القاهرة .
- الوحشيات (الحماسة الصُغرى) – لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، علق عليه وحققه عبدالعزيز الميمني، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر، ط ٤، ٢٠٢١م، دار المعارف بمصر .

النقد الأدبي في كتاب
(المُستطرف في كل فنٍّ مُستظرف) للأبشيهي (٨٥٠هـ)

الأستاذ الدكتور فائز طه عمر
تكريت/ العراق

الملخص:

يتناول هذا البحث قضايا النقد الأدبي في كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) لمؤلفه الأبشيهي محمد بن أحمد بن عيسى البهاء أبي الفتح بن أبي العباس المحلّي الشافعي، والأبشيهي نسبة إلى أبشية من قرى الفيّوم[١]، والفيّوم بمصر هي " ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام"[٢]، وقيل الإبشيهي نسبة إلى قرية إبشويه، من أعمال مديرية الغربية بمصر[٣]، والمحلّي نسبة إلى المحلة الكبرى التي عاش فيها جلّ عمره؛ وهي إحدى المدن المصرية التي عُرفت بالمحلة، التي هي" محلة مَنوف: وهي مدينة بالغربية ذات سوق."[٤].

وكان أبرز ما وجدناه فيه من قضايا نقدية أدبيّة: الكلام والصمت، والبلاغة والفصاحة، وأغراض الشعر، وأقسام الشعر ومستوياته، واستحسان الشعر، والشعراء ومنازلهم، وسقطاتهم، وأخذ المعاني، وتماثلها في الشعر، وغيرها.

وهذا الكتاب جامع لمعارف وآداب ومعلومات متنوعة وغزيرة، استقاها الأبشيهي من كتب وأسفار ذكر بعضها، وأشار إلى بعضها، ويمكن أن يُدرس من مناحٍ عديدة مختلفة، وآثرنا درسه من منظور نقدي أدبي في هذا البحث، على وفق ما ذكرناه.

وسيعرض هذا البحث لما ضمه كتاب (المستطرف) من آراء وتعليقات ونظرات نقدية، محاولين تأصيلها، وإظهار ما تفرّد الأبشيهي به، لإبراز أصالته النقدية، مشيرين إلى أن تنوع القضايا النقدية في هذا الكتاب يشير إلى عدم دقة الرأي القائل: إنّ النقد الأدبي عند العرب قد تحوّل إلى مباحث بلاغية حسب، في ما بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين[٥]، وكانت

---

[١] السيد تقلاوي، علوية قسم الله، الاختيارات الشعرية في كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) للإمام بهاء الدين بن أحمد الأبشيهي، (دراسة نقدية تحليلية)، رسالة ماجستير، إشراف، الدكتور حبيب الله علي إبراهيم، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، السودان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ٤.

[٢] الحموي الرومي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله البغدادي(٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م. ١/ ٣٧.

[٣] نفسه، ١/ ٧٣.

[٤] نفسه، ٥/ ٦٣.

[٥] زغلول، الدكتور محمد سلّام، تاريخ النقد العربي، دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت، ٢/ ٥.

البلاغة من قضاياه التي سيجاول هذا البحث إضاءتها.

الكلام والصمت :

تحدث الأبشيهي عن شيء من شروط الكلام ودواعيه، وعن الصمت وأهميته، وهو ما عُني به من سبقه من النقاد والمفكرين والعلماء، ولا نجد فيما قاله الأبشيهي تفرّدا أو تميّزا كبيرا مما قيل قبله، على أن ما قاله فيه لا بد من عرضه بإيجاز، وبيان ما رآه في أهمية الصمت، وفي شروط الكلام خاصةً، لتعلّقه بالنقد الأدبي الأخلاقي عامةً، في كتابه، ولعلّ ما ذكره الأبشيهي في الكلام والصمت داخل في باب الآداب والحكم، مما جعله يضع بعض ما قاله في هذا في باب (الآداب والحكم وما أشبه ذلك)[٦]، فضلا عن ذكره بعض آرائه في باب آخر؛ هو (في الصمت وصون اللسان..)[٧]. فقد أسند أقواله في هذين البابين بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقوال الحكماء والشعراء وغيرهم، نستغني عن ذكرها؛ فأقواله تدور في فلكها.

قال: "واعلم أنه ينبغي للعاقل المكلَّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه."[٨]، وإن كان الصمت والكلام سِيّين فالأَوْلى لزوم الصمت، لأن الكلام قد يجرّ على صاحبه ما لا يُحمد، بحسب ما قاله في الموضع نفسه: " ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسُّنة الإمساك عنه، لأنه قد يجرّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه.". وقد عزز ما رآه بما قيل من أن" من السكوت ما هو أبلغ من الكلام."[٩]، فلعله يقصد ما قاله عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) من أن: "الصمت.. أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبِنْ"[١٠].

ويرى أن الكلام الزائد عن حاجة قائله يُظهر عيوبه المستترة، ويُثير العدوّ عليه، يقول: " إياك وفضول الكلام فإنه يُظهر من عيوبك ما بطَن، ويحرّك من عدوّك ما سكن."[١١]، على أنه يرى أن الصمت، هنا، مفضٍ إلى السلامة. ومع هذا يرى الأبشيهي أن الكلام يبين عن فضل

---

[٦] الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد(٨٥٠هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق، الدكتور مصطفى محمد الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٠م، ٣٨.

[٧] نفسه، ١١٩.

[٨] نفسه، ١١٩.

[٩] نفسه، ١٢٠.

[١٠] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(٤٧١أو٤٧٤هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ١٤٦.

[١١] الأبشيهي، السابق، ٣٨.

صاحبه، ويترجم عن عقله، على أنه أشار، على المتكلم، في الموضع نفسه، أن يجعله مقتصرا على الجميل القليل من القول، يقول: " كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل."، فلا يطيل أو يكثر من الكلام فيُسأم منه، " مَنْ أَكثرَ مقالَه سُئِمْ."، مما قاله في الموضع نفسه أيضا.

ويدعو المرء، في الموضع نفسه، إلى أن يختار الصمت، وإن بدا له الكلام فعليه أن يلتزم الصدق في كلامه الذي لا بد من عدم طوله، يقول: " كن صموتا وصدوقا، فالصمت حِرزٌ، والصدق عزٌ.".

فما ذكرناه، هنا، هو أكثر آرائه أهمية في الصمت والكلام، عامةً.

البلاغة والفصاحة :

تناول الأبشيهي بعض قضايا البيان والبلاغة، وبعض فنونها، وشيئا مما يتعلق بالفصاحة، محاولا التمييز بين البلاغة والفصاحة، وقد عُني بهما بإفراده بابا مستقلا من كتابه للحديث عنهما، وما يتعلق بهما؛ مما نجده في " الباب السابع في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول."[١٢]، ولم يقف طويلا، فيه، عند البيان، فقد رأى في تعريف الجاحظ(٢٥٥هـ) له ما يُغني عن تقصّيه؛ قال: " وأما حَدّه فقد قال الجاحظ: "البيان اسم جامع لكل ما كشف لك من المعنى."[١٣]، وقد جاء نصّ هذا الحَد في كتاب البيان والتبيين: " والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى.."[١٤]، ولا يختلف معنى القولين، على أنّ هذا الاختلاف الشكلي قد يشير إلى أن الأبشيهي اعتمد ذاكرته، في ذكره تعريفَ الجاحظ البيانَ هذا، وربما غيره، كما سنرى. وهو قبل هذا، جاء بذكر البيان في القرآن الكريم، في قوله تعالى: {الرحمن. علّم القرآن. خلق الإنسان. علّمه البيان.}[١٥]، وفي الحديث الشريف: " وقال صلى الله عليه وسلم:{إن من البيان لسحرا.}[١٦]، ثم نقل ما قاله عنه عبد الله بن المعتز(٢٩٦هـ) : " قال ابن المعتز: البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول."[١٧].

وبدأ بالحديث عن البلاغة التي أفرد لها فصلا مع البيان، بذكر معناها اللغوي بقوله: " وأما

---

[١٢] نفسه، ٦٣.

[١٣] نفسه، ٦٣.

[١٤] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ١/ ٧٦.

[١٥] الرحمن ١-٤.

[١٦] البخاري، ٥١٤٦.

[١٧] الأبشيهي، السابق، ٦٣.

البلاغة فإنها من حيث اللغة هي أن يقال : بلغتَ المكان إذا أشرفتَ عليه وإن لم تدخلْه، قال الله تعالى:{ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهنّ بمعروف.}[18]. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: {أم لكم أَيْمانٌ علينا بالغة}، أي وثيقة كأنها قد بلغت النهاية."[19]، ومعنى هذا التفسير موجود في أكثر التفاسير، بيد أننا لم نهتدِ إلى قائل هذا النص الذي نقله الأبشيهي هنا.

ولم يختلف ما جاء به الأبشيهي عما هو متداول في معنى البلاغة لغةً، على أنه اختلف في مدخله إليه.

وبعد هذا جاء بأقوال وتعريفات للبلاغة منسوبة ليوناني، وهندي، وإلى بعض العرب[20]، وهذا ما جاء به الجاحظ، وأبو حيان التوحيدي(٤١٤هـ)[21]، وغيرهما قبله، من ذلك قوله : " وقال اليوناني: البلاغة وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.. وقال أبو عبيدالله وزير المهدي: البلاغة ما فهمته العامة، ورضيت به الخاصة. .. وقالوا: البلاغة مَيدان لا يُقطع إلا بسوابق الأذهان، ولا يُسلك إلا ببصائر البيان.."[22]، وغير ذلك مما نقله عن الفخر الرازي(٦٠٦هـ) في قوله: " وقال الإمام فخرالدين الرازي رحمة الله تعالى عليه في حدّ البلاغة: إنها بلوغ الرجل بعبارته كُنهَ ما في قلبه، مع الاحتراز عن الإيجاز المخلّ، والتطويل المملّ."[23]، ويبدو أنه آثر إجمال القول وإيجازه في معنى البلاغة، بدليل قوله : " ولهذه الأصول شُعبٌ وفصول لا يَحتمل كشفَها هذا المجموعُ ويحصل الغرض بهذا القدر.."[24].

وفي حديثه عن الفصاحة التي أفرد لها فصلا مستقلا تتضح ملامح أخرى عن مفهوم البلاغة، وعلاقتها بالفصاحة، مما سنعرض له هنا.

افتتح كلامه عن الفصاحة بتعريف الفخر الرازي لها أيضا، فقد بيّن فيه أصلها اللغوي، بقوله: " قال الإمام فخر الدين الرازي رحمة الله عليه: اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد، وأصلها من قولهم : أفصح اللبن، إذا أُخذت عنه الرغوة."[25].

---

[18] الطلاق، ٢.

[19] الأبشيهي، السابق، ٦٣، والآية، القلم، ٣٩.

[20] نفسه، ٦٣.

[21] لجاحظ، السابق، ١/ ٩، ٩٨، ٤/ ٤٦. التوحيدي، أبو حيّان، علي بن محمد بن العباس(٤١٤هـ)، البصائر والذخائر، تحقيق، الدكتور وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط٤، ١٤١٩ه/١٩٩٩م، ١/ ٦٥- ٦٦.

[22] الأبشيهي، السابق، ٦٣. وأبو عبيد وزير المهدي هو معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، من فلسطين، قلده الخليفة المهدي العباسي الوزارة ١٥٩هـ، وعزله عنها ١٦٧هـ، توفي عام ١٧٠هـ.

[23] نفسه، ٦٤، الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، القاهرة، ١٣١٧هـ، ٩، مطلوب، الدكتور أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م، ١/ ٤٠٤.

[24] الأبشيهي، السابق، ٦٤.

[25] نفسه، ٦٤، الرازي، السابق، ٩، مطلوب، السابق، ٣/ ١١٠.

ويذهب الأبشيهي إلى أن " أكثر البلغاء لا يفرّقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونها استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما."[٢٦]، ولم يذكر أحدا من الذين وصفهم بالبلغاء الذين ذهبوا هذا المذهب. ثم ينتقل إلى ذكر ما يراه من اختلاف الناس في مفهوم الفصاحة؛ فقد تذبذبوا بين عدّهم أنها راجعة إلى اللفظ حسب، وبين قولهم إنها لا تخصّ الألفاظ وحدها؟ بقوله : " وقد اختلف الناس في الفصاحة فمنهم من قال إنها راجعة إلى الألفاظ دون المعاني، ومنهم من قال: إنها لا تخص إلا الألفاظ وحدها."[٢٧]، ويبدو لنا أن لا فرق بين القولين اللذين يبدو أنهما حُقّقا خطأً؛ والذي نراه أن الصواب هو ".. ومنهم من قال : إنها لا تخصّ الألفاظ وحدها."، بإسقاط إلّا، عندئذ يتبيّن اختلاف الناس في مفهوم الفصاحة. على أنه لم يبيّن طبيعة هذا الخلاف وقائليه، بل إنه بيّن حجة من رأى الدلالة اللفظية للفصاحة، بإطلاق الفصاحة على اللفظ دون المعنى، بقوله: " احتجّ مَن خصّ الفصاحة بالألفاظ بأن قال: نرى الناس يقولون: هذا لفظ فصيح، هذه الألفاظ فصيحة، ولا نرى قائلا يقول: هذا معنى فصيح، فدلّ على أنّ الفصاحة من الألفاظ دون المعاني. وإن قلنا : إنها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح، وذلك غير مألوف في كلام الناس."[٢٨]. فهو هنا قال بمعيار الاستعمال العام للفظة الفصاحة، ولعله معيار غير مناسب، إن كان يقصد به عامة الناس، على أنه ربما قصد العلماء، والبلغاء. وربّما يُفهم من كلامه هذا أنه يميل إلى الدلالة اللفظية للفصاحة، ثم إنه أفصح عن رأيه في هذا قائلا :" والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا."[٢٩]، فقد اشترط لوصف اللفظ بالفصاحة أن يكون معناه صحيحا حسنا، ولم يبين ما يقصده من كون المعنى صحيحا، وحسنا، والذي يبدو لنا أن المعنى الصحيح هو الذي يوافق العقل البشري ويقرّه، ولعله هنا لم يخرج عما اشترطه القائلون بمقولة (عمود الشعر) في المعنى[٣٠]، وأما حسن المعنى فلم يبيّن المُراد منه، ولعله أراد به المعنى الجيد الذي قصد به ابن قتيبة(٢٧٦هـ) المعنى الأخلاقي الحكمي الذي يحقق وظيفة تربوية، مما أُستنبط من شواهده في كتابه(الشعر والشعراء)[٣١].

ويرى الأبشيهي أن اللفظ الفصيح ينبغي تأليفه من حروف، أو أحرف متباعدة المخارج، مما

---

[٢٦] نفسه، ٦٤.

[٢٧] نفسه، ٦٤.

[٢٨] نفسه، ٦٤.

[٢٩] نفسه، ٦٤.

[٣٠] مطلوب، دراسات بلاغية ونقدية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م، ٤٠٥.

[٣١] ابن قتيبة الدِّينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم(٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، تحقيق، الدكتور مفيد قميحه، ومحمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٣- ١٤.

يقوّي المعنى اللفظي للفصاحة عنده، يقول:" ومن المستحسن في الألفاظ تباعد مخارج الحروف، فإذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة "[٣٢]، وهذا ما ذهب إليه ابن سنان الخفاجي(٤٦٦هـ)، الذي وضع شروطا لفصاحة اللفظة المفردة، وكان أولها في معنى ما ذهب إليه الأبشيهي، قال ابن سنان :" أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج"[٣٣]، وجاء الأبشيهي بعدد من الأبيات الشعرية التي جاءت حروف ألفاظها غير فصيحة، معيبة لتقارب مخارجها الصوتية، منها قول القائل:

لو كنتَ كنتَ كتمتَ الحبَّ كنتَ كنا وكنت ولكنّ ذاك لم يكنِ[٣٤]

وذكر غير ذلك من الأبيات الأخرى التي جاءت حروفها متقاربة متنافرة، في الموضع نفسه، معلقا على أحدها، بقوله :" وكقول الآخر :

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفرِ وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ

قيل إن هذا البيت لا يمكن إنشاده في الغالب عشر مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه؛ لأن القرب في المخارج يُحدث ثقلا في النطق به."[٣٥]، وكان الجاحظ قد ذكر هذا البيت، وعدّ ألفاظه متنافرة حتى أن منشدها يجد فيها بعض الاستكراه حين ينشدها مجموعةً، وكان يرى أن إنشاد هذا البيت ثلاث مرات غير مستطاع، وليس عشر مرات كما ذهب الأبشيهي، ويرى الجاحظ أن صعوبة تكرار إنشاد البيت المذكور جعلت بعضهم يظنون أنه من كلام الجن، بقوله: " ومن رأى مَن لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج، وقيل لهم إن ذلك إنما اعتراه، إذ كان من أشعار الجن، صدَّقوا بذلك."[٣٦].

وتحدث عن أثر الفصاحة والبيان وأهميتهما، بذكره شواهد دينية، وتاريخية، وأقوال شعرية، وفلسفية، وحِكَمية، قال: " وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام على مصر، وملك زمام الأمور، واطلعه ملكُها على الخفيّ من أمره والمستور.. وسمع النبي صلى الله عليه وسلم فصيحا فقال:{بارك الله يا عمّ بجمالك} أي فصاحتك.."[٣٧]، وغير ذلك.

---

[٣٢] الأبشيهي، السابق، ٦٤.

[٣٣] ابن سنان الخفاجي، الأمير أبو محمد عبدالله بن سعيد(٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٦٤.

[٣٤] الأبشيهي، السابق، ٦٤.

[٣٥] نفسه، ٦٤.

[٣٦] الجاحظ، السابق، ١/ ٦٥.

[٣٧] الأبشيهي، السابق، ٦٤– ٦٥.

ودعا ضمنا، بما أتى به من روايات، إلى الاستعمال الصائب للكلام، ليستقيم مع قصد المتكلم، من ذلك قوله:" ومرّ رجلٌ بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أتبيعه؟ فقال : لا رحمك الله، فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقوّمت ألسنتكم، هلّا قلت : لا ورحمك الله. ومنه ما حكي أن المأمون(٢١٨هـ) سأل يحيى بن أكثم[٣٨] عن شيء فقال : لا، وأيد الله أمير المؤمنين. فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها.."[٣٩].

وتناول الأبشيهي الرمز الذي عدّه من غريب الكنايات، فهو يقصد الرمز البلاغي الذي جعله البلاغيون من وسائل الكناية وأساليبها، وهو الكناية التي" كان فيها نوع خفاء..لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية."[٤٠]، وقد عدّه دليلَ ذكاءٍ وفصاحة، بقوله : " ومن غريب الكنايات الواردة على سبيل الرمز، وهو من الذكاء والفصاحة، ما حكي.."[٤١]، ثم أتى بروايات تُظهر براعة العرب في ما جعله رمزا[٤٢]، وجعل ذلك عائدا إلى تضمُّن اللفظة الواحدة أكثر من معنى، وأطلق عليه الاشتراك، بقوله: " فانظر إلى الاشتراك وفائدته، ولولا الاشتراك ما تهيأ لمتستر مراد، ولا سلم له في التخلص قِياد."[٤٣]، والاشتراك أو المشترك اللغوي هو:" اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالةً على السواء عند أهل أهل اللغة."[٤٤]، وما يحدد الدلالة المقصودة من اللفظ المشترك نية المتكلم، بحسب قول الأبشيهي: " والكلام إلى نية المتكلم."[٤٥]، أي قصده، وفهم دلالة الكلمات المشتركة يتطلب معرفة لغوية واسعة بدلالات هذه الكلمات، فالاشتراك مظهر من مظاهر التطورالدلالي للكلمات[٤٦]، ولا يوجب علاقة اللزوم بين معنيي الكلمات المشتركة، وهذا اللزوم هو العلاقة التي تحقق الكناية بين المكنّى عنه والمكنّى منه عند البلاغيين[٤٧]، فالرمز عنده اشتراك لغوي يتيح للمتكلم تحميل كلمات معينة مقصودة

---

[٣٨] يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي، عالم وفقيه، ومحدّث، توفي عام ٢٤٨هـ.

[٣٩] الأبشيهي، السابق، ٦٥.

[٤٠] الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م، ٢٤٨.

[٤١] الأبشيهي، السابق، ٦٦.

[٤٢] نفسه، ٦٦- ٦٧.

[٤٣] نفسه، ٦٧.

[٤٤] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين(٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق، محمد أحمد جاد المولى وغيره، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت، ١/ ٣٦٩. الصالح، الدكتور صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ٣٠٢.

[٤٥] الأبشيهي، السابق، ٦٧.

[٤٦] أنيس، الدكتور إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م، ١٦٢- ١٦٧.

[٤٧] مطلوب، معجم، سابق، ٣/ ١٥٤- ١٦٥.

منه، يُتيحها له علمه باشتراك بعض المعاني في كلمة واحدة، في ضوء سياقها. وقبل أن ننقل واحدة من الروايات التي رواها التي فيها رمز، نذكر شيئا مما ذكره من كلمات مشتركة الدلالة، منها قوله: " ويقال: ما رأيت فلانا أي ما ضربته في رئته، ولا كلّمته أي: ما جرحته، فإن الكلوم الجراح،.. وما رأيت كافرا ولا فاسقا، فالكافر السحاب، والفاسق الذي تجرّد من ثيابه"[٤٨]. ومن الرموز التي جاء بها الأبشيهي ما حكاه، بقوله :" أسرت طيّئ غلاما من العرب، فقدم أبوه ليفديَه، فاشتطّوا عليه، فقال أبوه: والذي جعل الفرقدين يُمسيان ويُصبحان على جبل طيّئ ما عندي غير ما بذلته، ثم انصرف، وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خير فهمه. فكأنه قال له: الزم الفرقدين، يعني في هربك على جبل طيّئ، ففهم الابن ما أراده أبوه وفعل ذلك فنجا."[٤٩].

ولعل الأبشيهي قد أقرّ، للزمخشري(٥٨٣هـ)، استعماله مصطلح الاستعارة لتعبيرات كنائية، نحو يا أبا المكارم، ويا أبيض الوجه، ذلك أنه نقل قول الزمخشري المتضمن ما ذكرناه من دون تعليق، بقوله :" وقال الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) : سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليماني : يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، وهذا ونحوه منهم إنما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة عن القبيح عن طريق الاستعارة."[٥٠]، فالتلازم بين المعنى الظاهر والمعنى الكنائي المقصود واضح مما يحقق الكناية، على أن استعمال استعارة في مقام الكناية يبدو أمرا مرتبطا بتطور المصطلح البلاغي. وكان الأبشيهي قد أوضح طبيعة استعمال العرب هذه الأساليب بقوله: " لأنه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم، ولا بين الجواد، والعريض الجفنة، لا بين المنزّه والأبيض الوجه."[٥١]، ويبدو أن الأبشيهي اعتمد ذاكرته في الإتيان بما نصّ عليه الزمخشري، لوجود شيء من الاختلاف بين ما هو موجود في كتاب الزمخشري، وما ذكره في (المستطرف).

ثالثاً : الشعر، وبواعثه.

لم يعمد الأبشيهي إلى تعريف الشعر وحدّه؛ ولعل ذلك لشعوره بعدم الحاجة له، قد غدا هذا أمرا مفروغا منه في زمانه، على أنه تحدث عن بواعث الشعر، منتفعا مما قيل قبله، بقوله : " قيل: ما استُدعيَ شاردُ الشعر بمثل الماء الجاري، والشرف العالي، والمكان الخضر الخالي."[٥٢]. وهذا الكلام اقتبسه من ابن قتيبة بنصه[٥٣].

---

[٤٨] الأبشيهي، السابق، ٦٦.

[٤٩] نفسه، ٦٦. وهربك، في الأصل، هروبك.

[٥٠] نفسه، ٦٢٦– ٦٢٧. وينظر، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(٥٣٨هـ)، ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، تحقيق، طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١/ ٤١٠.

[٥١] نفسه، ٦٢٧.

[٥٢] نفسه، ٩٠.

[٥٣] ابن قتيبة، السابق، ٢٣.

وذكر باعثا آخر معززا برواية تؤيده، وهو الطرب، بقوله: " وقيل أمسك على النابغة الجعدي أربعين يوما، فلم ينطق بالشعر، ثم إن بني جعدة غزَوا فظفروا، فاستخفّه الطرب والفرح، فرام الشعر فذُلّ له ما استصعب عليه فقال له قومه: والله لنحن بإطلاق لسان شاعرنا أسرّ منا بالظفر بعدوّنا."[٥٤]، وكان ابن قتيبة قد ذكر باعث الطرب في ضمن ذكره عدة بواعث لقول الشعر، بقوله:" وللشعر دواع تحثّ البطيء وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب."[٥٥]، والطرب خفّة تنتاب النفس لفرح أو حزن، كما هو معروف.

وذكر، أيضا في الموضع نفسه، ما عبر عنه الشاعر كثيّرعزّة (١٠٥هـ)، عندما سئل عما يفعله حين يعسر عليه قول الشعر، وكان جوابه أنه يذهب إلى الأماكن الخالية من أحد، التي فيها رياض معشبة، فتتحرك قريحته الشعرية، مما رواه قبله ابن قتيبة، أيضا، بقوله :"وقيل لكثيّر: يا أبا صخر كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال : أطوف في الرباع المُخلية والرياض المُعشبة فيسهُل علي أرصنُه ويسرع إلي أحسنُه."[٥٦]. فالأبشيهي، في قوله ببواعث الشعر، لم يأت بجديد، بل ردد ما قيل قبله، فمادة كتابه جمعها من كتب السابقين عليه، وأوجزها، ورتبها في أبواب عديدة، مما صرح به، ولم يدّعِ أكثرها لنفسه[٥٧].

وتحدث عن ثقافة الشاعر، ولاسيما رواية ما حفظه من شعر السابقين عليه من الشعراء، في سياق ما أتى به من روايات وأقوال لشعراء كبار، منهم أبو نواس(نحو ٢٠٠هـ) في قوله :" ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهم الخنساء، وليلى، فما ظنك بالرجال."[٥٨]، فضلا عن روايات أخرى في الموضع نفسه.

أغراض الشعر

وتناول الأبشيهي أغراض الشعر التي سماها فنون الشعر، فأشار إلى تقسيم أبي تمام حبيب بن أوس الطائي(٢٣١هـ) هذه الفنون على عشرة أبواب في كتابه:(الحماسة)، من دون ذكرها، بقوله:" وقد قسم الناس فنون الشعر إلى عشرةِ أبواب حسبما بوّب أبو تمام في الحماسة."[٥٩]، وهذه الأبواب هي: باب الحماسة[٦٠]، وباب المراثي[٦١]، وباب الأدب[٦٢]، وباب

---

[٥٤] الأبشيهي، ٩٠. والنابغة الجعدي توفي نحو ٦٥هـ.

[٥٥] ابن قتيبة، السابق، ٢٢.

[٥٦] نفسه، ٢٣. والمخلية : الخالية.

[٥٧] الأبشيهي، السابق، ٧.

[٥٨] نفسه، ٩١. وليلى هي ليلى الأخيلية(نحو ٨٠هـ).

[٥٩] نفسه، ٥٤٣.

[٦٠] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي(٣٢١هـ)، ديوان الحماسة، تحقيق، الدكتور عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م، ٢٧.

[٦١] نفسه، ٢٢١.

[٦٢] نفسه، ٣٢١.

النسيب[٦٣]، وباب الهجاء[٦٤]، وباب المديح والأوصاف[٦٥]، وباب الصفات[٦٦]، وباب المُلَح[٦٧]، وباب مذمّة النساء[٦٨]، على أنه، يبدو، قد أخذ بما نسبه إلى عبد العزيز بن أبي الاصبع، ولعله يقصد (عبد العظيم)؛ فهو اسم ابن أبي الأصبع(٦٥٤هـ) الذي قال إنه ذهب إلى أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا، بقوله: " وقال (عبد العزيز) بن أبي الأصبع: الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا، وهي غزل، ووصف، وفخر، ومدح، وهجاء، وعتاب، واعتذار، وأدب، وزهد، وخمريات، ومراث، وبشارة، وتهان، ووعيد، وتحذير، وتحريض، وملح، وباب مفرد للسؤال والجواب.."[٦٩]، وتبدو هذه الأغراض، أو الفنون كما سمّيت هنا، متداخلة، ولم يأت بشواهد على جميعها لنتَبيّن الفروق بينها، على أن الأبشيهي جاء بشواهد على بعضها القليل، مبتدئا بذكر الغزل بالمذكر[٧٠]، الذي كان شائعا في زمانه، ثم الغزل المؤنث[٧١]، مصححا، في خلال ذلك، نسبة بعض الأبيات، فضلا عن تناوله الفخر، والرثاء، على نحو عام، كما سنذكره، بيد أنه لم يُعرّف غرض الغزل ولا مفهومه العام، ثم ذكر أبياتا " من مُلح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب."[٧٢].

وتحدث عن المديح عامة، وأفرد له فصلا من أحد أبواب كتابه، هو (الفصل الأول في المدح والثناء)[٧٣]، وعرّفه، وبيّن بعض شروطه التي يقف الصدق في مقدمتها؛ فرأيه ذو منحى أخلاقي، يشمل الشعر وغيره من أجناس الكلام وأنواعه. فقد قال في تعريفه: " المدح وصف الممدوح بأخلاقٍ يُمدح عليها صاحبُها يكون نعتا حميدا."[٧٤]، وأتى بعدد من آيات القرآن الكريم، مُدح بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون، في الموضع نفسه، منتهيا بذلك إلى جواز مدح

---

[٦٣] نفسه، ٣٦٣.

[٦٤] نفسه، ٤٥١.

[٦٥] نفسه، ٥٠٥.

[٦٦] نفسه، ٦٠٥.

[٦٧] نفسه، ٦١٥.

[٦٨] نفسه، ٦٣٤.

[٦٩] الأبشيهي، السابق، ٥٤٣. هناك كاتب اسمه عبد العزيز بن تمام العراقي أبو الأصبع(٧٦٢هـ)، له كتب بعيدة عن البلاغة والنقد الأدبي. ينظر، البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين البابانى باشا(١٣٩٩هـ)، هدية العارفين، وكالة المعارف الجليلة، استانبول، ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفسيت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ١/ ٥٨٢.

[٧٠] نفسه، ٥٤٣- ٥٥٠.

[٧١] نفسه، ٥٥٠- ٥٥٦.

[٧٢] نفسه، ٥٥٨.

[٧٣] نفسه، ٣٠٣- ٣١١.

[٧٤] نفسه، ٣٠٣.

الإنسان بأخلاقه الحميدة التي فيه، فكأنه يشير إلى قول عمر بن الخطاب في الشاعر زهير بن أبي سلمى إنه كان "لا يمدح الرجل إلا بما فيه. "[٧٥]، بقوله :" فعلى هذا يجوز مدح الإنسان بما فيه من الأخلاق الحميدة."، وذكر قول الرسول الكريم: {إذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب.}، ثم نقل ما قاله العُتبي(٢٢٥هـ)[٧٦] في دلالة هذا الحديث التي تعني المدح الباطل والكاذب، منتهيا إلى جواز مدح الرجل بما فيه حقًّا، مؤكدا أن الرسول الكريم قد مدحه الشعراء وغيرهم، ولم يحثُ الترابَ على مادحه، يقول: " فقد قال العُتبي : هو المدح الباطل والكذب. وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به. وقد مدح أبو طالب والعبّاسُ وحسّانٌ وكعبٌ وغيرُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبلغنا أنه حثا في وجه مادحٍ ترابا. وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم. وفي حثو التراب معنيان : أحدهما التغليظ في الرد. والثاني: كأنه يقال له: يكفيك التراب."[٧٧]، وأتى بأقوال لبعض الصحابة في ذلك، منها ما قاله أبو بكر الصديق، عندما مُدح، إنه أعلم بنفسه منهم.

وذكر عددا من الأبيات الشعرية التي مَدح بها أصحابُها الرسولَ الكريم صلى الله عليه وسلم، في الموضع نفسه، منها قول سارية الديلي[٧٨]:

فما حملت من ناقة فوق ظهرها　　　أبرّ وأوفى ذمّةً من محمدِ

وقال عنه:" وهو أصدق بيت قالته العرب."، وأردفه ببيتي حسان بن ثابت في مدح الرسول الكريم، وعدهما أحسن ما مدحه به، فضلا عن بيتٍ لعبدالله بن رواحة، بقوله :" ومِن أحسن ما مدحه به حسّان رضي الله عنه قولُه:

وأحسنُ منك لم ترَ قطُّ عيني　　　وأجملُ منك لم تلد النساءُ

خُلقتَ مُبرَّأً من كل عيب　　　كأنك قد خُلقت كما تشاءُ

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه قوله :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبينةٌ　　　كانت بديهتُه تُنبيك بالخبرِ."

---

[٧٥] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي(٤٥٦هـ)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م، ١/ ٩٨.

[٧٦] العُتبي، هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عُتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي السفياني القرطبي، فقيه، وعالم مسلم، ولد بالأندلس، وتوفي عام(٢٢٥هـ). والحديث في : مسلم رقم: ٥٤٣٤.

[٧٧] الأبشيهي، السابق، ٣٠٣.

[٧٨] هو من نادى عليه عمر بن الخطاب : يا سارية الجبل، من مسجد المدينة عام ٢٣هـ، وهو يجاهد في القادسية.

وذكر الأبشيهي لنفسه قصيدة في مدح الرسول الكريم[٧٩]، مطلعها:

يا سيدَ السادات جئتُك قاصدا   أرجو رضاك واحتمي بحماكا

وأردفها بمختارات شعرية في المديح[٨٠]، منها ثلاثة أبيات للمتنبي(٣٥٤هـ) عدّها من بدائع مدائحه، بقوله: " ومن بدائع مدائح المتنبي قوله :

ليت المدائحَ تستوفي مناقبَه   فما كليبٌ وأهلُ الأعصُرِ الأُوَلِ

خذ ما تراه ودع شيئا سمعتَ به   في طلعة البدر ما يُغنيك عن زُحلِ

وقد وجدتُ مكان القول ذا سعة   فإن وجدتَ لسانا قائلا فقلِ. "[٨١].

وهي من قصيدة في مديح سيف الدولة الحمداني(٣٥٦هـ)[٨٢]. وقد أتى، في خلال ذلك، بأقوال نثرية في غرض المديح[٨٣]. وجاء بروايات كثيرة في مدح الجود والسخاء والكرم ومكارم الأخلاق، تضمّن الكثيرُ منها أبياتا شعريّة فيها، وما كان يُعطَى للشعراء من أُعطيات[٨٤].

وتحدّث عن غرض الهجاء في الشعر، مُفردا له أحد أبواب (المستطرف)، وعنونه بـ (في الهجاء ومقدماته)[٨٥]، أبان، فيه، عن قصده من ذكره الهجاء الذي يراد منه معرفة مُلحه، وما فيه من ألفاظ فصيحة، ومعانٍ بديعة، وهذا قصد فنّي، ولا يقصد منه إظهار إساءة للمهجوّ والتشفّي به، ولم يعبأ بكون الشاعر الهاجي صادقا أم كاذبا في هجائه، فغايته فنية ذوقية تندرج تحت مفهوم الاختيارات الذي اتسم هذا الكتاب به، قال :" القصد من الهجاء الوقوف على مُلَحِه، وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة، لا التشفّي بالأعراض، والوقوع من الهجاء دليلا على إساءة المهجو، ولا صدق الشاعر فيما رماه به، فيما ليس كل مذموم بذميم، وقد يهجى الإنسان بهتانا وظلما، أو عبثا أو إرهابا."[٨٦]، فهو يرى في الهجاء موقفا شخصيًّا من الهاجي إتجاه المهجو، قد يكون دافعه، عنده: البهتان، والظلم، أو العبث، أو الإرهاب، قال في الموضع نفسه: " وقد يُهجَى الإنسان بهتانا وظلما، أو عبثا، أو إرهابا."، والبهتان هو الكذب، وجاء له بمثال من

---

[٧٩] الأبشيهي، السابق، ٣٠٣- ٣٠٥.

[٨٠] نفسه، ٣٠٦- ٣١١.

[٨١] نفسه، ٣٠٨.

[٨٢] المتنبي، أبو الطيب(٣٥٤هـ)، الديوان، اعتنى به وشرحه، عبد الرحمن المصطاوي، دار النعرفة، بيروت، ط٥، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ٢٥٩- ٢٦٣.

[٨٣] الأبشيهي، السابق، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩.

[٨٤] نفسه، ٢٢٢- ٢٣٤.

[٨٥] نفسه، ٣٢١.

[٨٦] نفسه، ٣٢١.

بيتين هجا بهما دعبلٌ الخزاعيّ(٢٣٥هـ) الخليفةَ العباسي المأمون(٢١٨هـ) بعد قتله أخاه الأمين(١٩٨هـ) وتوليه الخلافة، قال : " وقال دعبل في المأمون بعد البيعة له وقتل الأمين :

إني من القوم الذين همو همو قتلوا أخاك وشرّفوك بمقعدِ

شادوا لذكرِك بعد طولِ خمولِهِ واستنقذوك من الحضيض الأوهدِ

فقال المأمون: ما أبهتَه، ليت شعري متى كنتُ خاملا ؟ وفي حجر الخلافة رُبّيتُ، وبدَرّها غُذّيتُ.".

فقد يكون بعض الهجاء، كما قال، عبثا من الشاعر بمهجوّه؛ ولعلّ العبث هو " اللعب، أي إتيان شيء لغاية هزلية إضحاكية."[٨٧]، قد يكتنفها شعور بالمرارة، أو لعله رغبة في إفراغ شعور خاص ينتاب الإنسان أحيانا، مما وجده الأبشيهي عند الحطيئة(نحو٥٩هـ) الذي هجا نفسه، وأمه، عبثًا ولعبًا ورغبةً ومرارةً، بقوله: " ومن العبث بالهَجْو ما روي أن الحطيئة، همّ بهجاءٍ، فلم يجد من يستحقّه فقال :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلّمًا بشرٍّ فلا أدري لمن أنا قائلُهْ

أرى لي وجها قبّح الله خَلْقَه فقُبّح من وجه وقبّح حاملُهْ

وعبث بأمه فقال:

تنحَّي فاجلسي عنا بعيدًا أراح الله منك العالمينا

أغربالا إذا ما استودعتِ سرًّا وكانونا على المتحدّثينا

حياتُك ما علمتُ حياةُ سوءٍ وموتُك قد يسرّ الصالحينا."[٨٨].

وقد يكون الهجاء سخريةً وإضحاكا، مما نجده في هجاء شاعرٍ رجلا عظيم الأنف بقوله:

لك وجهٌ وفيه قطعةُ أنف كجدارٍ قد دعموه ببغلهْ

وهو كافٍ في المثال ولكن جعلوا نصفه من غير قبلهْ[٨٩] .

وقد يلجأ الشاعر، أحيانا، إلى التعريض بهجائه مهجوَّه، بقوله :" وممن عرّض بالهجو في شعره الخوارزمي، قال في أبي جعفر:

أبا جعفرٍ لستَ بالمُنصفِ ومثلُك إن قال قولا يفي

---

[٨٧] عمر، الدكتور فائز طه، فكر وفن دراسات في النثر العربي، دار المعتز، عمّان، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، ١٠٧.

[٨٨] الأبشيهي، السابق، ٣٢١، وينظر، نفسه، ٣٢٣ حيث يهجو أبو دلامة(١٦١هـ) نفسه.

[٨٩] نفسه، ٣٢٦.

فإن أنت أنجزتَ لي ما وعدتَّ وإلا هُجيت وأُدخلتَ في

وقد علم الناسُ ما بعد في فغطِّ الحديث ولا تكشفِ."[٩٠].

ورصد تمكّن الشعراء من هجو رجل ومدحه، قال:" وهجا أعرابي رجلا ثم مدحه فقال:

وإني مدحتُك من فساد قريحتي وعلمتُ أن المدحَ فيك يضيعُ

لكن رأيتُ المسكَ عند فسادِه يُدني إلى بيت الخلا فيضوعُ."[٩١].

فهذا وغيره يُظهر الأبشيهي ملمًّا بفنون الشعر، وأساليب الشعراء في تصوير أغراضهم.

وقد عُني بأغراض أخرى على نحو موجز، وفي سياق أحاديث عامة له عن الفخر، والرثاء؛ فقد عدّ الفخر عند العرب طبعا فيهم، ولا سيما فخرهم ببيانهم، على الرغم من أنه يرى أن الفخر " قد نهت عنه الأخبار النبوية، ومجّته."[٩٢]، فالعرب، بحسب قوله: " كانت تفتخر بما فيها من البيان طبعا لا تكلّفا، وجبلّةً لا تعلّما، ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم إلّا هم، ولا ينبه على مناقبهم سواهم."[٩٣]، ولعل ما ذهب إليه الأبشيهي هنا يمثل رأيه؛ ذلك أن الناس شهدوا للعرب ما يمتلكونه من بيان، وبراعتهم فيه شعرا ونثرا، على أنه جاء بشواهد على فخر بعض الشعراء بأشعارهم، فتحدث، في الموضع نفسه، عن الشاعر كعب بن زهير(نحو ٢٤هـ) أنه كان يفخر بما يقوله من شعر، ويستحسن هو أبياته الشعرية، بقوله: " وكان كعب بن زهير إذا أنشد شعرا، قال لنفسه: أحسنت وجاوزت، والله، الإحسان. فيقال له: أتحلف على شعرك؟ فيقول: نعم لأني أَبْصرُ به منكم."[٩٤]، واحتجّ على ما ذهب إليه بما كان يصنع الشاعر الكُميت الأسدي(١٢٦هـ)، بقوله: " وكان الكميت إذا قال قصيدة صنع لها خطبة في الثناء عليها." فضلا عن إشارته إلى وسم عبد الله بن المقفع(نحو ١٤٥هـ) إحدى رسائله " باليتيمة تنزيها لها عن المثل."، بعد ذلك شرع بذكر شيء" من نظم البلغاء، ونثرهم في الافتخار، ومن تفاخر منهم."[٩٥]، وكانت أبيات الفخر، والأقوال فيه، التي جاء بها متنوعة الموضوعات، وليس في البيان أو الشعر فقط، من ذلك قول بشار بن برد(١٦٨هـ) :

إذا نحن صلنا صولةً مُضريّة هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دِما

---

[٩٠] نفسه، ٣٢٥. ولعل الخوارزمي هو الكاتب والشاعر أبو بكر الخوارزمي ٣٨٥هـ.

[٩١] نفسه، ٣٢٧. وينظر، نفسه، ٣٢٢.

[٩٢] نفسه، ١٨٦.

[٩٣] نفسه، ١٨٦.

[٩٤] نفسه، ١٨٦.

[٩٥] نفسه، ٩٤.

إذا ما أعزْنا سيدا من قبيلة ذرا منبر صلى عليه وسلما[٩٦].

وغير ذلك شعرا ونثرا[٩٧].

ويبدو أنه يميز بين الرثاء، والتعزية، فالتعزية، عامة، عنده " هي التصبّر، وذكر ما يسلّي صاحب الميت، ويخفف حزنه، ويهوّن مصيبته، وهي مستحَبة؛ فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي، عنده، أيضا داخلة في قوله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى}[٩٨]، فالتعزية، عنده، رديف التأسّي أي التصبّر؛ فقد جاء عنوان أحد فصول (المستطرف) (في التعازي والتأسّي)[٩٩]، وهي مستحبة إن اشتملت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال. وجاء بأخبار وأقوال وأشعار تعزز ما قاله، من ذلك ما قاله الشافعي(٢٠٤هـ) معزّيا أحد أصدقائه :

إنا نعزّيك لا إنا على ثقة من الحياة ولكن سُنّةَ الدينِ

فما المعزَّى بباقٍ بعد ميّتِهِ ولا المُعزِّي ولو عاش إلى حينِ[١٠٠].

فالشافعي، نحا في قوله هذا، منحى عقليا دعا فيه صديقه إلى الصبر، والاتعاظ، وهذا يشمل أكثر الأقوال والأبيات التي اختارها الأبشيهي شواهد على التعزية[١٠١].

ولم يلجأ الأبشيهي إلى تعريف الرثاء، ولا إلى بيان حدوده، وما يميّزه من التعازي خاصّةً، بل بدأه بذكر أبيات شعرية حسب، ولعل هذا يقودنا إلى الظن أنه يرى الرثاء خاصًّا بالشعر، ففي هذه الأبيات بكاءٌ على الميت وندبٌ لفقده، مما يجعلنا نذهب إلى أن الرثاء، عند الأبشيهي، هو بكاء الميت، في الشعر حسب، وهو الندب. وكان أول ما بدأ به الفصل الخاص بالمراثي قوله: " لما تُوفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه، وآله، بمراث كثيرة، منها : ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، فإنه كان أقرب الناس إليه، وهو أول من رثاه فقال:

لما رأيت نبيَّ الله متجندلا ضاقتْ عليّ بعرضهنّ الدورُ

فارتاع عند ذاك لموته والعظمُ مني ما حييت كسيرُ."[١٠٢]

---

(٩٦) نفسه، ١٨٨.

(٩٧) نفسه، ١٨٦– ١٩٠.

(٩٨) المائدة، ٢.

(٩٩) الأبشيهي، السابق، ٦٥٥.

(١٠٠) نفسه، ٦٥٦.

(١٠١) نفسه، ٦٥٨– ٦٥٩.

(١٠٢) نفسه، ٦٥٨.

وذكر بيتين للعباس بن الأحنف (٢٠٧هـ) في الرثاء، هما :

إذا ما دعوتُ الصبر بعدك والبكا   أجاب البكا طوعا ولم يُجِب الصبرُ

فإن تقطّع منك الرجاء فإنه   سيبقى عليك الحزنُ ما بقي الدهرُ[١٠٣].

وغير ذلك[١٠٤].

ولم يلجأ إلى تعريف الغزل، على أنه لم يهمله، بل ذكره فقط من دون تعريف، وجاء بمجموعة من الأبيات الشعرية في الغزل بالمذكر[١٠٥]، ومن ثمّ الغزل بالمؤنث[١٠٦]، ولعله ذكر الغزل بالمذكر لشيوعه لدى شعراء عصره، كما أسلفنا.

أقسام الشعر ومستوياته

وتحدث عن تقسيم بعضهم الشعر على خمسة أقسام، هي : المُرقِص، والمُطرِب، والمقبول، والمسموع، والمتروك، وهي مستويات شعرية متدرجة الجودة، بقوله :" قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام : مُرقِص..، ومُطرِب..، ومقبول..، ومسموع..، ومتروك.."[١٠٧]، ولم يذكر القائل بهذه الأقسام، بيدَ أننا وجدناه قد نقل ذكر هذه الأقسام الشعرية، بنصه، من ابن سعيد المغربي(٦٨٥هـ)، الذي عرّفها، وذكر لكل واحد منها أبياتا عديدة[١٠٨]، على أن الأبشيهي جاء لكل واحد من هذه الأقسام ببيت شعري واحد فقط، مما ذكره ابن سعيد، شاهدا لكل قسم، مبينا بعض ما يتعلق بالقسمين الأخيرين: المسموع، والمتروك، مما سيأتي؛ فالمُرقِص قول " أبي جعفر طلحة وزير سلطان الأندلس :

والشمسُ لا تشربُ خَمر النَّدى   في الرّوضِ إلا من كؤوس الشَّفَقِ"[١٠٩]

أما المُطرِب فـ" كقول زهير:

تراهُ إذا ما جئتَه متهلّلا   كأنّك تُعطيهِ الذي أنت سائلُهْ

---

(١٠٣) نفسه، ٦٦٠.

(١٠٤) نفسه، ٦٥٨– ٦٦٣.

(١٠٥) نفسه، ٥٤٣– ٥٥٠.

(١٠٦) نفسه، ٥٥٠– ٥٥٨.

(١٠٧) نفسه، ٥٤٣.

(١٠٨) المغربي،أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي(٦٨٥هـ)، عنوان المرقصات والمطربات، تحقيق، الدكتور محمد حسين المهداوي، والدكتور عدنان محمد آل طعمة، دار الفرات للثقافة والإعلام، بابل، العراق، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، ٤٦– ٥٠.

(١٠٩) الأبشيهي، السابق، ٥٤٣. و لعل أبا جعفر هو أحمد بن طلحة الوزير والكاتب، وزر لسلطان بني هود محمد بن يوسف بن هود الجذامي الذي لقب نفسه بالمتوكل، المتوفي عام ٦٣٥هـ، قيل إن ابن طلحة توفي نحو عام ٦٨١هـ.

ومقبول كقول طرفة بن العبد :

ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا   ويَأتيك بالأخبار مَن لم تَزوَّدِ

ومسموع مما يقام به الوزن دون أنْ يمجّه الطبع كقول ابن المعتز :

سقى المطيرةَ ذاتَ الظلّ والشَّجر   ودَيْرُ عبدونَ هطّالٌ من المَطرِ [١١٠]

ومتروك وهو ما كان كَلًّا على السمع والطبع كقول الشاعر:

تقلقلتَ بالهَمّ الذي قلقلَ الحَشا   قلاقلَ همٍّ كلُّهنَّ قلاقلُ."[١١١]

وقد ذكر القاضي الجرجاني(٣٩٢هـ) البيت الأخير في ضمن الأبيات التي عيبت على المتنبي[١١٢].

ولم يلجأ الأبشيهي إلى تعريف الأنواع الثلاثة الأولى، بل نقل تعريفي النوعين الأخيرين بنصيهما. وكان ابن سعيد قد عرّف كلَّ واحد منها كما أسلفنا؛ فقال عن المُرقِص: "ما كان مخترَعا، أو مولَّدا يكاد يلحقه بطبقة الاختراع، لما يوجد فيه من السر الذي يمكّن أزمّة الطرب من يديه، ويُلقي محبة عليه، وذلك راجع إلى الذوق والحس، مغنٍ بالإشارة عن العبارة.."[١١٣]، وقال عن المُطرب:" ما نقص فيه الغوص عن درجة الاختراع، إلّا أنّ فيه مسحةً من الابتداع"[١١٤]، وقال عن المقبول: "ما كان عليه طِلاوة مما لا يكون فيه غوص على تشبيه وتمثيل وتورية، وما أشبه ذلك، ومثلُه الحُسنُ، والبهجة، والقبول، كقول طرفة في المتقدمين :

ستُبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلا   ويأتيك بالأنباء مَن لم تَزوَّدِ."[١١٥]

وقال عن المسموع:" ما عليه أكثرُ الشعراء، مما تقام به القافية والوزن من دون أن يمجّه الطبع، ويستثقله السمع، كقول امرئ القيس:

وقوفا بها صحبي علي مطيُّهم   يقولون لا تهلكْ أسًى وتجمّلِ."[١١٦]

وقال، في الموضع نفسه، عن المتروك: " ما كان كَلًّا على السمع والطبع، كقول المتنبي:

---

[١١٠] المغربي، السابق، ٤٩.

[١١١] الأبشيهي، السابق، ٥٤٣.

[١١٢] القاضي الجرجاني، السابق، ٨٣.

[١١٣] المغربي، السابق، ٤٦.

[١١٤] نفسه، ٤٨.

[١١٥] نفسه، ٤٨.

[١١٦] نفسه، ٤٩.

فقلقلت بالهمّ الذي قلقل الحشا   قلاقل عيس كلهن قلاقل

ويذهب الدكتور إحسان عباس إلى أن ابن سعيد نفسه قد أخذ شواهد هذه الأنواع الخمسة ممن سبقه[١١٧]، على أنه لم يذكر المقصودين بقوله هذا.

ويرى، أيضا، أن معيار ابن سعيد، في تقسيمه الشعر على هذه الأنواع الخمسة، الجِدّة، والغوص على التشبيه والتمثيل[١١٨]. وأقرّ الأبشيهي ما ذهب إليه ابن سعيد، كما يبدو.

ويبدو لنا أن ابن سعيد المغربي قد تأثر، بعض الشيء، بما ذهب إليه الوحيد البغدادي(٣٨٥هـ)، وهو معاصر للمتنبي، وأحد شرّاح ديوانه، في جعله الشعر ثلاث طبقات، بقوله: " أقول إن الشعر ثلاث طبقات : أولها المُطرِب كشعر جرير وجميل وغيرهما، وتبعهما البحتري، والثاني المُعجِب كشعر كثيّر والفرزدق، وهو الجزل الجيد المعاني، ثم المُضحك. وكلما غالى الشاعر في المعاني وعمُق بعُد عن القلوب، خاصةً إن أفرد ذلك بكلام غريب، فلا حظَّ له في السَّماع."[١١٩].

استحسان الشعر

اختار الأبشيهي، لموضوعات كتابه وأبوابه وفصوله الكثيرة، عددا كبيرا جدا من الأبيات الشعرية استشهادا بها، وأظهر إعجابه بكثير منها بوسائل تعبيرية مختلفة، لعلها تشير إلى مستويات إعجابه بهذه الأبيات، واستحسانه إياها، ومدى تأثره بها، على أن هذا الاستحسان والإعجاب كان طابعهما ذوقيّا، في الأكثر.

ويبدو أنّ تعبير(لله درّ) كان من أكثر التراكيب تعبيرا عن شدة تأثره بهذا البيت أو ذاك، وتفاعله معه بمشاعر الإعجاب به، على أن الأمر كان يقف عند حدّ هذا الإعجاب وذاك التفاعل، من دون بيان السبب أو الدافع إلى ذلك، في الأكثر، إذ كان يأتي بعبارة الإعجاب أو الاستحسان بعد ذكره قولا أو حكمة، ليأتي ببيت أو أكثر أحسن صاحبُها في التعبير عن معناها، أو ما يقاربه، من ذلك قوله :" وقال علي رضي الله عنه وكرّم الله وجهه: إذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج إليه فاغتنم حمله إياه، ولله دَرُّ القائل حيث قال :

يبكي على الذاهبِ من مالِهِ   وإنما يبقى الذي يذهبُ. "[١٢٠]

---

[١١٧] عباس، الدكتور إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٦م ٥٣٣.

[١١٨] نفسه، ٥٣٥.

[١١٩] عجيل، الدكتور محسن غيّاض، المتنبي كأنك تراه، نصوص نادرة عن سيرته ونقد شعره، دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الصغيرة، ٤١٨، بغداد، ١٩٩٨م، ٦٠-٦١.

[١٢٠] الأبشيهي، السابق، ١٨.

وفي أكثر مواضع الاستحسان بهذه العبارة، وبغيرها، كان الأبشيهي لا يذكر اسم صاحب البيت أو الأبيات المستحسنة[١٢١]، إلا أنه ذكر صاحب أحد هذه الأبيات بعد عبارة (لله درّ)، وهو المتنبي، بقوله: " ولله دَرّ المتنبي حيث قال :

وللسرّ مني موضعٌ لا يناله   نديمٌ ولا يُفضي إليه شرابُ ."[١٢٢]

ويبدو لنا أن هذه العبارة تشير إلى ارتياح الأبشيهي للأبيات التي أظهر استحسانه لها بها.

ولعل استعماله صيغة التعجب (ما أحسن) كان تعبيرا عن مستوى إعجابه بهذا البيت أو ذاك، الذي جاء مقاربا للصيغة السابقة في تعبيرها عن تفاعله مع هذه الأبيات الشعرية، ومع أنه كان لا يذكر اسم الشاعر الذي يعجب بشعره، ويستحسنه، في الأكثر، يذكر أحيانا موضع إعجابه به، في معنى، أو غرض، أو غير ذلك، من ذلك قوله: " وما أحسن ما قيل في العتاب :

وفي العتاب حياة بين أقوام   وهو المحكُّ لدى لبسٍ وإبهامِ."[١٢٣]

وهو، في أكثر مواضع إتيانه بهذه الصيغة لا يذكر اسم قائل الأبيات التي يستحسنها، بل يشير إليه ببعضهم، وبالآخر، وقيل، وغير ذلك[١٢٤]. على أنه ذكر اسمي شاعرين استحسن أبياتهما، في موضع واحد، كانت في ذكر الدنيا وأحوالها؛ هما سليمان بن الضحاك، وعبد الله بن طاهر(٢٣٠هـ) الذي قال عن بيتين له :" وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر:

أليس إلى ذا صار آخرُ أمرنا   فلا كانت الدنيا القليلُ سرورُها

فلا تعجبي يا نفس مما ترينه   فكل أمور الدنيا هذا مصيرُها."[١٢٥]

وعبر الأبشيهي عن إعجابه ببعض الأبيات التي اختارها لموضوعات كتابه، وأبوابه وفصوله، واستحسانه إياها باستعماله الفعل (أحسن)، وكان من أقوى ما عبر به عن هذا ما جاء في وصفه أبياتا قالها القاضي الجرجاني في العلم وفضله، حتى برّ قوله فيها كل ما عبر به عن هذا الاستحسان، بحسن رأيه، بقوله : " وللقاضي العلّامة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني(أبيات في العلم) وقد أحسن كل الإحسان، كأنما طرزت في خُلَعٍ حِسان:

ولم أقضِ حقَّ العلم إن كنتُ كلما   بدا طعما صيّرتْهُ لي سلَّما

ولم ابتذلْ في خدمة العلم مهجتي   لأخدمَ من لاقيتُ لكن لأُخدما."[١٢٦]

---

[١٢١] نفسه، ٢٤٨، ٤١٢.

[١٢٢] نفسه، ٢٧٨.

[١٢٣] نفسه، ٢٦٥.

[١٢٤] نفسه، ١٠٥، ١٥١، ١٧٥، ٤١٢، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٧٨.

[١٢٥] نفسه، ٦٦٥. ولعله يريد بسليمان بن الضحاك: سليمان بن زيد بن ثابت بن الضحّاك٦٣هـ.

[١٢٦] نفسه، ٣٢. (أبيات في العلم) غير موجودة في الأصل.

وبين سبب إعجابه ببيتين استعمل فيهما قائلُهما الجناسَ التام الذي سماه بالجناس الحقيقي، ويبدو أن هذا الجناس هو دافعه لاستحسان هذين البيتين اللذين لم يذكر قائلهما، بقوله :" ولقد أحسن مَن قال في الجناس الحقيقي :

إذا ما نازعتك النفس حرصا فأمسكها عن الشهوات أمسِكْ

ولا تحرصْ ليـومٍ أنت فيـه وعدّ، فَرزقُ يومِك رزقُ أَمْسِكْ"[127]

ولا شك في تحقق الجناس التام أو الحقيقي بتوافق كلمتي : أمسك وأمسك توافقا تاما مع اختلاف معناهما.

وقد يكون البيت الذي استحسنه محفّزا لدى بعض الشعراء لإجازته؛ أي للنسج على منواله، والتعبير عن المعنى نفسه، بالوزن والقافية نفسيهما، من ذلك قوله : " ومن أحسن ما قيل في كتمان السر قول الشاعر:

ولها سرائرُ في الضمير طويتَها نسيَ الضميرُ بأنها في طيّهِ

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البديري فقال:

إني كتمتُ حديثَ ليلى لم أبُح يوما بظاهره ولا بخفيّهِ

وحفظتُ عهد ودادها متمسّكا في حبها برَشادِه أو غيّهِ

ولها سرائرُ في الضمير طويتَها نسيَ الضمير بأنها من طيّهِ."[128]

فذكره إجازة هذا البيت بتكراره كاملا إشارة منه إلى أن ثمة من يشاركه في استحسانه.

وجاء ببيت شعر للشاعر الأموي نُصَيب بن رباح(١٠٨هـ) في وصف الثناء والشكر، استحسانا له من دون ذكر السبب، قال :

"وقد أحسن نصيب في وصف الثناء والشكر بقوله:

فعاجوا وأثنوا بالذي أنت أهلُه ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ."[129]

وهذا بيت من أجود أبيات قصيدته التي مدح بها سليمان بن عبد الملك(٩٩هـ)[130].

---

[127] نفسه، ١٠٦.

[128] نفسه، ٢٧٦– ٢٧٧. الشيخ شمس الدين البديري: لم أعثر له على ترجمة.

[129] نفسه، ٣١٤.

[130] ضيف، الدكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي ٢، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٧٦م، ٢٢٤.

وأكثر ما استحسنه الأبشيهي أبيات مفردة، أو أكثر بقليل، على أنه استحسن قصيدة من ستة وثلاثين بيتا[١٣١]، للأديب المصري كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى(٦٩٢هـ)" في ذمّ دارٍ كان يسكنها حيث قال :

دارٌ سكنتُ بها أقلُّ صفاتها — أن تكثرَ الحشراتُ في جَنباتها

الخيرُ عنها نازحٌ متباعد — والشرّ دانٍ من جميع جهاتها

من بعض ما فيها البعوض عدمتُه — كم أعدم الأجفان طيب سناتها."

وجاء استحسانه الشعر بالفعل (أحسن) في مواضع أخرى[١٣٢].

واستعمل الفعل (أجاد) في مواضع قليلة[١٣٣]، منها أنه نصّ في أحدها على أن إجادة الشاعر كانت في بيت مفرد، بقوله :" وأعرض بعضهم عن الغراب، وتطيّر بالإبل، وذلك لكونها تحمل أثقال من ارتحل، وفي ذلك قال بعضهم مُفرِدا، وأجاد:

زعموا بأن مطيّهم سببُ النوى — والمؤذناتُ بفُرقة الأحبابِ. "[١٣٤]

وعبر عن استحسانه البيت الشعري، أو الأبيات، بوسائل لفظية أخرى، منها " ومن لطيف ما أنشد"[١٣٥]، " ومن الملح"[١٣٦]، " ورحم الله من قال:"[١٣٧]، من ذلك قوله أيضا: " ومن محاسن النظم في ذم الاحتجاب قولُ بعضهم :

سأهجرُكم حتى يلينَ حجابُكم — على أنّه لا بدّ سوف يلينُ

خذوا حذرَكم من صَفوة الدهر إنها — وإنْ لم تكن خانتْ فسوف تخونُ"[١٣٨]

وتحدث عن وصف الشاعر أبي نواس الدنيا بما يُظهر شدة إعجابه واستحسانه هذا الوصف، بقوله : " ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما عدَت ما وصفها به أبو نواس، بقوله:

وما الناسُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ — وذو نسب في الهالكين عريقِ

---

(١٣١) الأبشيهي، السابق،٣٢٣– ٣٢٥.

(١٣٢) نفسه، ٣١٤، ٣٢٣، ٤٦٧.

(١٣٣) نفسه، ١٠٥، ١٠٦، ٣١٤.

(١٣٤) نفسه، ٤٣٩.

(١٣٥) نفسه، ٢٢.

(١٣٦) نفسه، ٦١٤.

(١٣٧) نفسه، ٦٣٧.

(١٣٨) نفسه، ١٣٤.

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت   له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ."[139]

ومن مظاهر استحسانه البيت الشعري تضمينه إياه في شعره، فالأبشيهي جاء بأبيات قالها أصحابها في الحرص وذَمّه، منهم الشاعر أبو العتاهية(211هـ) الذي قال :

تعالَى اللهُ يا سلمُ بنُ عمرٍو   أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

هبِ الدنيا تُقاد إليك عفوا   أليس مصيرُ ذلك للزوالِ

فعلق الأبشيهي بقوله: " وقد ضمّنتُ البيت الأخير فقلتُ:

أيا مَن عاش في الدنيا طويلا   وأفنى العمرَ في قيلٍ وقالِ

وأتعبَ نفسَه فيما سيفنى   وجمعٍ من حرامٍ أو حلالِ

هب الدنيا تُقاد إليك عفوا   أليس مصيرُ ذلك للزوالِ."[140]

وعامة فإن الأبشيهي، فيما استحسن ما استحسنه من أبيات واستجادها وأعجب بها، كان يستند إلى تناسب هذه الأبيات الشعرية مع ما كان يأتي به من حكم وأقوال في موضوعات كتابه، التي كونت أبوابه وفصوله، وشدة تصويره لها، مع ما تتمتع به من مزايا فنية لم يُظهرها على أنها تجلت فيها.

وقد ذكر شيئا من نقد معلل قد يكون منقولا عن غيره من دون عَزْو، على أنه يحسب له، فقد جاء بقول نقدي فني دقيق عن الشاعر ذي الرمة(117هـ)، وبراعته في وصف محاسن النساء، مع كونه بدويا، بسَبْك شعريّ جيد، وألفاظٍ رقيقة، بقوله : " وقيل: ليس لأحد من شعراء العرب في نعت محاسن النساء من الأوصاف البارعة، مع جودة السبك، ورقّة اللفظ، ما لذي الرمة حتى كأنه حضَريّ من أهل المدن لا من أهل الوبر."[141]. ووصف أبياتا ثلاثة، في باب (في الخَلْق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح..) وبين مزاياها الفنية، بحسب ما يراه، قبل ذكرها بقوله: " وما أحسن هذه الأبيات، وهي من طارف الشعر ووافرِه وناقده، وجيّد الكلام وبارعِ الوصف :

وكلُّ حديث الناس إلا حديثَها   رجيعٌ وفيما حدّثتك الطرائفُ

جرحن بأعناق الظباء وأعين الـ   جآذر وارتجّت بهن الروادفُ

(139) نفسه، 671

(140) نفسه، 106.

(141) نفسه، 350.

رجحن بأردافٍ ثقالٍ وأسوُقٍ   جذالٍ وأعضاءٍ عليها المَطارفُ."[١٤٢]

واستعمل (أشعر) تعبيرا عن استحسانه بيتا قاله كعب بن زهير في الحِلْم، مقدّما إيّاه على غيره، بقوله: "ومن أشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير:

إذا أنت لم تُعرضْ عن الجهل والخنا   أصبتَ حليما أو أصابَك جاهلُ."[١٤٣]

واستعمل وصف (أصدق) في تفضيل بيت مدح به الصحابي سارية الديلي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، في الموضع نفسه، ليكون معيارا استند إليه الأبشيهي، وهو معيار أخلاقي، قال: " فمن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

فما حملتْ من ناقة فوقَ ظهرها   أبرَّ وأوفى ذمةً من محمدِ."

وهو أصدق بيت قالته العرب."[١٤٤]، فالأبشيهي يرى ما رآه الشاعر في رسول الله، وقد جاء، في الموضع نفسه، ببيتين لحسان بن ثابت في مدحه صلى الله عليه وسلم وعدهما من أحسن ما مدحه به، فضلا عن بيت لعبد الله بن رواحة عدّه من أحسن ما مُدح به الرسول الكريم.

ولعلنا هنا نستطيع القول إن ما جاء به الأبشيهي من مواضع استحسان للأبيات المذكورة وغيرها كان ضربا من الموازنة؛ ذلك أن حسن البيت أو جودته، أو غير ذلك كان بالقياس إلى غيره من أبيات قيلت في المعنى نفسه.

الشعراء، ومنازلهم، وسَقَطاتهم

تحدث الأبشيهي عن بعض الشعراء الكبار، مبيّنا ما يرى في أشعارهم من خصائص معروفة لهم، يبدو أنه استقاها من مصادره، مشيرا إلى عيوبٍ في أشعارهم، وهفواتهم فيها، مع مكانتهم التي ذكرها لهم على نحو موجز، مستندا إلى ما ذُكر عنهم قبله، وهؤلاء الشعراء، بحسب ترتيب ذكر الأبشيهي لهم، هم : جرير(١١٤هـ)، وأبو تمام، وأبو العتاهية، وبشار بن برد، والمتنبي، ولعله كان مؤمنا بما نقله عن هذا الشاعر أو ذاك. فهو يرى أن هؤلاء الشعراء، مع علوّ منازلهم في صناعة الشعر، ومع ما يمتلكون من مزايا عُرفت عنهم، يخطئون، أحيانًا، وتظهر لديهم هَنات، من سرقة مذمومة، أو غيرها؛ فهذا " جرير على سعة تبحّره وقدرته على غرر الشعر وابتكار الكلام نقلَ قولَه:

فلو كان الخلودُ بفضلِ قومٍ   على قومٍ لكان لنا خلودُ

---

[١٤٢] نفسه، ٣٤٥.

[١٤٣] نفسه، ٢٦٢.

[١٤٤] نفسه، ٣٠٣.

من قول زهير، وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان، وهو:

فلو كان حمدٌ يخلد المرء لم يمتْ ولكنّ حمدَ الناس غيرُ مُخلدِ."[١٤٥]

والحال نفسها عند أبي تمام الذي أخذ من شعراء سبقوه، مع قدرته الشعرية المعروفة، يقول الأبشيهي، في الموضع نفسه :" وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول :

وأحسنُ من نورٍ نفحتْه الصبا بياضُ العطايا في سوادِ المطالبِ

أخذه من قول الأخطل :

رأيتُ بياضا في سوادٍ كأنه بياضُ العطايا في سوادِ المطالبِ."

ووصف أبا العتاهية الذي تقدم بشعره على غيره بأنه كثير السَّقَط، في الموضع نفسه، بقوله : " ومن سقَطات الشعراء ما قيل: من أن أبا العتاهية كان مع تقدمه في الشعر كثير السَّقط." معززا هذا بروايات فيها أبيات تُعزز ما قاله فيه، منها قوله:

ألا يا عتبُ الساعه أموتُ الساعةَ الساعه.

وكان بشار بن برد الملَقّب بأبي المحدثين، الذي أقرّ له الشعراء المحدثون بالفضل والسبق، وبعض اللغويين يستشهد بشعره، يأتي أحيانا بأبيات ضعيفة، قال:" وكان بشار بن برد يسمونه أبا المحدثين، ويسلمون إليه في الفضيلة والسبق، وبعضُ أهل اللغة يستشهدون بشعره، ومع ذلك قال:

إنما عظم سليمى حبتي قصب السكر لا عظم الحملْ

وإذا أدنيت منها بصلا غلب المِسْكُ على ريح البصَلْ."[١٤٦]

وقد عُرف عن شعر بشار أنه شعر متفاوت[١٤٧].

وقال عن المتنبي:" وأبو الطيب المتنبي في فضله المشهور، وأخذه بزمام الكلام، وقوته على رقائق المعاني، وعلى ما في شعره من الحكم والأمثال السائرة، يقول:

وضاقت الأرضُ حتى صار هاربهُم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنّه رجلا

وغير شيء معناه المعدوم، والمعدوم لا يُرى، فهذا سَقَط فاحش .. وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى :

---

[١٤٥] نفسه، ٩٢.

[١٤٦] نفسه، ٩٢- ٩٣.

[١٤٧] عمر، الدكتور فائز طه، مقالات في النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٦م، ١٣٩.

إذا كان مثلك كان، أو هو كائن   فبرئت حينئذ من الإسلامِ."[١٤٨]

وقال، في الموضع نفسه، عن بيت للمتنبي مشهور:" ومما يستهجن من قوله ويكاد تمجّه الأسماع قوله :

تقلقلتَ بالهم الذي قلقلَ الحَشا   قلاقلَ عيسٍ كلُّهنّ قلائلُ."

وقد وصف الأبشيهي المتنبي بالبخل، في موضع آخر، بقوله: " وكان المتنبي بخيلا جدا، مدحه إنسان بقصيدة فقال له : كم أمّلتَ منا على مدحك؟ فقال: عشرة دنانير. قال له: والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا."[١٤٩]

ويُحسب للأبشيهي تمكنه من إيجاز نعوت هؤلاء الشعراء المذكورين، مما قيل عنهم قبله.

ويبدو أن الأبشيهي يعدّ الأخذ من عيوب الشعراء، مما اتفق فيه مع بعض السابقين في قولهم بالسرقات المذمومة[١٥٠]، وهذه العيوب والمآخذ والأخطاء عُني بها، قبل الأبشيهي، عدد من نقّاد الشعر، كالآمدي(٣٧٠هـ)[١٥١]، والمرزباني(٣٨٤هـ)[١٥٢]، والقاضي الجرجاني[١٥٣]

فقد ذكر سرقات الشعراء مع سقطاتهم، بقوله: " ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم."[١٥٤]، من ذلك " قول قيس بن الخطيم وهو شاعر الأوس والخزرج وشجاعها:

ما المالُ والأخلاقُ إلا معارةٌ   فما اسطعتَ من معروفِها فتزوَّدِ

وكيف يخفى ما أخذه مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهي معلقة على الكعبة يقول فيها:

---

[١٤٨] الأبشيهي، السابق، ٩٣.

[١٤٩] نفسه، ٢٣٦، وينظر، البصير، الدكتور محمد مهدي، في الأدب العباسي، مطبعة النعمان، الجف الأشرف، ط٣، ١٩٧٠م، ٣٤٤.

[١٥٠] ابن المعتز، أبو العباس(٢٩٦هـ)، من فصول ابن المعتز ورسائله..، جمع وتحقيق، الدكتور يونس أحمد السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م،، ٦٥، وزغلول، سابق، ١/ ٢١٣- ٢١٤.

[١٥١] الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر(٣٧٠هـ)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق، السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ١/ ١٤١، ١٥٧، ٣٧١.

[١٥٢] المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى(٣٨٤هـ)، الموشح مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥م، مواضع كثيرة، منها، ٣٦، ٨٢، ٩٦، ٢١٣، ٢٧٦، ٣٠٧، ٢٧٦، ٣٦٣، ٣٦٨، ٤٠٦، ٤٤٠، مثلا.

[١٥٣] القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز(٣٩٢هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٣٦٨هـ/ ١٩٦٦م، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ٤، ١٠، ٣١.

[١٥٤] الأبشيهي، السابق، ٩١.

لعمرُك ما الأيامُ إلا معارةٌ　　　فما اسطعتَ من معروفها فتزوّدِ."[155]،

وقد ذكر الأبشيهي، هنا، منزلة قيس بن الخطيم الاجتماعية والحربية. وذكر سرقات أخرى للشعراء، في الموضع نفسه، منها ما هو مذكور قبله، منها قوله عن المتنبي :" ومن معانيه المسروقة قوله:

ونهبُ نفوسِ أهل النَّهْب أَوْلى　　　بأهلِ المجد من نهْب القماشِ

أخذه من قول أبي تمام :

إن الأسودَ أسود الغاب همّتُها　　　يومَ الكريهة في المسلوبِ لا السَّلَبِ."[156].

وقد اعتذر الأبشيهي عن سقطات الشعراء وسرقاتهم بذكره أقوالا لبعض العرب، منها قوله: "قال الأحنف: الشريف من عُدّت سَقَطاتُه، وقلّت عثراتُه."[157]، وقال : " وقال النابغة: أيُّ الرجالِ المهذّبُ"[158].

وليس اعتذار النقاد عن سقطات الشعراء وأخطائهم بالأمر الجديد، فقد اعتذر المرزباني عن المآخذ التي أخذت على الشعراء، وبيّن أن علماء اللغة " أوجبوا العذر للشاعر فيما أورده منه.."[159]، وذهب القاضي الجرجاني إلى عدم وجود شعر يخلو من عيب، سواء أكان صاحبه جاهليا أم إسلاميا[160].

أخذ المعاني وتماثلها

ذكرنا أن الأبشيهي قد عدّ بعض الأخذ من عيوب الشعراء وسَقَطاتهم، على أنه عُني بتداول المعاني وتماثلها بين الشعراء، وبينهم وبين غيرهم، مما يصحّ عدّه داخلا فيما عرف بتوارد المعاني والأفكار العامة التي يعرفها عامة الناس؛ فهي معان مطروحة على الطريق، كما وصفها الجاحظ في قولته المعروفة هذه. وهو، في هذا وغيره، يستند إلى خزين شعري كبير مختار من كمّ أكبر، لحظ الأبشيهي من خلال عرضه تداولَ معانٍ كثيرة بين الناس كلهم، شعراء وغيرهم، رصده، وعبّر عنه بوسائل يمكن عرضها على ما وجدناه عنده، فكلما ذكر فكرة أو معنى أردفه بأبيات شعرية كثيرة، وهو في هذا يقف على خزين شعري كبير، فضلا عن الآيات الكريمة،

---

(155) نفسه، 91.

(156) نفسه، 93، وينظر نفسه، 95.

(157) نفسه، 96.

(158) حمزة، محمد فوزي، دواوين الشعراء العشرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2016م، 420.

(159) المرزباني، السابق، 2.

(160) القاضي الجرجاني، السابق، 4.

والأحاديث الشريفة، والأمثال، وأقوال الحكماء والعلماء وغيرهم، فقد قال تعليقا على معنى أتى له بأبيات شعرية كثيرة :" ولو تتبعتُ هذا المعنى لاحتجتُ إلى مجلدات، ولكن فيما ذكرتُه كفاية."[١٦١]، وقال، بعد ذكره عددا من الأبيات الشعرية، والأقوال، في معنى معيّن: " وقد اقتصرنا من ذلك على القدر اليسير."[١٦٢]، فضلا عن مواضع أخرى[١٦٣].

وقد نصّ، في مواضع، على أخذ الشاعر ممن سبقه، مما يمكن عدّه مما عرف بالسرقات المحمودة، من ذلك قوله: " ولله دَرُ القائل :

الله يعلم أنه ما سرّني   شيءٌ كطارفة الضيوف النُّزّلِ

ما زلتُ بالترحيب حتى خلتَني   ضيفا له، والضيفُ ربّ المنزلِ

أخذه من قول الشاعر:

يا ضيفَنا لو زُرتَنا لوجدتَنا   نحن الضيوفَ وأنت ربُّ المنزلِ."[١٦٤]

ورصد، في سياق وقوفه على الأخذ، تحويل الشاعر الآخذ المعنى المأخوذَ من غرضه إلى غرض آخر، مما فعله أبو تمام في أخذه معنى من شعر لعمر بن أبي ربيعة في الغزل حوّله إلى المديح، بقوله :" وقال عمر بن أبي ربيعة:

ذاتُ حُسنٍ إن تغِبْ شمسُ الضحى   فلنا من وجهها عنها خَلَفْ

أجمعَ الناسُ على تفضيلِها   وهواهمُ في سوى هذا اختلفْ

أخذ أبو تمام المعنى فردّه إلى المدح فقال:

لو أنّ إجماعَنا في فضلِ سُؤدُدِهِ   في الدين لم يختلفْ في الأمة اثنانِ."[١٦٥]

وثمة مواضع أخرى نص فيها على أخذ الشعراء من بعضهم[١٦٦].

ورصد أخذ بعض الشعراء معانيَ من أقوال نثرية، مما لحظه عند الشاعر أبي العتاهية، بقوله: " ولما مات إسكندر قال أرسطا طاليس: أيها الملك لقد حرّكتَنا بسكونك. وقال بعض

---

[١٦١] الأبشيهي، السابق، ٣٧٣.

[١٦٢] نفسه، ٢٧٨.

[١٦٣] نفسه، ٣٨١، ٣٨٩. مثلا.

[١٦٤] نفسه، ٢٥٨.

[١٦٥] نفسه، ٣٤٧.

[١٦٦] نفسه، ٢٨٤، ٣٤٥، ٦٦٠. مثلا.

الحكماء من أصحابه: لقد كان الملكُ أمسِ أنطقَ منه اليومَ، وهو اليوم أوعظ من أمس. أخذه أبو العتاهية فقال:

كفى حزنا بدفنك ثم إني نفضتُ ترابَ قبرك من يديّا
وكانتْ في حياتك لي عظاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا."[١٦٧]

ونصّ على نظم بعض الشعراء معنى جاء في قول نثري، جوابا عن سؤال أحدهم عن بخيل، أيمكنه من كسوته؟ " فقال : والله لو كان له بيتٌ مملوءٌ إبرا وجاء يعقوبُ ومعه الأنبياءُ شفعاءَ والملائكةُ ضمناءَ، ويستعير منه إبرةَ ليخيط بها قميصَ يوسف الذي قُدّ من دُبُر، ما أعاره إياها، فكيف يكسوني؟ وقد نظم ذلك مَن قال :

لو أنّ دارَك أنبتت لك واحتشتْ إبرا يضيقُ بها فناءُ المنزلِ
وأتاك يوسفُ يستعيرُك إبرةً ليخيطَ قَدَّ قميصِه لم تفعلِ."[١٦٨]

وجاء برواية عن بعض الجبناء، عبّرعن معناها شاعرٌ بثلاثة أبيات، نذكر منها بيتا، بقوله : " وفي ذلك يقول بعضهم شعرا:

يقول جبانُ القوم في حال سُكرِهِ وقد شربَ الصهباءَ هل من مبارزِ."[١٦٩]

ولم يفت الأبشيهي فكرة أو معنى إلا وأردفه ببيت من الشعر، أو بأبيات فيه، مما ظهر من مقدمة الكتاب حتى صفحاته الأخيرة، قال في المقدمة متحدثا عن تنوع مادة كتابه (المستطرف..) وموضوعاته: " وجعلته ينتظم على أربعمئة وثمانين بابا، من أحسن الفنون، متوجة بألفاظ كأنها الدُرُّ، كما قال بعضهم شعرا في المعنى :

ففي كل بابٍ منه درٌّ مـؤلَّفٌ كنظم عقودٍ زيّنتْها الجواهرُ
فإن نُظِم العقدُ الذي فيه جوهرٌ على غير تأليفٍ فما الدرُّ فاخرُ."[١٧٠]

وهذا هو ديدنه الذي يستغرق جميع أبواب الكتاب وفصوله، وما جاء فيها من معان وأفكار، إذ وجد لها ما يعبّر عنها شعرا كثيرا، لشعراء بعضهم كان مشهورا معروفا، وبعضهم كان مغمورا، قديما أو معاصرا له، اختار لهم من أشعارهم ما يطابق معاني الكتاب وموضوعاته، يناظرها، أو يماثلها ويشبهها، من ذلك نصُّه على أنّ ما قاله أحدُهم هو (نظيرُ) قول شاعر، يقول: " وقال

---

[١٦٧] نفسه، ٦٦٧– ٦٦٨.

[١٦٨] نفسه، ٢٣٦، وينظر، نفسه، ٤٧٤.

[١٦٩] نفسه، ٣٠٢.

[١٧٠] نفسه، ٧.

حبيب بن ثابت: ما احتجت إلى شيء استقرضه إلا استقرضته من نفسي. أراد أنه يصير إلى أن تكون الميسرة. ونظيره قول القائل:

وإذا غلا شيءٌ عليَّ تركتُهُ   فيكون أرخصَ ما يكونُ إذا غلا."[١٧١]

وقد يكون معنى الشعر (مماثلا أو مشابها) لما أتى به من قولٍ أعقبه ببيتٍ شعري سابق، نحو قوله : " ويقال : من اصفرّ وجهُه من النصيحة اسودّ لونُه من الفضيحة. وقال طرفة:

ولا تَرفدنَّ النُّصحَ من ليس أهلَه   وكن حين تستغني برأيك غانيا

وإنِ امرؤٌ يوما تولّى برأيه   فدعْه يصيب الرشد أو يكُ غاويا

وفي مثله قال بعضهم :

من الناس من إن يستشرْكَ فتجتهدْ   له الرأيَ يستغششكَ ما لم تتابعُهْ

فلا تمنحنَّ الرأيَ من ليس أهلَه   فلا أنت محمودٌ ولا الرأيُ نافعُهْ."[١٧٢]

واستعمل في تماثل المعاني (نحو)[١٧٣]، أو (كما قيل)[١٧٤]

وكثيرا ما ذكر أبياتا شعرية ناظرتْ ما جاء في آيات القرآن الكريم، من ذلك ما قاله في باب (في الصمت وصون اللسان..)،" قال الله تعالى: { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرضْ عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيرِه}[١٧٥]، ومما أنشدوه في هذا المعنى:

وسمعَك صُن عن سماع القبيح   كصون اللسان عن النطق بهْ

فإنك عند سماع القبيح   شريكٌ لقائله فانتهْ

وكم أزعج الحرص من طالب   فوافى المنية في مطلبهْ."[١٧٦]

وقال في معنى حديث شريف :" وقال عليه الصلاة والسلام:{إن روحَيْ المؤمنَينِ ليلتقيان من مسيرة يوم وما رأى أحدُهما صاحبَه}. وفي ذلك قال بعضُهم :

هويتُكم بالسَّمع قبل لقائكم   وسمعُ الفتى يهوى لعمري كطرفهِ

وخُبِّرتُ عنكم كلَّ جودٍ ورفعة   فلما التقينا كنتُمُ فوق وصفهِ."[١٧٧].

---

[١٧١] نفسه، ١٤٣، وينظر، نفسه، ٤٩٢.

[١٧٢] نفسه، ١١٣. وامرؤ، في الأصل، امرأ.

[١٧٣] نفسه، ٥٣٢.

[١٧٤] نفسه، ٥٣٨.

[١٧٥] القلم، ١٠- ١١.

[١٧٦] الأبشيهي، السابق، ١٢٢.

[١٧٧] نفسه، ١٧٠، وينظر، نفسه، ١٧٦. والحديث في مسند أحمد ٦٦٣٦.

وكثيرا ما جاء بأقوال حكماء فأردفها بما قيل في معناها من شعر، من ذلك قوله : " وقال بعض الحكماء : إذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذرْه جُهدَك. قال عبد الله بن طاهر :

خليلي للبغضاء حالٌ مبينةٌ   وللحبِّ آثارٌ تُرى ومعارفُ

فما تُنكر العينان فالقلبُ منكرٌ   وما تعرفُ العينان فالقلبُ عارفُ

وقال آخر: .. وقال آخر: .."(١٧٨)

ويأتي، أحيانا، بمثل قديم ليردفه بما قيل فيه، أو في معناه شعرا، كقوله :" وفي الأمثال القديمة : احذروا زُمّارة المخدّة، وفيه قيل :

ليس الشفيعُ الذي يأتيك متّزرا   مثلَ الشفيع الذي يأتيك عريانا."(١٧٩)

وكثيرا ما كان يردف تعليقاته بأبيات في معناها، من ذلك قوله : " فيجب على الإنسان أن لا يصحب إلا من له دين وتقوى، فإن المحبة بالله تنفع في الدنيا والآخرة، وما أحسن ما قال بعضهم :

وكلُّ محبةٍ في القلب تبقى   على الحالين من فَرَجٍ وضيقِ

وكلُّ محبةٍ فيما سواه   فكالحلفاء في لَهَب الحريقِ. "(١٨٠)

وقد يأتي بأبيات فيردفها بأبيات تتضمن معنى مضادّا لمعناها، نحو قوله :" وقال الأبرش العكلي يمدح بعض القضاة :

رفضتُ وعطّلتُ الحكومة قبله   في آخرين وملّها رُوّاضُها

حتى إذا ما قام إلْفٌ بينها   بالحقّ حتى جُمعت أوفاضُها

وفي ضد ذلك قال بعضهم :

أبكي وأندبُ ملّةَ الإسلامِ   إذ صرتَ تقعدُ مقاعدَ الحكّامِ

إنّ الحوادثَ ما علمتَ كثيرةٌ   وأراك بعضَ حوادث الأيام."(١٨١)

==================================

---

(١٧٨) نفسه، ١٧١.

(١٧٩) نفسه، ١٢٩، وينظر، نفسه، ٦٣٨.

(١٨٠) نفسه، ١٧٥.

(١٨١) نفسه، ١٤١. والأبرش العكلي : لم أقف له على ترجمة. ولعل تحريفا جرى على لقبه الذي أظنه الكلبي؛ لذا فأظن أنه الأبرش بن حسان الكلبي الذي عُرف في عهد هشام بن عبدالملك(١٢٥هـ)، وكانت له أخبار معه. الجاحظ، السابق، ١/ ٣٤٥، هامش(٤)، ٢/ ٢٣٩، الأصفهاني، أبو الفرج(٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق، الدكتور يوسف البقاعي، وغَريد الشيخ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٢/ ٢٤٢، ١٤٦/١١، ١٧/ ٩، ٢١/ ٢٧٨.

وعرض الأبشيهي للفنون الشعرية المستحدثة من قبلُ : الموالي، والدوبيت، وكان كان، والموشحات، والزجل، والحماق، والقومه، والألغاز، وأفرد لها بابا من أبواب كتابه[١٨٢] واختار لها الكثير من الأشعار. وخصص الباب السادس[١٨٣] للأمثال السائرة من القرآن الكريم، والحديث الشريف، ولأمثال العرب، وأمثال العامة والمولدين، ولأمثالٍ عامية منظومة، رتّبها على حروف المعجم، ذكر فيها أمثالا سائرة بين الرجال، وأخرى بين النساء.

وأفرد أبوابا وفصولا لبعض الأنواع الفنية للنثر؛ فقد جعل بابا[١٨٤] للأجوبة المسكتة والمستحسنة، ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك، وخصّص لذكر الخطب والخطباء فصلا[١٨٥]. وثمة باب آخر[١٨٦] في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك.

وذكر أيضا عددا كبيرا من الروايات النقدية[١٨٧]، نهلها من الكتب الكثيرة التي اختار منها مادة كتابه، جاء بها شواهد على ما كان يقوله، وهي تشير إلى معرفته الكبيرة بالتراث النقدي الأدبي العربي.

المصادر :

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر(٣٧٠هـ)، الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري، تحقيق، السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد(٨٥٠هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق، الدكتور مصطفى محمد الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٠م.

أنيس، الدكتور إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.

البصير، الدكتور محمد مهدي، في الأدب العباسي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط٣، ١٩٧٠م.

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين البابانى(١٣٩٩هـ)، هدية العارفين، وكالة المعارف الجليلة، استانبول، ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفسيت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

أبو تمّام، حبيب بن أوس الطائي(٢٣١هـ)، ديوان الحماسة، تحقيق، الدكتور عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس(٤١٤هـ)، البصائر والذخائر، تحقيق، الدكتور وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط٤، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

---

[١٨٢] نفسه، ٥٤٣– ٥٩١.

[١٨٣] نفسه، ٤٢– ٦٣.

[١٨٤] نفسه، ٨٦– ٨٩.

[١٨٥] نفسه، ٩٠.

[١٨٦] نفسه، ١١٤– ١١٨.

[١٨٧] نفسه، ١٣، ٧٥، ٩٠، ١٤٤، ٣٠٨، ٣٢٢، وغيرها كثير.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(٤٧١أو ٤٧٤هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

حمزة، محمد فوزي، دواوين الشعراء العشرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٣، ٢٠١٦م.

الحموي الرومي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي(٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.

الرازي، فخر الدين(٦٠٦هـ)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، القاهرة، ١٣١٧هـ.

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي(٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.

زغلول، الدكتور محمد سلّام، تاريخ النقد العربي، دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(٥٣٨هـ)، ربيع الأبرار وفصوص الأخيار، تحقيق، طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

ابن سنان الخفاجي، الأمير أبو محمد عبد الله بن سعيد(٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

السيد تقلاوي، علوية قسم الله، الاختيارات الشعرية في كتاب (المستطرف في كل فنٍّ مستظرف) للإمام شهاب الدين بن أحمد الأبشيهي، (دراسة نقدية تحليلية)، رسالة ماجستير، إشراف، الدكتور حبيب الله علي إبراهيم، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، السودان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق، محمد أحمد جاد الله وغيره، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت.

الصالح، الدكتور صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

ضيف، الدكتور شوقي، تاريخ الأدب العربي ٢، العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٧، ١٩٧٦م.

عباس، الدكتور إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٦م.

عجيل، الدكتور محسن غياض، المتنبي كأنك تراه، نصوص نادرة عن سيرته ونقد شعره، دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الصغيرة، ٤١٨، بغداد، ١٩٩٨م.

عمر، الدكتور فائز طه، فكر وفن دراسات في النثر العربي، دار المعتز، عمّان، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م.

مقالات في النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٦م.

القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز(٣٩٢هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٣٦٨هـ / ١٩٦٦م.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم(٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، تحقيق، مفيد قميحة، ومحمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

المتنبي، أبو الطيب(٣٥٤هـ)، الديوان، اعتنى به وشرحه، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة للنشر، بيروت، ط٥، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى(٣٨٤هـ)، الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٥م.

مطلوب، الدكتور أحمد، دراسات بلاغية ونقدية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ابن المعتز، أبو العباس(٢٩٦هـ)، من فصول ابن المعتز ورسائله..، جمع وتحقيق، الدكتور يونس أحمد السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م.

المغربي، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي(٦٨٥هـ)، عنوان المرقصات والمطربات، تحقيق، الدكتور محمد حسين المهداوي، والدكتور عدنان محمد آل طعمة، دار الفرات للثقافة والإعلام، بابل، العراق، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م.

أسماء الناس ودلالاتها الاجتماعيّة
دراسة تحليليّة

الأستاذ الدكتور مهدي صالح سلطان
جامعة الإمام جعفر الصادق (ع)

الملخص:

الاهتمام بالأسماء هو اهتمام الناس بلغتهم. هو شكل من أشكال التفكير يلفت الانتباه إلى الأثر المتبادل بين المجتمع ولغته، ولاسيما اختيار الكلمات البليغة، والدلالات، والصفات التي تمتلكها الأسماء من الخير، والقبح، والخفة، والوزن، والذكاء، وما يتركونه. خلف. للأسماء آثار نفسية واجتماعية، خاصة الأسماء القبيحة التي قد ترث مجموعة معقدة من الإذلال والضغط النفسي.

كانت أسماء العرب في العصر الجاهلي معبرة عن بيئتهم وما يأملون ويخافون ويتأملون. لكن الاسم القبيح قد يجلب القذف والغيرة والإذلال والسخرية.

نهى الرسول الكريم عن التسمية بما يسيء إلى اسم العبد ويهين كرامته ويضر به. استبدل الرسول بعض الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة، لما يصاحب الاسم من ضرر نفسي وتأثير اجتماعي. كما قام بتغيير أسماء بعض المدن، وخاصة مدينته من يثرب إلى طيبة، وكأنه يكره الضرب لأنه فساد في كلام العرب.

على الناس أن يختاروا أسماء أبنائهم وبناتهم، بما تجيزه اللغة، ولكن ما يميز الاسم هو الثقافة والعادات الدينية والاجتماعية.

المقدّمة:

الاهتمام بالأسماء اهتمامٌ بتداول الناس للغتهم، ومدخلٌ من مداخلِ الاستعمالِ اللهجي للمجتمعات العربيّة[١]، ولونٌ من ألوان التفكير الذي يُنَبِّهُ على العناية بالأثَرِ المتبادلِ بين المجتمعِ ولغتِه، ولاسيما اختيارُ الفصيحِ من الألفاظِ والتراكيبِ والدلالات، وبما تُحمِلُه الأسماءُ من صفاتِ الحُسنِ والقُبحِ والخِفّةِ والثِّقَلِ والطرافَة، وما تتركُهُ في المسمياتِ من آثارٍ نفسيةٍ واجتماعيّة، ولاسيما الأسماءُ القبيحةُ التي ربّما تُورِثُ عقدةَ الحقارةِ والضَغطِ النفسي .

أمّا أسماءُ العربِ فكانت تُعَبِّرُ عن بيئتِهم، ومنقولةٍ عمّا كانوا يجاورون ويختلطون ويتخيّلون،

---

[١] الأعلام العربيّة ٥ .

فمنهم من يُسُمِّي بالسباع، كناية عن القوّةِ والقدرةِ والمَنَعَةِ والمهابةِ وتَرهيبِ الأعداءِ، نحو: أسد وسبع وشبل وليث وفراس ونمر وذئب جماعة)[٢]، ومنهم من يُسُمّي بما غُلُظَ وخَشُنَ، كصخرٍ وجَندلٍ وحجرٍ للصلابةِ والشِّدةِ والصَّبرِ والبقاء، وكلبٍ: للألفةِ والحراسة، أو قد يُسَمِّي الرجلُ بأوّلِ ما يلقاه حين يخرجُ وامرأتُهُ تمخضُ فيُسمِّي المولود باسمِ إنسانٍ أو حيوانٍ أو طيرٍ أو جبل[٣]، وحينها تستندُ التسميةُ إلى المصادفة وأقرب ما يشيرُ إلى المُسَمَّى الذي يقدح في ذهن المُسَمِّي، وهذا يُفسِّرُ غرابة بعض الأسماء المنقولَة عنهم ؛ فيُذكَرُ أنَّ غالبَ تسمياتِ العربِ منقولةٌ من أحوالٍ تَرِدُ بهم[٤]؛ فأسماؤهم منقولة عمّا يدور في أذهانهم من محسوسات وغيرها، ومن أحوالٍ نفسيّةٍ واجتماعيّةٍ واقتصاديّةٍ وسياسيةٍ وأمنيّةٍ ظهرت فيما يسمون، وممّا يهابون ويخافون، أو يتفاخرون ويأملون ويتأمّلون[٥]، لكن قد يجلبُ الاسمُ القبيحُ النَّكدَ والنَّحسَ والاستهزاء ؛ وكان ابن دريد قد نقل دفاع العرب في تسميةِ أبنائها بالأسماءِ المُستشنعة، وتسميةِ عبيدِها بالأسماءِ المستحسنةِ، بأنهم يُسمّونَ أبناءَهم لأعدائهم، ويُسمّون عبيدهم لأنفسهم، كبدر وجوهر ولؤلؤ ومرجان وياقوت ومسك وريحان[٦] .

والمأثور عن النبيّ الكريم منعُه التسميةِ بما يسيء للمُسمّى، ويَمُسُّ بكرامتِه، وينالُ منه، وقد غَيّرَ بعضَ الأسماءِ القَبِيحةِ إلى أسماء حَسَنة، لِما للقبيحةِ من ضَرَرٍ نَفسِيٍّ وأثَرٍ اجتماعيٍّ يلازمُ المُسمّى ويسيءُ إليه، ومن الأسماءِ التي يُروَى أنّه غَيَّرَها، اسمَ أسودَ وسوداء، وبغيضٍ وجُثامة وحرب، وسائبٍ وشيطانٍ وغافلٍ وغرابٍ ومُرّةٍ وسارقٍ وظالمٍ وحمارٍ وكلبٍ وقردٍ وحُصين ... إلخ، فكانت الدعوةُ إلى تغييرِ الأسماءِ دعوةً إلى التفاؤل، فاسمُ عاصيةٍ على سبيلِ المثالِ دالٌّ على تشاؤمٍ فغيّرَهُ إلى مطيعة[٧] ؛ وغيَّرَ أسماءَ بعضِ المدنِ ولاسيما مدينتُهُ ؛ (وأنّه نهى أن يُقالَ للمدينةِ يَثْرِبُ وسمّاها طَيبَة، كأنّه كَرِهِ الثَّرب، لأنه فسادٌ في كلامِ العرب)[٨] . وفي التنزيل: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ . يوسف ٩٢﴾، أي لا ذنب ولا تقريع[٩] .

---

[٢] فقه اللغة للثعالبي ٥٤٨ . ٥٤٩ .

[٣] الاشتقاق ١/٥ . ٦ .

[٤] إسعاف الأعيان بأنساب أهل عُمَان ٢٦ .

[٥] قلائد الجمان ٢١ . ٢٢ .

[٦] الاشتقاق ١/ ٤ . ٦ .

[٧] أسد الغابة ٦/ ٢٦٥ .

[٨] لسان العرب ١/ ٤٧٥ .

[٩] مفردات الراغب ١٨٢ .

(١)

وقد مَيّزوا بين الاسمِ والكُنيةِ واللقب، أمّا الاسمُ فما لم يكن بكنيةٍ ولا لقب، والكُنية: ما كان في أوّلُه أبٌ أو أمٌّ أو غيرهما، واللقب: ما أشعر بصفة مدحٍ أو ذم أو غيرهما، والذي يتأخّر عن الكنية والاسم[١٠]، مثل: أبو محمدٍ عليٌّ زينُ العابدين سَيِّدُ الساجدين .

فالاسمُ: هو العلم الذي يوضع لمُسمّى لِيُعلمَ به، ولِما استقلّ في إفادةِ معناه، والذي يوضع ابتداءً لتعيين المسمّى[١١]، فالمقصود من التسمية تمييز المُسمّى من غيره بالاسم الموضوع له ليتعرّف به ويُنادى .

وقد يدلُّ لفظُ الاسمُ على مسمّاه بنفسِه في استحضارِ معناه، ويكونُ بين الاسمِ والمُسمّى ترابطٌ وتلازم، في الأقلّ في تداول المجتمع ولغته، فينكرُ على سبيلِ المثالِ النبيّ الكريم اسم (بغيض اِبن عامر بن هَوذة)، حين وَفَدَ عليه، وكان من رؤساءِ قبيلةِ تميم في الجاهليّة، فسمّاه حبيبًا، لاستبشاع دلالة بغيض[١٢]؛ وهو الذي ذكره الحُطيئة (ت ٤٥ هـ) [١٣]:

بَغيضٌ وما سَمَّوا بغيضًا لباطلٍ ولكنّهم كانوا حُماةَ الحقائقِ

وفي المقابل قَلَبَ الحجاجُ بن يوسف الثقفي (ت ٩٥ هـ) دلالةَ اسمِ التابعيّ سعيد بن جُبير (ت ٩٥ هـ)، فيُقابلُ دلالة اسمه بضدّه، قائلًا: أنت شَقِيُّ بن كُسير، فيُجيبُه: أميّ كانت أعلم باسمي منك[١٤].

أمّا في المنظور النحويّ: فـ(الاسم ما يدلّ على مسمّاه مطلقًا)[١٥]؛ وربما لا يدلّ على مُسَمّاه في العقلِ والمنطق، قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ـ النجم ٢٣﴾؛ لأنّ تسمية معبودات المشركين آلهة تسمية زائفة، إذ هي مجرد أسماء لا حول لها، أسماء خالية من أيّة قيمة مُدّعاة[١٦] .

ويعتقد الروحانيون أنّ لأسماءِ الله الحسنى طاقةً شفائيّة، مستندين إلى مثلِ قوله تعالى:

---

(١٠) شرح ابن عقيل ١/ ١/ ١١٩ .

(١١) معجم غريب الفقه والأصول ٥٤ .

(١٢) الاشتقاق ٢٥٦ .

(١٣) أنساب الأشراف ١٦٩/١٢ .

(١٤) الكامل للمبرد ٢ / ٧٣، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤٠ .

(١٥) شرح ابن عقيل ١١٨/١ .

(١٦) أنظار لسانيّة في آيات وسور قرآنيّة ٤٥ . ٤٦ .

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ـ التوبة ١٤﴾، ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ـ يونس ٥٧﴾، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ـ الشعراء ٨٠﴾، ومن الحديث الصحيح: (أسألُكَ بكلِّ اسم هو لك سمّيتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، وشفاءَ صدري، وجلاءَ حزني، وذهابَ همّي وغَمّي ...) [١٧] .

أمّا الكنايةُ في اللغةِ فهي السِّترُ والإخفاء، وفي الاصطلاح: ما صُدِّرَ بأبٍ أو أمٍّ حالَ كونِهما مضافين لما بعدَهما من اسم[١٨]، وقد اعتنى العربُ بالكنيةِ أيّما عناية، وكانت خاصيّةً خاصّة بالحضارةِ العربيّةِ الإسلاميّة، وفي التكنية تشريفٌ وتكريمٌ وتوقيرٌ ورفعةٌ للمُكنّى، لذلك لا يجوزُ أن يُكَنّى بحضورِ من هو أعلى من صاحبِ الكُنية، أو حتى بحضورِ الوالدِ أو الأَسَنّ أو الأجلّ مقامًا، إذ يتجنبون نداء من هو أعلى باسمه بل بكنيته بأبي فلان أو أم فلان، لكراهة الخطاب بالاسم لمكانة المُخاطب، فيُستَرُ اسمه احترامًا له، فيُخاطبُ بكنيته؛ لذلك قد يُسألُ عن كنيةِ المُخاطبِ لخطابه بكُنيَتِه، تجنّبًا لخطابه باسمه .

وقد يُكَنَّى الإنسانُ بأكبر أبنائه أو أبرزهم أو أحبّهم، ومن الكنى العراقية التي تعارف العراقيون على تداولها، لمناسبة تجمع بين الاسم والكنية، والتي ربما تتبادر في الاستعمال، مثل: محمد يقولون: أبو قاسم أو جاسم، نسبة إلى كنية النبي الكريم أبي القاسم، وعليٌ يُكَنّى أبو حسن أو أبو حسين، نسبة إلى أمير المؤمنين، وهكذا إبراهيم أبو خليل، وموسى أبو عمران، وسلمان أبو داوود، والحسين أبو عبد الله، وأحمد أبو شهاب، ومحمود أبو شاكر، وخالد أبو وليد، وعبود أبو نجم، ونجم أبو سهيل، وعمار أبو ياسر، وفيصل أبو غازي، وصباح أبو نور، وصلاح أو صالح أبو مهدي، وعبد الله أبو نجم، وهادي أبو حسن ... إلخ .

وقد تُكنَّى المرأة مثلما يُكنّى الرجل، جاء في معلقة عَمرو بن كلثوم[١٩]:

صَبِنتِ الكأسَ عنّا أمَّ عَمرٍو   وكان الكأسُ مجراها اليَمِينا

وجرير يكنّي عن محبوبته[٢٠]:

يا أمَّ عَمرٍو، جزاكِ اللهِ مغفرةً   رُدّي عَلَيَّ فؤادي كالذي كانا

---

[١٧] المسند لأحمد بن حنبل (تسلسل الحديث ٣٧١٢) ٣/ ٥٥٩، وبحار الأنوار ٩٢ /٢٧٩ .

[١٨] شرح الحدود النحويّة ٧٣ .

[١٩] ديوانه ٦٤ .

[٢٠] الديوان ١/ ١٦١ .

وقيل: إنّ أمَّ عَمرٍو كنيةٌ لامرأة أيّة امرأة، ليست محدّدة بالضرورة، أو تلطُّفًا، وإخفاءً للاسم الحقيقي، ويُحكى من بين حكايات أُخَرَ، أنَّ رجلًا دائمُ السَّخَطِ على زوجِه، وكان لا يُطيقُها، وكان له حمار، ففقده ذات يوم، ثم عَلِمَ أنّها امتطت الحمار وَوَلّت، فسأله بعضهم عن حاله، فأجاب[٢١]:

ذهبَ الحِمارُ بِأُمِّ عَمْرٍو فلا رجعت ولا رجع الحمارُ

فكأنّه يقصد الدُّعاء عليها لهوانها، أي لا أرجعها الله، أو بحسبِ ما يُتداول (الله لا يردها) .

أمّا تكنيةُ أبي لهب، في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ـ المسد ١﴾، فلم تكن للرفعة والتشريف والتكريم، فيحتملُ الزمخشري أنّ هذه الكنية إمّا لاشتهاره بها دون الاسم، أو لتجنّب اسمه (عبد العزّى) والعِزّى: صنم من أصنامهم[٢٢]، ما يدلُّ على عبوديّة غير الله، أو لمّا كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حال كنيته، فكان جديرًا بأن يُذكرَ بها[٢٣] .

ومن جملة ولع العرب بالكُنى أنّهم قد يكنّون العقيم الذي ليس له أبناء، فقد يُكنّى بأبي (غايب)، وقد يكُنّى حتى عن إبليس بأبي مُرّة، وكانوا يكنّون المولود، تفاؤلًا بأنه سيعيش، حتّى يولدُ له، وللأمن من أن يسبقَ اللقب السيّء إلى التعريف، وأُثِرَ عنهم: (بادروا أولادكم بالكُنى أن تغلبهم الألقاب) السيّئة، التي يلصقها الزاري أو العدو أو الماجن، ويُكَنّون حتّى عن المدن كأمّ القرى لمكّة، وأم الخبائث الخمرة، وأمّ قشعم: المَنِيّة، والحيوان كأبي الحصّين للثعلب، وأمّ عامر للضبع، وأبو فراس للأسد، وأبو أيّوب للجمل، ومنه أبو صابر للبغل ؛ وقد يُكنّى للتعريف بجنس من الأجناس كابن آوى للثعلب، وأمّ لبون أي ذات لبن، وكنَّوا عن الجماد كأبي قُبيس لجبل بمكّة، وكذلك لمواضع من جسم الإنسان كأمّ الرأس لأعلى الهامة ... إلخ .

وقد تحل الكنية محلّ الاسم وتعامل معاملته، وقد يجتمع في اللفظ الواحد الكنية واللقب باختلاف الاعتبار، ككنية الإمام عليّ بن أبي طالب: (أبي تراب) ولقبه كذلك أي اجتماع الأمرين، أمّا اسم علِيٍّ فعلى وزن فعيل إذا نُسِبَ إلى العلوِّ: (علا يعلو عليو) بقلب الواو ياءً[٢٤]،

---

(٢١) المستطرف ٢/ ٥٢٠ .

(٢٢) الاشتقاق ٤٧ .

(٢٣) الكشاف ١٢٢٧ .

(٢٤) ترتيب كتاب العين ١٢٧٩/٢ .

(وقد سَمَّت العرب في الجاهليّة عليًّا ...) [٢٥] ؛ أمّا من يُنسب (إلى عليّ بن أبي طالب رض، قالوا: عَلَويٌّ، وإذا نسبوا إلى بنيّ عليّ، وهم قبيلة، من كنانة، قالوا: العَلِيّونَ ...) [٢٦] .

وقد تجلبُ الكنيةُ الغريبةُ التي لا يُشتركُ فيها أحد التَّمَيّز، قال أبو حيّان الأندلسي: (إذا كانت الكُنية غريبة لا يكاد يشترك فيها أحد مع من تكنّى بها في عصره، فإنّه بها يطير ذكره في الآفاق، وتتهادى أخباره الرّفاق، كما جرى في كنيتي بأبي حيّان) [٢٧] .

أمّا اللقب فهو اسمٌ غير مُسمّى به[٢٨]، يوضعُ بعد الاسم العلم للتعريف أو التشريف، أو لفعل المُسمّى أو صفة اشتهر بها ولازمته بين الناس، أو ما دلَّ على مدح أو ذمٍّ لمعنى فيه[٢٩]، فإمّا أن يكون اللقب للتشريف أو التعريف أو التنقيص[٣٠]، وربما ناب اللقب عن الاسم وحلّ محلّه في الخطاب، فـ(يا أيُّها النبيّ) لقبٌ، تكرر النداء به ثلاث عشرة مرّة في القرآن الكريم، و (أيها الرسول) ثلاث مرّات، تعظيمًا للمبعوثِ رحمة للعالمين؛ ولم ينادِه الباريّ عزَّ وجل باسمه، بل بنعته وصفته بعنوان الرسالة والنبوّة، لذلك منعوا ندائه باسمه أو كنيته، لقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ـ النور ٦٣﴾ . في حين نودِيَ الأنبياء بأسمائهم: ﴿يا آدمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ . البقرة ٣٣﴾، و ﴿يا نوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ . هود ٤٨﴾، و ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ـ هود ٧٧﴾، ويا لوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ـ هود ٨١﴾، و ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ . الأعراف ١٣٤﴾، و (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ـ سورة ص ٢٦﴾، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ـ مريم ٧﴾، و ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ـ مريم ١١)، و ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ . آل عمران ٥٥﴾ ... إلخ، ولبعضِ الرسلِ ألقاب أخذت من القرآن الكريم: إبراهيم الخليل ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا . النساء ١٢٥﴾، وموسى الكليم ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . النساء ١٦٤﴾، وعيسى المسيح ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ . النساء ١٧١﴾ قدّم اللقب لشهرته، ويونس ذو النون ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا . الأنبياء ٨٧﴾ .

فاللقب قد يكون لصفةٍ يتصف بها صاحب الاسم أو مكانة ارتقى إليها أو وظيفة تسنّمها، ومن الصفات: صفة الصدق والأمانة والطيّبة والأدب: الصادق والطيّب والأمين ... إلخ،

---

[٢٥] الاشتقاق ٥٤ .

[٢٦] لسان العرب ٤ / ٣٠٩٥ .

[٢٧] البحر المحيط ١١٣/٨ .

[٢٨] تاج العروس ٢٢٠/٤ .

[٢٩] التعريفات ١٠٨، وشرح الحدود النحويّة ٧٢.

[٣٠] تكملة المعاجم العربية ٩/ ٢٦١ .

أو نسبة إلى المكان كالعراقي والكوفيّ والبصريّ والشامي والمصريّ ... إلخ، أو المكانة الدينية أو الوظيفيّة أو الاجتماعية أو القبليّة والعائليّة كالإمام والشيخ والقرشي والأنصاري والخزرجيّ، أو المهنة: كالمدرس والطبيّب والحداد والعسكري والمهندس ... إلخ، أو الذم كالكذّاب والخبيث والمنافق ... إلخ، أو لصفات خَلقيّة كالطويل والقصير والجاحظ والأحول والأعرج والأحدب والأثرم والأعمى والأبرص والأصفر والأسود والأزرق والأفطس ... إلخ ؛ وقد ذُكِر وجوب تجنّب الذَّمّ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ـ الحجرات ١٠﴾، والنبزُ ما يُخاطبُ بذكر العيوب من الشتم وذكر العيوب، والنَّبَز: لقب السوء، وهو المنهيُّ عنه[٣١]، أمّا الترتيب بين الاسم والكنية واللقب، فالأكثر تقديم الكنية، كقولنا: أبو زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء، لكن قد يُقدّم اللقب على الكنية، مثلما ورد في قوله تعالى: ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ . آل عمران ٤٥﴾ .

وقد تكون الشهرة باللقب لحادثة أو عبارة أو جملة تتغلّب على الاسم والكنية، مثلما كان للشاعر الجاهليّ العدّاء الصُّعلوك: تأبّط شَرًّا، واسمه ثابت بن جابر الفهميّ (ت ٨٠ هـ . ق)، فالجملة الفعليّة (تأبّط شَرًّا) الصادرة من والدته إلى الشاعر نفسِه: (لقد تأبطتَ شَرّا) [٣٢]، أو أنّه كلّما خرج للغزو وضع سيفه تحت أبطه، فقالت أمّه مرّة: (هذا تأبّط شرًّا)[٣٣]، أو غير ذلك من القصص والعبارات.

(٢)

أمّا تسمية المولود فقد تكون في يوم ولادته أو في اليوم السابع، أو ربما يكون التفكير فيها سابقٌ ليوم الولادة، أو توقع حصولها، وتكون من جملة ما يُتَهيّأُ له الوالدان أو الأقرباء، وقد تكون التسمية لمناسبة، أو ربما من دون مناسبة، مناسبة لاسم الوالد أو الوالدة أو الجدّ، كأحمد ابنه شهاب، وعباس ابنه فاضل، ونوري ابنه صباح، وخالدة ابنها وليد ... إلخ ؛ ومعلومٌ أنَّ التوجيهَ النبويّ بالتسمية بأحسن الأسماء، وبما حُمِّدَ وعُبِّدَ، ونُهِيَ عن التسمية بأسماء توحي بالمهانة والذل والقبح والسوء، ولاسيّما التي لا تُغيّر فتلصق بالمُسمّى في حياته، وربما حتى بعد مماته .

ويُسَمِّي الناس في العراق بأسماء الأنبياء والصالحين من آدم، وإدريس، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، وأيوب، والخضر، وزكريا، وصالح، وطه، وعِمران، وعيسى، وشعيب، ومريم، ومحمد، وأحمد، وموسى، وهارون، وياسين، ويحيى، ويعقوب، ويوسف، ولقمان، وسلمان، وداوود... إلخ؛ يتقرّبون إلى الله بمثل هذه الأسماء وبما يرتبط بعبوديّة الله وصفاته، مثل: عبد الله، وجار الله،

---

(٣١) الكشاف ١٠٣٩ .

(٣٢) الاشتقاق ٢٦٦ .

(٣٣) تاج العروس ١٩ / ١٢١ .

وحسب الله، ورحمة الله، وفرج الله، وفضل الله، وعطا الله، ومدّ الله، ونصر الله، وفتح الله، وخير الله، وسعد الله، وعبد العظيم، وعبد القادر، وعبد الكريم، وعبد الرحمان، وعبد الرحيم، وعبد الجبار، وعبد الصمد، عبد العزيز، وعبد الفتاح، وعبد الحكيم، وعبد السلام، وعبد الكريم، وعبد الودود، وعبد الكافي، وعبد الباسط، وعبد الإله، وعبد الواحد ... إلخ .

أمّا التسمية بعبدٍ مضافًا إلى اسم المبعوث رحمة للعالمين وصفاته (فقد شاعت في صدر دولة بني أميّة ثم جرى عليها العرب المسلمون، ثمّ شاعت بين غير العرب من المسلمين، ولكن إضافة لفظ "العبد" ... تعدّت ذلك إلى أسماء الأئمة والأولياء الصالحين أو إلى ألقابهم وما اشتهروا به) [فقه اللغة المقارن ٢٦٦] ؛ ومن هذه الأسماء: عبد النبي، وعبد الرسول، وعبد الأمير، وعبد الحسن، وعبد الحسين، وعبد الكاظم، وعبد العباس، وعبد الرّضا، وعبد الزهرة، وعبد الأئمّة، عبد الحمزة، وعبد المسيح، وعبد الأحد بالنسبة للنصارى ... إلخ ؛ لكن هناك من جعل مثل هذه التسمية من الأسماء المكروهة، وهناك من بالغ فكفّرَ المسلم الذي يسمِّي بها معتقدًا أنّ المُسَمَّين يقصدون العبوديّة لغير الله، وفي المقابل هناك من دافع عن التسمية، استنادًا إلى أنَّ المُرادُ من هذه التسميات معنى الطاعة والخدمة والاحترام، واستَشهَدَ بوجوبِ طاعة أولي الأمر، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ـ النساء ٥٩﴾ ؛ وبقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ... ـ النور ٣٢﴾، أي تزويج العبيد من عبيدِكم، والعبدُ في معجم العين: الإنسان إمّا أن يكون حُرًّا أو رقيقًا، والعبدُ هو المملوك خلاف الحرّ، واستعبدتُ فلانًا أي اتخذته عبدًا، وتعبّد فلانٌ فلانًا، أي: صيّره كالعبد له[٣٤]، ويُنسبُ إلى المقنَّع الكندي[٣٥]:

وإنّي لعبدُ الضيفِ ما دامَ نازلًا عندي وما لي خِلّةً سواها تشبهُ العبدا

يُعَبِّر عن عبوديّته لضيفه بمؤكّدينِ ـ إنّ واللام ـ وخصلة العبوديّة هذه محصورة بنزول الضيف عنده، فيقدم له الطعام والشراب والفراش، ولا يرضى بخدمة عبده لضيفه [أمالي المرتضى ٢/ ١٤١] .

وذُكِرَ أنّ التسمية بـ(عبد النبيّ) أو (عبد الرسول) جائزة شرعًا لما دلَّ عليه الكتاب والسُّنّة، وجرى عليه العمل سلفًا وخلفًا، لأنّ من معنى العبوديّة الخضوع والتذلّل ومنها الطاعة والخدمة والرّق والولاء، وهذه تسمّى عبوديّة ولا تُسمّى عبادة؛ وفرّق أهل اللغة بين إضافَةِ لفظِ عبدٍ إلى غيره ممّا يمكن أن يُحمل على معنى رقيق فلان، أو خادمه، أو مولاه، أو مطيعه، تبعًا للسياق

[٣٤] ترتيب كتاب العين ٢ / ١١٢٢ .

[٣٥] شعر المقنع الكندي ١٠٤ .

والقرينة، التي تُحَدّدُ المعنى، وهذا هو ما نصّوا عليه، ودرجوا على تسمية عبد النبي وعبد الرسول وصفًا وتسمية عبر العصور، حبًّا بالتشرّف بالانتساب إلى خدمة الجناب الشريف، أمّا الجنوح إلى المنع بدعوى مخالفة ذلك العقيدة الإسلاميّة، أو الزعم بأنّه إقرار لغير الله تعالى بالربوبية، أو جحد لبعضِ ربوبيته سبحانه، إنّما هو من الجهل بالكتاب والسّنّة، وأقوال السلف، وحقائق اللغة ومجازاتها، وفيه من القدح في عقائد المسلمين، وتجهيل السلف، والاتّهام الصريح لهم بالوقوع في الشرك، ما ينأى العاقل بنفسه عنه، وإذا كان الوصف بذلك كلّه جائزًا فالتسمّي به أولى بالجواز[٣٦] .

أمّا الرجوع إلى معجم العين ففيه: (إنّ العامّة اجتمعوا على تفرقة ما بين عبادِ الله، والعبيد المملوكين ... واستعبدتُ فلانًا، أي اتخذته عبدًا، وتعبّد فلانٌ فلانًا، أي صيّره كالعبد له وإن كانَ حُرًّا ... وأعبدَ فلانٌ فلانًا: جعله عبدًا ...)[٣٧]؛ فالعَبدُ: المملوك، والجماعة العبيد ؛ وأمّا عَبَدَ يَعبُدُ يَعبُدُ عِبادة فلا يُقالُ إلّا لمن يعبُدُ الله تعالى[٣٨]؛ ففرّقوا بين عِبادِ الله وعبيدٌ مماليكُ، والعِبادةُ فعلُ ما يرضى به الربّ، وأمّا عَبْدٌ خدم مولاه، فلا يُقالُ عَبَدهُ[٣٩] .

(٣)

وقد ترتبط الأسماء بأحداث ووقائع، تكون السبب في التسمية، فقد سَمّوا بأسماء الحوادث والأيّام: كغزّاي وغزوة وغزوان، وعَدَّاي وعَدوان، وخميس، وجمعة، وسبتي، ورجب، وشعبان، ورمضان، ورُمَيّض من الرمضاء، و(گيظة): وقت القيظ، وصفر، ومحرم وعاشور، وشروق، وشمس، وصباح، وصبيح وصبيحة وصبحة، وضحى ووضحة، و(گمرة): الليلة المُقمرة، وظلمة، وعَرَفَة، وغبشة، وسَحَر، وغَسَق، وقَمَر، وشاتي من الشتاء، وربيع وربيعة، وهلال وهلالة وهليّل، وزكريّا لمناسبة الاحتفال بهذا اليوم من شهر نيسان، وعيد وعيدة وعوّاد وعيادة لمن ولد في العيد أو العودة، ومطر ومطرة ومطيرة ؛ وقد يسمون لمناسبات أُخرى، مثل: عاصي ربما لعسر الولادة، و(ثجيل): ثقيل ربما لثقل الحمل، ومتعب لمن أتعب أمه في الحمل أو الولادة أو يريدونه متعبًا لأعدائه، و(عجاج) ليوم ولادته، وفزِع وفَزعة ليوم حصل فيه الحدث، وقد يسمّون بما يستعملون من أدوات، مثل: منجل، ودلّة، وفنجان، وناعور، و(بريج): إبريق ... إلخ ؛ أو النبات والشجر والفواكه، مثل: حرفش، وحنضل، ونفل، و(عاگول): نبات معروف، وشيحة، و(گيصومة): نبات

---

[٣٦] انظر موقع دار الإفتاء المصريّة https://www.elwatannews.com/news/details/5568850 .

[٣٧] ترتيب كتاب العين ١١٢٣/٢ . ١١٢٤ .

[٣٨] معجم مقاييس اللغة ٢٠٥/٤ .

[٣٩] تاج العروس ٣٣١/٨ .

طبّيّ، وتفاحـة، وشـمامة ... إلـخ . وربمـا تكـون التسـمية نسـبة إلـى الطبيعـة والبيئـة، مثـل: بُنّيّة، وحرش (سمكة صغيرة، وفي تاج العروس: دُويبّة بحريّة على قدر الإصبع ٧ / ١٢٧)، وطويرة، وشبوط (نوع من السَّمك)، و(كَشّاية): (من القش من مثل ما يكنس من المنازل)، وحنظل ... إلخ .

أو قد تكون التسمية من التفاؤل بطول العمر، فيسمون سالمًا ومُعَمَّرًا، لقِلّةِ من يطيل الله في عمره في زمان بداوتهم، ذلك للاقتتال والصراع الدمويّ، وتَفَشّي الأمراض وتراجع التطبيب، فضلًا عن قسوة الطبيعة وآفاتها، فيسمّون اللَّدِيغ على سبيل المثال سليمًا للتفاؤل، وإنما سُمّيَ سليمٌ سليمًا؛ لأنهم تطيّروا من اللديغ فقلبوا المعنى من الخوف إلى الاطمئنان والسلامة[٤٠]، ومن هنا كانت التسمية بمثل: شيبة وشيبان؛ لاستشراء الموت، والمحظوظ من يبلغ سنّ المشيب، فتكون هذه الأسماء من التفاؤل للمولود، بأن يكبر ويجلل رأسه ووجهه الشيب للتفاؤل بطول العمر، وشيبة اسم عبد المطلب، واشتقاق شيبة من الشيب؛ لاختلاط البياض بالسواد، من قولهم شاب شيبة حسنة[٤١] .

ومن التفاؤل أيضًا تسميتهم بأسماء تبعث على الاطمئنان، فقد يسمون بعفيف وطاهر ومخلص وكريم وحكيم وعقيل وهمام من الهِمّة ... إلخ، مما يحتاجُه المجتمع للتماسك والتلاحم واجتناب أسباب الاختلاف والشِّقاق، وأهميّة القِيَم التي تدل عليها هذه الأسماء .

لكن مع الأسف قد تكون التسمية لإعجاب الوالد باسم زعيم ظالم، أو قدوة سيّئة، أو شهرة سلبيّة، أو مجرّد التعلّق بلفظ التسمية، من دون الالتفات إلى ضرر هذه التسمية، فربما يتأثّر المُسَمّى بالتعلّق بمضامين هذه المُسمّيات ودلالاتها .

وربما دلت بعض الأسماء على مرحلة أو مناسبة سياسية من مراحل تاريخ العراق، مثل: فيصل، وغازي، وعبد الإله، ونوري، وصباح، وتموز، وكريم، وقاسم، وزعيم، وثورة، وسلام، ونضال، وكفاح، ويسار، وتحرير، وحُرّيّة، وعروبة، ووحدة، وقادسية، وشهيد، ومظلوم، ودمعة، وصابرين، وجبهة، وتسريح ... إلخ .

أو تكون التسمية لمناسبة بين الزوجين وتعبير عن ظروف علاقتهما الزوجيّة، فإذا كانت حميميّة: فالأسماء مثل: رجاء، وشكر وشكران، وسرور، وقد يكون من دواعي فرح العائلة وسرورها أن تسمّي بما يدلُّ على ذلك، مثل: حبيب وحبيبة، وابتسام، وبشار، وبشرى، وبشير،

---

[٤٠] لسان العرب ٢٠٧٩ .

[٤١] الاشتقاق ١٢ .

وسعد وسعاد وسعادة وسعود وسعيد وسعدون، ونعمة ونعيم ونُعيّم ومنعم ونعمان، وفرح وأفراح وفرحة ... إلخ .

أمّا الخصام وما بعده، فمثل: توبة، وخصام، ورجاء، وشجن[٤٢]، وعتاب، وعزيز، وعواطف، وعواطف، وعِناد وعنيّد وعنيدة، ومزعل وزعل وزعلان، وغضبان، و(گاطع وگطيعة) من المقاطعة، ودغش: الدخول في الظلام وفي الاستعمال اللغويّ بمعنى الغش، ومظلومة، و(سگم): سقم، هجر وهجران، أو: سماح وسامح، وغفران، وندامة، ووفاء، ووفيّة ... إلخ .

أو قد يعبرون عن التضايق من تتابع ولادة البنات، فيسمون: كافي: أي يا ربّ يكفينا ما رزقتنا من البنات، وبسعاد وهي أشد من كافي (كافٍ) التي بمعنى كفاية، كلمة مؤلفة من: بس + عاد، (بس عاد بنات)، وبسعاد ومرادفها بَسْنَه: بَس أي يكفي + نا، و(فوگهن): فوقهُنَّ، فوق نسائه السابقات في العائلة جاءت ببنت هي فوقهنّ من زوجات وبنات، وكذلك علاهِن: عليهُنَّ أعلاهن تفوَّقَت عليهنّ، و(تسواهِن): تساويهُنَّ، ومن هذا تسمية رابعة العدويّة البصريّة الصوّفيّة رابعة البنات[٤٣]، وثامنة بحسب تسلسل الأولاد، أو ثُمَينَة تصغيرًا لثامنة .

وربما يكون اسم هِبَة: بمعنى عطيّة من الله للزوجين بعد تأخر الحمل ببنت فتسمّى (هِبَة)، أو لتبنِّيهما لابنةٍ تعوّضهما عن عدم الإنجاب ؛ وأمّا حين تعاني العائلة من فقدان ولادة الأولاد، أو لا يعيش لها، فتسمي من بعد الانتظار: خلف وخليفة وخلوف ومخلوف، وخلف الله: أي رَدّ الله عليهم، والخلف: النّسل والولد الصالح، أمّا (لفتة) أي أنّ الله التفت لهم بهذا المولود، وقد يسمون بمثل هذه المناسبة: عطيّة، ونعمة، ورزاق، وشكر... إلخ .

وقد تسمي العائلة باسمٍ يدعو إلى التهكم والسخرية خوفًا من الحسد، فيسمون مثل: بزون: القط، وجرو، وفضالة، وجدوع وجدعان لمقطوع الطرف، و(جربوع): يربوع، و(چليب): كُليب و(چلاب)، وخريبط من خرط وخبط: أي غير المرتّب أو غير المنظم في كلّ الأمور، وزبالة، وزُفَر لرائحتِه الكريهة، وضعيف، وعُريان، ووسخ، و(فنيخر): للعظيم الأنف الواسع المنخر، ونوّام، وجراد وجرادة، وبرغش وبرغوش: البعوض ... إلخ .

لكن قد تكون لحامل الاسم المبتذل شهرة ومكانة أو مودّة، ترفع من اسمه ومقام عائلته، وتزيل الربط بين الاسم ومدلوله، فلا يُستغرب تداوله، ويفخر من ينتسب إليه، ومن مثل هذا قول الجاحظ: (فإذا صار حِمارٌ أو ثورٌ أو كلبٌ اسمَ رجلٍ معظَّم، تتابعت عليه العربُ تطير إليه، ثم

---

(٤٢) الشَّجنُ للحاجة . الاشتقاق ٢٥٧ .

(٤٣) شهيدة العشق الإلهيّ ١٤٣ .

يكثر ذلك في ولده خاصّة بَعدَه، وعلى ذلك سمّت الرعيّة بنيها وبناتها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ...) [٤٤] .

فلفظ (زبالة) على سبيل المثال اسم من الأسماء المستقبحة التافهة الحقيرة، لكن ربما سُمّي به شخص مشهور من بغداد قبل منتصف القرن الماضي، ومن ثَمّ صار علامة تجاريّة لمادة غذائية رائجة مقبولة التسمية (شربت زبالة) .

(٤)

ومن أسماء البنات ما يدلُّ على استحسان اللفظ، وحلاوة النطق، وانسجام الأصوات، ولذّة الأسماع، واستمالة للقلوب، وأكثر ما تكون تعبيرًا عن الاستقرار والرفاه ورغد العيش، من مثل: آية، وأبرار، وباهرة، وبراء، وبسمة، وبسملة، وتالا، وترف، وتماضر ومُضَر: ما قطر من اللبن الحامض، وتيمة، وحلا، وجنّة وجنّات، وحسنة وحسنات، وحنان، وحنين، وحوريّة، ودُرّة، وديمة وديم: المطر الخفيف المستمر، ورُبى: المرتفع من المكان، ورزان، ورشا، ورغد، ورؤى، ورنا، وريّا، ورند، ورواء، وروى، وروان، وريما، وريّا، وزينة، وسجى، وسمر، وسهى، وشجن، وشهد، وصبا، وضحى، وطيف، وعُلا، لبنى، ولُجين، ولَمى: سمراء الشَّفة، ولين ولينة، وملاك، ومليحة، ومنى، ومَي، وميّة: أنثى القرد، ومَيس، وميّاس، وميسون، ومَهى، وميّادة، ومَيار: من الميرة والتموين، ومينة، ونور، وهالة، ووَجْد، ووداد، ووسن: النعاس، ورقة ... إلخ .

ومن هذه المسمّيات (بان)، المشتملة على الحلاوة والرّقة، ومجانسة الصوت، وسهولة اللفظ والمقطع، وكذلك جمال الإيقاع، والبان: شجر معروف في شبه الجزيرة، من دون التفكير في معرفة حقيقة معنى البان، وربما كان في أشجارهم الحضريّة الأنيقة ما يفوق هذا البان جمالًا وبهاءً، فكان اختيار التسمية لوقع الكلمة في الأذن ومجانسة أصواتها، ومثل هذا المنحى التسمية بهُيام مع أنّ الهُيام داء يصيب الأبل، ومثله سُهام، وكذلك سُهاد والسهاد: الأرق[٤٥] .

وكانوا يفضّلون صفة سعة العينين فسمّوا الأنثى حوراء ونجلاء، وكانوا يحبّون طول الأعناق فسمّوا بأسماء الغزال فقالوا: غزالة وظبية وخولة وكلّها بمعنًى واحد، وكذلك اسم جيداء وهي الطويلة العنق، ومن الأوصاف التي كانوا يذكرونها وبَقِيَت إلى زمنٍ قريب من معايير الجمال في البلاد العربية: امتلاء الذراعين والساقين، ومنه اسم عبلة ومعناه المرأة الممتلئة الضخمة وعبلة الشهيرة هي التي أحبها ابن عمها عنترة، وقال فيها الشعر ومنه معلقته[٤٦]:

---

[٤٤] الحيوان ١ / ٢١٥ .

[٤٥] فقه اللغة المقارن ٢٧٠ . ٢٧١.

[٤٦] ديوان عنترة بن شداد ١١ .

هل غادَرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ   أم هل عَرَفتِ الدَّارَ بعد تَوَهُّمِ

يا دارَ عبلةَ بالجواءِ تكلّمي   وعِمي صباحًا دارَ عَبلَةَ واسلمي

ومثل عبلة عفراء محبوبة ابن عمها عُروة بن حزام الشاعر العذريّ الشهير، وهي من أعظمِ مشاهير عصرها حُسنًا وجمالًا وأدَبًا وفَصاحة، والعَفراء: التي يشوبُ بياضَها حُمرةٌ كالظباء، والعفر: هو التراب، والأعفر الأبيض وليس بالناصع الشديد البياض[٤٧] .

ودَوسَر لفظ جميل، وعربيٌّ أصيل، يُطلقُ حديثًا على الإناث، وهو في الأصل للذكور، لكنَّ معناه ما يختلط من نبت مع السُّنبلِ من الزُّؤان في الحنطة، والواحدة دَوسرة، والدَّوسرُ أيضًا: الجمل الضخم القويّ[٤٨] وغير ذلك من المعاني .

ومن الأسماء ما صارت قديمة لمعناها أو للفظها، وما عاد يُسمّى بها، مثل: (إلعيبي والعَيبيّة): مِن لَعِبَ يلعب ولاعبته لَعِبًا، وبرنجي: بمعنى جيد أو حَسن، و(تاضي) بمعنى تضيء، وخَصّاف: من خَصَف خوص سعف النخل وتشبيكها لتكون وعاء لحفظ التمر، وزَرِيْ: من الزراية وزَرَى عليه: عابه وسَخَطَ عليه، والازدِراء: الاحتقار والانتقاص والعَيب، و(حَنشَة) والحَنش: ما دَبّ على وجه الأرض أو الحيّة[٤٩]، ودرب ودريب: من السكّة أو من تدرّب ودرّبَتهُ الشدائد، ودعبول ودِعبِل اسم شاعر من خزاعة، ودِعبِل من أوصاف الناقة الشديدة، ودَعبولة الكتلة الصغيرة المستديرة [٥٠]، وجراد، وزهيّة، وسَودَة، وشرهان من الشراهة على الطعام وغيره، و(گرجية): نسبة إلى جورجيا، و(شگحة): الشقح من القبح، وضويّة من الضوء، ووطفة: امرأة وطفاء: كثيرة شعر الحاجبين، وعمشة: العمشاء ضعيفة البصر، وعوفة: سمّت العرب بعوف وما يُتعوّف أي يُترك، وعِيدَة: من العود والاعتياد والأعياد معروفة، و(گرحة) والقُرحة: صفة جمال غُرّة في وسط جبهة الفرس، والوجه الأقرح: الأصبح، ومسعودة، وملحة: من الملاحة أو اللون الأسود المختلط ببياض، ومَهيّة: على الرغم أنها من المها الاسم الجميل لكنهم استعملوا (مهى)، ومَيثة، والميث: الخلط والمرس والذوبان، وميثاء: ذات القلب اللين والطيّب، قال الأعشى[٥١]:

لميثاءَ دارٌ قد تَعَفَّتْ طُلُولها   عَفَتها نَضِيضاتُ الصَّبا فمسيلُها

وقد تبدو بعض الأسماء غريبة في هذا العصر، مثل: خميسة: ترتيبها الخامسة، وحموشة حمش الساقين: أي دقيقهما، واحتمش: التهب، وحنفيش: عظيم الرأس من الحيّات، وخلاطي: من

---

[٤٧] تاج العروس ١٣ / ٨٣ .

[٤٨] المصدر نفسه ١١ / ٣٩١ .

[٤٩] الاشتقاق ٢/ ٤٣٦ .

[٥٠] معجم الألفاظ العاميّة ٥٤ .

[٥١] ديوان الأعشى الكبير .

رجلٍ مِخلط إذا كان عاملًا بمداورة الأمر، ودعدوش، ودنبوس، وصدعان، وصدعة: مصدع من أسماء الرجال، وعبطة، وعجّة، وخزنة، وحِصّة، ومزنة، وهبلة، وعنزة، وعذبة، وادعيّر من دعر: الأسد لإقدامه، وزيارة: لمناسبة دينية، وشلش ومشلوش: الغضّ والخفيف أو أخرق وأرعن وعديم المهارة، والرجل الشلشل: الخفيف، وشلّال: مسقط مياه الأنهار من مكان مرتفع، وشنشول: من الشناشيل العنصر المعماري المعروف، وضمد من تضميد الجراح وشدّها، وصلبوخ: الحصاة الكبيرة، ومطشر، وشلتاغ، وشندي، وشنار: العيب، وشنيور.

ومن الأسماء التركية والفارسية التي أصولها عربيّة، مثل: آرون: هارون، أزل، آسر، أسيل: الناعم، وبنان، وبيان، وبهي، وبهيرة، وبدور، وتارا، وجُنيد، وداليا، وراني، ورابيا: رابعة، وسابي: سابع، رزان: ذات رزانة وكبرياء ووقار، ورويا: رؤيا، وريان، وزها، وسادا: صدى، وسابرينا: صابرين، وسيما: سيماء، وشولا: شعلة، وفِدا، وفَزا: فضاء، وميرفت: محوّرة عن مروة، ومايا، وهويدا، ويارا، ونبراس: كلمة تركية رأس الرمح .

ومِمّا زادوا هاء منقوطة من آخر الأعلام وليس بمؤنّث: أُسامة، أُميّة، وثعلبة، جهينة، وجودة، وحُذيفة، وحرملة، وحُطَيئة، وحمزة، وحيدرة، خليفة، وطَلحة، وعبادة، وعبيدة، وعُتبة، وعروة، وعَطِيّة، وعُقْبَة، وعكرمة، وعنترة، وقُتَيبَة، وقُدامة، ومعاوية، وميسرة، ونابغة، ونَضلَة من رجال بني هاشم[٥٢]... إلخ .

(٥)

وقد يُسَمّون لمعنى التحبيب أو التحقير أو التعظيم، مثل: حُمَيِّد، وخُضيّر، ورُميّض، ورُقَيَّة، وزُبَيد، وزُبَيِّن، وسُكَيّت، ولُطَيّف ... إلخ ؛ وقد يسمّون عبد الله عبودًا، ومحمد حمودًا [٥٣]، وعبّود وحمّود وأشباههما للتدليل، قال المحقق عبد السلام هارون: (عبود وحمود تسميتان عربيتان فصيحتان، ومِمّن ضُرب المثل به عبّود، قالوا فيه أنوم من عبود ...)[٥٤] ؛ وقصير وقُصَيِّر وقصيرون، وصغير وصُغَيّر وصُغيرون، و(زُغَيِّر وزغيرون) مبالغة في التصغير[٥٥] .

فقد فشا في بلاد المغرب والأندلس، الذين يتسمّون بزيدون وحمدون وفتحون ورحمون وحسُّون وحفصون وسمحون، وتعليل هذه التسمية قد يرجع إلى إرادة التفخيم بصيغة كصيغة الجمع، وحمدون وأشباهها إعلام زيد في آخرها واو بعد ضمّة، ونون لغير جمع بواو، على وزن

---

[٥٢] الاشتقاق ٧٣ .

[٥٣] بغية الوعاة ١ /١٢٢ .

[٥٤] كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٢ / ٢٥٠، وكناش النوادر ٢٤، ١٥٠ . ١٥١ .

[٥٥] موسوعة حلب المقارنة ٤/ ٢٤٢، عن أسماء الأعلام الساميّة ١٢٧ .

فعلون، وفي التنزيل: ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ـ المؤمنون ٩٩﴾، فاستعمال اللفظ بصيغة الجمع للتعظيم[٥٦]، ومن غير ما تقدّم: خلدون، وعَزّون، وسعدون، وعبدون، وميسون من الميس التبختر، وشيخون: الشيخ الشريف، رفيع المقام، عالي الرتبة، عزيز النفس، وحيزبون: صفة مبالغة في العجوز الداهية السيّئة [٥٧]؛ أمّا تصغير شيء: شُويّون، وشُوَيُّنة فللقليل، مثل تصغير درب دربونة، وبيتونة تصغير بيت[٥٨] .

وقد يصغّرون على المحكيّة العراقيّة على وزن فَعّول بلحوق الياء في أسماء الأعلام للمبالغة في التدليل والتلطيف، مثل: حَمُّودي، وعَبُّودي، وجَبّوري، وحَسُّوني، وزَيُّوني، ورَزّوقي، وخَضّوري، وبلحوق الهاء زَنّوبة وفَطّومة وخَدّوجة وحَسّونة وحَمّودة وأَمّونة، وكذلك عَلّوش مبالغة في تصغير اسمِ عليّ، على الرغم من دلالته على العلوِّ والرفعة والشرف والقوّة، وعَبُّود في تصغير تدليل عَبْد الله، أو أيّ عبد مضاف إلى ما بعده، وعزّوز مصغّر عزيز، ورزّوق مصغّر رزّاق، وكرّوم تصغير كريم، وقدّور تصغير عبد القادر، وسلّوم تصغير سليم، وسعّود سعيد، ورزّوق رزّاق ورزّوقي، على وزن فَعّول، ومثلهما فطّوم وحسّون، وقد يلحقهما التاء المربوطة للمبالغة في التدليل والتحبّب، كفطّومة وحَلُّومة ونصُّورة ورزُّوقة وسلّومة[٥٩] .

ومن وزن فعلول: زعطوط وزعطوطي للطفل الصغير، وبرهوم وبرهومي، ودَعبول ودَعبولة، ومَريوم ومَريومة، ومريوشة [٦٠] .

ومن التصغير (إضافة الياء في هذه الأعلام مأخوذة من الطريقة التركيبية في أعلامهم المستعارة من العربيّة في الكثير الغالب مصادر خُتِمت بالياء، مثل: صُلحي وزُهدي وحقّي وفهمي وغير ذلك، على أنّ هذه الياء ليست من ياء النسبة في شيء، وهذه الأعلام قد استعملها العرب في العهود التركيّة المتأخّرة، وما زالت مستعملة حتى يومنا هذا) [٦١] ؛ ومثلها: نوري وسعدي وشمسي من شمس الدين وعزي من عزّ الدين ونصري وفتحي ... إلخ .

و(استعار الأتراك ألفاظًا عربيّة أخرى وأجروها مجرى الأعلام، ولكنهم اتّبعوا فيها طريقة أخرى، وذلك أنّهم ختموها بتاء معجمة محققة، وهي مثل: رفعت وبهجت وشوكت وهدايت، وهذه من غير شكّ من الرفعة والبهجة والشوكة والهداية، غير أنّ وَجهَ الخلاف يكون في التاء ... ذلك

---

[٥٦] الكشاف ٧١٥ .

[٥٧] أسماء الأعلام الساميّة ٢٥١ .

[٥٨] فقه اللغة المقارن ١٩٥ .

[٥٩] أسماء الأعلام الساميّة ١٢٦ .

[٦٠] المصدر نفسه ١٣٥، ٢٤٨، ٢٥٢ . ٢٥٣ .

[٦١] فقه اللغة المقارن ٢٦٧ .

أنّ التاء لازمة أبدًا، ولا يوقف عليها بالهاء كما في العربية ...)[٦٢]. ومنها: أُلفت وثروت وجودت وحِشمت وخيرت ورأفت ورفعت وصفوت وطلعت وعزّت وعصمت ومدحت ونجدت ونزهت ونشأت ونصرت ونعمت، لكنّ الأصل أن تكتب بالتاء المربوطة التي تنطقُ تاءً وهاءً، فما دامت هذه الأسماء في التداول لا تنطق إلّا تاءً، فوجب أن تُكتَبَ بها، على خلاف قواعد الكتابة العربيّة التي تُكتَبُ هاء منقوطة .

(٦)

أمّا أسماء الأعلام المشتقّة فكثيرٌ منها على وزن فاعل لمذكر وربما لمؤنّث، مثل: بارق، وباسل، وباقر، وباهر وباهرة، وثامر، حاتِم، وحارث، وحازم، وحامد، ودايخ، وراجي، وزامل، وسالم، وصادق، وصالح، وضاحي، وطارق، وطالب، وطاهر، وظافر، وظاهر، وعابد، وعارف، وعاصم، وعادل، وعامر، وغالب، وفاتح، وفارس، وفاضل، وفاطمة، وفالح، وفائز وفائزة، وفاهم، وفايد، وقادر، وقاسم، وكاظم، كامل، وكايد، لافي، وماجد وماجدة، ومازن، ومالك، ومانع، وماهر، نابغ ونابغة، وناجي من نجا ينجو، ونادر ونادرة، وناصر وناصرة، ونايف، وهادي، وهاشم، هانئ، وواصف، ووافي، ووائل، وياسر ... إلخ .

وعلى وزن فعيل: أثيل، أنيس، وبديع، وبسيط، وبشير، وثقيف، وجميل، وحبيب، وحكيم، وحميد، وخَلِيل، وربيع، ورحيم، ورديف، ورشيد، وزبيد، وسدير، وسعيد، وسليم، وسمير، وشَبيب، وشَريف، وطريف، وعتيق، وعَزيز، وعقيل، وغدير، وغريب، وفريد، وكميل، ولبيد، ولميس، ولهيب، ومعين، ونبيه، ونجيب، ونديم، ونسيم، ونعيم، ونذير، ونصير، ونضير، ونمير، وهديل، ووهيب ... إلخ .

ومنها على وزن مفعول، مثل: محمود، ومرزوق، ومسرور، ومسعود، ومطرود، ومطلوب، ومعروف، ومغلوب، ومنصور، ومنظور، وميسور ... إلخ .

ومنها ما كان على وزنِ فَعْل وفِعل: أوْس، وبَحْر، وبدْر، وبَرْق، وبِشْر، وبَكر، وتَيْم، وجَبْر، وحَرْب، وحَزم، وحَفص، ودَغْش، ودَوس، ورَنْد، وسَعْد، وسَهْل، وسَهْم، وسَيْف، وشِمْر، وشَمْس، وشَهْد، وشَهْم، وصَخْر، وصَدْر، وصَعْب، وصَقْر، وعَبس، وعَمْرو، وعَوْف، وغَوْث، وغيث، وفَضْل، وفَهْد، وقَيْس، ومَعْن، وكَعْب، ومَيْس، ونَبْع، ونَجْم، ونَصْر، ونَهْم، ووَرْد، وهَجر، وهِنْد، ويُسْر ... إلخ .

ومن الأسماء ما كان على وزن فَعْلان: حَمْدان، وزيدان، وسرحان، وسكران، وسلمان،

---

[٦٢] فقه اللغة المقارن ٢٦٧ . ٢٦٨ .

شَيبان، وعدنان، وغَضبان، ومرجان صغار اللؤلؤ، ونَبهان، ونَعمان، ويقظان ... إلخ، أمّا ثُعبان، وحُمران، وشُكران، وسُلطان فعلى وزن فُعلان ... إلخ .

ومن المشتقات ما كان بوزن أفعل: أحمد، أحنف، وأخطل، وأخنس، وأدهم: المشرّب بسواد وأروى، وأزهر، وأسعد، وأسلم، وأشرف، وأشعب، وأغلب، وأفلح، وأكبر، وأكثم، وأمجد: من المجد وطلب العلا، وأنعم، وأيمن ... إلخ .

وعلى وزن مُفعِل ومَفعَل ومُفعَل: مُدرِك، ومُزهِر، ومسلِم، ومُصعَب، ومَعاذ لأنّ أصله معوذ، ومعناه المحصن باسم الله، ومُكرَم، ومَنهَل، ومَيسم ... إلخ .

ووزن وفَعال: حَذام، ورَباح، ورَزان، وسحاب، وسلام، وسَماح، وسَهام، وصباح، وصلاح، وغرام، وغلام، وغزال، وفلاح وقطام، وملاك، ونجاح، ونهار؛ ووزن فِعال: نِبال، ونِزار من النزر القليل ... إلخ .

وعلى وزن فعّال: بَشّار، وتمّام، وجَبّار، جرّاح، وحسّان، وحَمّاد، وخَطّاب، وريّان، وسَلّام، وصَبّار، وعَبّاد، وعَبّاس، وعمّار: الحليم، وغسان: الشباب، وهَمّام ... إلخ .

وبوزن مُفَعّل: مُحَمَّد النبيّ الكريم مُشتقٌّ من الحمد، صفة تلزم من كَثُرَ منه فعلُ ذلك الشيء، قال جدّه عبد المطّلِب: (أردتُ أن يُحمَدَ في السّماوات والأرضِ)، فمُحَمَّد: مُفَعّل، لأنّه حُمِد مرّة بعد مرّة، وقد سَمَّت العرب في الجاهليّةِ رجالًا من أبائها مُحَمَّدًا[٦٣]؛ ومن هذا الاشتقاق: مُحَرّم، ومُسَدّد، ومُظفّر، ومُعَمَّر، ومُفضّل، ومُهلّب، ومُهَنَّد ... إلخ .

ومن وزن فَعْلَل: جَعفَر، وحَبتر، وخشرم، ودلهم، وسَرمد، وعَنبر، وفرقد، ونعثل، ونهشل، أمّا اشتقاق خزعل فمن الخزعلة: أي اللعب والمرح، أو الخزعل: هو الماشي الذي ينفض رجله، لما به من عرج، أو هو الذي إذا مشى سفى التراب بإحدى قدميه على الأخرى[٦٤] .

ومن الأسماء على وزن الفعل من غير ما تقدم: تغلب، ويحيى، ويزن، ويزيد، ويشكر، ويعرب، ويعمر ... إلخ .

الخاتمة:

قالوا: لا مشاحَةَ في التسمية، ولا في الألقاب، ولا حَرَجَ على الناس في أن يختاروا ألفاظًا يسمّون بها أولادهم وبناتهم، من الذي تبيحه اللغة، ولا مشاحةَ تعني أن لا منع من التسمية،

---

[٦٣] الاشتقاق ٨ .

[٦٤] الاشتقاق ٢/٥٦٠، ولسان العرب ٢/١١٥٠ . ١١٥١ .

إذ لا يمنعُ الشخصُ من تسمية من يريد تسميته بأيٍّ من الأسماء من حيث اللغة، لكن الذي يُحدّدُ التسميةَ الثقافةُ والعرفُ الدينيُّ والاجتماعيّ .

وقد توصم بعض الأسماء بالكراهة، أو الكفر والإخراج من الملّة مثلما عرضنا، ولاسيما التسمية بعبدٍ مضافًا إلى النبيّ أو إلى الأئمّة، على الرغم من أنّ التسمية عند من يُدافعُ عنها لقصدِ خدمة المقام الشريف وأهل بيته الأطهار ؛ مستندًا إلى تفرقةِ اللغة بين عبادة الله المفروضة على البشر، والعبد المملوك الخاضع لسيّدِه الحرّ، إذ جاء في نصِّ معجم العين: (إنّ العامّة اجتمعوا على تفرقة ما بين عبادِ الله، والعبيد المملوكين ... واستعبدتُ فلانًا، أي اتخذته عبدًا، وتعبّدَ فلانٌ فلانًا، أي صيّره كالعبد له، وإن كانَ حُرًّا... وأعبَدَ فلانٌ فلانًا: جعله عبدًا...)[٦٥]، فالعَبدُ: المملوك، والجماعة العبيد؛ أمّا عَبَدَ يَعبُدُ عِبادةً، فلا تُقالُ إلّا لمن يعبُدُ الله تعالى[٦٦] .

ولا يَجِدُ العلامة السيّد محمّد حسين فضل الله أيَّ حُرمة في التسمية بعبدِ الرسول وعبد الحسين بمعنى مطيع الرسول ومطيع الحسين، ولا شكَّ أنَّ هذه الطاعة هي طاعة واجبة، وكلُّ مُسلمٍ مطيعٌ لله وللرَّسول ولأولي الأمر، قال تعالى: ﴿... أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . النساء ٥٩﴾ ؛ فإذا اتّخذَ شَخصٌ هذا المعنى نفسه في التّسمية، فلن يكون ذلك سببًا لذمّه، بل سيكون مُدعاة لمدحه والثناء عليه ؛ ولأنَّ السيّد كان يدعو إلى محبّة الخصوم، فالأفضل عنده عدم التسمية بها، وعدم الخوض في الخلافات التي تسقط الأخوّة، ولتجنّب التفسير المخطوء[٦٧] .

أمّا اختيار الأسماء الحسنة فصارت تكثرُ في البيئات الحضريّة أو القريبة منها لانتشار الثقافة، وكذلك اتساع آفاق المعرفة بأهميّة التسمية وما تتركه الأسماء القبيحة من آثار سيِّئة على نفسيّة المُسَمَّى، التي يتأذّى منها طيلة حياته؛ لأنّ هذه التسمية هي عنوانه وصفته وزينته وشعاره، وما يُميّزه من غيره، فيدخل بهذه التسمية إلى مجتمعه وأمته، فإن حَسُنَت، حَسُنَ تأثيرها، فضلًا عن أمور أخرى، وإن ساءت ساء أثرها، وعانى حاملُها منها، فهي جنايةُ من لا ذنبَ له في اتّخاذها وفرضها ... والحمد لله ربّ العالمين .

المصادر:

أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، بيروت، ١٩٨٩ .

إسعاف الأعيان بأنساب أهل عُمَان، سالم بن حمود بن شامس السيابي، المكتب الإسلامي، ١٣٨٤ .

أسماء الأعلام الساميّة، الدكتور عمر صابر عبد الجليل، الهيأة المصريّ العامة للكتاب ٢٠١٢ .

---

[٦٥] ترتيب كتاب العين ٢/١١٢٣ . ١١٢٤ .

[٦٦] معجم مقاييس اللغة ٤/٢٠٥ .

[٦٧] أيّها الأحبّة، السيد محمد حسين فضل الله ٣٠ .

الاشتقاق، لابن دريد، تح عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مصر ١٩٥٨ .

الأعلام العربيّة، دراسة لغويّة اجتماعيّة، د إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٦٤ .

أمالي المرتضى، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ٢٠٠٥ .

أنساب الأشراف، للبلاذري، تح سهيل زكار، بيروت، ١٩٩٦ .

أنظار لسانيّة في آيات وسور قرآنيّة، الدكتور مهدي صالح سلطان، دار عدنان، بغداد، ٢٠١٦.

أيُّها الأحبّة، وصايا وكلمات لا يختطفها الموت، السّيد محمد حسن فضل الله، بيروت، ٢٠١٠ .

بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، بيروت، د . ت .

البحر المحيط، لأبي حيّان، الرّياض، د . ت .

بغية الوعاة، للسيّوطيّ، تح مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ٢٠٠٤ .

تاج العروس، للزبيديّ، تح حسين نصار وآخرين، الكويت، د . ت .

ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي، قم، ١٤١٤ .

التعريفات، للجرجانيّ، تح الدكتور أحمد مطلوب، بغداد، ١٩٨٦.

تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة جمال الخياط، بغداد، ١٩٩٩ .

الحيوان للجاحظ، ط ٢، بيروت، ١٤٢٤ .

ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تح الدكتور محمد حسين، مكتبة الآداب .

ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تح د نعمان محمد أمين طه، ط ٣، القاهرة، د . ت .

ديوان عمرو بن كلثوم، تح الدكتور أميل بديع يعقوب، بيروت، ١٩٩١ .

ديوان عنترة بن شداد، شرح حَمد وطاس، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٤ .

سير أعلام النبلاء للذهبيّ، ط ٩، بيروت، ١٩٩٣ .

شرح ابن عقيل، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١٥، دار الفكر، ١٩٧٢ .

شرح الحدود النحويّة، للفاكهي، تح الدكتور زكي فهمي الآلوسيّ، بيت الحكمة بغداد، ١٩٨٨.

شعر المقنع الكندي، تح الدكتور أحمد سامي زكي منصور، مصر، ٢٠١١ .

شهيدة العشق الإلهيّ، الدكتور عبد الرحمن بدوي، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٢ .

فقه اللغة المقارن، الدكتور إبراهيم السامرائي، بيروت، ١٩٨٧ .

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، للقلقشندي، تح إبراهيم الأبياري، ١٩٨٢.

الكامل للمبرد، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، القاهرة، ١٩٩٧ .

كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ٢٠٠٥ .

الكشاف، للزمخشريّ، بيروت، ٢٠٠٢.

كناش النوادر، عبد السلام محمد هارون، ط ٢، القاهرة، د . ت .

لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف بمصر، د . ت .

المستطرف من كلّ فَنٍّ مستظرف، للأبشيهيّ، بيروت، ١٩٨٦ .

المسند لأحمد بن حنبل، تح محمد أحمد شاكر، القاهرة، ١٩٩٥ .

معجم الألفاظ العاميّة، لأنيس فريحة، بيروت، د . ت .

معجم غريب الفقه والأصول، الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي، القاهرة، ٢٠٠٩ .

معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تح عبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٦٩ .

مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العاملي، دار المعروف للطباعة والنشر، ١٤٣٢ .

(الاعجاز بالصَّرفة) والتحدي القرآني
– الآية ٨٨ سورة الاسراء مثالاً–
دراسة تحليلية للمستويات الدلالية

الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد الخفاجي
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بغداد

الملخص:

يختار هذا البحث الآية الكريمة ٨٨ من سورة الاسراء مادةً للردّ على مصطلح (الصرفة)، وهو أحد اتجاهات البحث في إسرار الإعجاز القرآني، التي ظهرت على أيدي المتكلمين والمعتزلة في نهايات القرن الثاني للهجرة ودارت في كتب الأشاعرة والظاهرية أيضاً؛ وقوامها: إن الاعجاز ليس بالقرآن بل الله هو المعجز؛ وان في قدرات البشر البيانية ان يعارضوه لولا اعجاز الله عنه؛ بصرف النظر منهم عن التحدي الإلهي الذي جاء بسلسلة من الآيات تتحدى البشر في معارضته رسالةً سماويةً ومعجزةً بيانيةً؛ حجة منه سبحانه وتعالى ليستجيبوا إلى الايمان به وبرسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ ومن هنا يتأتى اختيار الباحث لإحدى هذه الآيات وهي الآية ٨٨ من سورة الاسراء التي سُميتْ (آية التحدي)؛ لعلو الادلاء فيها للتحدي لأهل عصر النزول وكل العصور وللجن والانس جميعاً، ويستثمرها مادة للرد على الصرفة بكونها – بناء على هذا – المثال الأصرح للتحدي، ويستنبط البحث منها دلالة النقض لأساس مفهوم الصرفة؛ إذ لا مكان للقهر والجبر والصرف للقدرات البيانية للمتحدَّى بعد ان ترك المتحدِّي المجال مفتوحاً لمعارضة القرآن بمثله أو بعضه نزولاً إلى أقصر سورة منه؛ أي ان الصرف والتحدي لايجتمعان؛ وهذا هو المسوّغ الفكري لانطلاق البحث.

ويأتي السبب الثاني لاختيار هذه الآية الكريمة من أنها خطاب محكم في تبليغ أمر الله للكافرين في ان يأتوا بمثل هذا القرآن إنساً وجناً ولمطلق الزمان مجتمعين متظاهرين، وانها تبليغ محكم واخبار حتمي بأنهم لايأتون بمثله ابداً؛ اذن: اختيار البحث لهذه الآية يأتي لاحكامها من الجهتين .

ويتخذ من اداة التحليل التحليل لمستويات بناء الآية الافرادية والتركيبية والدلالية استجلاءً لبنى توليد المعنى، وذلك بالنظر إلى علاقات هذه العناصر بعضها مع بعض.

الكلمات المفتاحية: الاعجاز، اعجاز القرآن، التحدي، الجبر، الصرف، الصرفة، القصد، المعجز، المعجزات، الوحي (مصطلحات كلامية)، الرسول، الرسالة، النظم .

بين يدي الدراسة:

١ – المعجزة والتحدي:

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم منهجاً ومعجزة معاً؛ لاثبات الرسالة للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ فمعجزته عين منهجه، على حين كانت الكتب والصحف السماوية السابقة مناهج اما معجزاتهم فكانت شيئاً آخر؛ لتظل رسالته سارية بعده وليستمر الحدث الاعجازي في مطلق الزمان فعلاً مطلقاً حيّا خالداً محفوظاً من لدنه وليس لأحد أن يحرّفه أو يزيد عليه أو ينقص منه أو يماثله أو يضارعه[١].

والمعجزة خرق المسبب سبحانه للأسباب والعادة وقوانين الوجود؛ لإثبات القدرة المطلقة له ازاء القدرات المحدودة للمرسَل اليهم؛ وهي من جنس ما يعرفون ويألفون أو ما يبرعون فيه؛ ليصحّ القياس لديهم بين ما جاء به الرسول وما عندهم، آيةً على صدق الرسول؛ وعَلَم على نبوته وأنزل الله القرآن معجزة بيانية لأرباب بيان[٢]، لتأييد الرسالة بما يثبتها والا كانت ادعاء لادليل عليه؛ بل اذا أخذ منهم الريبُ في رسالته كان القرآن هو الدليل والعلامة والآية واذا استمر فيهم الريب تحداهم في ان يأتوا بمثله أو ببعضه؛ قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ...**﴾ ٢٣ من البقرة؛ " فكفار العرب لم يمكنهم قطّ أن ينكروا أنّ وصف القرآن أو نظمه وفصاحته متلقىّ من قبل محمد (عليه السلام) ؛ فاذا تُحديتْ بمثل ذلك وعجزت فيه عَلِمَ كل فصيح ضرورة أنّ هذا نبيّ يأتي بما ليس في قدرة البشر الاتيان به، إلاّ ان يخصّ الله تعالى من يشاء من عباده ...، وان التحدي انما وقع بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة الفاظه"[٣].

والسورة ما يصدق على بضع جمل من القرآن أو أكثر من الآيات بصرف النظر عن كمية الآيات فيها؛ فالبقرة سورة والكوثر سورة. والاعجاز هنا ان يقفوا ازاء المعجزة التي لايجدون لها فيما انجزوه شبهاً؛ ولو قريباً؛ وليس في قدراتهم ان يأتوا بمثله؛ ليكون هذا دافعاً للايمان بصحة الرسالة وصدق الرسول؛ وهذا الايمان هو الطريق المنطقي والعقلي للوصول إلى معرفة الله سبحانه.

والتحدي يريد الله به ان يثبت القدرة المطلقة لذاته ازاء محدودية قدراتهم العاجزة عن مجاراة قدراته المطلقة؛ فالحثّ منه سبحانه والاصرار على ان يأتوا بمثل القرآن والتحضيض على

---

[١] مقدمتان في علوم القرآن: ٥.

[٢] م. ن: ١٧٧.

[٣] م. ن: ٢٧٨.

معارضته إلى حدّ توعده لهم؛ اذا لم يعارضوه ليتيقنوا بمقدار الثقة التامة منه سبحانه بأنه منه وانهم غير قادرين على الاتيان بمثله أيضاً؛ بل ان هذا التحضيض دفعٌ لهم، من جهة أخرى، بان المتحدِّي يسهل لهم أسباب القيام بالمعارضة بتمكينهم من اسبابها؛ إما بتكرار دعوته اليهم أو بالتدرج من مِثْل القرآن كله أو بعشر سور ثم بسورة أو بدعوة مناصريهم من شهدائهم ليقفوا معه مساندين أو شاهدين أو حاكمين لهم بالنجاح أو الاخفاق، قال تعالى: ﴿ **وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾؛ أو في الأقل تركهم مع قدراتهم ليكون قائماً على اسسه المنطقية؛ والا كيف يكون ثمة تحدٍّ مع صرف قدراتهم وجبرهم وسلب اراداتهم؛ وكيف يكون ثمة صرف وهو يفتح لهم بالتدرج والنزول من مثل القرآن إلى عشر سور إلى سورة من مثله؛ و(من مثله) تعني أنه قَبِل منهم ان لايأتوا بسورة طبق الأصل منه بل من مثله؛ أي مما يقرب من أقل درجات الشبه للقرآن، وسمح لهم ان يأتوا بمن يشهد لهم (لا عليهم) منهم لاعانتهم أو للحكم على ما يأتون فعجزوا؛ وما تقدم استثمار لأبعاد التحدي في اثبات الاعجاز للقرآن الكريم وليس على انه صرف لقدرات المتحدَّى من المتحدي.

٢– مفاهيم الاعجاز وآيات التحدي:

توجه النظر إلى اعجاز القرآن الكريم والى اسراره وابعاده منذ نزوله المبارك وتحديه لما برعوا فيه من بيان حجةً منه عليهم بأنه من عنده ليستجيبوا لرسالته سبحانه.

وتوجه الدرس الجاد لأسرار الإعجاز فتطور الدرس البلاغي وتعددت مفاهيم الاعجاز إلى الاعجاز الغيبي والاعجاز التشريعي والاعجاز بالنظم أو انه معجز في هذا كله، أي ان الاعجاز بالقرآن نفسه ولكنْ ظهر في أواخر القرن الثاني للهجرة مفهوم آخر للإعجاز وهو الاعجاز بالصرفة وليس بالقرآن نفسه، وقد نشأت هذه الفكرة بين المتكلمين والمعتزلة الذين حكّموا العقل في الدرس العقائدي والديني ومن الظاهرية وعدد من الاشاعرة من الذين اطلقوا العنان لأفكارهم تجول في أنحاء العقائد بحرية مما يتصل بالنبوة والرسالة والقرآن ونظمه واعجازه ... ونسبت هذه الفكرة أو هذا المفهوم للإعجاز إلى إبراهيم بن سيّار النظام وعباد بن سليمان وهشام بن عمرو ومال اليه الجاحظ في ان الاعجاز ليس في نظم القرآن أو تأليفه وانه يمكن معارضته وانما صُرفوا عنه ضرباً من الصرف[٤]، أو كما قال ابن الراوندي ان التعجيز هو الاعجاز[٥]، أي اعجاز الله للبشر بصرفهم عن معارضته، وان الله انزل القرآن لقوم قادرين على مجاراة قدرته في

---

[٤] انظر: اعجاز القرآن للباقلاني: ٤١ وما بعدها و ٩٩. والاتقان: ١٨٨/٢، والملل والنحل: ٥٧/١، ونكت الانتصار: ٢٩٠ وما بعدها، والذخيرة في علم الكلام للسيد المرتضى: ٣٧٨، ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي: ٢١٣، والحيوان للجاحظ: ٦/١، ٣١/٤.

[٥] الخرائج والجرائح الراوندي: ٩٨١/٣–٩٩٤.

البيان والاتيان بمثله، ولكنه لقدرته عليهم صرف هممهم وعطّل قدراتهم بنفسه[6]؛ وهذا يتناقض مع التحدي القرآني الذي جاء في عدد من الآيات إذ كيف يستوي في عقلٍ أن الله يأتي بمعجزة ما وفي خلقه من لاتعجزه هذه المعجزة وكيف تكون معجزة اذا كانت لاتعجز أحداً الاّ بالقهر والجبر وسلب الاختيار.

إن ما ورد من آيات تنص على ان القرآن نفسه معجزة وان المجال مفتوح للجنسين من المخلوقات المختارة لمعارضته باجتماعها معا على طول الزمان وهذا تحدٍّ صريح وليس صرفة ولايجتمعان منطقاً؛ اما الآيات التي افسحت مجال التحدي لمعارضة القرآن فهي:

١-﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَا يُؤْمِنُونَ(٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ ٣٣-٣٤ من الطور.

٢-﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ ٢٣-٢٤ من البقرة.

٣-﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ ٣٨ من يونس.

٤-﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ ١٣ من هود.

٣- الدراسة (أولاً): الاعجاز بالقرآن والحكم الغيبي بالعجز المطلق عن معارضته:

اما الآية التي هي موضوع البحث فقد جمعت الأمرين معاً، وهما التحدي الأقصى المفتوح للمخلوقات المختارة جميعاً وليس للعرب أهل النزول فقط، وفي الاعجاز أيضاً في الاخبار عن عجزهم جميعاً على عدم الاتيان بمثله ابداً؛ وقد صيغت على اداء هذه الدلالات صياغة سنقف، ما أمكننا، عليها بالتحليل في هذا البحث وهي:

﴿ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ ٨٨ من الاسراء.

وقد اختلفت هذه الآية عن الآيات السابقات المتحديات بأنها آية التحدي الأقصى والحتم المطلق على عجز المخلوقين عن معارضة القرآن؛ فقد جاءت الآية الأولى ٣٤ من الطور في

---

[6] اللسان: صرف، المفردات للراغب: الصرف، وانظر: مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي: ٢١٣، وانظر: التعريفات: ٦١.

مفردة (مثله) ونصّت على الاتيان بـ(حديث) مثيل للقرآن وجاءت آية البقرة ٢٤ بسورة من مثله أي اقل مثلية منه أي مقاربة له لوجود (من) ووجود دعوة الشهداء مع الوعيد اذا نكلوا عن معارضته باتقاء النار وجاءت الآية ١٣ من هود بتحديهم بالاتيان بعشر سور مثله، وليس من مثله، وترك لهم ان يدعون من يعينهم من شهدائهم اما حكماً أو محض شهادة ثم جاءت الآية ٣٨ من يونس تنزل لهم عن المثلية الكاملة للقرآن في ميدان التحدي من عشر سور إلى سورة مثله مع دعوة شهدائهم ثم تأتي الآية التي ختمت هذه الآيات وهي الآية المذكورة من سورة الاسراء بالحكم الأخير على قدراتهم التي اتاح الله لها ان تعارض القرآن وانهم عاجزون عن معارضته لا مع شهدائهم فحسب بل مع قسيمهم الآخر وهم الجن حتى لو تظاهروا على ذلك وعلى مطلق الزمان وهذا الحتم وحده اعجاز لاخباره السابق على هذا العجز في هذه الآية، فقد كانت الآيات السابقات محض أمر ودعوة إلى المعارضة (عدا آية ٢٤ من البقرة) ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا**﴾ اما هذه الآية فقد حتمت بعجزهم ولكلا الجنسين ولمطلق الزمان.

إنّ في الآية ثروة من الدلالات والابعاد وفيها نصّ على الاعجاز الغيبي وعلى الاعجاز بالقرآن نفسه ونصّ على تحدي الخلق به بالاتيان بمثله وليس صرفاً منه تعالى أو سلباً للهمم وللإرادات.

وسنورد شيئاً من هذه الدلالات بنظر ينتمي إلى القرآن نفسه ويعود على النص بما فيه لا بما عند المتلقي من أفكار بعيدة عن النص فضلاً عن ان الآية موضوع البحث وردت في تلك السلسلة من الآيات وكلها نص على القصدية الإلهية في التحدي، لاثبات الاعجاز القرآني وليس التعجيز، وهذا ما يمكن ان تترشح عنه خطوات التحليل بالنظر إلى منظومة من العلاقات بين عناصر الآية اللغوية لتكوين فضاء واسع من التحدي والاخبار عن العجز معاً ولكن بحجم آية: ولا ريب ان الحجم لايؤلف معياراً للتصنيف في مجال الدلالة بين صغير وكبير، بل ما يصنف النص هو القصدية التي ينطق المتحدي من خلالها.

وهنا أدع الآية الكريمة نفسها ترد على الصرفة رداً صريحاً.

ثانياً: التحليل:

ويجب ان نلحظ انه ابتدأ الآية بالأمر بـ(قل) والآية في سياق الاخبار المؤكد بالقسم وانه قدّم الانس على الجن على غير مألوف القرآن بتقديم الجن على الانس في كل سياق وردا فيه وسننظر في هذين الملحظين في مكانهما:

١- ان ادوات تركيب الآية هي : اللام الموطئة للقسم والشرط بإن المكسورة الهمزة المخففة، وتقدم القسم على الشرط، وقد اتصلت تاء التأنيث المجازي بالفعل للدلالة على كثرة

الفاعل، والجواب للقسم، لتقدمه، وهو يغني عن جواب الشرط، ولا النافية غير العاملة واقعة في الجواب للدلالة على النفي العام التأبيدي المطلق، فـ(لا) لتأبيد النفي، وهي، هنا، لنفي الفعل: يأتون، والجار والمجرور متعلقان بالفعل كمفعول للفعل المضارع (على المعنى) لعود الضمير على القرآن الذي هو محور الجملتين وفعليهما: اجتمعت، يأتون؛ وجملة الشرط: ولو كان بعضهم لبعض، ظهيراً معطوفة على الكلام السابق، جوابها محذوف لدلالة جواب القسم عليه والتقدير: لايأتون بمثله، وهذه الجملة كالحال المؤكدة لاجتماع القسيمين(الانس والجن)، والمعنى: لئن اجتمعوا متظاهرين، لا متناقضين، كما هو شأنهم الذي هما عليه من العداوة أو التدابر، أي اجتمعوا في حال تظاهر بعضهم لبعض، وفي الجملة، بلاغياً، ايغال – بصفة الاجتماع، وقد لاتصرف دلالة (اجتمعت) الذهن إلى حال تناقضهما المألوف؛ لأنه قيّد الاجتماع بقيد المصدر المؤول (أن ياتوا) وبدلالة (على) التي عدّت الفعل (اجتمع) إلى المصدر المؤول؛ فالاجتماع هو (على) الاتيان بمثل القرآن، فعلى هذا تأتي جملة الشرط الاخرى المعطوفة تأكيدا لاجتماع الجنسين، أما اختيارات التركيب كقرائن لدلالات تخصّ بناء الكلام؛ فقد اختار (إنْ) التي تفيد الشك في الوقوع، ولم يختر (اذا) التي هي للوقوع والحصول غالباً ودليل الشك في الاتيان انه أجاب بالنفي بلا التي تصلح لنفي كل الأزمان (بحسب السياق) ولم يربط الجملتين، أي اجاب بالنفي القاطع ليقينه بعدم الاجتماع، أو بعدم الاتيان مستبعداً هذين معاً والاّ أجاب بـ(لن) التي ترتبط غالباً بالفاء التي تفيد نفي المستقبل وتؤكده، ولكن (لا) النافية هنا تنفي العموم (الماضي والحال والمستقبل) كما قال في آية اخرى ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ ٣٤ من إبراهيم، أي وان عددتم لاتحصون، وقد عطف بجملة اسمية، (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) للدلالة على الثبات؛ لان الاسمية تدل على الثبات لا التجدد والحدوث؛ كما هو شأن الجمل الفعلية.

٢- ان الآية من حيث السياق العام وتوجيه الخطاب بُنيت على أنها (نصّ)؛ فهي مقول قول بفعل الأمر (قل) أو جملة الأمر وهي ليست درجاً لكلام يبيّن ما سبق أو ما سيأتي أو يصف ... إلى ما هنالك بل هي النص على ان هذه الآية هي نص معجزة الرسول الخاتم ونصّ على الاعجاز القرآني أو انه هو الاعجاز، وهي نص التحدي للخلق كافة المستمر في حياة الرسول وبعده، وهذه المعجزة مبلّغة بالقرآن نفسه إلى الأبد أي ما دامت الدنيا وهي نص يجب تبليغه؛ لأنه تلاه بالانذار في آيات التحدي الأخرى التي تحدّت ان يأتوا بعشر سور أو سورة من مثله؛ وبعبارة أخرى انها آية تبليغية لمكان فعل

الأمر (قل) مع كونها آية اخبارية أي تخبر عن غيب المستقبل بهذا الشأن.

٣- الآية من حيث مكونات المعنى : أوردت الجنسين المخلوقين للأرض الانس والجن والآية نصّ على انهما كليهما مكلّفان بهذه الرسالة ايماناً والتزاماً وان التحدي لهما معاً، لانهما هبطا معاً إلى الأرض وسيأتيهم الهدى من السماء، رسالات وكتباً، ومن الهدى والكتب هذا القرآن كتاباً ومعجزة وان الجنس البشري خليفة الله في الأرض وكلاهما مختار، ولكنّ بعضهم عدو لبعض؛ فهما متناقضان، وان اجتمعا في عهد سليمان، لكنه اجتماع تسخير له وملك لاينبغي لأحد من بعده؛ والآية يُستفاد منها ان من الممكن اجتماعهما وتظاهرهما بسبب ما وُهبا من الاختيار على التمرد على الله أو الايمان به واطاعته وهذا ممكن لسابقٍ معهودٍ منهما وتاريخ لهما في الكفر والتمرد والعناد ولما لهما من القدرة على خوض الحياة بلا التزام؛ ولما لهما من الاختيار انزل الله الرسالات للتذكير بالدين الواحد والاله الواحد وعدم اتباع الهوى ولما فيهما من نسيان لهذا ونكران وشكّ " بالرسل والمعجزات فيعملان كلاً على شاكلته على انكار الرسالات وتسفيه المعجزات وابطالها ولما مالهما من اجتماع في عهد سليمان ولو تسخيراً، يعبّر هنا على سبيل الإباحة والاختيار انهما قد يجتمعان وقد يتظاهران على اختلاف جنسيهما ولما أُلف من العرب ان من الجن مَنْ يقترن بالانس كالكّهان والشعراء والعّرافين فيريدان أن يُبطلا هذه المعجزة حصراً فيأتيان بكلام كما القرآن وهو صياغة مؤثرة واستعمال معجز للغة لابشيء آخر ولكنه يشك (بالشرط) في اجتماعهما لتفاوت كفرهما وايمانهما ويقطع بالاخبار ويقسم عليه (لايأتون بمثله) بلا احتمال لتدل الآية دلالة قاطعة على ان الاعجاز بالقرآن (بمثل هذا القرآن) والقرآن استعمال لغوي مؤثر لايليق الاّ بالله؛ اما الذي يأتون به، فهو مثل للقرآن، ولا مثل للقرآن لانه فعل الله وصفته، وهو ليس كمثله شيء؛ والآية تدل ايضاً على انه جمعهما معاً جمعاً لفعل مخلوق (اجتمعوا وتظاهروا للاتيان بـ) ازاء فعل خالق (بمثل هذا القرآن والقرآن علم على المعجزة) وليس ازاء ذات أي ليس ذاتاً ازاء ذات بل هو فعل ازاء فعل.

٤- الآية من حيث تحولات المعنى: اختارت الاطلاق والعموم والتكثير فاما التكثير فبآختيار التاء المتصلة بالفعل (اجتمع) الدالة على التكثير، وتحول عن التثنية للجمع في الفعل (يأتون) المنفي بلا والجمع هنا لأفراد الجنسين لا كجنسين بل هما جماعتان لكل منهما افراد كثيرون ليدل على اتحادهما وزوال تميّزهما كجنسين مختلفين، لانهم اجتمعوا على أمر واحد وهو الاتيان بمثل القرآن وتظاهروا، فآحترس بالجمع (وليس بالتثنية فقال لايأتون ولم يقل لايأتيان) لمكان دلالة الاجتماع، ولايجتمع افراد أجناسٍ مختلفة على

شيء الاّ زال اختلافهم بل يغفلون عن اجناسهم وصاروا كالشيء الواحد وصاروا ابعاضاً لا كلاً ازاء كلٍ بدليل (ولو كان بعضهم لبعض) واستعمل ظهيراً (وفعيل تدل على الواحد والآثنين والجمع والمذكر والمؤنث) فزالت كل مقومات الاختلاف بـ (فعيل) فكأنهم واحد على هذا الاجتماع على الاتيان بمثل القرآن؛ فدل هذا على ان التحدي بالقرآن والاستجابة للتحدي – ان وقعت منهما – بالاتيان بمثل القرآن، لاتحدي الذات، وهذه المظاهرة منهما على فعل الاتيان بمثل القرآن حصراً، لأنه أمر واحد خاص حصل منهما هذا الفعل الخاص، ودلت (ظهير) هنا، وهي بصيغة الافراد لفظاً، جمعٌ معنىً، على الواحد والكثير، وتحتمل الفاعل والمفعول، وهي للمشاركة (بالتأويل بالمفرد أي مُظاهِرٌ بعضهم لبعض)، وللاطلاق استعملت الآية لفظ الجنس: الانس والجن، وأطلقتهما من النوعية أي من نوع الذكورة أو الانوثة، أي مطلق الانس والجن أو الصغر أو الكبر أو الشعوب أو القبائل، فلكلٍ من الانس والجن أنواع وهم شعوب وأمم وهم قبائل وفيهم الذكور والاناث والصغار والكبار؛ وأطلقتهما من حدود الزمان والمكان، دلالة على ان هذا التحدي سارٍ، ليس لزمن محدد أو قوم محددين أو خلق محددين؛ بخلاف ما يُظن أن المعجزة للعرب من الانس، ولزمن النزول، وزمن الرسالة فقط، ودلّ هذا على ان هذه المعجزة وهي معجزة القرآن هي عين رسالة الرسول وعلم على نبوته وهي كتابه؛ على غير المعتاد من الرسالات حينما يُرسل أي رسول برسالة على حدة ومعجزة تدل على صدق رسالته وعادة ما تكون وقتية، أي لزمن الرسالة، ولأمة معينة، ولزمان معين؛ ولاشاهد عليها الا من كان في وقتها، ولكن رسالة النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) قرآن معجز ويشهد على كونه معجزة كل العصور والتحدي للاتيان بمثله سار إلى كل العصور جنّاً وإنساً؛ والآية هنا اختارت لا النافية وهي عند النحاة لتأبيد النفي لا لتخصيصه بزمان كـ(لم) للماضي و(لن) للمستقبل و(لمّا) لنفي الزمن المستقبل المنقطع، وثمّة دلالة تُلمح من استعمال (لا) التي للتأبيد هي انه سبحانه لا أعلم منه بخلقه علماً سابقاً، ولا أعلم منه بسموّ القرآن وبعده عن المثيل، وفي الآية دلالة الخصوص أيضاً باستعمال التقييد بـ(بمثل هذا القرآن) أي حدّدت موضوع التحدي ولكنها اطلقت زمانه، وأباحت للمتحدَّى بكل اجناسه ولم تخصّص مكاناً ايضاً واباحت له ان يجتمع بأصنافه وأباحت له ان يظاهر بعضه بعضاً، وكذلك خصصت تخصيصاً آخر بالاشارة إلى موضوع التحدي فلم تقل: ان يأتوا بمثل القرآن، بل: بمثل هذا القرآن، وربما اظن ان اسم الاشارة هذا لتعظيم القرآن بالاشارة القريبة اليه (وليست الاشارة بأداة البعد (ذلك) التي هي للتعظيم ايضا) فـ(هذا) اشارة ودلالة على قربه منه تعالى وانه منه، أو عناية بالمتحدين أي تعالوا إلى هذا القرآن واتوا بمثله، أو استدراج لهم دلالة على

قدرته المطلقة وتفوقه خالقاً أي اتوني بمثل هذا القرآن لا (ذلك القرآن)، وهذا كله دلالة على ان التحدي بالقرآن لابذاته سبحانه بهذه الدرجات من التخصيص، أو عناية بالقرآن وتقريباً له اليه تعالى بـ(هذا) قرب مكانة واعتدادٍ به والله اعلم.

٥- ومن حيث تحولات السياق: ان الآية قدمت الانس على الجن وان كانت الجن اقدم، من الناحية التاريخية، من الانس ولكن التقديم هنا بحسب هذا السياق؛ وهذا التقديم إما لأنهم أعنى بالتحدي وقضايا استعمال اللغة والتصرف بها بياناً واحساناً –وان كان كلاهما كائناً ناطقاً – أو أن الرسالة على رسول من البشر ونزل بلسانهم وهم أي الانس أسرع إلى الانكار، ولأنّ الانس –وهذا من ايحاء النص – اقرب إلى الاحسان في التصرف بهذه المقدرة أي باللغة، والدلالة على هذا انه خصّ آدم بالكم الاكبر من الاسماء ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ ٣١ من البقرة أو ان الانس أحوج من الجن إلى اللغة فهم باللغة أبين واكثر تواصلا واظهر على الفكر والتطور والتحضّر بها وان كانت لهم طرائق اخرى وعلامات أُخرى في التواصل والبيان والتحضّر والرقي واظهار المعاني والاشارة إلى الوجود على صفة اكثر من الجن الذين لهم أيضاً طرائقهم في البيان والافصاح، لذلك جمعهم معا على صعيد واحد في الاتيان بهذا الأمر اللغوي البياني المعجز ولكنهما يتفاوتان فقدّم الأليق بالتحدي لتفوقه على الجن باستعمال اللغة أو انه الظاهر بآستعمالها؛ لانه الخليفة في الأرض والجن خلق مستور يرى ولا يُرى، أو انه قَدّم الانس؛ لأنه الأسرع إلى إبطال شأن المعجزة، ولكنه مع تقديمه للإنس على الجن جمعهما في فعل واحد، يدل على اجتماعهما وتظاهرهما، بل اطلق الجنسين وجمعهما دلالة على انهما سيعجزان، قُدّم احدهما ام أُخّر اجتمعا أو تظاهرا عجزاً أبدياً، والآية تدل على العجز الابدي لهما معاً سواءً انفرد (وكلٌّ منهما على شاكلته) أو آجتمعا؛ ولكني اظن ان تقديم الانس على الجن كما هو دليل على التفوق –وهذا ليس على اطلاقه كما سيأتي – هو دليل على انهم يجهلون قدر هذا القرآن وهذا الاستعمال واسرع إلى انكار نزوله من الله، وانه من البشر بتعليم من جنٍّ، لانه كالسحر –كما قالوا هذا –فقدمهم على الجن، لأن الجن اقرب إلى معرفة الكلام ليس نوعية، بل جهة الكلام وانه من الله، والدليل انه ذكر لهم في سورة الجن انهم عرفوا من محض سماع القرآن انه (قرآن عجب)، وان لهم في القرآن سورة باسمهم، وليُعلم العرب (الذين انكروا انه من الله، بل قالوا إنه بتعليم بشر أو من وحي جن) أنَّ هذا التحدي وهذا النص بلاغ للجن ايضاً ليعلموا انه ليس كلام بشر ولا وحي جنٍّ، فقدمهم لقولهم الذي قالوه ولظنهم الذي ظنوه؛ ودل هذا التقديم للانس بهذه الدلالات على ان الاعجاز في القرآن لا اعجاز الله

لهممهم– كما يقول النظام وغيره – لهذه الخصوصيات، ودلّ هذا ايضاً انه بلاغ للجن كتاباً ومعجزة ايضاً، وهم ايضاً في افق التحدي لقدرات الجن ايضاً؛ فالآية تذكر موضوعاً محدداً هو القرآن وتدعو لمجاراته وان هذه الدعوة مفتوحة لمخلوقات قادرة على مثل هذا الفعل ولو لم يقدروا على الاتيان بمثل القرآن، وليست الآية دعوة إلى موضوع آخر من موضوعات قدرة الله وذاته، بل لمجاراة فعل معين لقادر وهو القرآن وهو نص يستعمل اللغة باقصى طاقاتها، وهذا (الاقصى) نسبي أي ما يتعلق بمفهوم البشر من (اقصى)، لأن حدودهم عرفوها في الانشاء ووقفوا على انشاء القرآن انه فوق طاقاتهم الانشائية ووسعهم بمعرفة امكانات لغتهم، لأن للّغة طاقات اخرى لايعلمها الا الله واستعمل منها ما يرونه الأقصى، على حين يراه هو أقصى ما يستطيعون الوقوف عليه؛ فالاقصى للطاقات نسبي يتعلق بهم أو بما يقف عليه الأنس عامة؛ اذن هي دعوة إلى مجاراة هذا الكلام واستنفار أقصى طاقاتهم؛ إذ لدينا طاقات: منها طاقة اللغة وطاقة المخلوق وقدرة الخالق في استعمال طاقة اللغة في بناء هذا القرآن، والله يدعو إلى ان يستفرغوا الوسع من طاقاتهم في معرفة طاقة اللغة في انشاء نص شبيه لنصه ؛ اذن يدور التحدي على القرآن، وهو نظم، فالإعجاز بالنظم، وتدور الآية على الاعجاز بالقرآن، ولكن سياق الترتيب يدل ايضاً على ان الآية تشير إلى ان للانس قدرات في القول وتذكر للجن أيضاً قدرات، وكلاهما في صعيد الاحسان، والاّ لا يدعوهما الله إلى مثل هذا الميدان الاّ لمكانتيهما في الاحسان؛ فكما يدل هذا على ان التحدي في انشاء قرآن آخر لهما وان الاعجاز في هذا الشأن، (أي الاحسان في القول، وهو منطوق التحدي المخصوص بهذه الآية) يدل هذا على ان مظهر القرآن وحقيقته الظاهرة هي الاحسان المطلق في القول ايضاً، ودلّت الآية ايضاً على أنّ لكل منهما نوعاً من الاحسان في هذا الشأن، والاّ لو كانا في صعيد واحد، أو نوع أو ضرب واحد لما دعاهما معاً ليجتمعا ويتظاهرا، بل يكفي ان يدعو أحدهما فيتحداه فيعجز، ليكتفي الآخر ويقر بعجزه؛ فهذه الآية نص على ان لكل واحدٍ منهما تفوقاً في ضرب من الاحسان، فأخبر بعجز كلٍّ منهما بالضرب الذي يحسنه كلٌّ منهما، فدعوته لهما اخبار على تميز كلٍّ منهما في فن يتفرد به، أو دعوته لهما معاً ليتظاهرا ويعين احدهما الاخر؛ وما هما حتى بهذا التظاهر آتيين بمثل القرآن؛ وليس هذا تعجيزاً من الله بذاته بل بالاحسان المتعدد الأضرب بفن القول، ودعاهما ليجمعا نصيب كل منهما ويتظاهرا على الاتيان بهذا المثل للقرآن ليدل دليلاً آخر على ان للقرآن وجوهاً كثيرة لا وجهاً واحداً من البيان، فكأن يكون للانس الوجه الظاهر الانجازي لهذا المثل، ويكون المنطق الترتيبي والأعانة من مثل الاتيان بالمواد العامة من معلومات واخبار ولغات ولهجات وعمق وسرعة بهذا

الاتيان لهذه المواد وحسم وايحاءٍ وظلال ورنين واختيار لايقاعٍ؛ لان الجن موصوفون بالتفوق على الانس بهذه الجوانب لخفتهم ازاء ثقل البشر وكثافتهم وما يأتون به من خبر السماء. إنْ هو الاّ مقاعد –كما عبّر القرآن – أي ما يختارون من امكنة في الفضاء يرون منها ما يقع قبل ان يرى البشر من حوادث بفضل هذه المقاعد والابعاد الفضائية، وما يغوصون فيه من بحر ويجوبون من قفار ويرون ما لايرى الانس ويتنصتون على الملائكة والمخلوقات الاخرى ويستنفّرون به من حيوان، وفي كل هذا معانٍ، وما في قدرتهم من تلوين وزخاريف اخبر الله عنها في اعمالهم لسليمان، وعلى الانس صياغة هذا وحسمه وانجازه واختيار منه بياناً واحساناً فيه مع تلحين الجن له بالايقاع والتقسيم والرنين والتأثير السحري وخرق المألوف وخرق العادات التي اعتادها الجن وهي عندهم معقولة وتبدو للانس كالسحر وخرق المعقول؛ وما دام الامر تحدياً واعجازاً فهو بين هذين (البيان والسحر) ولذلك تُحديا معاً ووضع الظاهر وهو الانس قبل الجنس المستتار بهذا كله والمختفي عن النظر فجاء ثانيا لخفائه ولكنه أقسم على اخباره بأنهما لو اجتمعا برغم قوى كلٍّ منهما على ان يأتوا بمثل هذا السنخ من الكلام نسخة مماثلة لغة واحساناً في تصريفها وتأثيرها وسمّوها ومكانتها وخلودها لايأتون بمثله ابداً، لانه ليس محض احسان وبيان وليس سحراً وخرقاً للعقول لمجرد السحر وخداع السماع، وطالما ظُنّ ان الاحسان في القول في شعر ونثر يستوحيه الانس من الجن، وان لكل شاعر قريناً من الجن وانه من قبيل السحر، فضلاً عن ان ليس كل الناس يستجيب لسحر الجن أو كلام الانس ولكن القرآن هو غير كلام البشر وغير سحر الجن وانه لكل البشر ولكل العقول وهو معروض لكل سمع ولكل القُدر وهو محفوظ على امتداد الزمان؛ وان كان القول الذي تقدم وهو ان الجنّ يوحون للشعراء هو من ايحاء المعنى لا من ايحاء النص؛ لان النص قرآني ويعلم أن الأصل هو موهبة الشاعر لا وحياً من الجن بدليل ان القصيدة تنسب إلى الشاعر لا إلى الجن. وقد جمع في الآية النقيضين: الجنس الظاهر (الانس)، والجنس المستور (الجن) وكلاهما عدو للآخر، واحدهما أقدم من الآخر ... إلى ما هنالك من وجوه التناقض؛ ليدل هذا الجمع ان تحت هذا التناقض أو التدابر الجنسي أو التاريخي أو الشكلي أوجهاً من الاجتماع ليتظاهرا معا على الاتيان بمثل القرآن؛ ومن هذه الاوجه أنهما مخلوقان لاجل العبادة ومأموران بها، قال تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي**﴾ ٥٦ من الذاريات، وكلاهما وُهب العقل والاختيار والارادة، ولذلك منهما معا، المسلم وغير المسلم، قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ** ﴾ ١٤ من الجن، وان منهم مضلين كما للانس، قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ** ﴾ ٢٩ من فُصلت، وان الله أرسل لهما معا

رسلا، قال تعالى: ﴿ **يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ** ﴾ ١٣٠ من الانعام، بل خالط بعضهم بعضا إلى ان استكثر بعضهم من بعض استمتع بعضهم من بعض، قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ** ﴾ ١٢٨ من الانعام فضلاً ان لهما القدرة على الإحسان باللغة حتى ان الجن تحسن تقدير القرآن وانه قرآن عجب ويهدي إلى الرشد قال تعالى ﴿ **فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(١)يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** ﴾ ٢/١ من الجن، فضلاً عن ما يرد من المخيال الجاهلي من ان بعض الشعراء من يستعين بالجن في كلامه الشعري وحتى من الشعراء المسلمين كالفرزدق[*]؛ وقد ورد ذكر الجنسين في تسعة عشر موردا في القرآن تقدم الجن على الانس في ثلاث عشرة آية ولم يتقدم الانس على الجن الا في ست آيات منها هذه الآية للاسباب المتقدمة ولكل آية من الآيات الست سياقها في التقديم.

٦- لقد سبق هذه الآية قوله تعالى ﴿ **وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا**﴾ ٨٧/٨٦ من الاسراء. دليلا على ان هذا القرآن يوحيه معجزة الرسول وان شاء تعالى رفعه اليه ولا رادّ لأمره وهو رحمة وفضل كبيرين على النبي عليه الصلاة والسلام وأمته علماً على نبوته ورسالته، ولذلك أتبعها بهذه الآية الكريمة ﴿ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ** ﴾ ٨٨ من الاسراء على ان هذا الفضل وهذه الرحمة لايمكن ان يكون لها مثل أو شبه فكما اقسم في صدر الآية ٨٦ أقسم في صدر هذه الآية على مطلق الاستحالة في ان يأتي مخلوق بمثل له.

٧- ان الآية – اذا عدنا إلى التركيب – نص ونقل لخبر مفاده: استحالة وقوع أمر أو حدوثه (لايأتون بمثله) ونفيه نفياً باتاً أبدياً حتى لو توافرت امور الاتيان به عندهم ماكان لها ان تكون الاّ بسلسلة من المعجزات أو الفروض من مثل اجتماع خلقين متناقضين مختلفين متعاديين، بل احدهما لايرى الآخر والآخر يراه، ولكن مع هذا كله ان اجتمعا وتظاهرا على امر واحد هو الإتيان بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله؛ فمفاد الخبر: استحالة الاتيان بمثل هذا القرآن ابداً، وان تجاوزا تناقضهما وتظاهرا؛ والآية خبر لمكان القسم باللام الموطئة، وجواب القسم خبر لامحالة " الا اذا كان القسم بالباء فيجوز ان يأتي الجواب انشاءً "[٧] والقسم يرد لتوكيد خبر يقسم عليه المقسم لتوكيده، وليست الآية في سياق قضاءٍ منه تعالى؛ والسياق هنا بصدد اخبار انكاري لا ابتدائي أي ثمة شبهة إنكار

---

[*] الموشح (للمرزباني): ٧٩ .

[٧] مغني اللبيب: ٧٦/١.

فلا يقسم المتكلم الا لشبهة انكار عند المتلقي أو لان القسم توكيد للاخبار الذي في جواب القسم، أو لانه سياق تحدٍ واعجاز، وان الآية لاتخبر عن عجز المخلوقين حتى لو توافر فيها فعل الاتيان، بل ينهال الخبر على سمو فعله في نظم هذا الكتاب وانه يستحيل على ذي فعل ان يأتي بمثلٍ لهذا القرآن لكمال الفعل الأصل كمالا لا يضاهى لا لأن فاعله أعلم بطرائق حصول هذا النمط وتنفيذها، على وفق كماله وعلمه، بل لأنه فوق هذا قصد قصداً به ان يكون كاملاً ومعجزاً ليكون آيةً على كماله وعلمه وطلاقة قدرته والاّ لكان كل كتاب من الكتب السابقة معجزة بيانية ولكنه قصد سبحانه ان يكون هذا الكتاب حصراً معجزة بيانية قصداً فهو مهمين عليها، فكما هو بلا مثيل، فعله بلا مثيل ايضاً، لابذاته سبحانه بل بنظمه والاّ لافائدة ترجى من نزول القرآن معجزة فهو سبحانه معجز دائماً لا للعرب بل للأمم كلها وللخلق كلهم من فجر الخليقة إلى يوم القيامة، فلا معنى لنزول القرآن ولا لاعجازه ولا لتحديه سبحانه، واذا كان الامر يدور على صرف العرب فهو بذاته صارفهم وصارف مثلهم ابتداءً منطقاً وواقعاً؛ اذن المعجز القرآن والقرآن نظم للّغة على حسابٍ لكل ما يدور فيه وقصدٌ لهذا الحساب مما تتم به عملية الكلام تماماً بالغاً اعلى مراتب البلاغة؛ والاّ فهو –كما قدمنا – انزل كتباً قبل القرآن لم تكن معجزة اذن الآية خبر عن سموّ القرآن عن المثيل؛ اما عجز الانس والجن المطلق فلم تحصل مقدماته، أي لم يجتمعوا بل إن اجتمعوا ولم يتظاهروا، وان تظاهروا ولم ينووا الاتيان .. اذن هي في سياق الشرط: ان اجتمعت الانس والجن ... فينصبّ الجواب للقسم لاجواباً للشرط لان لاجواب للشرط بعد تقدم القسم : لايأتون بمثله ؛ فيكون الاخبار عن عدم دنوّ شيء للمضاهاة (بمثله) فالجار والمجرور وان تعلّقا بالفعل المضارع (لايأتون بمثله) المنفي لفظاً فان فيه معنى تعلّق باستحالة المثلية ؛ اذن معنى الآية، بعيداً عن القسم والشرط وتجريد الاخبار منهما هو:

لامثيل لهذا القرآن

هذا هو الخبر الذي اقسم عليه الله، وهم له منكرون، فأكده، ودليل إنكارهم انه تحدّاهم بأن يأتوا بمثله، إن كانوا له منكرين انه معجزة وأنه من غير الله وانه من قبيل السحر وانه من صنع البشر وايحاء الجن وانه قيد المضاهاة ... إلى ما هنالك من اقوالٍ لهم ذكرها القرآن.

ولكن الآية طوقت هذا الخبر بالقسم – إذن – لانكار الذين أنزل عليهم الاعجاز القرآني وانه بتعليم بشر له تأثير السحر، وتزوّدت الآية بالشرط: أي اذا كان تعليم بشر وايحاء جن وانه يفعل كفعل السحر اذن ليجتمع الانس ومعهم الجن (الذين يوحون للبشر من شعراء وكهان كل ساحر من القول) ليأتوا بمثله ان كان مايدّعونه صحيحاً، وهذا مدد من الزمن لاحدود له

في هذه الارض؛ ولكن اعلموا انكم مع اجتماعكم وتظاهركم لاتأتون بمثله ابداً. اذن انصبّ الاخبار على :

(ان القرآن لايُضاهى ابداً)

علماً ان الآية اختارت (إنْ) التي هي للشك غالباً، ولم تختر (اذا) التي هي غالباً لما يُتيقّن وقوعه، فضلاً عن ان القسم لم ينصبّ على ماشك في حصوله وهو لم يحصل، فهو الآن في عداد المستحيل فحكمت عليه الآية بآستحالة حصوله، بل القسم منصبّ على خبر يُستفاد من ادوات بناء الآية بتقدم القسم ليكون الجواب له وهو ان القرآن لايؤتى بمثله لسموه ذاتاً عن الاتيان بمثله والا سبقت كتب من الله لم يصفها بهذه الصفة ولم يكتب لها مثل هذا التفرد والسمو وقد حُرّفت وأزيل منها ما ازيل عن مواضعه وكتبوا بأيديهم وزعموا انها من عند الله وما هي من عنده، وهي إلى الآن على هذا الزعم؛ اذن الامر في هذا القرآن هو تفرده عن النظير وسمّوه عن التحريف والتزييف ولم يزعم احدٌ ان فيه حرفاً من عند غير الله بل زعموا نقصاً لازيادة وهو ان شيئاً من آياته غاب عن الدفتين، وقد محق الله هذا الزعم محقاً بآيات الحفظ بل تعهد بحفظه من كل عبث ؛ اذن الآية نص على ان المقصود بالاعجاز هو القرآن وهو كلام الله، والذي يتحدى به الله انما هو كلام للمخلوقين، ومظهر القرآن البيان، وهو معجزة في كل شيء، مما يظن الخلق أنهم قادرون على التحدث فيه، ومما لايقدرون عليه، ولكن مظهره الظاهر هو صياغة هذا كله صياغة معجزة مؤثرة تأثيراً يفوق ما عُهد من فعلِ القول أو الكلام، وليس هو قولاً فقط بل يتعداه إلى ان يكون فعلاً مغيّراً مطوراً حسيّاً مع كونه حقاً لازيادة فيه ولانقصان ولاتفاوت؛ فالاخبار العلمي أو النقل فيه حق كما هو، يستوي بذلك الماضي والحاضر والآتي والأبعاد الاخرى، وصِدْقٌ كله، فكما صَدَق بالاخبار عما بين أيدي اهل النزول يصدق على ما بين أيدي الذين يأتون، وهذا كله باستعمالٍ للغة ونظمها نظماً، يعبرُ من طوق الكلام إلى التصوير، والحكم فيه والتشريع عدل لايغادر شيئاً مما يحكم فيه، فيعبر من طوق الكلام إلى الفصل، والحكمة فيه بالغة تتعدى التجريب إلى الاستخلاص بالعلم ابتداء بعواقب الامور بلا تدرّج من بداياتها، وهذا باستعمال اللغة ونظمها نظماً يعبر من الكلام إلى الالتزام، والتأثير فيه يسمو على أثر السحر الكاذب الذي يُمتع السمع والقلب، مما يُعهد من كلامٍ للناس يُصاغ بموسيقى بقوالب مخصوصة محسوبة فيتعداه القرآن إلى الشعور الحق بالمتعة الحق المصوغة بعلمه بمواقع التأثر وطرائق التأثير وعلمه بالجوارح الخفية وتسمو فوق نوافذ السمع وسبل التلقي الاخرى إلى ما يلائم كل نافذة من لمس أو قرع أو ايقاع أو انسجام يهتدي إلى سبله بلا دليل، وهذا كله بالصوغ الذي جمع مواده العامة بعلمه المطلق وخبرته المطلقة من توزيع للبنى اللغوية المفردة وتراكيب مرتبة توزيعا يقوم بكل ما سبق من دلالات اخبار وحِكم وتشريع وتصوير وتأثير في كلٍّ متناغم منسجم

ينهض معاً وتنهض وظائفه معا بلا تفاوت ولاتناقض بل بتناسب دقيق محسوب فيه حساب كل حرف مع حرف وكلمة مع كلمة ومضمون مع مضمون موجّه لكل متلقٍ في كل زمان ومكان حفظه على نفسه، وفي كل ضرب من موارده يخضع للاحسان نفسه لانه عالم بكل شيء، هذا، وما فاتنا غيره، والله اعلم به، لايأتي به جنس من انس أو جنٍ ابدا ولو جاءوا بمثله لايقفون ضامنين حفظه على انفسهم ولاضامنين استدراك وجوه اخرى للصياغة فاتتهم ولاضامنين، عقلاً، هنا أو هناك، في زمن أو ازمان، يأخذ عليهم ما يأخذ، ولاضامنين مدى تأثيره في كل متلقٍ ولاضامنين هذا المدى لمدى يطول أو يقصر ولاضامنين انواع التأثير ومداها أو كنهها؛ فربما لايتعدى التأثير القول إلى السلوك أو الفعل، ولاضامنين ايمانهم هم انفسهم به، وحتى لو جاؤوا بمثله يظل نسخة ثانية، والمثل منطقاً، أدنى من الاصل لأنهم سيأتون بمثل موارده، وموارده كاملة، ولا اكمل لتفاصيل موارده، أو يأتون بغيرها، فلا يحققون المثلية، اذن لامثل للقرآن. ومن ايحاء النص ايضاً ان في الآية معنى هو ان فعل المحدود محدود بازاء فعل المطلق المطلق، لاقضاءً منه ولا اجباراً بل انه يقدر ما عليه خلقه من الامكان والوسع حقَّ قدرهم ويعلم طاقتَهم علماً، لاقضاءً عليهم بعدم الامكان وعدم الاتيان أنّ المخلوق الذي خلقه وهو اعلم به لايأتي بفعل خالق وليس معنى الآية ومعنى الاعجاز انه اعجزهم بذاته بل يعلم انهم عاجزون، وما تحدّاهم الاّ ليقرّوا بأن هذا القرآن منه أي ثمّة خالق قادر عليهم ان يلتزموا اوامره ويتجنبوا نواهيه ؛ والآية بصدد الاخبار لا القضاء لأنّ معنى القضاء الجبر وهذا خلاف ارادته في الاختيار الذي وهبه لهم ومفاد الآية اخبار عن علمه بأنهم لايأتون بمثله واخبار عن علمه بأنه لايُضاهى؛ ولكنّ هؤلاء ذهبوا إلى انه (يقضي) قضاءً [٨] و(يصرف) صرفاً بذاته لا بالقرآن؛ وفي هذا، عندي، معنى يذهب بهم إلى سبيلٍ فيه خيط تتدلى منه ورقة، قد يبدو فيها شيء من (ظاء) من (ظلمٍ) للعباد، وتعالى الله، علوّاً كبيراً، ان يظلم ذرةً مثقال ذرة ؛ فالمعجز النظم والتأليف على مثاله وغراره، ذلك، لقصور قدرة المخلوق، وتمام فعل الخالق وكماله؛ وليس المعجز الذات الالهية بالصرف أو بالمنع، فليس هذا، في خزائن الله، وكان عليهم ان ينطلقوا من القرآن، لا من افكارهم ومذهبهم في هذا الرأي.

---

[٨] الملل والنحل: ٥٧/١.

المصادر:

- المصحف الشريف.
- الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحـ: أبي الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٦٧.
- التعريفات، الشريف الجرجاني، البابي الحلبي بمصر، ١٩٣٨.
- اعجاز القرآن، الباقلاني، تح: أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.
- الخرائج والجرائح، الراوندي، مدرسة الامام المهدي عج.
- الذخيرة في علم الكلام، السيد المرتضى، تح: السيد أحمد الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١١ هـ.
- الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨.
- لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
- مذاهب الإسلاميين، الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، مصر.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الانصاري، تح: مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٦.
- المفردات للراغب الأصفهاني، تح: نديم مرعشلي، بيروت، ١٩٧٢.
- مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة المباني لمجهول، ومقدمة ابن عطية)، تح: آرثر جفري، مصر، ١٩٥٤.
- الملل والنحل، عبد الكريم الشهرستاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط٢.
- الموشح للمرزباني، تح: علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٦٥.
- النكت في اعجاز القرآن، الرماني، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)، دار المعارف، مصر.

الجغرافية العراقية المعاصرة
دراسة في الفكر الجغرافي

الأستاذ الدكتور عباس فاضل السعدي
أستاذ الجغرافية والدراسات السكانية بجامعة بغداد

الملخص

يهدف **البحث** الذي نحن بصدده إلى دراسة مسارات أبحاث الفكر الجغرافي العراقي المعاصر بمختلف التخصصات. وتتمثل **مشكلة البحث** بتساؤل مفاده: أين تتجه أبحاث الجغرافية العراقية المعاصرة؟ أما **فرضية البحث** فقد أكدت على استمرار طغيان أبحاث الجغرافية البشرية على فروع الجغرافية الطبيعية والتخصصات الأخرى، وتم استخدام **منهج** الوصف الجغرافي والتحليل المكاني الذي يتناسب وطبيعة هذا البحث.

أما أبرز **الاستنتاجات** التي توصل إليها البحث فهي:

١. إحتلت ابحاث فروع الجغرافية البشرية المنشورة في الدوريات المرتبة الأولى (٥٩٪)، وتعكس هذه النسبة كثرة التدريسيين المتخصصين فيها. على حين جاءت أبحاث الجغرافية الطبيعية بالمرتبة الثانية (١٩٪) لقلة عدد متخصصيها. في حين شغلت فروع الجغرافية الأخرى النسبة المتبقية وقدرها (٢٢٪).
٢. إزداد عدد الأبحاث، بمختلف التخصصات، من عشرة في مرحلة الخمسينيات إلى ٣١٢ بحثاً في الألفية الثالثة.
٣. شهدت مرحلة الستينيات من القرن العشرين تزايد أبحاث الفكر الجغرافي العربي، و في الثمانينيات تزايد أبحاث الجغرافية العسكرية والسياسية لمراعاة ظروف الحرب العراقية– الإيرانية. على حين شهدت الألفية الثالثة تزايد أبحاث المناخ والموارد المائية وجغرافية الصناعة والمدن وآخرها السياحة.
٤. إتضح خلو الساحة الجغرافية من وجود مدرسة جغرافية عراقية (أو عربية) لها فلسفة خاصة بها ومنهج يُبهر الآخرين.

ومن **التوصيات**، لابد من إعادة النظر في مناهج دراسة الجغرافية؛ ليكون هدفها تخريج طلبة تتلاءم ومفردات ما درسوه في الثانوية والجامعة مع سوق العمل المتوافر. وهذا يتطلب نقل الجغرافية من مجالاتها الوصفية والنظرية الى المجال التطبيقي.

المقدمة:

كانت فلسفة الجغرافية ومنهجيتها مثار نقاش محتدم في العقود والأعوام الماضية، ذلك النقاش واكبته إصدارات لبعض الكتب والبحوث. وعند تتبع مسار الجغرافية من خلال تلك الإصدارات وبسبب ارتباطها بعلوم كثيرة يمكن القول أن الجغرافية تؤلّف "عقدة إرتباط بين العلوم". أو كما قال عنها الفيلسوف الأمريكي "جون دوي" : "إن وحدة جميع العلوم توجد في الجغرافية"[١].

وذكر الجغرافي النرويجي (هولت ينسن) أن بعض الجغرافيين **آهتموا بموضوعات تقع في أطراف علم الجغرافية. وبهذا المعنى يقول: " إيكرمان " أن الجغرافية أضحت** علماً يتجه من مركزه إلى الأطراف التي يلتقي فيها مع مجموعة من العلوم الأخرى، مما أدى إلى خلق تخصصات جديدة. وهذا الإتجاه يمثل كما يقول "ينسن": المصدر الذي تستمد منه الجغرافية شرعية وجودها كعلم بل هو طوق نجاة لها. وعليه ينبغي أن تقوم الجغرافية على أساس[٢]:

١. التحليل المكاني والتنوع المكانيٍ Areal Variation (من حيث التباين والتشابه).
٢. التحليل الإيكولوجي أي تحليل الروابط بين المتغيرات البيئية (الطبيعية والبشرية).
٣. التحليل الإقليمي المركب الذي يجمع بين التحليلين السابقين.

وعموماً يمكن القول: إن الجغرافية هي "علم العلاقات والتنظيمات المكانية لمختلف الظواهر وتنوعها وتحليلها، حيث تتسم الجغرافية بنظرتها الشمولية الموحِدة والتي تجمع بين العلوم الطبيعية والبشرية وتدرس الظواهر على أساس تغير خصلائصها الدائمة. ومن ثَمَّ فإن جوهرها هو آعتماد المكان في ربط الظواهر المراد دراستها؛ للوقوف على أسباب التنوع المكاني للظاهرة المراد دراستها من حيث تباينها (في المكان والزمان) وتشابهها وآرتباطاتها المكانية Areal Variation" [٣]. وظهرت آتجاهات جديدة ترى ان الجغرافية بهاحاجة إلى تنظير وتحديد لإطارها وفلسفتها، وقاد هذا الإتجاه في العراق من الرواد أستاذنا المرحوم الدكتور علي محمد المياح[٤]

---

[1] John Dewey, Democracy and Education, The Free press, New York, 1966, PP.211-212.

[٢] أريلد هولت ينسن، الجغرافية: تاريخها ومفاهيمها، ترجمة الدكتور عوض يوسف الحداد، وابو القاسم عمر إشتيوي، ط١، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٨، ص٢٤٢.

[٣] عباس فاضل السعدي، أساسيات الجغرافية البشرية، ط١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢، ص١٣، ١٦.

[٤] علي محمد المياح"، طبيعة المشكلة الجغرافية"، مجلة الاستاذ، (تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد)، المجلد٨، ١٩٦٠، ص١٣٣-١٣٤.

والدكتور عبد الرزاق عباس حسين[٥]، وفي مصر جمال حمدان[٦] و سار في هذا الإتجاه الدكتور محمد علي الفرا[٧] ، وفي الأردن يحيى الفرحان[٨] وغيرهم

وفيما يتعلق بالجغرافية المعاصرة، التي بدأ الاهتمام بها في النصف الثاني من القرن العشرين، ظهرت فيها مدارس متعددة وآتجاهات كثيرة. تلتها مرحلة الألفية الثالثة حيث آهتم الجغرافيون، من الشباب بصورة خاصة، بالتقنيات المتطورة، فزاد الاهتمام بأبحاث التنظيم المكاني للحيز الجغرافي وصناعة القرار آلياً.

وفي ضوء تباين الآراء يتحدد **هدف** هذا البحث بإلقاء الضوء على أبحاث مسارات الجغرافية العراقية المعاصرة بمختلف تخصصاتها. وتتمثل **مشكلة البحث** بتسآؤلٍ مفاده: أين تتجه أبحاث الجغرافية العراقية المعاصرة؟ وتتمثل **فرضية البحث** بآستمرار طغيان أبحاث الجغرافية البشرية على فروع الجغرافية الطبيعية والتخصصات الأخرى. وتم آستخدام **منهج** الوصف الجغرافي والتحليل المكاني وآعتماد **البيانات** والأبحاث المتيسرة المنشورة في الموضوع. فضلاً عن معلومات الباحث عن هذه المرحلة التي شملتها الدراسة وكان على آتصال بكثير من أساتذتها.

جامعة بغداد ودورها في النتاج الفكري الجغرافي

لم تكن فكرة الجامعة، في مرحلة التأسيس حديثة عهد في العراق، ولم تكن وليدة آجتزاء ذهني قصير وإنما كان التوجه لتأسيسها والتفكير بإنشائها يساور النخبة من أبنائها وهم يتطلعون إلى تاريخ حضاري عريق ويستمدون من عراقة تراثه ما يلهمهم هذا القصور بعد أن تلمسوا التراكم الحضاري وهو يتواصل في مدارس متخصصة وعلوم بحتة ومكتبات عتيدة أثبّتت وجودها التحريات وأكدت دورها الرِقَم الطينية ودلّلت أصالتها المستنصرية والنظامية ومهدت لعطائها بيوت الحكمة وهي تستقبل الطلبة والباحثين وتغني مدارس الفكر والفلسفة وتضع قواعد المناهج الفكرية وتسهم مع غيرها من الأقطار في إنضاج العطاء العلمي.

---

[٥] عبد الرزاق عباس حسين، الإطار النظري للجغرافية، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧٠.

[٦] جمال حمدان، "نحو مدرسة عربية في الجغرافية"، مرآة العلوم الإجتماعية، المجلد الثامن، العدد الأول، ١٩٦٤، ص٥–٤٢.

[٧] محمد علي الفرا، علم الجغرافية ، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافية بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، (تسلسل ٢٢)، ١٩٨٠، ص١٢، محمد علي الفرا، التنظير في الفكر الجغرافي الحديث، رسائل جغرافية يصدرها قسم الجغرافية بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، (تسلسل ١٣٩)، يوليو ١٩٩٠، ص٣–٥.

[٨] يحيى الفرحان"، الجغرافية المعاصرة"، مجلة الجغرافي العربي (يصدرها إتحاد الجغرافيين العرب في بغداد)، العدد الثاني والثالث، تموز ١٩٩٥.

إن هذه القاعدة الكبيرة من التاريخ والتراث كانت تؤكدها بدايات التعلم الجامعي في العراق حين أُنشئت كلية الحقوق سنة ١٩٠٨ وبعدها توالى تأسيس الكليات والمدارس العالية تحت ظروف مختلفة وفي فترات متفاوتة وعلى وفق الحاجات التي تتطلبها دواعي الإنشاء وتوافر المتخصصين وضرورات العمل المهني. فكانت دار المعلمين العالية التي تأسست سنة ١٩٢٣ وتكاملت سنة ١٩٣٩، تلاها إنشاء كليات أخرى(٩).

وقد آتجهت الكليات في حينها إلى أن تكون مدارس مهنية تتفق غايتها في إعداد الموظفين أو المتخصصين بمهن معينة تلبي الحاجة الآنية وتسهم في تطوير العمل الإداري. وكان آهتمامها بالدراسات العلمية الصرفة والأدبية الحرة قليلاً. وإن آلتفاتتها إلى نواحي البحث والتحري عن الحقائق العلمية ومدى صحتها ومقدار آنطباقها على الواقع لا يوازي الإلتفات الذي توليه الجامعات الأخرى إلى هذه الأهداف.

وقد دفع هذا الشعور إلى التفكير جدياً بما يؤمن هذه الغايات ويحقق الأهداف المرجوة من التعليم الجامعي الذي يعطي العراق مركزه ويهيئ لأبنائه التوجه السليم ليواكب حركة التطور وإدراك فكرة الجامعة وضرورة العمل على تحقيقها وتحقيق الدور الريادي للبحث العلمي. وقد شهدت الساحة الثقافية أصواتاً تدعو إلى هذا التوجه وإيضاحات لإنضاج الفكرة ودعوات صادقة من الأساتذة الذين أدركوا أهمية إنشائها.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف باشرت الحكومة بإنشاء لجان لمناقشة إنشاء جامعة بغداد، وكان من نتائج تلك التوصيات، من هذه اللجان، تأسيس كلية الآداب والعلوم سنة ١٩٤٩ ليكون هدفها الرئيس العناية بالعلوم والآداب الحرة من دون أن تتقيد بتخريج المهنيين المتخصصين في نواحي تطبيقية ضيقة ويصح أن تُعد هذه الكلية النواة الحقيقية لجامعة بغداد. وآستمرت الدراسة في هذه الكلية حتى شُرِّع قانون جامعة بغداد في أيلول ١٩٥٦ فكانت البداية الأساسية لبناء الجامعة.

وقد أُتيح لهذه الكلية أن تضع اللبنة الأولى في الدراسات العليا عام ١٩٦١ في بعض أقسامها ليتخرج أول طالب ماجستير في قسم الآثار، وأول طالب في قسم التاريخ وهما أستاذان من أساتذة الكلية عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥.

ولخريج قسم الجغرافية رصيدٌ مميزٌ، فمعرفته شاملة الجوانب متعددة، منها ما له صلة بالمجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأخرى لها صلة بالسكان والاستيطان الحضري

---

(٩) نوري حمودي القيسي، كلية الآداب ودورها الريادي، دليل كلية الآداب، إعداد الدكتور فلاح شاكر أسود، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ص ٣-٨، ١٦-١٧.

والريفي. وهذه كلها يستوعبها الجغرافي إما عن طريق الدراسات النظامية أو عِبرَ الدراسات الإقليمية على المستويات المختلفة، الإقليمية والقطرية منها، أو على المستوى القاري والعالمي. فعن طريق دراسته الإقليمية للعراق والخليج العربي والوطن العربي والقارات المختلفة يكون قد جمع رصيداً من المعرفة الجغرافية وخبرات البلاد الأخرى تمكنه من توسيع مداركه وثقافته وظهيرته الجغرافية. كل هذا يؤهله لأن يحتل مكانة في مجال الخدمة العامة المختلفة ويجعل منه أداة صالحة للتعبير عن آتجاهات العصر في أن يكون عنصراً له صلة بالمجتمع الذي يعيش فيه وعضواً نافعاً مؤهلاً لخدمة هذا المجتمع.

ولجامعة بغداد دورٌ مهمٌ في قيام الدراسات العليا مبتدئةً بكلية الآداب في العام الدراسي ١٩٦٠/١٩٦١، وأول قسم أُنشيء فيه هو قسم التاريخ تلته أقسام أخرى من بينها الجغرافية. وآفتتحت الدكتوراه في العام الدراسي ١٩٧٢/١٩٧٣ في ثلاثة أقسام كانت الجغرافية من ضمنها.

وكان قسم الجغرافية بكلية الآداب/ جامعة بغداد منذ تأسيس الكلية ضمن العلوم الاجتماعية التي كانت تضم الجغرافية والتاريخ وأصبح قسماً مستقلاً عام ١٩٥٥/١٩٥٦.

وبعد ذلك تأسس فسم الجغرافية في كلية التربية، وتأسست اقسام أخرى مناظرة في الجامعات الإقليمية مثل البصرة والموصل، وفي بغداد أيضاً بكلية التربية بالجامعة المستنصرية. كما نضجت فكرة لإنشاء جمعية خاصة بالجغرافيين، أليس هم أحفاد أُولئك الرواد الذين جابوا مشارق الأرض ومغاربها؟

وظهرت الجمعية إلى حيز الوجود سنة ١٩٥٩، وليس ١٩٦١ كما يذكر بعض الباحثين، ثم أعقبها قبول العراق في الإتحاد الجغرافي العالمي في المؤتمر الذي عُقد في آستكهولم سنة ١٩٦٠. ثم حصلت الموافقة على إصدار مجلة خاصة بالجمعية الجغرافية العراقية الفتية. وأخذت المجلة على عاتقها نشر الأبحاث الأصيلة عن العراق والبلاد العربية والعالم، وصدر عددها الأول في آب ١٩٦٢[١٠]، ويحتفظ كاتب هذه السطور بهذا العدد والأعداد الذي تلته. وأصبح الأستاذ الدكتور جاسم محمد الخلف أول رئيس للجمعية الجغرافية العراقية،

وبعد أن آزداد عدد الملاكات التدريسية إلى قرابة مئة تدريسي آزداد نشاط أعمال الجمعية الجغرافية العراقية من خلال عقد الندوات والمؤتمرات. وخطت الجغرافية في عام ١٩٦١ خطوة مهمة نقلتها إلى مرحلة جديدة في تطورها العلمي الأكاديمي بعد أن بدأ قسم الجغرافية برنامجاً للدراسات العليا يقود إلى شهادة الماجستير. ومنذ عام ١٩٧٢/ ١٩٧٣ بدأ القسم مرحلة أخرى تضيف رصيداً إلى رصيده، وهي مرحلة فتح الدكتوراه.

---

(١٠) جاسم محمد الخلف رئيس الجمعية الجغرافية العراقية، ١٩٦٠/١٠/٢١، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الأول، السنة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، آب ١٩٦٢، ص ٣.

الصورة (١) رحلة آداب بغداد الى راوة في ١٩٧٥/٤/١١



صورة (٤٢) رحلة الجمعية الجغرافية العراقية الى الفرات الاعلى (في راوه) يوم ١١/٤/١٩٧٥ ويشاهد : د. محمد حامد الطائي ، مكي محمد عزيز ، د. ابراهيم شريف ، نعمان دهش ، د. مهدي الصحاف ، صبري الهيتي ، د. احمد السامرائي ، عبد خليل فضيل ، د. عباس السعدي مع ثلاثة معلمين من (عنه)

وفي عام ١٩٥٨ تأسست جامعة بغداد، وتغير اسم دار المعلمين العالية الى كلية التربية وأُلحقتْ بالجامعة وفيها قسم للجغرافية. وفي عام ١٩٨٧-١٩٨٨ أُستحدثت في الكلية الدراسات العليا لمرحلة الماجستير.

جذور الجغرافية الحديثة في العراق

تعود مادة الجغرافية وتدريسها في العراق إلى عهد العميد العسكري طه الهاشمي (١٨٨٨-١٩٦١) والأستاذ عزيز سامي (١٨٩٥- ١٩٨٤). والعميد طه الهاشمي هو أشهر من كتب عن جغرافية العراق في المرحلة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الأولى وعام ١٩٥٠ في مجال الجغرافية البشرية والإقليمية والعسكرية. شاركه في هذا الشأن الأستاذ عزيز سامي الذي كتب في مناهج الجغرافية المتوسطة والإبتدائية، وترجم عن العثمانية عدة مؤلفات.

وبعد الخمسينيات بدأ الرعيل الأول من الجغرافيين يعود إلى العراق بعد أن أكمل دراسته العليا بالجامعات الأجنبية، الأمريكية والأوربية، متخصصين بإحدى فروع الجغرافية، منهم الأستاذ عبد الوهاب الدباغ الذي حصل على الماجستير من جامعة برمنكهام البريطانية عام ١٩٤٨. وفي عام ١٩٥١ عاد إلى العراق ثلاثة جغرافيين بعد أن نالوا تعليمهم العالي وحصلوا على الماجستير أو الدكتوراه من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وهم كل من الدكتور حسن عليوي الخياط، والدكتور جاسم محمد الخلف، والدكتور علي محمد المياح. وبين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٥ عاد الدكتور محمد حامد الطائي والدكتور إبراهيم شوكة والدكتور وفيق حسين الخشاب والدكتور خطّاب صكار العاني بعد أن أكملوا دراساتهم العليا في الجغرافية من جامعات الولايات المتحدة.

وهكذا أخذ العدد يتزايد وتنتعش الجغرافية في العراق بزيادة نشاط هؤلاء الرواد الذين حملوا اختصاصات متعددة أغلبها في فروع الجغرافية البشرية.

الصورة (٢)

الدكتور حسن الخياط، والدكتور. حسن طه النجم، والمعيد مكي محمد عزيز

مع رحلة المرحلة الرابعة جغرافية كلية التربية في ١٩٦٤/٥/١٤



الصورة (١٣) المرحلة الرابعة جغرافيا مع د. حسن الخياط و د. حسن طه النجم والمعيد مكي محمد عزيز في يوم ١٩٦٤/٥/١٤

الصورة (٣)

الدكتور علي المياح، والدكتور وفيق الخشاب، والمعيد مكي محمد عزيز في رحلة المرحلة الثانية

جغرافية –كلية التربية بجامعة بغداد إلى بعقوبة يوم ١٧/١١/ ١٩٦١



صورة (٩) رحلة الى بعقوبة والصدور ، ١٧/١١/١٩٦١ في المرحلة الثانية مع الدكاترة علي المياح –وفيق الخشاب–مكي محمد عزيز وعدد من طلبة المرحلة

أقسام الجغرافية في العراق

وعند ملاحظة وتتبع أقسام الجغرافية في العراق يتضح الآتي:

١. بلغ عدد الاقسام الجغرافية في مختلف الجامعات العراقية حتى عام ٢٠٠٩/٢٠١٠ نحو ٣٤ قسماً ، بضمنها خمسة اقسام في شمال العراق.
٢. أقدم الاقسام الجغرافية تأسيساً هو القسم الذي تحتضنه كلية الآداب بجامعة بغداد (١٩٤٩)، يليه كلية التربية (ابن رشد (١٩٥٧) ثم آداب البصرة (١٩٦٦).
٣. أقدم أقسام الجغرافية تأسيساً لمرحلة الماجستير هو القسم الموجود في آداب بغداد (١٩٦١) تليه تربية البصرة (١٩٨٦) ثم تربيتي ابن رشد والموصل (١٩٨٧–١٩٨٨).
٤. أقدم أقسام الجغرافية تأسيساً لمرحلة الدكتوراه هو القسم الموجود في آداب بغداد (١٩٧٢–١٩٧٣)، يليه تربية ابن رشد وتربية الموصل (١٩٩٢–١٩٩٣).
٥. بلغ عدد التدريسيين في أقسام الجغرافية بالجامعات العراقية عام ٢٠٠٩–٢٠١٠ نحو ٦١٤ تدريسياً باختصاصات مختلفة ولكن يغلب عليها التخصص بفروع الجغرافية البشرية.

النتاج الفكري الجغرافي العراقي

من دراسة النتاج الجغرافي العراقي في المدة من ١٩٥٨–١٩٩٣ لنحو ٢١٠ تدريسي تم التوصل إلى عدة نتائج أبرزها الآتي [١١]:

١. بلغ حجم النتاج الفكري الجغرافي المنشور ١٢٨٤ مادة جغرافية شمل ٧٦٢ بحثاً و٢٥٨ كتاباً و٢٥٢ رسالة جامعية و١٢ أطلس وخريطة وكراس تدريبي للخرائط.

٢. كان عدد المنتجين للنتاج الفكري الجغرافي ١١٧ تدريسياً (١٠٩ ذكور و٨ أناث) و١٦٦ طالباً للدراسات العليا (١٤٤ ذكور و٢٢ من الاناث).

٣. شارك التدريسيون في (١٠٠) مؤتمر وندوة علمية متخصصة أو غير متخصصة بالجغرافية عقدت في العراق والوطن العربي والعالم.

٤. ورد النتاج الفكري الجغرافي في ٢٩ موضوعاً جغرافياً فرعياً وجاءت أعلى نسبة منه في موضوع جغرافية المدن (١١,٥٪). وتوزع النتاج على ثلاثة موضوعات جغرافية رئيسة، وجاءت أعلى نسبة منه في موضوع الجغرافية البشرية (بمختلف فروعها) حيث بلغت نسبتها (٦٨,٥٪).

[١١] هدى عباس قنبر السعدي، مصدر سابق، ص (هـ).(أنظر تفاصيل المصدر في الجدول (١)

والجدول التالي يوضح النتاج الفكري الجغرافي الخاص بالكتب:

الجدول (١)

عدد الكتب المؤلفة من قبل الجغرافيين بحسب الفترات الزمنية خلال المدة ١٩٥٩-١٩٩٣

المدة الزمنية	عدد الكتب	النسبة المئوية (٪)
١٩٥٩-١٩٦٥	١٣	٥,٠٤
١٩٦٦-١٩٧٢	١٧	٦,٥٩
١٩٧٣-١٩٧٩	٧٠	٢٧,١٣
١٩٨٠-١٩٨٦	٩٤	٣٦,٤٣
١٩٨٧-١٩٩٣	٦٤	٢٤,٨١
المجموع	٢٥٨	١٠٠,٠٠

المصدر: هدى عباس قنبر السعدي، النتاج الفكري الجغرافي في الجامعات العراقية، رسالة ماجستير

(غير منشورة) مقدمة الى قسم المكتبات بكلية الآداب/الجامعة المستنصرية، ١٩٩٥، ص٨١.

يلاحظ تزايد عدد الكتب المؤلفة بتقدم المراحل الزمنية باستثناء المرحلة الأخيرة (١٩٨٧-١٩٩٣) بسبب ظروف الحصار الاقتصادي. ويلاحظ في المدة من ١٩٧٣-١٩٧٩ تزايد أعداد الكتب المؤلفة الى نحو أربعة أضعاف المدة التي سبقتها (١٩٦٦-١٩٧٢)، حيث أُعيد النظر في المناهج الدراسية وتكوين لجان جديدة لتأليف تلك الكتب.

ومن الجدول (١) يلاحظ أن عدد الكتب المؤلفة بحسب الموضوعات تصدرتها كتب الجغرافية الاقليمية بحيث بلغ عددها ٤٠ كتاباً، احتلت نسبة قدرها ١٥,٥٪ من مجموع عدد الكتب المؤلفة والبالغة ٢٥٨ كتاباً، تلتها كتب جغرافية المدن وعددها ٢١ كتاباً ونسبتها ٨,١٤٪، والفكر ٢٠ كتاباً بنسبة ٧,٧٥٪ والجغرافية الصناعية ١٩ كتاباً بنسبة ٧,٣٦٪ والمناخ ١٨ كتاباً بنسبة ٦,٩٨٪ والسكان ١٦ كتاباً بنسبة ٦,٢٪ والزراعية ١٥ كتاباً بنسبة ٥,٨٪ والموارد المائية ١٤ كتاباً بنسبة ٥,٤٣٪ والسياسية والعسكرية ١٢ كتاباً بنسبة ٤,٦٥٪ والجغرافية الاقتصادية ١١ كتاباً ونسبتها ٤,٢٦٪، والطبيعية العامة ١١ كتاباً ونسبتها ٤,٢٦٪ والجيمور ٩ كتب ونسبتها ٣,٥٪، وبقية النسبة للكتب الاخرى البالغة ٤٥ كتاباً[١٢].

---

[١٢] المصدر نفسه، ص٨٦.

أما البحوث المنشورة للتدريسيين خلال المدة المنوه عنها فقد بلغ عددها ٧٦٢ بحثاً منها ٦٦٣ بحثاً منشوراً في الدوريات و٣٧ في المؤتمرات والندوات، نشرت في دوريات مختلفة و٦٤ بحثاً نُشرت ضمن وقائع المؤتمرات والندوات و٩ بحوث نشرت ضمن كتب خاصة أصدرتها الندوات والمؤتمرات و٢٩ بحثاً نشرت في موسوعات. وهناك ٤٥٧ بحثاً لم يُنشر منها سوى ٢٠٥ بحث مشارك في ندوات ومؤتمرات و٢١٣ بحثاً مقبولة للنشر في دوريات مختلفة مع ٣٩ بحثاً مشاركاً في التعليم المستمر[١٣].

الجدول (٢)

توزيع بحوث الدوريات بحسب الموضوعات الجغرافية الفرعية خلال المدة ١٩٥٩-١٩٩٣

الموضوع	عدد البحوث	السنبة المئوية (٪)
الجغرافية السياسية والعسكرية	٩١	١٣,٠
جغرافية المدن	٧٥	١٠,٧
السكان	٦٥	٩,٣
الموارد المائية	٥٤	٧,٧
الزراعية	٥٠	٧,١٤
المناخ	٤٣	٦,١٤
الفكر	٣٦	٥,١٤
النقل والتجارة	٣٥	٥,٠٠
الجغرافية الصناعية	٣١	٤,٤٣
الجغرافية الاقتصادية	٣٠	٤,٣٠
الطبيعية العامة	٢٤	٣,٤٣
التنمية والتخطيط	٢٣	٣,٢٩
الخرائط	٢٠	٢,٨٦
الطاقة والمعادن	١٩	٢,٧١
السياحية	١٤	٢,٠٠
الاقليمية	١٣	١,٨٦

[١٣] المصدر نفسه، ص٨٨.

الخدمات	١٣	١,٨٦
طرق البحث	١٠	١,٤٣
الجغرافية التاريخية	٩	١,٣٠
الجغرافية البشرية العامة	٩	١,٣٠
الاستيطان	٦	٠.٨٦
بقية الفروع	٢٤	٤,٢٥
المجموع	٧٠٠	١٠٠,٠٠

المصدر: هدى عباس قنبر السعدي، النتاج الفكري الجغرافي في الجامعات العراقية، رسالة ماجستير

(غير منشورة) قدمت الى قسم المكتبات بكلية الآداب/ الجامعة المستنصرية، الجدول (١٣)، ص١٠٠.

يوضح الجدول المتقدم أن عدد بحوث الدوريات جاءت في ٢٩ موضوعاً جغرافياً فرعياً ونالت الجغرافية السياسية والعسكرية أعلى نسبة من تلك البحوث (١٣٪) والمدن (١٠,٧٪) في حين نال موضوع الجغرافية الاجتماعية والاسكان والمواد المرجعية أقل نسبة (٠,٢٩٪). وترجع أسباب زيادة البحوث في الجغرافية السياسية والعسكرية وكذلك المدن الى تأثير الظروف السياسية والعسكرية والحضرية (التمدن) التي شهدها القطر العراقي على الاتجاهات الموضوعية للبحوث الجغرافية خلال السنة ١٩٨٠-١٩٨٦ و١٩٨٧-١٩٩٣ وهي ظروف الحرب العراقية الايرانية والحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق آبان تلك المرحلة.

ومن ملاحظة توزع النتاج الفكري الجغرافي بحسب الموضوعات الجغرافية الرئيسة يلاحظ أن أكثر من ثلثي النتاج الجغرافي (٦٨,٥٪) يقع ضمن فروع الجغرافية البشرية، ونحو خُمس النتاج (١٩,٥٪) ضمن فروع الجغرافية الطبيعية، ولا تتعدى نسبة الجغرافية الاقليمية عن ٥٪ في حين تشغل موضوعات جغرافية متنوعة نسب لا تزيد عن ٧٪ من مجموع النتاج الجغرافي العراقي حتى نهاية عام ١٩٩٣.

الجدول (٣)

النتاج الفكري الجغرافي العراقي لأعلى ثمانية تدريسيين

اسم التدريسي	الاختصاص الجغرافي	عدد النتاج المنشور	كتب	بحوث ودرويات	بحوث ومؤتمرات وندوات	أخرى
١.محمد أزهر السماك	جغرافية اقتصادية	٦٤	١٨	٤٤	–	٢
٢. صبري فارس الهيتي	مدن وسياسية	٤١	١٠	٢٢	٦	٣
٣.خالص حسني الشعب	مدن	٤١	٩	٢٩	١	٢
٤.عباس فاضل السعدي	سكان، أمن غذائي	٤٠	١٢	٢٧	١	–
٥.صباح محمود محمد	مدن، سياسية	٣٩	٩	٢٥	–	٥
٦. مهدي محمد الصحاف	موارد مائية	٣٦	١٦	١٨	١	١
٧.وفيق حسين الخشاب	موارد مائية	٣٦	٢٤	٨	–	٤
٨.علي حسين الشلش	مناخ	٢٩	١١	١٨	–	–

المصدر: هدى عباس قنبر السعدي، النتاج الفكري الجغرافي في الجامعات العراقية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى قسم المكتبات بكلية الآداب/الجامعة المستنصرية، ١٩٩٥، الملحق (٥)، ص١٧٩.

يلاحظ أن الباحثة وضعت اسم كاتب هذه السطور في المرتبة الرابعة من حيث النتاج الجغرافي، ولو اتصلت به في حينها لتم تزويدها بالأرقام الدقيقة ليرتفع مجموع نتاجه الى ٥٩ بواقع ١٥ كتاب و٣٣ بحث في الدوريات و ٩ بحوث في الندوات والمؤتمرات وبحثان آخران في حقول أخرى. وفي هذه الحالة يصبح ترتيب كاتب هذه السطور الثاني، ولو اضيف اليها البحوث المقبولة للنشر في حينها لأرتفعت مرتبته الى المستوى الأول، كما يتضح من الجدول (٤).

الجدول (٤)

بعض النتاجات العلمية للتدريسيين الذين لديهم أعلى النتاجات الجغرافية حتى عام ٢٠٢١

ت	اسم التدريسي	الجامعة التي تخرج منها	الشهادة والسنة				الكتب		الأبحاث	المجموع
			الشهادة	السنة	الشهادة	السنة	المؤلفة	المترجمة		
١	أ.د. عباس فاضل السعدي	القاهرة-مصر	ماجستير	١٩٦٩	دكتوراه	١٩٧٣	٥١	-	١٥٧	٢٠٨
٢	أ.د. محمد أزهر السماك	عين شمس -مصر القاهرة-مصر	ماجستير	١٩٦٩	دكتوراه	١٩٧٣	٤٧	-	١٠٢	١٤٩
٣	أ.د. مجيد ملوك السامرائي	بغداد-العراق	ماجستير	١٩٧٨	دكتوراه	١٩٩٠	٤٩	-	٩١	١٤٠
٤	أ.د. مضر خليل العمر	نيوكاسل-بريطانيا ويلز -بريطانيا	ماجستير	١٩٧٩	دكتوراه	١٩٨٦	٦	٣	٦٤	٧٣
٥	أ.د. وفيق حسين الخشاب	كلارك-الولايات المتحدة	ماجستير	١٩٥٥	دكتوراه	١٩٥٨	١٨	٨	-	٢٦
٦	أ.د. ابراهيم ابراهيم شريف	الاسكندرية-مصر	-	-	دكتوراه	١٩٥٦	٩	-	٦	١٥

المصدر: هدى عيدان جبار الربيعي، النتاج الفكري الجغرافي للاستاذ الدكتور عباس فاضل السعدي ودوره في الجغرافية العراقية، اطروحة دكتوراه قدمت الى قسم الجغرافية بكلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة، تموز ٢٠٢١، ص٢٥٢.

وفيما يخص خريجو الدول الأجنبية فإن أول عراقي يحصل على الماجستير في الجغرافية من الخارج هو الأستاذ عبد الوهاب الدباغ الذي تخرج من جامعة بومنكهام البريطانية في عام ١٩٤٨، ثم تلاه الدكتور جاسم محمد الخلف وحسن عليوي الخياط اللذين نالا الدكتوراه من جامعات الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥١. وفي العام نفسه نال الدكتور علي محمد المياح شهادة الماجستير وبعدها الدكتوراه من الجامعات أنفسها. وبذلك بدأ الرعيل الأول من الجغرافيين العراقيين يفدون الى العراق بعد أن نالوا شهاداتهم من جامعات أوروبا وأمريكا أمثال الدكتور محمد حامد الطائي وابراهيم شوكة ووفيق حسين الخشاب وخطاب صكار العاني وابراهيم شريف وأحمد نجم الدين وغيرهم[١٤]؛ وبذلك ازداد عدد أعضاء هيأة التدريس وتنوعت اختصاصاتهم وأبحاثهم، وتطورات مناهجهم نوعاً وكماً. ولغاية نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بلغت ملاكات أقسام الجغرافية في العراق من حملة شهادتي الماجستير والدكتوراه نحو ٦١٤ تدريسياً.

وإذا كان قد تخرج في مرحلة الأربعينيات وحصل على الماجستير من بريطانيا طالباً واحداً فقد آزداد العدد في مرحلة الخمسينيات الى ١٤ خريجاً منهم عشرة تخرجوا من جامعات

---

[١٤] وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مديرية الاحصاء والابحاث بديوان الجامعة، دليل جامعة بغداد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢-١٩٧٣، ص٤٦٥-٤٦٦.

الولايات المتحدة والبقية من بريطانيا والمانيا ومصر. أما في مرحلة الستينيات فازداد العدد الى ٢٢ خريجاً منهم ٦ من مصر و ٤ من الولايات المتحدة ومثلها من الاتحاد السوفيتي السابق و٣ من كل من بريطانيا والمانيا، والبقية من يوغسلافيا وباكستان. وتناقص العدد في السبعينيات الى ١٦ خريجاً منهم ٦ من مصر و ٣ من فرنسا والبقية موزعون بواقع خريج من سبع دول. وفي مرحلة الثمانينيات ازداد عدد الخريجين الى ٢٢ منهم ٥ من بريطانيا و ٤ من فرنسا و٣ من مصر ومثلها من الولايات المتحدة و٧ خريجين من دول اخرى.

ومن مجموع الخريجين البالغ عددهم نحو ٧٥ خريجاً، تخرج نحو ربعهم من الولايات المتحدة وعددهم ١٨ وأكثر من خمسهم تخرج من مصر وعددهم ١٦ خريجاً ونحو ١٢ خريجاً (١٦٪) تخرج من بريطانيا و٧ من فرنسا بنسبة تقل عن العشر و٦ من المانيا (٨٪) وخمسة من الاتحاد السوفيتي السابق (٦,٧ ٪) و ١١خريجاً من بقية الدول. ويبلغ عدد الدول التي تخرجوا منها ١٣ دولة أجنبية وعربية، شكلت ست دول منها نسبة ٨٥٪ من عدد الخريجين وسبع دول بلغت نسبة من تخرج منها حوالي ١٥٪ من مجموع الخريجين كما يتضح من الجدول أدناه:

الجدول (٥)

عدد الخريجين من حملة الشهادات العليا من خارج العراق والدول التي تخرجوا منها في المدة من ١٩٤٨-١٩٨٩

الدولة	عدد الخريجين	النسبة المئوية
الولايات المتحدة	١٨	٢٤,٠
مصر	١٦	٢١,٣
بريطانيا	١٢	١٦,٠
فرنسا	٧	٩,٣
المانيا	٦	٨,٠
الاتحاد السوفيتي السابق	٥	٦,٧
يوغسلافيا	٢	٢,٧
بلغاريا	٢	٢,٧
بولنده	٢	٢,٧
الهند	٢	٢,٧
بقية الدول	٣	٣,٩
المجموع	٧٥	١٠٠,٠

أبحاث الجغرافية العراقية

في الدوريات ما بين عامي ١٩٥٠ و٢٠١٩

قبل البدء بتفحص أبحاث الدوريات الجغرافية المنشورة في المدة من ١٩٥٠-٢٠١٩ لابد من القاء الضوء على إتجاه الجغرافية العراقية في أواخر الستينيات من خلال أبحاث المؤتمر الجغرافي العراقي الأول: ١-٣ نيسان ١٩٦٩ المنشورة في مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الخامس حزيران ١٩٦٩. وقد ألقيت فيه ١٢ بحثاً يمثل إتجاه مسار الجغرافية العراقية لتلك المرحلة. وقد وُزعت تلك الأبحاث على أربعة تخصصات عريضة، جاء في مقدمتها تخصصات الجغرافية البشرية وضمت اكثر من نصف عدد أبحاث المؤتمر (٥٨٪)، تلتها أبحاث الجغرافية الطبيعية والفكر بنسبة ١٧٪ لكل منهما، تلتها ابحاث الجغرافية العسكرية بنسبة ٨٪. ووزعت أبحاث الجغرافية البشرية على تخصصات الجغرافية الزراعية والري، والموارد الاقتصادية والجغرافية السياسية والسكان والمدن[١٥]. ومن هنا يتضح أن التوجه العام للأبحاث كان نحو الجغرافية البشرية لقلة عدد المتخصصين في حقل الجغرافية الطبيعية.

واستمر الاتجاه المذكور في أبحاث المؤتمر الجغرافي الخامس (٢٤-٢٥ تشرين الأول عام ١٩٩٢[١٦]، وكذلك أبحاث العدد ٣٢ من المجلة نفسها لسنة ١٩٩٦[١٧]. ولوحظ على أبحاث أبحاث مرحلتي الثمانينيات والتسعينيات غلبة أبحاث الجغرافية السياسية والعسكرية على غيرها من فروع الجغرافية مساهمة من الباحثين في خدمة العراق ابان ظروف الحرب مع ايران والحصار الاقتصادي.

اما مسار الجغرافية المعاصر فيمكن ان يتحدد من خلال الابحاث المنشورة في الدوريات الجغرافية في سبعة عقود، بين عامي ١٩٥٠-٢٠١٩ كما يتضح من الجدول (٦):

---

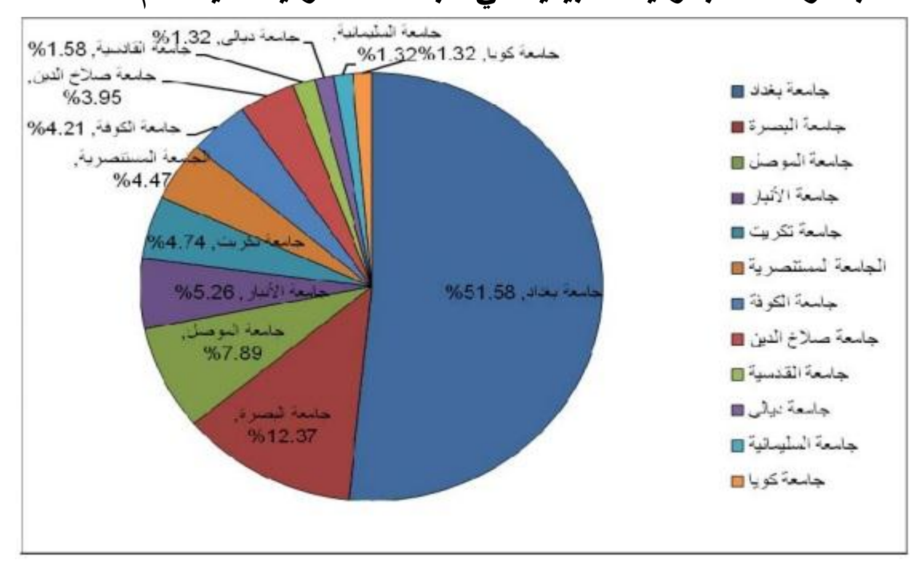
[١٥] مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الخامس، حزيران ١٩٦٩، مطبعة أسعد، بغداد، عدد خاص بالمؤتمر الجغرافي العراقي الاول.

[١٦] مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، العدد٢٧، سنة ١٩٩٣.

[١٧] المصدر نفسه، العدد٣٢، سنة ١٩٩٦.

الشكل (١)

نسب دراسات الجغرافية الطبيعية في الجامعات العراقية لغاية عام ٢٠١٠



المصدر: أفراح فيصل هاشم، إتجاهات دراسات الجغرافية الطبيعية في العراق، رسالة ماجستير، كلية تربية البنات/ جامعة بغداد، ٢٠١١، ص٥٣

الجدول (٦) الأبحاث الجغرافية بتخصصاتها المختلفة التي قام بها الجغرافيون العراقيون خلال المدة ١٩٥٠-٢٠١٩

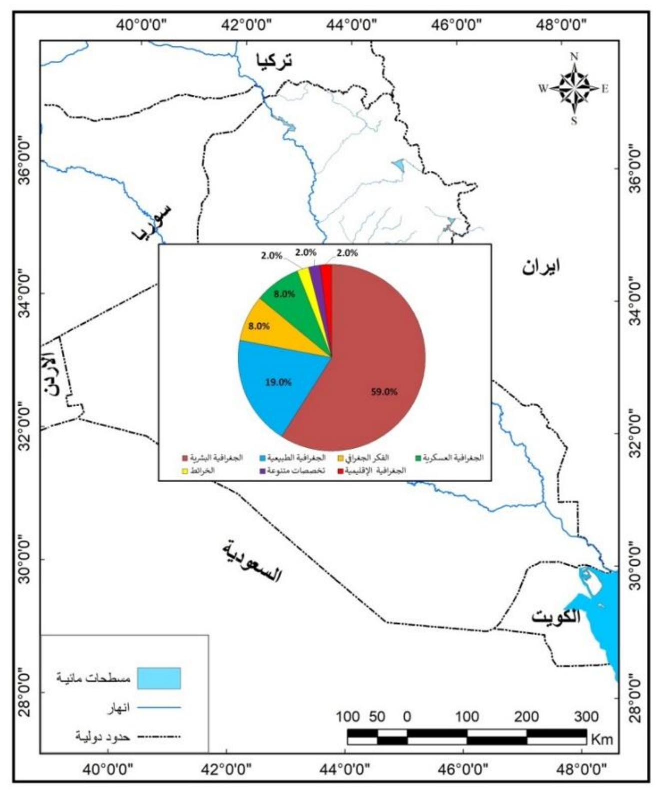
التخصص العام		التخصص الدقيق	١٩٥٠-١٩٥٩	١٩٦٠-١٩٦٩	١٩٧٠-١٩٧٩	١٩٨٠-١٩٨٩	١٩٩٠-١٩٩٩	٢٠٠٠-٢٠١٩	مجموع	٪
الطبيعية		الجيومور والتضاريس والتربة	–	٥	١	٣	٢	١٣	٢٤	٣,٣
		المناخ والطقس	–	١	٤	٦	٩	٤٧	٦٧	٩,٢
		الموارد المائية	–	٦	٤	٦	–	١٩	٣٥	٤,٨
		أخرى (الحيوية، البيئية والمحيطات)	١	–	٢	٢	١	٤	١٠	١,٣
البشرية	اقتصادية	زراعية (حيوانية، ري وبزل)	–	٨	١٠	١٠	١	٢٥	٥٤	٧,٥
		صناعية	–	١	٦	٢	٦	١٢	٢٧	٣,٧
		طاقة ومعادن	–	٣	١	–	١	٣	٨	١,٧
		موارد اقتصادية ويضمنها التجارة	–	٣	٣	٢	٥	٦	١٩	٢,٦
	سكان واستيطان وسياسية	السكان (قوى عاملة، الاجتماعية، حضارية)	٢	٩	١٤	١٣	٤	٣٥	٧٧	١٠,٦
		المدن (استيطان حضري، ريفي، تخطيط)	–	١٠	١٧	١٩	١٧	٥٥	١١٨	١٦,٣
		سياسية وجيوبولتيك	–	٢	٥	١٧	١٣	٣٣	٧٠	٩,٧

	خدمية	نقل واتصالات	–	١	٣	١	٢	٥	١٢	١,٦
		تعليمية	–	–	–	–	–	٨	٨	١,١
		سياحية	–	–	٤	٢	٢	٩	١٧	٢,٣
		طبية وصحية	–	–	–	٢	١	١١	١٤	١,٩
الاقليمية		–	١	٣	٤	٣	٢	٤	١٧	٢,٣
الفكر		–	٤	١٨	١٢	٨	٥	١١	٥٨	٨,٠
الخرائط		–	–	٢	٢	١٠	١	٢	١٧	٢,٣
المتنوعة		–	–	٤	٣	–	٢	٥	١٤	١,٩
العسكرية		–	٢	٦	٩	٣٠	٥	٥	٥٧	٧,٩
المجموع			١٠	٨٢	١٠٤	١٣٦	٧٩	٣١٢	٧٢٣	١٠٠,٠

المصدر: الباحث وتم تجميعها اعتماداً على مجلات المجمع العلمي العراقي ومجلة البحوث الجغرافية بجامعة الكوفة، ومجلة الاستاذ بكلية التربية، ومجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، ومجلة الجمعية الجغرافية العراقية بابحاث بلغ عددها ٧٢٣ بحثاً خلال السنوات ١٩٥٠-٢٠١٩ نشرها جغرافيون عراقيون بمختلف التخصصات الواردة في الجدول.

الشكل (٢)

توزيع أبحاث الدوريات الجغرافية بحسب تخصصاتها في العراق في المدة من ١٩٥٠-٢٠١٩



المصدر: الجدول (٦)

ومن تفحص الجدول (٦) تتضح الحقائق الآتية:

١. جاءت فروع الجغرافية البشرية بالمرتبة الأولى من حيث عدد الأبحاث المنشورة في المجلات المذكورة في الجدول، فقد شغلت اكثر من نصف عدد الأبحاث التي تم نشرها (٥٩٪)، وهو رقم يعكس كثرة عدد التدريسيين المتخصصين بهذا الحقل من الجغرافية قياساً بالتخصصات الأخرى.

٢. احتلت الجغرافية الطبيعية بفروعها المتعددة المرتبة الثانية (حوالي ١٩٪) وتمثل أقل من خمس عدد الأبحاث، وهو يعكس أيضاً قلة عدد المختصين في هذا الحقل قياساً بفروع الجغرافية البشرية.

٣. شغلت فروع الجغرافية الأخرى النسبة المتبقية وقدرها ٢٢٪، اي اكثر من خُمس عدد الأبحاث الجغرافية المنشورة في الدوريات التي يتضمنها الجدول. وجاء تخصص الفكر الجغرافي بأعلى نسبة من المجموعة الثالثة (المتبقية)، فقد شغلت نسبة قدرها ٨٪. ويعود سبب إرتفاع هذه النسبة هو إدخال التراث الجغرافي العربي ضمن حقل الفكر الجغرافي. وجاءت أبحاث التخصص بالجغرافية العسكرية بالمرتبة الثانية من هذه المجموعة وبنسبة متقاربة مع نسبة ابحاث الفكر. وقد أهتم بها أحد الكتاب العسكريين وهو اللواء الركن محمود شيت خطاب الذي نشر أبحاثه في مجلة المجمع العلمي العراقي. أما سائر فروع هذه المجموعة (الاقليمية، الخرائط، المتنوعة) فكان نصيبها متواضعاً وشغلت نسبة قدرها ٦٪.

٤. وعند ملاحظة تخصصات الجغرافية الطبيعية اتضح أن أبحاث المناخ احتلت النسبة الاكبر واقتربت من نصف عدد الأبحاث في حقل الجغرافية الطبيعية (٤٩,٣٪)، تلتها أبحاث الموارد المائية بنسبة تقرب من الربع (٢٥,٧٪). في حين شغلت ابحاث الجيموفولوجيا والتضاريس والتربة نسبة تقل عن خمس عدد الابحاث (١٧,٦٪)، ونسبة متدنية لبقية فروع هذا الحقل.

٥. أما فروع الجغرافية البشرية فيمكن تصنيفها الى ثلاث مجموعات هي:

أ. السكان والاستيطان والجغرافية السياسية وقد شغلت ٦٢,٥٪ من مجموعة أبحاث الجغرافية البشرية، تصدرتها ابحاث جغرافية المدن (٤٤,٥٪ من هذه المجموعة)، تلتها أبحاث جغرافية السكان ثم الجغرافية السياسية.

ب. الجغرافية الاقتصادية وشغلت اكثر من ربع أبحاث الجغرافية البشرية (٢٥,٥٪) وتصدرتها أبحاث الجغرافية الزراعية بنحو نصف أبحاث الجغرافية الاقتصادية، جاءت بعدها أبحاث الجغرافية الصناعية.

ج. جغرافية الخدمات وجاءت بالمرتبة الثالثة وبنسبة ١٢٪ من أبحاث الجغرافية البشرية وشغلت فروعها نسب متواضعة اكثرها في أبحاث الجغرافية السياحية.

٦. ومن النظر إلى نسب أبحاث فروع الجغرافية من اجمالي عدد الابحاث التي يحتويها الجدول يلاحظ أن المدن والاستيطان احتلت أعلى نسبة وقدرها ١٦٪ من مجموع عدد الابحاث، تلتها أبحاث السكان بنسبة تقرب من ١١٪ والسياسية ١٠٪ والمناخ ٩٪، وكل من الفكر والجغرافية العسكرية والزراعية بنسب متقاربة (٨٪ أو أقل لكل منها).

٧. من خلال ملاحظة عدد الأبحاث الموزعة بحسب مجاميع السنوات لوحظ تزايد تلك الابحاث بشكل متواصل من عشرة أبحاث في مرحلة الخمسينيات (١,٤٪) الى ٣١٢ في الألفية الثالثة (٢٠٠٠-٢٠١٩)، أي بنسبة ٤٣٪ من مجموع عدد الأبحاث.

٨. في حقل الجغرافية الطبيعية لوحظ زيادة في تخصص المناخ والموارد المائية في الالفية الثالثة حيث شعر الجغرافيون بقلة هذه التخصصات ولابد من زيادتها ومساهمتها في عملية التنمية. وفي مرحلتي السبعينيات والثمانينيات لوحظ زيادة التخصص في الجغرافية الزراعية حيث بلغ هذا التخصص ذروته في الالفية الثالثة، تلته الجغرافية الصناعية. ومثلها حذت جغرافية المدن حيث بلغت الذروة في المرحلة الأخيرة. فقد تطلبت التنمية الحضرية هذه الزيادة حيث إتسعت المدن وازدادت احتياجاتها للتنمية الحضرية. ويلاحظ ازدياد تخصص الجغرافية السياسية منذ مرحلة الثمانينيات وبلغت الذروة في المرحلة الأخيرة حيث تطلبت ظروف الحرب العراقية الايرانية ازدياد هذا التخصص لغرض خدمة المعركة ضد ايران.

أما في مجال الجغرافية الخدمية فيلاحظ ازدياد التخصص في مجال الجغرافية السياحية في مرحلة الالفية الثالثة بوصفها عنصرا تنمويا مهما يدر على البلاد أموالاً بهِ حاجة إليها فازداد تخصص التدريسيين وأبحاثهم فيها. أيضاً يلاحظ تزايد أبحاث الفكر الجغرافي في مرحلة الستينيات لكثرة الابحاث في حقل الجغرافية العربية، وكان الرائد فيها، في هذه المرحلة، الدكتور ابراهيم شوكة (الجدول ٧). أيضاً لوحظ ازدياد ابحاث الجغرافية العسكرية في مرحلة الثمانينيات مراعاة للحرب العراقية الايرانية وزيادة التخصص في هذا المجال لخدمة المعركة ضد ايران.

ونالت أبحاث الجغرافية السياسية إهتماماً من لدن بعض الجغرافيين من حيث موقع تلك الأبحاث في فروع الجغرافية البشرية ويتضح ذلك في الجدول (٧) لثلاث مراحل زمنية في المدة من (١٩٥٠-٢٠١٥):

الجدول (٧)

ابحاث الجغرافية السياسية في العراق وموقعها في تخصصات الجغرافية البشرية

حقل الجغرافية البشرية	المراحل	المرحلة الاولى ١٩٥٠-١٩٦٩		المرحلة الثانية ١٩٧٠-١٩٨٩		المرحلة الثالثة ١٩٩٠-٢٠١٥		المجموع	
	العقود	١٩٥٠-٥٩	١٩٦٠-٦٩	١٩٧٠-٧٩	١٩٨٠-٨٩	١٩٩٠-٩٩	٢٠٠٠-٢٠١٥	العدد	٪
الجغرافية الاقتصادية		–	٢٢	٤٥	٧٨	٧٣	٦٠٥	٨٢٣	٣٦
جغرافية الاستيطان		–	٨	١٥	٣٩	٥٩	٤٢١	٥٤٢	٢٤
الجغرافية السياسية الجيوبولتيك		–	٣	٢	٣٤	٤٣	٣٣٤	٤١٦	١٨
جغرافية السكان والجغرافية الاجتماعية		١	١٠	١٨	٣٠	٢١	٢٥٥	٣٣٥	١٤,٥
التلوث		–	–	٣	٣	٤	١٠٣	١١٣	٥,٠
الجغرافية الطبية		–	–	–	١	٢	٣٣	٣٦	١,٥
الجغرافية العسكرية		–	–	–	٦	١	٨	١٥	١,٠
المجموع		١	٤٣	٨٣	١٩١	٢٠٣	١٧٥٩	٢٢٨٠	١٠٠,٠

المصدر: - هدى عباس قنبر السعدي، النتاج الفكري الجغرافي في الجامعات العراقية، رسالة ماجستير مقدمة لقسم المكتبات، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٥، جدول (٥)، ص١٣٦.

- صلاح ياركه ملك، ابتهال عبد علي فرحان، "النتاج الفكري الجغرافي لابحاث الجغرافيين العراقيين في حقل الجغرافية السياسية: دراسة في الفكر الجغرافي المعاصر"، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، كلية الآداب، جامعة القادسية، مقبول للنشر بحسب الكتاب، رقم ١٧٩ في ٢٠١٨/٩/١٨، جدول (١)، ص٦.

توصل الباحثان اللذين درسا أبحاث الجغرافية السياسية التي تضمنها الجدول (٧) الى الإستنتاجات الآتية:

١. التنوع في الاتجاهات التي تخص الدراسة في حقل الجغرافية السياسية حيث وجدت خمسة اتجاهات واضحة المعالم ويمكن تمييزها. وقد حصل الاتجاه الاول في دراسة الجغرافية السياسية العامة على النسبة الأعلى وقدرها ٥٥٪، على حين حاز الاتجاه الذي درس الحدود بالمرتبة الخامسة وهي الأخيرة.
٢. ظهر أن هناك علاقة طردية بين عدد المتخصصين في حقل الجغرافية السياسية وبين ما ينشر من أبحاث جغرافية بهذا التخصص، بمعنى انه كلما زاد عدد المختصين ازدادت عملية النشر بذلك التخصص. وهذا يؤكد فرضية البحث الثانية في وجود

علاقة بين التخصص الجغرافي وكم ونوع النتاج الفكري الجغرافي المنشور في المجلات العلمية الاكاديمية.

٣. بدأت الجغرافية العراقية مسيرتها جغرافية بشرية واستمرت وما زالت واكثر الابحاث المنشورة بهذا التخصص والبالغة ٢٢٨١ بحثاً بنسبة ١٨٪ للجغرافية السياسية من اجمالي الجغرافية البشرية.

٤. انمازت أبحاث الجغرافية السياسية باستعمال اسلوب المعالجة الوصفية بشكل كبير، لأن معظم محتوى أو مضمون الابحاث يعتمد التنظير والتحليل، على حين ظهر اسلوب المعالجة الكمية في الجغرافية السياسية في مرحلة لاحقة (بعد عام ١٩٩٠).

٥. وجود تنوع في المفاهيم النظرية والتطبيقية المستعملة في تلك الأبحاث وأن معظمها مفاهيم خاصة في الجغرافية السياسية، مما يتبعها استعمال اكثر من منهج في هذا الحقل من الجغرافية.

هل توجد مدرسة جغرافية عربية أو عراقية؟

من خلال ما تمت دراسته ابان القرن العشرين وعقدي الالفية الثالثة يمكن القول: إننا لم نشهد وجود مدرسة جغرافية عربية أو عراقية لها خصائص مميزة يمكن وضعها في إطار محدد يمهد الطريق الى تسميتها بـ(مدرسة جغرافية عربية او عراقية) ذات وظيفة خاصة ولها أساليب تُبهر جغرافيي العالم، ومناهج تثير انتباههم، أو لها فلسفة يحترمها الآخرون على وفق رؤى واضحة بحدود مقبولة.

فلو قلنا توجد مدرسة جغرافية عربية (أو عراقية) فيعنى ذلك وجود اتجاه فكري مختلف عن غيره في العالم له فلسفة جغرافية خاصة، وهو ما لن نجده في العراق والوطن العربي. وما موجود هو إطار واسع للجغرافية يضم آراء شتى، ومذاهب متعددة، ومناهج متباينة وأبحاث تكتب في شتى التخصصات وباستخدام تقنيات مختلفة. ولجعل هذا الاطار "مدرسة جغرافية" ينبغي وضع حدود فكرية له، وموقف مميز، له سمات واضحة تحدد هيكل الجغرافية وأهدافها ورؤآها وتشخيص هويتها وأبعادها المستقبلية. وعليه يمكن القول وجود "جغرافية عربية او عراقية" وليس "مدرسة جغرافية عربية أو عراقية" بمنهج مميز، وسلوك متشابه، وفكر محدد وفلسفة واضحة. وتوصلت أيضاً الى رأي كاتب هذه السطور الباحثة هدى عيدان الربيعي في اطروحتها للدكتوراه من خلال دراستها وتقييمها لنتاج كاتب هذه السطور الجغرافي[١٨]، فبالرغم من تلمس ملامح عن وحدة الفكر والأسلوب لدى الباحثين في الجغرافية العراقية إلا أنه يتعذر تمييز مدرسة جغرافية

[١٨] المصدر نفسه، ص٢٥٠.

عراقية واضحة في موضوعها ومنهجها وفكرها لكثرة تفرعات الجغرافية، وكل فرع له مريدوه وطلابه واتباعه، مما يؤدي الى تعدد المدارس التي ينتمون إليها.

ويسير بهذا الاتجاه عدد من الاساتذة الجغرافيين منهم الدكتور مضر خليل عمر والدكتور باسم عبد العزيز عمر والدكتور يحيى الفرحان وغيرهم. وممّا نشره الدكتور مضر خليل عمر من مقالات في الفكر الجغرافي المعاصر انتهى الى القول: إنه لم يجد ما يشير الى وجود فلسفة جغرافية واضحة المعالم لا في التدريس (منهجاً وموضوعات) ولا في البحث العلمي (تطبيقاً) عند الجغرافيين العراقيين. ومن الضروري تحديد الهوية الفكرية لما نكتب وما نقوم بتدريسه، إذ يفُترض أننا نعطي علماً وليس معلومات. فما زلنا عائمين بلا هوية علمية حقيقية، وبدون إطار فكري يحدد من نحن ولأي مدرسة ننتمي، وماذا نريد في كتاباتنا وأبحاثنا؟ وهل ما نريده يخدم الجغرافية علماً وعلى وفق منهج بحثي واضح[١٩]. وتساؤلات الباحث مشروعة وتساعد في تطوير علم الجغرافية.

وهنالك وجهات نظر سارت على خلاف ما تقدم وترى وجود مدرسة جغرافية عراقية مميزة. وهناك من حدد مدرسة عراقية ذات منهجية متكاملة لدراسة المدن ومايتبعها من أقاليم، أو أقاليم وما فيها من مدن. وتظهر أهمية هذه المنهجية واضحة عند قراءة أي بحث معاصر رصين، تشكل الدراسة الميدانية ركناً أساسياً منه[٢٠].

نظرة استشرافية لمستقبل الجغرافية في العراق والوطن العربي

ثمة توجهات مستقبلية للجغرافية العراقية المعاصرة يمكن الاستدلال عليها وتلمسها من خلال سماتها وتوجهاتها وفيما يلي أبرزها[٢١]:

١. النظرة التكاملية، أي إعادة التكامل في التخصصات بعد التوجه نحو الدراسات الدقيقة فالأدق اعتماداً على نظم المعلومات الجغرافية التي ساعدت على ضّم كم هائل من البيانات واختزالها في خرائط ونماذج رياضية مبسطة ساعدت على بلوغ التنمية المستدامة.

---

[١٩] مضر خليل عمر، مقالات في الفكر الجغرافي المعاصر، ج١، المطبعة المركزية لجامعة ديالى، بعقوبة، ٢٠١١. ص٥-٦.

[٢٠] خالص حسني ألأشعب، "المدينة: منهجية دراستها في الفكر الجغرافي العربي في العراق"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد١٧، سنة ١٩٨٦، مطبعة العاني، بغداد، ص١٦.

[٢١] إبتهال عبد علي فرحان الحميداوي، النتاج الفكري الجغرافي لابحاث الجغرافيين العراقيين: دراسة تحليلية في ألأطر والمفاهيم النظرية والتطبيقية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمت الى كلية الآداب بجامعة القادسية، ٢٠١٨، ص٤٠٠-٤٠٢.

٢. إتجاه البحوث نحو التنمية التي تشكل الهيكل الأساسي الذي يحتل مكانة القلب من الجغرافية المعاصرة، لأنها تعكس علاقة الانسان بالبيئة.
٣. التوجه نحو زيادة الدراسات البيئية بسبب ما لحق بالبيئة من مخاطر، من جراء الحروب وما نتج عنها من دمار..
٤. السعي إلى إيجاد نماذج جغرافية لمجمل فروع الجغرافية من خلال التحكم بالتقنيات الحديثة واستخدامها بشكل مدروس سواء منها الاستشعار عن بعد أو نظم المعلومات الجغرافية أو البرامج الاحصائية أو غيرها من التقنيات.
٥. ربط وتداخل الدراسات الطبيعية والبشرية معاً للعمل على فتح المجال مرة أخرى لاختيار دراسات إقليمية، ثم دراسات تحديد الموقع الجغرافي (تحديد المكان)، وغيرها عن التوزيعات المكانية.

ولغرض تطوير علم الجغرافية لابد من ان يؤخذ بالحسبان عنصرين أساسيين هما:

١. الاستمرار والتواصل في تعلم وتطبيق التقنيات الحديثة المستخدمة في الأبحاث الجغرافية بمختلف تخصصاتها، وهذا يتطلب بناء مختبر في أقسام الجغرافية تتوافر فيه متطلبات الدراسة والتدريب مثل نظم المعلومات الجغرافية GIS، ونظم التوقيع العالمي GPS، والاستشعار عن بعد والبرامج الاحصائية المتطورة واسلوبها الكمي والصور الجوية والمرئيات الفضائية والخرائط الرقمية وآليات التحليل المكاني والجيوسيا وتقنيات الحاسوب مع مواكبة الفكر الجغرافي المتطور والاعتماد على البيانات الحديثة عن سطح الارض التي وفرتها تقنيات هذا العصر. فضلاً عن استخدام خبرات العلوم الأخرى. وهذا لن يتم إلا بمساهمة خريجي الثانويات في فروعها العلمية والسماح لهم بالدراسة في أقسام الجغرافية بل إن أقطاراً عربية مثل الجزائر جعلت في مناهجها أقسام الجغرافية ضمن تخصص (علوم الارض) وهو من التخصصات العلمية.
٢. إعادة النظر في مناهج الدراسة الثانوية والجامعية، في أقسام الجغرافية؛ ليكون من بين أهدافها تخريج طلبة تتلاءم مفردات ما درسوه في الثانوية والجامعة مع سوق العمل المتوافر، وما في نية اصحاب القرار من تطوير هذا السوق بحسب احتياجات البلد مستقبلاً. كذلك الاستمرار في تعديل وتنقيح مفردات تلك المناهج لتواكب التطور العالمي في مجال الاتصالات والتقنيات المستخدمة عن طريق أجهزة الحاسوب والانترنت. وهذا كله يتطلب نقل الجغرافية من مجالاتها الوصفية والنظرية الى المجال التطبيقي العملي المتناسب مع واقع حياة الطالب ومن ثم الخريج. وفي هذه الحالة يصبح مجال الجغرافية تطبيقياً يساهم في حل معضلات المجتمع اليومية. ويبدأ هذا أولاً بالاهتمام بالتعليم

الابتدائي وما يليه من مراحل دراسية يوافقه رفع المستوى التعليمي للطلبة المواكب لما يشاهدوه ويلمسوه في العالم المتقدم عبر شبكات التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية في برامجها العلمية وبضمنها الجغرافية. وهذا يتطلب التأكيد على الدراسات الميدانية والنزول الى الحقل والمساهمة في حل معضلات المجتمع المختلفة. وفي مجال التنظير ينبغي توضيح مفهوم الجغرافية وأهدافها وفلسفتها وخط مسارها، وتحديد فكرة التنظيم والتنوع المكاني والعلاقات المكانية، وضرورة تنمية قدرة الجغرافي؛ لتكون في خدمة خطط التنمية لكي تواكب الدراسة والابحاث العلمية تغيرات العصر ومتطلباته.

الإستنتاجات

اتضح، من دراسة البحث، أن أقسام الجغرافية في الجامعات العراقية كانت عريقة وأقدمها تأسيساً هو القسم الذي تحتضنه كلية الآداب بجامعة بغداد (١٩٤٩) وهو أيضاً اقدمها لمرحلتي الماجستير (١٩٦١) والدكتوراه (١٩٧٢/١٩٧٣). يليه قسم الجغرافية بكلية التربية (ابن رشد) بالجامعة نفسها (١٩٥٧) ثم في آداب البصرة (١٩٦٦).

وفيما يلي أبرز الإستنتاجات التي تم التوصل إليبها من البحث المذكور:

١. جاءت فروع الجغرافية البشرية بالمرتبة الأولى من حيث عدد الأبحاث المنشورة في الدوريات، فقد شغلت أكثر من النصف (٥٩٪). وتعكس هذه النسبة كثرة التدريسيين المتخصصين بهذا الحقل من الجغرافية قياساً بالتخصصات الأخرى. وقد تركزت أبحاث فروع الجغرافية البشرية في ثلاث مجموعات هي السكان والاستيطان والجغرافية السياسية، تلتها أبحاث الجغرافية الاقتصادية، ثم جغرافية الخدمات.
٢. إحتلت أبحاث الجغرافية الطبيعية بفروعها المتعدد المرتبة الثانية (١٩٪)، وهي تعكس قلة عدد المختصين بهذا الحقل. وتركزت أبحاثها بتخصص المناخ والموارد المائية والجيمور والتضاريس.
٣. شغلت فروع الجغرافية الأخرى النسبة المتبقية وقدرها ٢٢٪ لحقلي الفكر والجغرافية العسكرية، تلتها بحوث الجغرافية الإقليمية والخرائط لما تبقى من النسبة.
٤. لوحظ تزايد عدد الأبحاث، بمختلف التخصصات، من عشرة أبحاث في مرحلة الخمسينيات إلى ٣١٢ بحثاً في الألفية الثالثة (٢٠٠٠-٢٠١٩).
٥. شهدت مرحلة الستينيات من القرن العشرين تزايد أبحاث الفكر الجغرافي العربي، والثمانينيات تزايد أبحاث الجغرافية العسكرية والسياسية لمراعاة ظروف الحرب العراقية- الإيرانية، على حين شهدت الألفية الثالثة تزايد أبحاث المناخ والموارد المائية وجغرافية الصناعة والمدن وآخرها السياحة بوصفها عنصراً تنموياً يدر أموالا طائلة.

٦. إتضح خلو الساحة الجغرافية من وجود مدرسة جغرافية عربية أو عراقية لها خصائص مميزة يمكن وضعها في إطار محدد ذات وظيفة خاصة ولها أساليب تُبهر جغرافيي العالم ومناهج تثير آنتباههم، أو لها فلسفة يعجب بها الآخرون وفق رؤى واضحة بحدود مقبولة.

٧. لوحظ وجود توجهات مستقبلية للجغرافية العراقية المعاصرة يمكن تلمسها من سماتها مثل وجود النظرة التكاملية في تخصصاتها والتوجه نحو الدراسات الدقيقة اعتماداً على نظم المعلومات الجغرافية ، وآتجاه البحوث نحو التنمية المستدامة، والتوسع في الدراسات البيئية، والسعي لإيجاد نماذج جغرافية لمجمل فروع الجغرافية عبر التحكم بالتقنيات الحديثة، وتداخل الدراسات الطبيعية والبشرية معاً بهدف إمكان آختيار دراسات إقليمية.

وختاماً **توصي الدراسة** الاستمرار والتواصل في تعلم وتطبيق التقنيات الحديثة المستخدمة في الأبحاث الجغرافية. ولابد أيضاً من إعادة النظر في مناهج دراسات الجغرافية ليكون من بين أهدافها تخريج طلبة تتلاءم مفردات ما درسوه في الثانوية والجامعة مع سوق العمل المتوافر. وهذا يتطلب نقل الجغرافية من مجالاتها الوصفية والنظرية إلى المجال التطبيقي العملي المتناسب مع واقع حياة الطالب ومن ثم الخريج.

المصادر:

١. الأشعب، خالص حسني، "، المدينة: منهجية دراستها في الفكر الجغرافي العربي في العراق"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، المجلد ١٧، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٨٦.

٢. حسين، عبد الرزاق عباس، الإطار النظري للجغرافية، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧٠.

٣. حمدان، جمال، "نحو مدرسة عربية في الجغرافية"، مرآة العلوم الإجتماعية، المجلد الثامن، العدد الأول، ١٩٦٤.

٤. الحميداوي، إبتهال عبد علي فرحان، النتاج الفكري الجغرافي لأبحاث الجغرافيين العراقيين: دراسة تحليلية في الأطر والمفاهيم النظرية والتطبيقية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب/جامعة القادسية، ٢٠١٨.

٥. الخلف، جاسم محمد، رئيس الجمعية الجغرافية العراقية، ١٩٦٠/١٠/٢١،مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الأول، السنة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، آب ١٩٦٢.

٦. الربيعي، هدى عيدان جبار، النتاج الفكري الجغرافي للأستاذ الدكتور عباس فاضل السعدي ودوره في الجغرافية العراقية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة، تموز ٢٠٢١.

٧. السعدي، عباس فاضل، أساسيات الجغرافية البشرية، ط١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢.

٨. السعدي، هدى عباس قنبر، النتاج الفكري الجغرافي في الجامعات العراقية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى قسم المكتبات بكلية الآداب/الجامعة المستنصرية، ١٩٩٥.

٩. عمر، مضر خليل، مقالات **في الفكر الجغرافي المعاصر، ج١، المطبعة المركزية لجامعة ديالى، بعقوبة، ٢٠١١.**

١٠ الفرا، محمد علي ، التنظير في الفكر الجغرافي الحديث، رسائل جغرافية يصدرها قسم الجغرافية بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، (تسلسل ١٣٩)، يوليو ١٩٩٠.

١١. الفرا، محمد علي، علم الجغرافية ، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافية بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، (تسلسل ٢٢)، ١٩٨٠.

١٢. الفرحان، يحيى،" الفرحان، يحيى "، الجغرافية المعاصرة"، مجلة الجغرافي العربي (يصدرها إتحاد الجغرافيين العرب في بغداد)، العدد الثاني والثالث، تموز ١٩٩٥.

١٣ .القيسي، نوري حمودي، كلية الآداب ودورها الريادي، دليل كلية الآداب، إعداد الدكتور فلاح شاكر أسود، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ جامعة بغداد، ١٩٩٠.

١٤. مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الخامس، عدد خاص بالمؤتمر الجغرافي العراقي الأول، مطبعة اسعد، بغداد، حزيران ١٩٦٩.

١٥. مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد، العدد ٢٧، ١٩٩٣، والعدد ٣٢، ١٩٩٦.

١٦. مجلة الأستاذ، كلية التربية بجامعة بغداد، ومجلة البحوث الجغرافية بكلية البنات/ جامعة الكوفة، ومجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، ومجلة المجمع العلمي العراقي بجميع (أو أغلب) أعداد هذه المجلات بأبحاث بلغ عددها ٧٢٣ بحثاً خلال السنوات ١٩٥٠-٢٠١٩.

١٧. ملك، صلاح ياركة، إبتهال عبد علي فرحان، النتاج الفكري الجغرافي لأبحاث الجغرافيين العراقيين في حقل الجغرافية السياسية، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، كلية الآداب/ جامعة القادسية، مقبول للنشر بحسب الكتاب ١٧٩، في ٢٠١٨/٩/١٨.

١٨. المياح، علي محمد "، طبيعة المشكلة الجغرافية"، مجلة الاستاذ، (تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد)، المجلد٨، ١٩٦٠.

١٩. هاشم، أفراح فيصل، إتجاهات دراسات الجغرافية الطبيعية في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد، ٢٠١١.

٢٠. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مديرية الإحصاء والأبحاث بديوان الجامعة، دليل جامعة بغداد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢-١٩٧٣.

٢١. ينسن، أريلد هولت ، الجغرافية: تاريخها ومفاهيمها، ترجمة الدكتور عوض يوسف الحداد، وابو القاسم عمر إشتيوي، ط١، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٨، ص٢٤٢.

٢٢. Dewey, John, Democracy and Education, The Free press, New York, 1966.

المستدرك على شعر أبي الحسن بن سعيد الأندلسي

الأستاذ المساعد الدكتور صفاء عبد الله برهان
جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية

الملخص:

البحث نظرة موجزة فيما جمعه الباحثون من شعر أبي الحسن بن سعيد الأندلسي، في ضمن عرض ميّسر للعملين المهمين المختصين بجمع شعره، فضلا عن بيان المستدرك الأول عليهما، الذي تفرد بعدد من الملحوظات النقدية والمنهجية بشأن عملهما، فضلا عن ذكر عدد من القطع الشعرية الجديدة. بعد ذلك استدراك على ما لم يذكر من أشعار أبي الحسن بن سعيد في الأعمال الثلاثة؛ بحسب ما توافر لدى الباحث من مادة شعرية جديدة، احتوتها صفحات من مؤلفة (عرائس الأدب) المكتشف حديثا بالمغرب الأوسط (الجزائر)، فضلا عن عدد من التخريجات الجديدة لعدد من القطع الشعرية التي وردت في الأعمال الثلاثة؛ ليزداد رصيد الشعر المجموع من نتاج أبي الحسن بن سعيد، الذي فقد أكثره في ظروف مختلفة، ولم يصل إلينا من ذلك النتاج إلا نزره، وهو الشأن الذي وقع للكثير من شعراء الأندلس؛ نتيجة محن بلاد الأندلس.
الكمات المفتاحية: (ابن سعيد الأندلسي، عرائس الأدب،، استدراك، الشعر الأندلسي)

المقدمة:

تحظى المستدركات الشعرية بأهمية كبرى؛ لأنها تكشف الجديد من الأشعار، فتزيد الرصيد الشعري للشاعر في ضمن مجموعه المصنوع، ومن ثم تتوضح أمام المتلقي الصورة التي تُعنى بتجربة الشاعر، فضلا عن بيان معالم جديدة من شعره، بما يعطي صورة أدبية واجتماعية وسياسية للعصر الذي عاش فيه.

وتزداد تلك الأهمية مع التراث الشعري الأندلس؛ لأنه تراث انقطعت أغلب أخباره نتيجة النوازل التي لحقت بالفردوس المفقود، حتى ختمت باستسلام غرناطة سنة ٨٩٧هـ، فكانت عملية تحقيق الدواوين أو الاختيارات الشعرية، بها حاجة إلى ما يظهر من متون أندلسية أدبية متنوعة، سواء أكانت من المصنفات الأدبية والتاريخية؛ لأنها تحمل الجديد من الأشعار التي تعزز ما موجود من تراث الشاعر المكتشف.

وهي الحال التي شملت أغلب أدباء الأندلس، ومنهم ابن سعيد الأندلسي الذي فقدت أصول ديوانه المخطوط، ولم يتم العثور على نسخة واحدة منه، ما اضطر إلى صناعة ديوان له؛ بحسب ما متوافر من شعره المبثوث في المصادر الأندلسية وسواها، وقد مرّت تلك العملية بثلاث

تجارب، تمكن أصحابها من جمع ما تسنى لهم من شعر ابن سعيد الأندلسي، وقد بذلت فيه جهود كبيرة ومحمودة.

ولكن يبقى رصيد الشاعر الحقيقي أمل المحققين وصُنّاع الدواوين؛ لأن الرجل كان رحالة طاف المشرق والمغرب، وأغنى البلاد التي نزلها بعلمه وأدبه ومعارفه، ومنها شعره الذي تناثرت أبياته في البلاد، فكان يكثر من الإنشاد في المناسبات العامة والخاصة؛ ليترك نصوصا شعرية اختزنتها خزائن المخطوطات.

وهذه بدورها تظهر عند اكتشاف الجديد من التراث ابن سعيد، ولاسيما الأدبي منه، ومنه ما وقع للباحث عند وقوفه على نسخة من كتاب عرائس الأدب الذي اكتشف مؤخرا، وحقق المحققان الكبيران الأستاذ الدكتور صلاح جرّار والأستاذ الدكتور بشّار عواد معروف.

فكان أن استخرج منه هذا المستدرك على الديوان المصنوع لابن سعيد؛ ليزداد بذلك رصيده الشعري المكتشف، بفضل الزيادة التي وجدها في ذلك العلق الأندلسي الذي صنّفه ابن سعيد، وهذا المصنّف بدوره تزداد أهميته؛ لأنه مما لم يعرف عن الرجل أن له مصنفا بهذا الاسم، فتضاعفت بذلك أهمية ذلك الفتح الأندلسي الجديد الذي يغرس الأمل بوجود نظائر مزوية في زوايا النسيان.

إن عمل الباحث على تصنيف هذا المستدرك على تقديم ومدخل مثل سيرة للديوان ومن ثم الشروع بالقطع الشعرية المستدركة بحسب ما سار عليه صُنّاع الدواوين والمستدركات الشعرية، آملا بذلك خدمة أشعار ابن سعيد الأندلسي التي لما تفصح عن رصيدها الحقيقي إلى وقت كتابة هذا المستدرك.

سيرة ديوان:

صاحب الديوان هو أبو الحسن علي بن أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان اِبن محمد بن عبد الله بن الصحابي الجليل سيدنا عمار بن ياسر العنسي (رضوان الله عليه). (ينظر: ابن شاكر الكتبي، دت، ٣/١٠٣، وابن فرحون المالكي، د ت، ١١٢، وابن القاضي المكناسي، د ت ، ٣/ ٢٤٠، والتلمساني، ١٩٦٨م، ٢/٢٦٢).

كان الرجل من أعلام عصره في الآداب والمعارف والعلوم، وقد حظي بمنزلة كبيرة داخل وطنه الأندلس وخارجه؛ فقد كان محط إعجاب كل من تعرض إلى سيرته ومآثره، وكان حريا بما أثنى عليه المؤرخون، وأصحاب السير، فمن ذلك ما قال ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ): (كان أجم من البحر أمدادا، وأسحم من القطر عهادا، وله الكلام الصافي الورود، الضافي البرود، وما تيسر شوارده وتنير مثل الكواكب فرائده). (العمري، ٢٠٠٤م ، ٨/ ٢٣٢).

وردد ابن الخطيب الغرناطي (ت ٧٧٦هـ)، تلك المنزلة الكبيرة في أسرته العلمية، فقال:

(هذا الرجل وسطى عقد بيته، وعلم أخباره، ودرة قومه، المصنف، الأديب، الرحال). (الغرناطي، ٢٠٠٣ م، ٤/ ١٥٣). كما أوضح ابن فرحون المالكي (ت٧٩٩هـ) منزلة الرجل بما جعله عنوان أسرته الغرناطية العريقة، فقال: (هذا الرجل واسطة عقد بيته، ودرة قومه، المصنف لأدب الرجال؛ الطرّفة الإخباري العجيب الشأن في التجوال في الأقطار ومداخلة الأعيان والمتمتع بالخزائن العلمية وتقيد الفوائد المشرقية والمغربية). (المالكي، د ت، ٢/٢١٢). وقال المقري التلمساني في منزلة الرجل بين أفراد أسرته :(ومنهم الشهير بالمغارب والمشارق، المحلّي بجواهره صدور المهارق). (التلمساني، ١٩٦٨م، ٢/ ٢٦٢).

عرف ابن سعيد بشده الرحال، ولاسيما بعد الاحداث التي نزلت ببلده، فأكثر من التطواف في المشارق والمغارب، وقد وصفه المقّري التلمساني (ت ١٠٤٢هـ): (العجيب الشأن في التجول في الأقطار). (المصدر نفسه، ١٩٦٨ م، ٢/ ٢٧١).

فكانت نتيجة تلك الرحلات أن زار المغرب ومصر والشام والعراق، والتقى بعدد من علمائها وأدبائها، كذلك كان له أن يمدح ملوكها وأعيانها، وتذاكر مع أدبائها الاشعار في مناسبات كثيرة، ولا ريب في تلك النزعة الشعرية لديه، وصفه ابن فضل الله العمري: (أديب مبدع ولبيب ممتع). (العمري، ٢٠٠٤م ،٣٨٢/٨).

بلحاظ ظهور الملكة الشعرية في ريعان شبابه، فقد قال ابن الخطيب: (تعاطى نظم الشعر في حد زمن الشبيبة). (الغرناطي، ٢٠٠٣م، ٤/ ١٥٣).

الجدير ذكره أن فقدان مخطوطة ديوان ابن سعيد، دعا باحثين اثنين إلى صناعة ديوان لما بقي من شتات شعره، معتمدين المصادر المتوافرة وقتذاك، أعقبهما باحث ثالث بمستدرك بحسب ما ستبينه المفردات القادمة في هذا الشأن.

أولا: **شعر ابن سعيد الأندلسي (ت٦٨٥هـ) .. دراسة وجمع وتوثيق:**

وهي دراسة للباحث جمال عبد الحميد عبد المنعم عياد، وهي المحاول الأولى لجمع شتات ما تبقى من شعر ابن سعيد الأندلسي، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مرقونة في كلية الدراسات العليا بجامعة القدس سنة ٢٠١١م، بدأها بمقدمة وطأ بها لموضوعه وعرض لمنهجه في توثيق شعر ابن سعيد، فقد ذكر أنه من أسباب هذه الدراسة: (بحثت عن ابن سعيد في المصادر المختلفة_ ما استطعت_ فلم أجد أية إشارة أو معلومة عن وجود مخطوطة لديوان شعره في أي مكتبة في العالم، ولم أجد _ فيما علمت_ من جمع شعر ابن سعيد في ديوان). (عياد، ٢٠١١، ٣).

كذلك فقد أكد الباحث الكريم (وجود موروث شعري كبير لابن سعيد الأندلسي لم يجمع في ديوان خاص _فيما أعلم_ على أن المقري ذكر أنه كان له ديوان من عدة أسفار لكنه غير موجود). (المصدر نفسه، ٢٠١١م، ٣).

بعد ذلك قسّم دراسته على قسمين، اختص الأول بالدراسة (ص٦_ ١٤٣)، على حين اختص الآخر بتوثيق الشعر (ص ١٤٤_٢٨٤)، وهنا جمع الباحث (١٩١) قطعة شعرية، مثلت (١٠٩١) بيتا، رتبها بحسب روي الهجائي المشرقي، أتبع ذلك بفهرس المصدر (ص٢٨٥_ ٢٩٣)، ثم الفهارس الفنية (ص ٢٩٣_ ٣١٢).

اعتمد الباحث في جمعها عددا من المصادر الأندلسية والمشرقية، مما توافرت على ما تبقى من شعر ابن سعيد، أولها مؤلفات ابن سعيد نفسه، وهي: المُغْرب في حُلى المغرب، ورايات المبرزين وغايات المميزين، واختصار القدح المعلى في التاريخ المحلّى، والمقتطف من أزهار الطرف، والمرقصات والمطربات، فضلا عن مصادر أندلسية ومغربية ومشرقية، وهي بحسب ترتيبها الزمني: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، والأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شدّاد الأنصاري (ت ٦٨٤هـ)، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، والإحاطة في أخبار غرناطة، وروضة التعريف بالحب الشريف لابن الخطيب الغرناطي، ورحلة ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ)، ومطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين الغزولي (ت٨١٥هـ) وصبح الأعشى في صناعة الإنشا لأبي العباس القلقشندي (ت٨٢١هـ)، ومخطوط روضة الأزهار في معاني أنواع الثمار لشمس الدين النواجي (ت ٨٥٩ هـ)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ)، وبغية الوعاة في طبقات النحويين واللغاة لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ودرة الحجال في أسماء الرجال، لابن القاضي المكناسي (ت ٩٦٠هـ)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقّري التلمساني.

ثانيا: **شعر ابن سعيد المغربي .. جمع ودراسة وتحقيق:**

تصدت الباحثة المصرية الدكتورة هالة عمر إبراهيم الهواري، إلى صناعة ديوان شعر لابن سعيد المغربي، وتمكنت من جمع (٢٢٨) قطعة شعرية من شعر ابن سعيد، تمثلت بـ(١٢٤٦) بيتا، أي بزيادة مهمة مقدارها(١٥٥) بيتا شعريا، وقد صدرت دراستها بمقدمة عن حياة الشاعر(ص١٠_٢٦)، ثم أوردت القطع الشعرية بحسب حروف الروي هجائيا (ص ٢٩_١٨٣)، بعد ذلك أعقبتها بذكر الأعلام الوارد ذكرهم في المجموع (ص ١٨٤_ ١٩٣)، ففهرس القوافي (ص١٩٣_ ٢٠٦)، فقائم المصادر والمراجع (ص٢٠٧_ ٢١٩).

اعتمدت الهواري مؤلفات ابن سعيد الأندلسي؛ المغرب في حلى المغرب، ورايات المبرزين وغايات المميزين، واختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، والمقتطف من أزهار الطرف، والغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة، والمرقصات والمطربات، فضلا عن مصادر أندلسية ومغربية ومشرقية، وهي: الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار، والإحاطة في أخبار غرناطة، ومطالع البدور في منازل السرور، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ومخطوط ديوان الفصحاء، والحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمجهول. بلحاظ أن الباحثة لم تعرض لمنهجها في توثيق شعر ابن سعيد، كما جرت عليه العادة عند صنّاع الدواوين الشعرية، واكتفت بعرض نظرات نقدية قديمة وحديثة بشأن شعره، وخلصت إلى القول: (كانت أشعار ابن سعيد _بالقياس إلى الشعر في عصره، متميزة رقيقة ولم يظلمه سوى براعته في التأليف التي جعلت القدماء والمحدثين لا يشيرون إليه بوصفهِ شاعرا، بقدر الاهتمام به بوصفهِ مؤلفا أو مؤرخا أو رحالة). (الهواري، ٢٠١٣م، ٢٥).

وهو رأي سليم يصف حال ابن سعيد مع شعره، وبيان آثاره التي غلبت على ملكته الشعرية، وجعلت الأنظار تلتفت إلى ما ألف ودون أكثر من التفاتها إلى ما أنشد ونظم، ولعل ضياع أغلب شعره، وتشتت المتبقي في بطون المصادر الأندلسية والمشرقية، كان سببا في هذه الصورة التي ظهر عليها ابن سعيد وشعره. وكان آخر ما دونته الباحثة في هذا الموضع، (وفي الصفحات التالية _ إن شاء الله_ سنحاول التعرف على شاعرية هذا الأديب الفنان، مع إلقاء الضوء على أشعاره من الناحيتين الموضوعية والفنية). (المصدر نفسه، ٢٠١٣ م، ٢٥).

لكن هذه المفردات لم نجد لها أثرا في الصفحات الموعودة؛ لأنها كانت توثيقا لشعر ابن سعيد، ومن ثم أعقبها ملحق الأعلام، فلم نجد حديثا عن الموضوعات التي تضمنها ذلك الشعر المجموع أو بيان لما توافر عليه من خصائص فنية، كما وعدت وكما يظهر من عنوان الكتاب، ومع ذلك فقد قدمت الدكتورة الهواري عملا مهما في خدمة شعر ابن سعيد الأندلسي، بما يعرض صورة واضحة وإن كانت وقتية عن طبيعة شعره وبيان الملامح النقدية التي يمكن أن يرمقها المتلقي بشأنه.

ثالثا: **شعر ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ ١٢٨٦م) .. نقد وتصحيح واستدراك.**

وهو عبارة عن بحث كتبه محمد يوسف إبراهيم بنات الباحث في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القدس بفلسطين، فتناول فيه العملين السابقين في جمع شعر ابن سعيد، وعرض لهما ووزان بينهما، وقدم عددا من الملحوظات النقدية والعلمية والمنهجية المهمة، ومما قال عن العملين: (بدأت مرحلة المقارنة التي قمنا بها؛ ليتضح لنا أن هناك اختلافا كبيرا بينهم، ولم يرجح أحدهما على الآخر، ومن الحق أن نقول: إن الباحثين قد بذلا عمل جبارا

وعظيما في خدمة أشعار ابن سعيد رغبة في إنجاز العمل الذي نهضا به على أكمل وجه). (بنات، ٢٠١٤م، ٢٠٤).

كذلك بيّن السبب الذي دعاه إلى هذا العمل، قوله: (حقيق بي الإشارة إلى أن كل علم لا يخلو من نقص، وهذا ما ظهر لنا بعد إجراء عملية المقارنة بين العلمين، وبخاصة في مجال إغفال الباحثين عن الكثير من الأبيات المفردة والقصائد والمقطّعات التب لم يقفا عليها، ولذلك ارتأينا أن نسد النقص ونستدرك الأشعار الجديدة التي أخل بها عمل الباحثين). (المصدر نفسه، ٢٠١٤م، ٢٠٤)

وهكذا فقد استدرك الباحث (١٠٥) بيتا، تمثلت في (٤٦) قطعة شعرية، بين قصيدة ومقطوعة، ونتفة، وبيتا مفردا، مما فات الباحثين السابقين، فارتقى الرصيد الشعري المكتشف لابن سعيد الأندلسي إلى (١٣٥١) بيتا في (٢٧٤) قطعة شعرية.

اعتمد الباحث مجموعة المصادر التي رجع إليها الباحثين السابقين، وهما يصنعان ديوان ابن سعيد الأندلسي، فضلا عن مصادر أخرى لم يطلعا عليها، والجديد فيها، هو: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لأبي العباس التيفاشي (ت ٦٥١هـ)، والمغرب في حلى المغرب قسم الفسطاط،)، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ)، وكتاب لذة السمع في صفة الدمع والكشف والتنبيه، وكشف الحال في وصف الخال و الغيث المسجم في شرح لامية العجم لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٤٦هـ)، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان لبدر الدين الزركشي (ت ٧٤٩هـ)، وديوان الصبابة لشهاب الدين ابن حجلة (ت ٧٧٦هـ)، وحلبة الكميت لشمس الدين النواجي (٨٠٩هـ)، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، وروض الآداب شهاب الدين الحجازي (ت ٨٧٥هـ)، ومستوفي الدواوين لعبد الله الأزهري (ت ٨٨٦هـ)، ، والدر المصون أبو بكر البدري (ت ٨٩٤هـ)، وكوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة لجلال الدين السيوطي، والتذكرة الأيوبية لشرف الدين الأنصاري (ت ٩٤٦هـ)، ونفحة الريحانة ورشة طلاء الحانة لفضل الله المحبي (ت١١١١هـ).

هذا المستدرك:

يأتي هذا المستدرك الذي يقدمه الباحث؛ لينظم في سلسلة خدمة شعر ابن سعيد الأندلسي، ومتابعة ما يظهر منه في المخطوطات والمطبوعات الجديدة، وفي ذلك تعزيز لرصيد الشعر وبيان الجديد منه مما لم ينشر في النشرات السابقة، وقد اعتمد الباحث في مستدركه هذا مصدرا أدبيا أندلسيا مهما اكتشف مؤخرا، وهو كتاب (عرائس الأدب) لابن سعيد نفسه.

جرى تحقيق هذا المصدر الأندلسي المكتشف، على يدي المحققين الكبيرين الأستاذ الدكتور صلاح جّرار والأستاذ الدكتور بشّار معروف، بعدما اكتشف الأخير قطعة منه في خزانة، بمدينة

الجلفة المغربية؛ إذ ذكر المحققان عن ذلك: (هي إحدى مخطوطات مكتبة الأستاذ أبي بكر بلقاسم ضيف في مدينة الجلفة في الجزائر وتقع في أربع وسبعين لوحة. وهي بخط المؤلف أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد وتاريخ كتابة المخطوطة بعد سنة ٦٦٢هـ). (ابن سعيد الأندلسي، ٢٠٢٢م، ٦).

بلحاظ أن كتاب عرائس الأدب، لم يرد له ذكر في كتب ابن سعيد التي وصلت إلينا، كذلك لم تذكره الفهارس والمصادر التي تحدثت عن ابن سعيد وآثاره، وهو ما يضيف قيمة أدبية وتاريخية لهذا العلق الأندلسي النفيس الذي ظهر إلى الوجود في هذه الأيام، فقد أكد المحققان ذلك بقولهما: (هذا كتاب من تأليف أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (٦١٠ – ٦٨٥هـ) لم يعرف من قبل ولم يرد له ذكر فيما وقفنا عليه من المصادر التي ترجمت لابن سعيد، ولم يذكره ابن سعيد نفسه في أي من مؤلفاته الأخرى التي وصلت إلينا). (المصدر نفسه، ٢٠٢٢م، ٥).

كذلك بينا فحوى الكتاب، بقولهما: (في هذا الكتاب الذي يشتمل على (١٣٩) ترجمة مختصرة لشعراء أندلسيين مع نماذج من أشعارهم مما اختاره المؤلف، يكمل ابن سعيد كتاباً آخر عنوانه «عرائس الأدب» لم نتمكن من الوقوف عليه، ولا على مؤلفه، وإن كنا تميل إلى أنه من تأليف والد ابن سعيد أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك المتوفى سنة ٦٤٠ هـ أو أحد أقاربه). (المصدر نفسه، ٢٠٢٢م، ٥).

تمثل عملي في هذا المستدرك في استخراج (١٣٧) قطعة شعرية، بـ (٤١٦) بيتا، وبذلك أمسى ما مكتشف من شعر ابن سعيد الأندلسي، (٤١١) قطعة شعرية في (١٧٦٧) بيتا. وقد حرصت على أن أرتبتها بحسب الترتيب الهجائي المشرقي، بعد أن رقمت تلك القطع، وبينت تسلسل أبياتها، ومن ثم عملت على شكلها الشكل التام؛ لتتضح معانيها، ثم عرفت بالإشارات الواردة فيها، تاريخية كانت أم أدبية أم دينية، ودونت بحورها الشعرية، بلحاظ أن المحققين قد أثبتا ذلك في تحقيقهما. ثم أردفت عملي بملحق للأبيات الشعرية التي طمست قوافيها. وقبل ذلك ذكرت تخريجات جديدة من عرائس الأدب للقطع الشعرية التي أوردها الباحثون الثلاثة السابقون.

تخريجات جديدة لعدد من القطع الشعرية:

١ _ القطعة رقم ٦ من مجموع الهواري: التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٥. وفيها البيت١: (الخوف) بدلا من (الخسوف)، والبيت ٢: (قضت) بدلا من (مضت).

٢ _ القطعة رقم ١٠ من مجموع الهواري: التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٢. وقد أورد ابن سعيد البيتين ٦ و٧ فحسب، وفي البيت ٢ : (فتن) بدلا من (قين).

٣_ القطعة رقم ١٤ من مستدرك بنات: التخريج: عرائس الأدب: ١٧٠. وفيها البيت ٢: (فتنة) بدلا من (حسنه)، والبيت ٤: (ناظرة) لدلا من (ناظره)، وورد هذا البيت في العرائس بعد البيت ٥، وهو قوله: [البسيط]

فَـاءَتْ عَلَيـهِ ظِـلاَلٌ مِـنْ ذُؤَابَـتِـهِ إلى النَّقَا لِلْحَاظِي بِيْنَـهَا سَفَرُ

٤_ القطعة رقم ١٥ من مستدرك بنات: التخريج: عرائس الأدب: ١٧٦. وفيها البيت١: (يحتبي) بدلا من (يحفّ).

٥_ القطعة رقم ١١٨ من مجموع الهواري. التخريج: عرائس الأدب: ١٧٦، وفيها البيت ١: (إذ لاح) بدلا من (للعين في).

٦_ القطعة رقم١١٩ من مجموع الهواري، التخريج: عرائس الأدب: ١٨٩. وقد أورد ابن سعيد البيتين ٢و٣، وفيهما: البيت ٢ (أهديت) بدلا من (أعطيتني).

٧_ القطعة ١٠٨ من مجموع عيّاد، التخريج: عرائس الأدب: ١٨٠. وفيها: البيت ٤ (قمرا) بدلا من (بشرا).

٨_ القطعة ١٣٣ من مجموع الهواري، التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٣.

٩_ القطعة ١٥٠ من مجموع الهواري، التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٧. وفيها: البيت٢ (القسي) بدلا من (العشي).

١٠_ القطعة ١٧١ من مجموع الهواري، التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٧.

١١_ القطعة رقم ١٦٨ من مجموع الهواري، التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٧. البيت ٣: (ولتعذر) بدلا من (فلتعذر).

١٢_ القطعة رقم ١٩٣: التخريج: عرائس الأدب: ١٧٩. أورد ابن سعيد الأبيات (١_ ٦، و١٢)، وفيها: البيت ٢ (ليلا) بدلا من (جنحا).

١٣_ القطعة رقم ٢٠٥: التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٦.

١٤_ القطعة رقم ٢٠٥: التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٣.

١٥_ القطعة رقم ١٠٤ من مستدرك بنات، التخريج: عرائس الأدب: ١٩٤. وفيها: البيت ٢ (عند) بدلا من (يوم).

القطع الشعرية المستدركة

الهمزة

١

قال في إهداء قوس: [المجتث]

١ ـ أَرْسَلْـتُ نَـحْــوَكَ قَــوْسـًا مِـثْـلَ الـهِــلاَلِ انْـحِـنَــــاءَ

٢ ـ فَـاجْـعَـلْ سِـهَامَـكَ فِـيْـهَـا مِـثْـلَ النـُّـجُــوْم مُـضَــــاءَ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٠.

الباء

٢

أنشد بين يدي الملك الناصر بن أيوب قصيدة مطلعها: [الطويل]

١ ـ هَزَزْتَ بِهَذَا الفَتْحِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَ قَـالَـتْ لَكَ الآمَالُ: أَهْلاً وَ مَرْحَبًا

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٧.

٣

قال: [الكامل]

١ ـ نَـادَيْـتَـهُ وَالـتِّـيـهُ يَـلْوِي عِطْفَهُ وَكَـأَنَّـهُ غُـصْـنٌ تُـرَنِّـحُـهُ الصَّـبَا

٢ ـأَضْرَمْتَ نِيرَانَ الـغَرَامِ بِمُـهْجَتِيْ فَـاحْـمَـرَّ حَـتَّـى كَـادَ أَنْ يَـتَلَـهَّبَا

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٧.

٤

ومن قصيدة: [الخفيف]

١ ـ ....[1] بِكُـلِّ لَـحْظَـةِ طَـرْفٍ لَـيْـسَ يَـنْـفَكُّ مُظْهِرًا لِيْ حَـرْبَـا

٢ ـ سَوْفَ أَدْعُـوْ عَـلَـيْكَ لَـكِنْ بِـأَلاَّ يُنْبِتَ الدَّهْـرَ رَوْضُ ذَرِّكَ عُـشْبَـا

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٨.

٥

قال مادحا مأمون بني عبد المؤمن في سلا بقصيدة مطلعها: [البسيط]

١ ـ طَالَ البُـعَادُ وَ لاَ رُسْـلٌ وَ لاَ كُـتُبُ دَلَّـتْ عَلَـى الـعُذْرِ مِنْكُمْ هَذِهِ الرُّتْبُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٣.

٦

قال من قصيدة وقد أبلَّ قاضي القضاة جمال الدين الريغي حاكم الإسكندرية: [الكامل]

١ ـ بُرْءٌ كَـمَـا آبَ الـغَـمَامُ الصَّـيِّـبُ فَـتَرَاجَعَ ارَّوْضُ الـهَـشِـيْمُ المُجْدِبُ

٢ ـعَطفَتْ بِهِ النُّعْمَى عَلَـى أَلاَّفِـهَا وَاسْـتَغْـفَرَ الزَّمَنُ المُـسِيءُ المُذْنِبُ

---

[1] فراغ في الأصل وسيأتي أمثاله من الخروم في أبيات أخرى في هذا المستدرك.

٣_ مَا كُنْتَ إلاَّ السَّيْفَ يَصْدَأُ مَتْنُهُ وَ غِـرَارُهُ[٢] مَاضٍ إِذَا مَا يَـضْرِبُ

٤_ لَمْ يَنْـتَقِصْ مِنْكَ السُّقامُ مَهَابةً وَالبَدْرُ مِـنْ بَعْـدِ الضّيَا يُتَرَقَّبُ

ومنها:

٥_ الشَّرْقُ مُفْتَخِرٌ بطُوْلِ مَقَامِهِ فِـيْهِ وَيَفْـخَرُ بالقَدِيْمِ المَـغْرِبُ

٦ كَالشَّمْسِ مَا اقْتَصَرَتْ عَلَى جهة وَقَدْ حَفِلَتْ تُشَرِّقُ فِي الـعُلَى وَ تَغْرِّبُ

التخريج: عرائس الأدب:١٩٥_ ١٩٦. أوردت الهواري الأبيات الثلاثة الأولى: ٥٨_ ٥٩.

٧

قال: [الطويل]

١_ وَ قَائِلَـةٍ مَاذاَ تَرَى فِيْ بِلاَدِنَـا ؟ فَقُـلْتُ وَ دُوْنِي لِلْغِيُوْبِ حِـجَابُ:

٢_ وُجُوْهٌ وَ هَيئَاتٌ تُـرَى مَا وَرَاءُهَا أَ يَرْوِي سُحَابٌ أَمْ يَـغُـرُّ سَرَابُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠١.

٨

قال: وردني من أحد الفضلاء كتاب يسألني عن شغلي بها فكان الجواب: [السريع]

١_ يَا كَاتِبـاً قَبَّلْـتُ مَـا خَـطّهُ وَ قُلْتُ: لاَ شُلَّتْ يَـدُ الكَاتِـبِ

٢_ سَـأَلْتَ عَنْ شُـغْلِيَ فِي جِلَّقٍ[٣] وَ لَـسْتَ عَـنْ حَالِيَ بِالـغَائِبِ

٣_ مَا لِي بِـهَا شُـغْلٌ سِـوَى أَنَّـنِي أَهِـيْـمُ بِالجَبْـهَـةِ وَ الحَاجِبِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٠.

٩

قال في باكر الورد: [المنسرح]

١_ انْـظُـرْ إِلَى الـوَرْدِ فِي أَوَائِلِــهِ شَـقَّ جُيُـوْبـاً لَـهُ مِنَ الطَّـرَبِ

٢_ طَرَّزَ خَدَّ الـرَّبِيـْعِ مِنَ خَـفَرٍ[٤] فَصَـبَّ فِـيْهِ قُرَاضَــةَ الـذَّهَبِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٤_ ٢٠٥.

١٠

قال من قصيدة: [البسيط]

١_ عُجْ بِالجَزِيْرَةَ ذَاتِ اللَّهْوِ وَ اللَّعِبِ وَ قَضِّ فِي دَوْحِهَا مَا فَاتَ مِـنْ طَرَبِ

٢_ حَيْثُ الـخَلِيْـجُ بِبَرْدِ الظِّلِّ مُؤْتَزِرٌ مُـقَلَّدٌ بِـعُقُوْدِ الـزَّهْـرِ وَ الحَبَبَ

---

[٢] غِرَارُ السَّيفِ: حده.

[٣] جِلَّقٌ: الشام وهي دمشق. وفي أخبار العجم أن شهريار بنى لدمشوس الملك مدينة جلق وهي مدينة دمشق، وحفر نهرها بردى ونقره في الجبل حتى جرى إلى المدينة. (الحميري، ١٩٨٠م، ١٦٩).

[٤] خَفَرٌ: حياء.

٣ـ وَالرِّيْحُ حَاكَتْ لَهُ مِن فِضْةٍ زَرَدًا[٥] **وَرَاحَـةُ الـنَّفْسِ قَدْ وَشَّـتْهُ بِالـذَّهَـبِ**

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٨.

١١

قال: [الكامل]

١ـ خَلَعَ الرَّبِيْعُ عَلَى الرِّيَاضِ مَلابِسًا **رَفَلَتْ بِـهَـا فِي جِـدَّةٍ وَ شَـبابِ**

٢ـ فَتبَاشَـرَتْ أَغْصَانُهَا وَتَعَالَـقَتْ **فِي حَلْيِهَـا كَـتَعَانـقِ الأَحْبَابِ**

التخريج: عرائس الأدب: ٢١٠.

١٢

قال ارتجالا: [الطويل]

١ـ وَ يَـوْمٍ وَصَلْنَاهُ بِلَيْلٍ كَـأَنَّـمَا **فَقُلْنَا لَـهُ بَاكِرْ مِنْ أَنْوَارِ شَـيْبِهِ**[٦]

فقال أبو الوليد ابن الجنان الشاطبي: [الطويل]

كـأن لــه طــرف الغـزالة أركـد **فأصبـح مكحـولا بإثمـد سحبــه**

التخريج: عرائس الأدب: ٢١٢.

١٣

أنشد في المجلس السلطاني الناصري قصيدة، منها: [مجزوء الكامل]

١ـ أَمَّــا دِمَــشْـقُ فَـجَـنَّــةٌ **يَنْسَـى**[٧] **بِهَا الـوَطَـنَ الـغَرِيـبْ**

٢ـ للهِ أَيَّــامُ السُّـــبُــوْ **تِ بِـهَـا وَ مَـنْـظَرُهَا العَجِيبْ**

٣ـ انْظُـرْ بِـعَيْـنِكَ هَـلْ تَـرَى **إلاَّ مُـحِـبـًّا أَوْ حَـبِـيــبْ ؟**

٤ـ فِيْ مَوْطِـنٍ أَهْــدَى إِلَيــ **ـكَ جَمَالَهُ بِـشْـرًا وَ طِـيْـبْ**[٨]

٥ـ مَا الـعَيْـشُ إلاَّ أَنْ تَـعِيــ **شَ مُـنَـعَّـمـًا بِرِضَا الـحَـبِـيبْ**

٦ـ وَ يَكُوْنَ وَصْلُكُمَــا عَلَــى **رَغْـمَ الـعَــوَاذِلِ وَ الـرَّقِـيبْ**

٧ـ مِنْ قَبْـلِ أَنْ تُــرْوَى رِيَا **ضُ الأُنْـسِ مِنْ نـارِ الـمَـشِـيـبْ**

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٨ـ١٦٩. ذكرت الهواري الأبيات الثلاثة الأولى، على حين ذكر بنات الأربعة الأولى.

---

(٥) زَرَدٌ: الدرع.

(٦) كذا ورد العجز في الأصل مع ما به من خلل في الوزن بعد كلمة باكر.

(٧) في صنعة الهواري: يبنى.

(٨) في صنعة عياد، ورد هذا البيت هكذا:

في موطـن غنى الحمـا م بـه على رقص القضيـب

١٤

قال: [السريع]

١ـ وَ قُلْتُ ...... وَ جَاءَنِي زَائِــرًا / وَ قَلَبُهُ يَخْفُقُ خَوْفَ الرَّقِيبْ

٢ـ وَ كَــانَ .... المُـنَــى / فِي سَاعَةٍ يَقْصِرُ عَمَّا يُرِيبْ

٣ـ وَ قَامَ .... فَجَاذَبْتُهُ / ....

٤ـ.................................. / وَ أَنْتُـمْ ....

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٣.

التاء

١٥

قال: [البسيط]

١ـ تِلْكَ البُدُوْرُ لَهَا بِالبِيْضِ هَالَاتُ / فَكَيْفَ تَطْمَعُ أَنْ تُقْضَى لُبَانَاتُ؟

٢ـ يَا نَازِلِيْنَ مِنَ العَلْيَاءِ فِي شَرَفٍ / حَمَّتْ جَنَابَ حِمَاهُ المَشْرَفِيَّاتُ[9]

٣ـ مِنْ دُوْنِ وَصْلِكُمْ حَزُّ الرِّقَابِ وَ فِي / قُلُوْبِنَا مِنْ تَجَنِّيْكُمْ حَزَازَاتُ

٤ـ هَبْكُمْ مَنَعْتُمْ فَمَا لِلْطَّيْفِ مُمْتَنَعٌ / وَ قَدْ نَأَيْتُمْ فَلَمْ تَنْأَ التَّحِيَّاتُ

٥ـ لاَ أَوْحَشَ اللهُ مِنْكُمْ مَنْ يُحُبُّكُمُ / فَلَيْسَ بَعْدَكُمُ لِلْعَيْشِ لَذَّاتُ

٦ـ فَمَا تَطِيْبُ لَنَا إِلاَّ[10]الأَسْحَارُ دُوْنَكُمُ / وَ لاَ تَلِذُّ لَنَا تِلْكَ العَشِيّاتُ

٧قَدْ صوَّحَ[11]الرَّوْضُ فِي الأَبْصَارِ بَعدَكُمُ / وَ لَمْ تَهُبَّ مِنَ الأَرْوَاحِ رَاحَاتُ

٨ـ وَ النَّهْرُ مَا فَرُكَتْ أَيْدِي النَّسِيْمِ لَهُ / يَتْلُوْ مَحَاسِنَكُمْ إِذْ هُنَّ آيَاتُ

٩ـ سَلاَمُ يَأْسٍ عَلَى الأَنْفَاسِ بَعْدَكُمْ / حَتَّى تَعُوْدَ لَنَا تِلْكَ المَسَرَّاتِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧١.

الجيم

١٦

قال وقد بات في جنة بجبل الصالحية بظاهر دمشق في أوان زهر النارنج: [البسيط]

١ـ بَاكِرْ إِلَى نَغَمَاتِ الطَّيْرِ مُسْتَمِعًا / وَ انْظُرْ إِلَى حُسْنِ هَذَا المَنْظَرِ البَهِج

٢ـ وَقَدْ غَدَا زَهَرُ النَّارَنْجِ مُبْتَسِماً / يَسِيرُ فِيْنَا وَجَيْبُ الأُفْقِ بالأَزَجِ [12]

٣ـ وَ الجَوُّ فِي حُلَلٍ حُمْرٍ مُمسَكَةٍ / مَا بَيْنَ مُنْعَقِدٍ مِنْهَا وَ مُنْفَرَجِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٩.

---

[9] المَشْرِفِيَّاتُ: سيوف تنسب إلى المشارف موطن صناعتها.

[10] كلمة إلا زائدة وردت في الأصل وبحذفها يستقيم الوزن.

[11] صَوَّحَ: يبس.

[12] الأَزَجُ: بناء مستطيل مقوس السقف.

الحاء

١٧

قال في غلام رمدت عينه : [المجتث]

١ _ يَقُــــوْلُ: طَرْفِي شَـــاكٍ ... صَـدَقْتَ شَـاكِـيْ الـسِّـــلاَحِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٦.

١٨

قال في كبير افتصد: [مخلع البسيط]

١ _ هُنِّيْتَ فَصْدًا تَزِيْدُ نُـــوْرًا ... بِـــهِ وَ لاَ زِلْتَ فِيْ ارْتِيَـــاحِ

٢ _ فَالأُفْـقُ لَا يَسْتَنِـيْرُ حَتَّـى ... يَـفْصِـدَهُ مِبْضَعُ [١٣] الصَّبَاحِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٧.

١٩

قال: [المتقارب]

١ _ تَعْشَّـقْتُـهُ حِيْـنَ أَبْصَرْتُهُ ... وَ بَـاحَ غَـرَامِيْ بِتَـلوِيْحِـــهِ

٢ _ وَ لَوْ لَـمْ تَكُنْ بَيْنَنَا نَسْمَةٌ ... لَمَـا مَـــالَ رُوْحِـيْ إِلى رُوْحِـــهِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٧.

٢٠

قال من قصيدة ناصرية: [السريع]

١ _ وَ نَشَرَ الأُفْقُ لِوَاءَ الصَّبَاحْ[١٤] ... فَانْـهَـزَمَ اللَّيْـلُ وَ حَثَّ الجَـنَاحْ

٢ _ وَ مَا نَـجَا مِنْـهُ وَ قَدْ أَبْصَرَتْ ... مِنْ شَفَقِ الجَوِّ عَلِيْهِ جِرَاحْ

٣ _ كَانَتْ لَهُ الشُّـهْبُ نِصَـالاً[١٥] فَقَدْ ... أُعْجِلَ عَنْ طَعْـنٍ فَأَلْقَـى السِّـلاَحْ

٤ _ وَ مَـرَّ كَالمَـهْـزُوْمِ لاَ يَـنْثَنِي ... فَصَفَّقَ الطَيْـرُ عَلَيْـهِ وَ صَاحْ

٥ _ وَ أَيَّـدَ اللهُ النَّـهَـارَ الَّـذِيْ ... أَصْبَحْتِ الدُّنْيا بِـهِ فِي ارْتِيَـاحْ

٦ _ طَرَّزَتْ الآفَـــــاقَ أَنْـــداؤُه ... وَ أسْفَرَتْ عَنْهُ وَجُوْهُ البِطَاحْ[١٦]

٧ _ وَ جَفَّفَتْ مِنْـهُ دُمُـوْعُ الـنَّـدَى ... وَ ابْتَسَمَتْ زَهْوًا زُهُوْرُ الأُقَاحْ[١٧]

٨ _ مَرَّ رِدَاءُ الشَّمْسِ فَـوْقَ الثَّرَى ... وَ صَاغَ فَـوْقَ الأُفْقِ مِنْهَا وِشَاحْ

---

[١٣] مِبْضَعُ: آلة المشرط التي يشق بها الجلد.

[١٤] كذا ورد صدر البيت في الأصل وفيه خلل عروضي.

[١٥] نِصَالُ: حديدة الرمح والسهم والسكين.

[١٦] البِطَاحُ: جمع بطحاء، وهي مكان متسع ومنبسط يسيل فيه الماء تاركًا فيه الرَّمل وصغار الحصى.

[١٧] الأُقَاحُ: جنْس زَهْر من الفَصيلَة المُركّبة، مُفَلّج الأَوراق دَقيقها تُشبّه به الأَسْنان..

٩ـ وَ أَوْدعَ الـحُـجْـبَ بِـهِ عَـنْـبَـرًا فِي مَجْمَـرٍ عَـرْفُ الصَّبَا مِنْـهُ فَاحْ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٥.

الدال

٢١

قال في بدأة قصيدة أنشدتها بين يدي الملك الناصر ابن أيوب وقد خلع علي خلعة تقارب لون الشمس: [الطويل]

١ـ أَلاَ قُمْ فِيْ مَحْفِلِ المُلْكِ مُنْشِدَا وَ دَعْهَا تَلُحْ شَمْسًا عَلَى أُفْقِ النَّدَى

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٣.

٢٢

قال : [الرمل]

١ـ وَ غَدَا النَّهْرُ كَجِيْدٍ عَاطِلٍ فَرَمَى الغُصْنُ عَلَيْـهِ عِقْـدَهُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٦.

٢٣

قال: [الطويل]

١ـ إِذَا مَالَ مِنْ ضَوْءِ الصَّبَاحِ عَمُوْدُهُ وَ هُزَّتْ عَلَى دِرْعِ الخَلِيْجِ بُنُوْدُهُ [١٨]

٢ـ وَغَنَّتْ طُيُوْرُ الدَّوْحِ[١٩] فِيْ عَذَبَاتِهَا وَ شُقَّتْ مِنَ النَّهْرِ الخَفُوْقِ بُرُوْدُهُ [٢٠]

٣ـ وَ فَاحَ نَسِيْمُ الرَّوْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَ سَالَ مِنَ الطَّـلِّ النَّظِيْمِ مَزِيْـدُهُ

٤ـ فَحَيِّ عَلَى اللَّـذَاتِ كُلَّ وِجْـهَـةٍ وَ لاَ تُدْنِيْنَ مِنِّـيْ الَّذِيْ لاَ أُرِيْـدُهُ

٥ـ وَخُذْهَا مِنَ الظَّبِيْ الَّذِيْ صَالَ لَحْظُهُ وَ ذَلَّتْ لِمَا تَقْضِيْ عَلَيْـهَا أُسُوْدُهُ

٦ـ قَضِيْبٌ مِنَ الرَّيحَانِ يَهْتَزُّ فِي نَقَا[٢١] وَ بَدْرُ دُجَى رَفَّتْ عَلَيْهِ سُعُـوْدُهُ

٧ـ وَ لِلْوَرْدِ خَدَّاهُ وَ نَكْهَـةُ رِيْـقِهِ وَ لِلْظَّبْي مِنْـهُ مُـقْلَتَاهُ وَ جِيْدُهُ [٢٢]

٨ـ أَ يَا غُصْنًا مَا اهْتَزَّ إِلاَّ تَسَاقَطَتْ قُلُـوْبٌ نَحَتْهَا لِلْطِّعَانِ نُـهُوْدُهُ

٩ـ أَ غَـرَّكَ أَنْ القَلْبَ فِيْكَ مُتَيَّمٌ وَ أَنِيْ مُشْـتَاقٌ الفُـؤَادُ عَمِيْـدُهُ

١٠ـ وَ أَنْ ظَـلاَمَ اللَّيْلَ عِنْدِي سَرْمَدٌ وَ أَنَّ غَرَامِـيْ لَا يُـهَادَى وَلِيْـدُهُ

---

[١٨] بُنُوْدُ: العلم الكبير.

[١٩] الدَّوْحُ: دمع دوحة، وهي شجرة عظيمة متشعبَّة ذات فروع ممتدَّة.

[٢٠] بُرُوْدٌ: جمه بردة، وهي كساء مخطط يلتحف به.

[٢١] نَقَا: الكثيب من الرمل.

[٢٢] جِيْدٌ: عنق.

١١ـ هَوِيْتُ وَلَكِنْ أَبْدَعَ النَّاس قَامَةً وَ خَدًّا وَ لَحْظًا كُلُّ لَحْظٍ يَقُوْدُهُ

١٢ـ يَمِيْلُ بِهِ سُكْرُ الدَّلَالِ فَيْنْثَنِي وَ يَجذِبُهُ دِعْصُ النَّقَا فَيَؤُوْدُهُ[٢٣]

١٣ـ وَآلَيْتُ أَنْسَاهُ وَ لاَ طِيْبَ ذِكْرِهِ وَ لاَ تَنْقَضِي طُوْلَ الزَّمَانِ عُهُوْدُهُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٤.

٢٤

قال: [المجتث]

١ـ لَمَّا بَدَتْ دَوْلَةُ اللَّيْـ ـلِ وَ المَجَّرَةُ بَنَدُهْ[٢٤].

٢ـ بَدَا الهِلاَلُ كَتَاجٍ وَ أَنْجُمُ الأُفْقِ جُنْدُهْ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠١.

٢٥

قال: [السريع]

١ـ[٢٥]......... .... لِي بِحسَّدِي وَ كَمْ أُدَارِيْكَ وَ لِمَ تَعْتَدِي ؟

٢ـ أَمَا لِهَذَا الصَّدُ مِنْ آخِرٍ ؟ أَ مَا لِيَوْمِ الوَصْلِ مِنْ مَوْعِدِ ؟

٣ـ تَمُرُّ بِي غَضًّا وَ لاَ أَجْتَنِي تَطْلُعُ لِي بَدْرًا وَ لاَ اهْتَدِي

٤ـ يَا مَنْ غَدَا كَالمَاءِ مِنْ رِقَّةٍ وَ قَلْبُهُ أَقْسَى مِنَ الجَلْمَدِ !

٥ـ لَيْتُكَ إذ أَصْبَحْتَ لِي مُمرِضًا كَلَّمْتَنِيْ فِي جُمْلَةِ العُوَّدِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٥.

٢٦

أمر الصاحب كمال الدين بن العديم أن تزخرف حجرة أنزلني فيها، وكان ذلك في أيام الورد، وله ورد كثير بضياعه يقطر ماؤه، وكتبت له شعرا ، منه: [المجتث]

١ـ صَيَّرْتَ بَيْتِي كَرَوْض فَامْطِرْهُ مِنْ مَاءِ وَرْدِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٦.

---

[٢٣] دِعْصٌ: قطعة أو تل من الرمل مجتمع أو مستدير، النقا: الرمل، ويَؤُوْدُ: تأتي بمعان مترادفة وهي: أثقله، وأعجزه، وأضناه، وأتعبه، وأجهده

[٢٤] كذا ورد في الأصل وفيه خلل عروضي.

[٢٥] ذكر المحققان: (كتبت هذه الأبيات بخط المؤلف نفسه في حاشية الورقة، وهي مقتحمة كم ترى فكرته الواحدة في عرض القصيدة الناصرية. وسوف تتكرر مثل هذه الإضافة المعترضة في أثناء البحث بأكثر من قطعة في أكثر من موضع، فلزمنا من ذلك إثباتها كونها من شعر ابن سعيد نفسه وإن كانت مبثوثة في الحواشي).و هذه القصيدة الناصرية، اختار ابن سعيد أربعة أبيات منها في الصفحة نفسها، أولها: [الطويل]

خفي وستر الليل فوقي مسبل كأني حياء جال في خد مسود

٢٧

قال في زورق هلنه... من مسوداته هنالك.. ثم رحلت فأقمت بال... لهذا الكتاب الذي .... واشتمل على وزير الجزيرة محيي الدين ابن .... المشهور بالكرم والحب في الأدب، ووقع لي في مدحه من قصيدة: [الطويل]

١ـ وَ قُلْتُ لآمَالِي: أَقِمْ بِبَنِي النَّدَى فَقَالَتْ: وَهَلْ غَيرُ النَّدَى أَبَدًا قَصْدِي ؟

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٣.

الراء

٢٨

قال: أنشدني الأديب الفاضل نور الدين .... سأله صاحب ... بيع ما لا يستعملونه من السكر : [الكامل]

١ـ يَا خَيْرَ أَمْلاَكَ البَرِيَّةِ كُلِّهَا .... الذِي أصبح سُمِّرَا

٢ـ ....

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٩.

٢٩

قال في مدة جمال الدين موسى بن يغمور في نيابة السلطنة بدمشق، وقد قطعت ضفائر صبيان برمة مرة بعد مرة: [البسيط]

١ـ فَإِنْ فِي قَطْعِ حَيَاتِ السّفُوْرِ وَ قَدْ أَمْسَت بِجِلَّقَ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ[٢٦]

٢ـ كَأَنَّمَا عِدْلُ مُوسَى قَدْ غَدَا حَكَمًا فِي مَنْعِهَا إِذْ شَكَا مِنْ سِحْرِهَا البَشَرُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٩.

٣٠

قال: [الوافر]

١ـ نَظِيْرُ قَوَامِكَ الغُصْنُ النَّضِيْرُ وَ حُبِي فِيْكَ لَيْسَ لَهُ نَظِيْرُ[٢٧]

٢ـ وَلِي عَيْنٌ مُؤرَّقَةٌ وَ قَلْبٌ يَكَادُ إِذَا ذُكِرْتَ لَهُ يَطِيْرُ

٣ـ أَ غَايَةَ كُلِّ إِحْسَانٌ وَ حُسْنٍ وَ مَنْ خَضَعَتْ لِطَلْعَتِهِ البدُوْرِ

٣ـ وَ مَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِي هَوَاهُ أَسِيْرًا عَنْ حِمَاهُ لاَ أَسِيْرُ

٤ـ مَتَى يَقْضِي لِفُرْقِتِنَا اجْتِمَاعٌ ؟ وَ يُجبَرُ ذَلِكَ القَلْبُ الكَسِيْرُ

٥ـ .... وَصْلٌ لَدَيْكُمْ .... تَدُوْرُ

---

[٢٦] أخذ المعنى من قوله تعالى: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ). سورة المدثر: الآية ٢٨.

[٢٧] مطلع القصيدة ورد في صنعة الدكتورة هالة ١١٩.

٦_ سَهِرْنَا فِي مَحَبَّتِكُمْ وَ نُمْتُمْ .... سَعِيْرُ[٢٨]

٧_ وَدَارَتْ أَكْؤُسُ الصَّهْبَاءِ[٢٩] نَحْوِي وَ أَكْوَاسُ الغَرَامِ لَنَا تَدُوْرُ

٨_ فَلَوْ يَقْضِي التَّلَاقِي لَاشْتَكَيْنَا مُشَافَهَةً بِمَا تُخْفِي الصُّدُوْرُ

٩_ وَ صَحَّ لَكُمْ بِأَنَّا قَدْ صَبَرْنَا عَلَى مَا لاَ تُكَابِدُهُ الصُّخُوْرُ

١٠_ ظَمِئْنَا فِي هَوَاكُم أَهْلَ وُدِّي وَ عِنْدَكُمْ صَفَا العَذْبُ النَّمِيْرُ

١١_ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنْ نَيْلِ الثُّرَيَّا طَوِيْلٌ مَنْ لَهُ بَاعٌ قَصِيْرُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٢_ ١٧٣.

٣١

قال: في جسر ...... بدمشق: [الطويل]

١_ ..... بالجِسْر .... قَطَعْتُهُ طَوِيْلٌ وَلَكِنْ بِالسُّرُوْرِ قَصِيْرُ[٣٠]

٢_ ....ظِبَاءُ الأنْسِ تَلْعَبُ بِالنُّهَى يَمِيْنًا يَسَارًا وَالمَشُوْقُ أَسِيْرُ

٣_ .... ظَبْي فَالجُفُوْنُ خَمَائِلٌ وَ إِنْ سَارَ عَنَّا فَالقُلُوْبُ تَسِيرُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٥.

٣٢

قال من قصيدة في سلطان إفريقية يحيى بن عبد الواحد: [البسيط]

١_ أَذَاكَ رَبْعُهُمُ أَمْ خَانَكَ النَّظَرُ ؟ حَقَّقْتَ شَوْقًا وَ لاَ عَيْنٌ وَ لَا أَثَرُ

٢_ الحُبُّ لاَ يُبْصَرُ الأَعْلاَمَ صَاحِبُهُ وَ قَدْ يَرَى غَيْرَ شَيءٍ أَنَّهُ القَمَرُ

٣سَارُوْا فَصَارَ ضِيَاءُ الصُّبْح جُنْحَ دُجَى وَ كَمْ لَنَا مِنْ لَيَالٍ كُلُّهَا سَحَرُ

٤_ وَلَّى الوِصَالُ وَجَاءَ الصَّدُ يَخْلُفُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِعَدْنٍ بَعْدَهَا سَقَرُ ؟

٥_ لاَ لَسْتُ أَنْسَى وَقَدْ رَسَتْ هَوَادِجُهُمْ فَخِلْتُهَا أَضْلُعِي عَاجَتْ بِهَا الفِكَرُ[٣١]

٦_ وَقَدْ عَلاَهَا احْمِرَارٌ مِنْ تَزْخرُفِهِمْ فَقُلْتُ: هَيَّجْتُمُوْهَا هَذِه الشَّرَرُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٥.

٣٣

قال في إهداء خيري: [السريع]

١_ سَارَ لَكَ الخَيْرِيُّ يَا سَيِّدِيْ عَنِّي لَمَّا فَاتَنِيْ السَّيْرُ

٢_ وَ إِنَّ أَوْلَى تُحْفَةٍ أُهْدِيَتَ مَا كَانَ فِي أَوَّلِهَا خَيْرُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٠.

---

[٢٨] ذكر المحققان: (ترجم الكلام بلاصق ورقي ذهب بمعظم هذين البيتين).

[٢٩] الصَّهْبَاءُ: اسم من أسماء الخمر وهي المعصورة من عنب أبيض.

[٣٠] ذكر المحققان: (هذا البيت وحده في المغرب: ٢/ ١٧٥).

[٣١] هذا البيت والذي يليه ذكره عياد في صنعته.

٣٤

قال: [الكامل]

١ ـأَسْرِي بِلَيْلِ الشّعْرِ مِنْـهُ إلى النقَا | وَ يُصْبِحُ وَجهُ لِلْعَذيْبِ[٣٢] أَسِيْرُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٨.

٣٥

قال في إهداء فرس أدهم أغر: [السريع]

١ ـ خُـذْهُ كَمِثْلِ اللَّيـلِ في لَوْنـهِ | غُرَّتُـهُ فِي وَجْهِــهِ بَـدْرُهُ

٢ ـ جَاءَكَ يُزْهَــى بِــهِ مُسْتَبْشِـرًا | فَـلاحَ فِي غُرَّتِـــهِ بِشْـــرُهُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٠.

٣٦

قال في شمعة: [الطويل]

١ ـ وَعَاشِـقَةٍ لَوْنًا مُـعَشَّـقَةٍ مِنْهَا | تَذُوْبُ غَرَاماً فِي الظَّـلاَمِ وَ مَا تَـدْرِيْ

٢ ـ جَرَى دَمْعُهَا حَتَّى غَدَا كَسَّــلاَسِلِ | عَلَيْهَا وَ لَمْ تَبْرَحْ مَدَى اللَّيْلِ فِي أَمْرِ

٣ ـ وَرَامَتْ لَهَا بِالفَجْرِ تَخْلِيْصَ صَحْبَةٍ | فَفُضَّتْ حَيَـاءً عِنْدَ مَطْلَعِ الفَجْـرِ

٤ ـ وَدِدْتُ وَ قَدْ لاَحَتْ كَلَـوْنِي أَنَّـنِي | أَزِيْدُ لَها فِي عُمْرِهَا مِنْ مَدَى عُمْرِيْ

٥ ـ فَقَد بِتُّ مِنْهَا مُبْصِرًا مَا يَجِنُّـهُ | دُجَى اللَّيلِ مِنْ ضدَّيْنِ للطرس[٣٣] وَالِحبرِ

٦ ـ وَكُنْتُ بِـهَا أَغْنَى الأَنَامِ بِلَيْلَتِي | أُرَدِّدُ طَرْفِي فِي لُجَيْنٍ وَفِيْ تِبْرِ [٣٤]

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٨.

٣٧

قال: أنشدت البيت الثاني لأحد المغاربة، وكلفت أن أزيد عليه، فقلت الأول: [الكامل]

١ ـ فَصْلُ الرَّبِيْعِ مُبَشِّرٌ بِمَسَرَّةِ الد | دُنْيَا لِـذَلِـكَ يَبْسِمُ الزَّهْـرُ

٢ ـ لَوْ لَمْ يَكُنْ عُرْساً لَمَا نَـقِشَتْ | فِيْهِ الـرِّيَاضُ وَ خُضِّبَ النَّهْـرُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢١٠.

٣٨

ومن قصيدة: [البسيط]

١ ـفَتِّشْ نَسِيْمَ الصَّبَا إِنْ زَارَكُمْ سَحَرَا | فَـإِنَّ فِي طَـيِّـهِ نَـشْـرًا لأَسْرَارِ

---

[٣٢] العَذِيْبُ: بظاهر الكوفة، والعذيب أيضاً لبني تميم وكذلك بـارق، وفي الخبر أن عسكر المسلمين لما توجّهوا إلى عدوِّهم نزلوا العذيب. (الحميري، ١٩٨٠م، ٤٠٩)

[٣٣] الطِرْسُ: الصحف.

[٣٤] تِبْرِ: ذهب.

٢ـ أَوْدَعْتُـهُ مِنْ سَـلاَمِيْ كُلَّ عَاطِرَةٍ   يَـفَضُّ دَارِيْـنَـهَا [٣٥] مِسْكًا مِنَ الدَّارِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٥.

٣٩

قال: لم أسمع لشاعر استعارة الخيل للأغصان والفوارس للحمام، فلما اهتديت إلى هذا ولع به شعراء العصر فقبسوا واغاروا عليه...قصيدة في متنزهات .... في وصف البكور: [مخلع البسيط]

١ـ وَ قُلْتُ لَـمَّا انْـجَلَـى صَبَـاحُ   أَهْــدَى سُــرُوْرًا لِكُــلِّ سَـــار

٢ـ ....   والأُفْــقُ مِــنْ عَـنْـبَــــرِ وَ نَـارِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٢. وقد ذكر المحققان: (ألصقت ورقة فطمست أوائل الأسطر الخمسة الآتية بمحاولة إصلاح جائر).

٤٠

... في الأندلس وأماكنها ... البلاد، منها ما أوردته في ترجمة ... مع ما عارضني به واقتضته .. في الفرجة.

قلت : [الطويل]

١ـ مَا زِلْتُ أَكْرَعُ في الزُّجَاجَةِ أَوْدَعَتْ   الغَـزَالَـة نَـرْجِـسُ. .... [٣٦]

٢ـ فَتَـرَكْـتُـهَـا ....   نَـشْـوَتُـهَا عِنْدِي أَلَذُّ مِـنَ السُّـكْـر

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٧.

٤١

ومن الأبيات: [الطويل]

١ـ أَلاَ إِنَّ خُلْقَ المَغْرِبِيَّ مُوْعِرٌ [٣٧]   وَصُحْبَتُهُ مِثْلَ الرُّكُوْبِ لَدَى البَحْرِ

٢ـ وَعَصْفٌ وَ أَمْوَاجٌ وَمَلحٌ وَرُبَّمَا   يُكَابِدُهُ الـغَـوَّاصُ حِرْصًا عَلَـى الدُّرِّ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٨.

٤٢

ومن قصيدة [الطويل]

١ـ خُرُوْجٌ مِنَ الغَمَّاءِ فِيْ كُـلِّ مَعْرَكٍ   كَـأَنَّ المَنَـايَا لاَ تَهُـوْنُ وَلاَ تَــدْرِيْ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٩.

---

(٣٥) دَارِيْنُ: دَارِيْنُ: اسم موضع بالبحرين يجلب إليها المسك الجيّد من الهند، فيقال مسك دارين، فان بالغوا في وصف الشّيء بالطّيب، قالوا: "أطيبُ من مسك دارين". (ياقوت الحموي، ١٩٩٥م، ٢/ ٤٣٢).

(٣٦) ذكر المحققان: (كذا البيتان في الأصل، وتلاشى فيهما بسبب الرطوبة بعض الكلات، ولم يجريا على البحر الطويل تماما).

(٣٧) قال المحققان: (هكذا اللفظة في الأصل، ولو قال: لموعر لأصاب الوزن).

٤٣

قال في إهداء فرس أدهم: [الوافر]

١ _ أَلاَ خُذْهُ فَقَدْ أَضْحَى مُغَشَّى بِأَرْدِيَةِ الشَّبِيْبَةِ لِلمَسِيْرِ

٢ _ وَ لَمَّا أَنْ بَدَا كَاللَّيْلِ ثَوْبَاً بَعَثْتُ بِهِ إِلَى القَمَرِ المُنِيْرِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٧ _ ١٩٨.

٤٤

قال في إهداء الخيار: [الوافر]

١ _ بَوَاكِرٌ لِلْخِيَارِ بَدَتْ فَقُلْنَا: أَ نَبْعَثُهَا لِمُزْرٍ بِالدَرَارِي ؟ [٣٨]

٢ _ فَقَالَ: تَجَانِسُ الأَسْمَاءِ حَثًّا أَ لاَ تَهْدِي الخِيَارِ إِلَى الخَيَارِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٠.

٤٥

قال: كان لي غلام قد تأدب، ولم أكن أسمح ببيعه فأغووه، حتى لم يبق فيه صلاح للخدمة، فبعته بنصف ما اشتريته به في الشام : [الخفيف]

١ _ لَيْتَ بَغْدَادَ لَمْ تَكُنْ لِي دَارًا إِنَّهَا لِلْغَرِيْبِ دَارُ الغُرُوْرِ

٢ _ بَانَ رُوْحِيْ بِهَا عَنِ الجَسَدِ النَّا حِلِ وَاسْتَبْهَمْتْ عَلَيَّ أُمُوْرِيْ

٣ _ وَ لَقَدْ قُلْتُ وَ الَّذِي قَدَّرَ البيـ ـنَ عَلَيْمٌ بِخَافِيَاتِ الأُمُوْرِ

٤ _ عِزَّ نَفْسَاً عَنِ الَّذِيْ غَيَّرَتْهُ عَنْ أَمَانِيْكَ حَادِثَاتُ الدُّهُوْرِ

٥ _ فَبَعِيْدٌ خُلُوْصُ تِلْكَ السَّجَايَا بَعْدَمَا كُدِّرَتْ يَبْغِي وَزُوْرِ

٦ _ وَ إِذَا الخَمْرُ أَصْبَحَتْ وَ هْيَ خَلٌّ فَمُحَالُ رُجُوْعُهَا لِلْسُّرُوْرِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠١ _ ٢٠٢.

٤٦

قال وقد جرى تفضيل النظم على النثر، ومر بخاطري بحور العروض: [الوافر]

١ _ بُحُوْرُ الشِّعْرِ أَوْلَى بِاللآلِيْ إِذَاَ نَظَّمْتُهَا فِي كُلِّ عُمْرِ

٢ _ فَلاَ تُوْدِعُ كَلاَمَكَ غَيْرَ نَظْمٍ فَهَل دُرٌّ يَكُوْنُ بِغَيْرِ بَحْرِ ؟

التخريج: عرائس الأدب: ٢١٠.

٤٧

قال: [الكامل]

١ _ لاَ تَعْجَبُوْا إِنْ قَصَّرَ اللَّيْلُ الَّذِي قَدْ مَرَّ كَالطَيْرِ المَشُوْقِ لِوكْرِهِ

---

[٣٨] الدَّرَارِي: أي الدرر.

٢ _ لَمَّـا رَآنِي شَـارِبًا مِنْ أَكْـؤُسٍ مِثْلَ الكَـوَاكِـبِ مَرَّ خِـيْفَـةَ زَهْرِهِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٨.

٤٨

قال : [مجزوء الكامل]

١ _ يَا أَهْلَ مِصْـرَ إنَّ سِحْـــ رًا فِيْكُـــمُ قَــدْ زَادَ آخِـرْ[٣٩]

٢ _ عَوَّضْتُمُـوْهُ مِــنْ جِبَـا لَـكُمُ بِحَـيَّـات الضَّـفَائِـــرْ

٣ _ مِنْ كُـلِّ غُصْـنٍ فِي نَـقَـا عَنْ مِثْلِ بَـدْرِ التـِّمِ سَـافِـــرْ

٤ _ يُضْحِـي إِذَا لاَقَيْـتُـــــهُ لِي جَـارِحـًا وَ الجِفْـنُ كَـاسِـرْ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٥ _ ١٨٦.

٤٩

قال: [الطويل]

١ _ أَقُوْلُ وَقَـدْ لاَحَ العِــذَارُ بِخَـدِّهِ فَلاَمُوْا عَلَى أَنْ ظَلَّ يَرْتَادُهُ البَصَرْ:

٢ _ أَلَيْسَ يَـزِيْدُ العَيْنَ نُوْرًا إِذَا غَدَتْ مُدَاوَمَةً فِي المَاءِ والخُضْرَةُ النَّظَرْ؟[٤٠]

٣ _ وَ خَدُّ الَّـذِيْ أَهْوَى تَرَقْرَقَ مَاؤُهُ وَرَقَّتْ عَلَى أَرْجَائِـهِ خَضْرَةُ الشَّعرْ

التخريج: عرائس الأدب: ٢١١.

٥٠

قال ابن سعيد: رحلت إلى حلب، وصورت للسلطان الناصر صورة بلاد المغرب، وكتبت معها: [مجزوء الكامل]

١ _ يَا نَـاصِـــرَ المُلك الَّذِيْ الـ آفَـــاقُ مِنْــهُ مُسْفِـــرهْ

٢ _ كُلُّ البِـلاَدِ بِـمَـــا يُـحَـــدْ دَثُ عَنْـكُـــمُ مُسْتَبَـشِـــرهْ

٣ _ هَـذِي بِـلاَدُ الـغَـرْبِ قَـــدْ بَسَطَـتْ إِلَيْـكَ الـمَـعْـذِرهْ[٤١]

٤ _ لَمَّـا نَـأَتْ أَقْطَـــارُهَـــا جَـــاءَتْ إِلَـيْكَ مُـصَـــوَّرهْ

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٤.

السين

٥١

قال في إهداء فرس ورد أغر: [الطويل]

١ _ وَ وَرْدٍ كَلَوْنِ الوَرْدِ أَصْبَحَ لاَبِسًا مِنَ الحُسْنِ ثَوْبًا عُمْرَهُ لَا يُدَنَّسُ

---

[٣٩] كذا ورد البيت في الأصل مع ما به من خلل عروضي.

[٤٠] عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: (ثلاث يجلين البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن). وسائل الشيعة: الحر العاملي: ٢٠/ ٦٠.

[٤١] هذا البيت والذي يليه وردا في مستدرك بنات: ١٣/ ١٩٢.

٢ _ جَوَادٌ غَدَا نَحْوَ الجَوَادِ مُوَجِّهًا   فَمِنْ ذَاكَ أَضْحَى وَجْهُهُ لاَ يَعْبَسُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٨.

٥٢

قال في غلام ... غرق في خليج نهرها الأعظم: [الوافر]

١ _ أَهُشُّ إِلَى الخَلِيْجِ .... تَهْفُوْ   بِهِ رِيْحُ الصَّبَا[٤٢] فَأَحُثُّ كَاسِي

٢ _ وَ اذْكُرُ عَيْشَهُ بِكَ يَا عَلِيًّا[٤٣]   فَيُمْسِي الكَاسُ بِالعَبَرَاتِ كَاسِي

٣ _ وَ احْسَبُهُ تَقَدَّمَ بَعْدَ فِكْرٍ   فَأَظْهَرَ لِلْعُلَى زُرْقَ اللِّبَاس

٤ _ لَحَاهُ اللهُ [٤٤] مِنْ دِرْعٍ خَؤُوْنٍ   تَحَيَّلَ صَارِمًا عِنْدَ اللَّمَاسِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٢.

٥٣

قال: [الكامل]

١ _ ....   فِيْهَا عُيُوْنُ نَهَارِهَا وَ النَّرْجِس

٢ _ .... خَلْفَ الغُصُوْنِ المُيَّس[٤٥]

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٨.

العين

٥٤

قال على جهة المداعبة: [الطويل]

١ _ إِذَا قَامَ ....عِنْدَكُمْ كَيْفَ أَصْنَعُ ؟   وَ قَدْ أَقْفَرَتْ مِنْهُ رُسُوْمٌ وَ أَرْبُعُ

٢ _ يَظَلُّ كَذِيْ نُسْكٍ يَصُوْمُ نَهَارَهُ   وَبِاللَّيْلِ يَبْكِيْ فِي الفِرَاشِ وَ يَرْكَعُ

٣ _ قَسَوْتُمْ عَلِيْهِ وَهْوَ بَاكٍ عَلَيْكُمْ   وَ جَازَيْتُمُوْهُ بِالجَفَا وَ هْوَ مُوْلَعُ

٤ _ وَ عَلَّمْتُمُوْهُ أَنْ يُلِحَّ فَكُلَّمَا   نَهَتْهُ النُّهَى عَنْ ذِكْرِكُمْ لَيْسَ يَسْمَعُ

٥ _ أَقِيْمُوْا لَهُ فِي الودِّ حَقَّ قِيَامِهِ   وَشُكْرٍ يَضُوْعُ الدّهرَ وَهْوَ مُضِيَّعُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٩.

٥٥

قال في عتاب: [الطويل]

١ _ تَضَوَّعَ شُكْرِي وَهْوَ فِيْكُمْ مُضَيَّعُ   وَلِي الذَّنْبُ إِذْ أَسْمَعْتُ مَنْ لَيْسَ يَسْمَعُ

---

[٤٢] رِيْحُ الصَّبَا: رياح معتدلة تأتي من المشرق، وهي رياح معروفة عند العرب كواحدة من أمهات الرياح الأربع، وسميت كذلك لأنها رياح طيبة تصبو أو تحن إلى الكعبة المشرفة،

[٤٣] إشارة إلى اسم الغريق.

[٤٤] لَحَاهُ اللهُ: قبحه ولعنه.

[٤٥] المُيَّسُ: جمع مياس ، وهو المتبختر.

٢ _ قَطَعْتُ لَدَيْكُمْ جُلَّ عُمْرِي تَعَلُّلاً وَ قَلْبِي مِنْ تَسْوِيفِكُمْ يَتَقَطَّعُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٩.

٥٦

قال: [المديد]

١ _ عَرَفَتْ عَيْنَايَ أَرْبُعَهَا حَيْثُ أَجْرَى الشَّوْقُ أَدْمُعَهَا

٢ _ ذَكَرَتْ شَمْساً بِهَا غَرَبَتْ فَغَدَتْ تَرتَادُ مَطْلَعَهَا

٣ _ لَمْ يُزِلْهَا الذِّكْرُ مِنْ خَلَدِي فَكَأَنِّي دَائِماً مَعَهَا

٤ _ فَلِهَذَا وَالهَوَى عَجَبٌ أَحْمَدُ الأَوْقَاتَ أَجْمَعَهَا

٥ _ يَا رُسُوْماً فِي الصّدُوْرِ لها رَسْمُ شَوْقٍ فَضَّ أَضْلُعَهَا

٦ _ هَل الأَيَّامُ لَنَا سَلَفَتْ عَوْدَةٌ حَتَّى نُودِّعَهَا ؟

٧ _ مَا فَطِنَا عِنْدَمَا ذَهَبَتْ يَا لَهَا مَا كَانَ أَسْرَعَهَا !

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٣ _ ١٧٤.

٥٧

قال: [الطويل]

١ _ لِمَنْ أَوْجُهٌ مِثْلَ البُدُوْرِ الطَّوَالِعُ بَدَتْ سَافِرَاتٍ مِنْ خِلاَلِ البَرَاقِعِ ؟

٢ _ تَجَلَّتْ وَلَا أُفْقٌ سِوَى كُلِّ ناظِرٍ وَ وَلَّتْ وَ لاَ غَرْبٌ بِغَيْرِ الأَضَالِعِ

٣ _ وَفِيْهِنَّ مَنْ يَهْفُوْ الفُؤَادُ لِذِكْرِهِ وَ تَنْهَلُّ فِيْهِ هَاطِلاتُ المَدَامِعِ

٤ _ غَزَالٌ عَلَيْهِ لِلْقَبُوْلِ عَلامَةٌ وَ فِي وَجْهِهِ مِنْ حُسْنِهِ أَلْفُ شَافِعِ

٥ _ وَيَهْفُوْ لِوَاءُ الشَّعْرِ مِنْهُ إِذَا انْثَنَى عَلى غُصُنٍ لَدْنِ[٤٦] المَعَاطِفِ يَانِعِ

٦ _ عَلِمْتُ بِهِ أَنَّ الغَرَامَ مَذَلَّةٌ وَأَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ خِلاَفَ المَطَامِعِ

٧ _ إِذَا صَبَّرُوْنِي عَنْهُ لَسْتُ بِصَابِرٍ وَ إِنْ عَذَلُوْنِي فِيْهِ لَسْتُ بِسَامِعِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٢.

٥٨

قال: [الطويل]

.... صُفُوْفٌ مِنَ الأَثْمَارِ تَرْقُصُ لِلْبيَاعْ

....

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٣.

---

(٤٦) لَدْنٌ: اللين سهل الانثناء والتشكيل.

٥٩

ومن أبيات [المتقارب]

١ـ أَتى عَاطِلُ الجِيْدِ عِنْدَ الوَدَاعِ فَقَلَّدتُـهُ بِجُمَانِ الدُّمُوْعِ

٢ـ وَ اخْلَى المَنَازِلَ بِالمُنْحَنَى فَأَسْكَنْتَهُ حَانِيَاتِ الضُّلُوْعِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٠.

الفاء

٦٠

قال: [الطويل]

١ـ .... وَ يَعْرِفُ وَ غَيْرُكَ .... يَمْدَحُ فَيُضْعِفُ

٢ـ إِذَا لَمْ يَكُنْ ... ... فِيْكَ مَحَبَّةٌ .... لِلْعُلَى تَتَكَلَّفُ

٣ـ فَلاَ حَمَلتْ رِجْلاً إِلَيْكَ مَطِيَّةٌ وَ لاَ كَانَ .... يَهْتِفُ

٤ـ إِذَا طَلَبُوْا الأَخْيَارَ لَسْتَ بِحَاتِمٍ وَلا أَنْتَ إِنْ مَالُوْا إِلى الحُسْنِ يُوْسُفُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٩.

٦١

قال: خرجت مع الصاحب كمال الدين بن العديم في وادي بزاعة، صرنا إلى تاذف، وهناك موضع قد....، ببطنان عيونا في نهاية الحلاوة، وقد قام على جوانبها صفوف من أشجار... والذلب في نهاية من الحسن، فقلت: [الطويل]

١ـ رَعَى اللهُ أَيَّاماً تَوَلَّتْ بِتَاذِفٍ[٤٧] سَوَالِفَ تَحْكِيْ خَالِيَاتِ السّوَالِفِ

٢ـ بِوَادٍ عَلَيْهِ لِلْغُصُوْنِ تَعَطُّفٌ .... المَعَاطِفِ

٣ـ وَ مَالَ عَلَيْهِ الدَّوْحَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ يُقَتِّلُ .... المَرَاشِفِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨١.

٦٢

قال: [المجتث]

١ـ للهِ قَدُّكَ غُصْنَا بِزَفْرَتِيْ لَيْسَ يَلْطُفْ

٢ـ دَمْعِي الطَّلِيْقُ أَسِيْرٌ لَدَيْهِ وَ هُوَ مُثَقَّفْ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٧.

---

[٤٧] تَاذِفُ: قرية تبعد عن حلب أربعة فراسخ من وادي بطنان من بزاعة. (ياقوت الحموي، ١٩٩٥م، ٢/ ٦).

٦٣

قال في إهداء لوز: [الوافر]

١ـ تَقَبَّلْهُ فَدَّيْتُكَ فَهْوَ طُعَمُ   يَمِيْلُ إلى هَدِيَّتِهُ الظَّرِيْفُ

٢ـ كَأَنَّ زَبَرْجَدًا يَحْوِي نُضَارًا[٤٨]   حَوَى دُرًّا لَهُ صَدَفٌ لَطِيْفُ

التخريج: عرائس الأدب:٢٠٠.

٦٤

قال: [الكامل]

١ـ غَرِّبْ وَشَرِّقْ لَيْسَ تَلْقَى غَيَر تَكـ   ـلِيْفٍ وَ لَوْ جَاوَزْتَ حَيْزُ قَافِ

٢ـ أَوْ مَا تَرَاهُمْ كَلَّفُوْنِي عِنْدَ تَشْـ   ـرِيْقِي زِيَادَةً نُقْطَةٍ فِي القَافِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢١٢.

القاف

٦٥

ومن قصيدة: [مجزوء الكامل]

١ـ أَحْبَابَنَا كَانَ الفَرا   قُ مُقَدَّرًا فَمَتَى اللِّقَا ؟

٢ـ مَا ذِقْتُ طَعْمَ العَيْشِ بَعْـ   ـدَ كُمُ وَ لَا اخْتَرْتُ البَقَا

٣ـ يَكْفِيْكُمُ أن النَّعِيـ   ـمَ لِبُعْدِكُمْ عِنْدِي شَقَا

٤ـ وَ لَوْ[٤٩] أَنَّ يَوْمَ لِقَائِكُمْ   وَافَى لأَلْفَانِي لَقَا

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٤ـ ١٧٥.

٦٦

قال في إهداء فرس أصفر: [الطويل]

١ـ وَ أصْفَرَ فِي لَوْنِ الأَصِيْلِ كَأَنَّمَا   عَلَيْهِ إلى لُقْيَاكَ خِلْعَةُ عَاشِقِ

٢ـ .... سَابِقًا فَبَعَثْتُهُ   لِخَيْرِ جَوادٍ فِي المَكَارِمِ سَابِقِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٨ .

٦٧

قال ببغداد قصيدة منها: [الخفيف]

١ـ قُلْ لِبَرْقِ الشَّامِ عُجَّ بِالعِرَاقِ   وَ أَرِقْ بِالفُرَاتِ مَاءَ المَآقِي

٢ـ وَإذَا أُفْرِغَتْ دُمُوْعُكَ فِيْهِ   فَاسْتَعِرْ فَيْضَ أَدْمُعَ العُشَّاقِ

---

(٤٨) نُضَارٌ: ذهب خالص.

(٤٩) كذا وردت اللفظة في الأصل والصواب حذف الواو ؛ ليستقيم الوزن.

٣ـ وَاطِلْ بِالصَّرَاةِ [٥٠] لَفْحًا وَ خَفْقًا وَ اقْتَبِسْ نَارَ قَلْبِي الخَفَّاقِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٢.

٦٨

قال من قصيدة: [الخفيف]

١ـ هَكَذَا الشِّعْرُ كَالمُهَنَّدِ جَزْلٌ فِي مَعَانِيهِ ذُوْ حَوَاشٍ رِقَاقِ

٢ـ مَغْرِبِيٌّ المَعْنَى وَ لَكِنْ عَلَيْهِ نَفِثَاتٌ مِنْ سِحْرِ لَفْظِ العِرَاقِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٨.

٦٩

قال: [البسيط]

١ـ كَأَنَّمَا كَوْكَبُ الإِصْبَاحِ حِيْنَ بَدَا سَارٍ يَحِيْكُ بِرُوْضٍ حُمْرَةَ الشَّفَقِ

٢ـ مَا زَالَ يَكْرَعُ فِيْهَا اليَوْمَ مُرْتَوِيًا حَتَّى يُفَرِّعُ مِنْهَا مَفْرَعَ الأُفُقِ

٣ـ فَإِنْ بَدَا لَكَ حُمْقٌ فِي تَصَرُّفِهِ فَكَثْرَةُ السُّكْرِ أَدَّتْهُ إِلى الحَمَقِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢١١.

الكاف

٧٠

ومن قصيدة: [الطويل]

١ـ وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَى العُلَى فَلاَ تُنْكِرُوْا أَنْ يُسْتَبَاحْ حِمَاكُمْ

٢ـسَلَلْتُمْ سُيُوْفَ البَغْي فِي ذَاتِ بَيْنِكُمْ وَ مَهَّدْتُمْ العُلْيَا لِنَيْلِ سِوَاكُمْ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٠.

٧١

قال في إهداء نيلوفر: [السريع]

١ـ نِيْلُوْفَرُ قَدَّمْتُهُ مُتْحِفًا فَاقْبَلْهُ يَا مَوْلَايَ مِنْ عَبْدِكَا

٢ـ أَهْدَيْتُهُ إِذْ لاَحَ لِي كُلُّهُ أَلْسِنَةً تُثْنِي عَلَى مَجْدِكَا

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٩.

اللام

٧٢

قال: [الرمل]

١ـ .... مَا تَمَّ لِي نَجَحَ السَّعْيُ وَ صَحَّ الأَمَلُ

---

[٥٠] الصَّرَاةُ: نهر ينشعب من الفرات صري عنه أي انقطع؛ ليجري إلى بغداد (الحميري، ١٩٨٠، ٣٥٧).

٢ _ وَ الَّذِي .... أَعْشَقُـــهُ وَ مَـدِيْحِـيْ فِي حُـلاَهُ غَـزَلُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٣.

٧٣

قال وقد صحب قوما في طريق بغداد على الصفة المذكورة: [مخلع البسيط]

١ _ لاَ قَــرَّبَ اللُّه دَارَ قَـــوْمٍ الـشَّـرْحُ فِي ذَمِّـهِـمْ يَـطُـوْلُ

٢ _ كَلاَمُـهُـم كُـلُّــهُ كَـــلاَمٌ وَ فَضْلُـهُـمْ كُـلُّـهُ فُضُــوْلُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠١ .

٧٤

قال: [البسيط]

١ _ هَلْ لِي سَبِيْلٌ إِلَى لُقْيَاكَ أَوْ أَمَـلُ ؟ ضَاقَتْ وَ حَقّكَ بي فِي أَمْرِكَ الحِيَلُ !

٢ _ إِذَا دَنَوْتَ فَـلاَ عَطْـفٌ وَ لاَ صِلَـةٌ وَ إِنْ نَأَيْتُ فَلاَ كُتُبٌ وَ لاَ رُسُـلُ

٣ _ أَ ظَنَّ قَلْبَكَ يَـا مَـوْلاَي مِنْ حَجَر قَلْبِي تَـقَـطَّـعَ وَ الهِجْرَانُ يَتَّصِـلُ

٤ _ مَـا عَـذَّبَ اللهُ إلاَّ كُلَّ ذِيْ بَصَر قَدْ غَـرَّهُ ذَلِكَ التَّـقْيِيـدُ وَ الخَجَلُ

٥ _ إِنَّ الجَمَالَ بِـذَاكَ الخَـدُّ أَقْرَأَنِي مِنَ الحَيَاءِ سُطُوْرًا ضِمْنَهَا الأَجَلُ

٦ _ يَفْنَى الزَّمَانُ وَلاَ يَفْنَى الغَرَامُ بهَا وَ نَارُهَا أَبَدًا فِي القَلْبِ تَشْتَعِـلُ

٧ _ يَا مَنْ تَمَلَّكَ رُوْحِي وَهْوَ يُتْلِفُهَا باللِه باللهِ كَمْ تَجْنِي وَ أَحْتَمِـلُ ؟

٨ _ فَإِنْ وَقَفْتَ عَلَى رَسْمٍ تُسَائِلُـهُ فَقِفْ عَلَيَّ جِسْمِيْ فِي الهَوَى طَلَلُ

٩ _ وَ إِنْ مَنَنْتَ بِتَوْدِيْعِ لِمُرْتَحِلِ فَامْنِنْ عَلَيَّ فَرُوْحِي سَوْفَ تَرْتَحِلُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧١ .

٧٥

قال: [الطويل]

١ _ عَجِبْتُ لَهُ غُصْنًا غَدَا غَيْرَ مَائِلِ إِليَّ وَ قَلْبِي نَحْـوَهُ الدَّهْـرَ مَائِــلُ

٢ _ وَ أَعْجَبَ مِنْ ذَا أَنْ جُنِنْتُ بِحُبِّهِ وَ لاَحَتْ عَلَيْهِ مِنْ عِذَارِ[٥١] سَلاَسِلُ

التخريج: عرائس الأدب: ٢١١.

٧٦

قال عند انفصالي عنها وقد نظرت إلى زورائها وخفوق دجلتها: [الكامل]

١ _ وَدَّعْتُ دِجْلَةَ وَهْيَ تَعْطِفُ جِيْدُهَا نَحْوِي وَيَخْفِقُ صَدْرُهَا لِرَحِيلِي

٢ _ فَلأَحْكِينَّ مَسِيْلَهَا بِمَدَامِعِــي وَ لأَذْكُـرَنَّ خُفُوْقَهَا بِعَوِيْلِـي

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٨.

---

[٥١] عِذَارٌ: شباب.

٧٧

قال : [المجتث]

١ _ قَـالُـوْا : حَـبِـيْـبُـكَ غَـالٍ فَـقُـلْـتُ: بَـلْ هُـوَ عَـالِ

٢ _ مِـثْـلِـي إِذَا لَـمْ .... بَـخَـلْـتُ فِـيـهِ بِمَـالِـيْ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٩ .

٧٨

قال من قصيدة: [الوافر]

١ _ وَ لَوْ عَدَتْ السَّحَابَ بِهَا جُنُونًا وَ مِنْ قُزَحٍ[٥٢] عَلَيْهَا كالسَّلاَسِلْ

ومنها:

٢ _ وَ خَـيْـرُ الشَّـعْـرِ مَا أُوْلاهُ تَبْدُوْ كَـأَسْـحَارٍ وَ أُخْـرَاهُ أَصَـائِـلْ[٥٣]

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٣.

٧٩

قال: أشار إلي نائب السلطنة بالشام الأمير الكبير جمال الدين ابن يغمور أن أنظم له فيما يخاطبه به بعد رحيله من دمشق إلى مصر مقطعات، فقلت: [الكامل]

١ _ الشَّـوْقُ أَعْظَمُ أَنْ يُعَبِّرَ نَاطِـقٌ عَـنْـهُ إِلى ذَاكَ الـجَـنَـابِ الـعَالِي

٢ _ شَـوْقٌ إِذَا هَـزَّ الـجَـوَانِـحَ ذِكْـرُهُ كَـادَتْ تَـطِـيْـرُ لِـكَـعْـبَـةِ الآمَـالِ

٣ _ مَلِكِ الـمُلُوْكِ وَمُسْبِغُ النُّعْمَى الَّتِي حَـالِي بِـهَـا بَـيْـنَ الـخَـلاَئِـقِ حَالِي

٤ _ كَانَـتْ لَـيَالِي الـعِيْدِ أَيَّامًا فَـقَـدْ أَمْـسَـتْ لَـهُ الأَيَّـامُ وَ هِيَ لَـيَـالِي

٥ _ إِنْ كَانَ فِي مَنْ قَـدْ أَقَامَ فَـرُوْحُـهُ مَـعَ هِـمَّـةِ الـعَـلْـيَـاءِ فِي تَرْحَـالِ

٦ _ اللهُ يَـمْـلَأُ بِالـبَـشَـائِـرِ أُفْـقَـهُ وَ يَـزِيْـنُـهُ مِـنْ شُـكْـرِهِ بِـلآلِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٤.

٨٠

قال: [الوافر]

١ _ أَمِنْتُ جُـفُـوْنَـهُ لَمَّا بَـدَى تَبَدَّى وَ خَـطُّ الشَّـعْـرِ فِي خَـدَّيْـهِ مَائِـلْ

٢ _ وَ اغْـمَـادُ السُّيُـوْفِ تَكُـوْنُ إِلاَّ إِذَا اقْـتَـرَنَـتْ بِـتَـعْـلِـيْقِ الـحَـمَائِـلْ

التخريج: عرائس الأدب: ٢١١.

---

[٥٢] قَزَحٌ: قوس ملون بألوان سبعة يظهر عند نزول المطر وطلوع الشمس، قيل هو ملك موكل بالسحاب.

[٥٣] هذا البيت ورد في صنعة الهواري: ١٦١.

٨١

قال في إهداء عنب أسود: [الكامل]

١ _ مَوْلاَيَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ فِي العُلَى	فَرْدًا وَ قُرْبُكَ لِلأَمَانِي مَغْنَمَا
٢ _ فَكَّرْتُ فِي إِتْحَافِ مَجْدِكَ خَادِمًا	فَوَّضْتُهُ حَبَّ القُلُوْبِ مُنَظَّمَا

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٩.

٨٢

قال: [الطويل]

١ _ أَنَارَ لَكُمْ هَدْيُ الإِمَامِ فَيَمِّمُوْا	وّ لاَحَتْ لَكُمْ دَارُ السَّلاَمِ فَسَلِّمُوْا
٢ _ أَقِيْمُوْا بِحَيْثُ المَكْرُمَاتُ مُقِيْمَةٌ	وَ دِيْنُ الهُدَى بَيْنَ البَرِيَّةِ قَيِّمُ
٣ _ وَ لاَ تَنْظِمُوْا الأَمْدَاحُ إِلاَّ مِنَ الَّتِي	تُنِيْرُ بِهَا الآفَاقُ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٨ .

٨٣

قال: كتبت إلى من تباهى به الغرام، وطال الأمل فيه، فلم تنقد بزمام: [الطويل]

١ _ فَدَيْتُكَ هَلْ لِي مِنْ سَبِيلٍ إِلى الذِي	بِهِ أَنْتَ يَا سِرَّ الجَمَالِ عَلِيْمُ ؟
٢ _ فَلِي أَمَلٌ لَا يَنْتَهِي فِيْكَ حَدُّهُ	غَرَامِي لَهُ طُوْلَ الزَّمَانِ غَرِيْمُ
٣ _ أُلَقِّحُهُ فِي كُلِّ حِيْنٍ وَ إِنَّهُ	بِتَوْلِيْدِ مَا أَرْجُوْهُ مِنْكَ عَقِيْمُ
٤ _ وَلاَ حَاجَةٌ لِي _ يَعْلَمُ اللهُ _ غَيرَ أَنْ	تُضِيءَ لِعَيْنِي وَ الزَّمَانُ بَهِيْمُ[٥٤]
٥ _ أُقَطِّعُ قَلْبِي حَسْرَةً بَعْدَ حَسْرَةٍ	وَأَرْجُوْ سَمَاحَ الدَّهْرَ وَهْوَ لَئِيْمُ
٦ _ عَسَى تَغْلَطُ الأَيَّامُ فِيْكَ لِخِلَّةٍ	يَفِيءُ بِهَا يَوْمًا عَلَيَّ نَعِيْمُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٥ .

٨٤

ومن قصيدة قالها في السلطان المعظم ابن أيوب حين كسر الفرنج على دمياط وأسر الفرنسيس: [البسيط]

١ _ هَذِيْ الفُتُوْحُ التِي تُصْغِي لَهَا الأُمَمُ	وَ تَسْتَرِدُّ عَلَى الدُّنْيَا بِهَا الذِّمَمُ
٢ _ بَشَائِرٌ تَمْلأَ الأَرْجَاءَ مِنْ أَرَجٍ	وَ يَسْتَطِيْلُ بِهَا الهِنْدِيُّ وَالقَلَمُ

ومنها:

٣ _ لَمَّا نَهَضْتَ بِجَمْعٍ كُلُّهُ ظَفَرٌ	وَ هِمَّةٌ سَجَدَتْ شُكْرًا لَهَا الهِمَمُ

(٥٤) بَهِيْمٌ: شديد السواد.

٤ _ حِيْنَ البَسِيْطُ بَقُطِنِ الثّلْجِ مُلْتَحِفٌ وَ قَدْ تَـعَمَّمْتِ الأَنَـجَاُد وَالأَكَمُ [٥٥]

٥ _وَالقَرُّ [٥٦]يَقْبِضُ لَدَى البَاسِطِيْنَ وَ لَوْ أَضْـحَوْا وَ كُلُّهُمُ فِي جُـوْدِهِ ....

٦ _ وَ جُودُ كَفِّكَ هَطَّالٌ وَ أُفْقُـهُمُ وَ قَدْ تَـعَارَضَــتْ الآلآءُ وَ الدِّيَــمُ

٧ _ وَ صِرتَ تَقْدُمُهُمْ وَالسَّعْدُ مُتَّضَحٌ أَنَّى تَـوَجَّـهْتَ وَ الإِيْـمَـانُ مُبْتَسِمُ

٨ _ وَ أَنْتَ أَنْتَ وَ لاَ نَـوْمٌ وَ لَا كَلَــلٌ وَ لاَ حِـجَابٌ وَ لاَ بُـخْلٌ ولاَ ...... [٥٧]

٩ _ أَيْقَنْتَ أَنَّك مَنْصُوْرٌ وَ مُنْتَصِرٌ لأُمَـةٍ حَـسَـدَتْهَا فِيْكُـمُ الأُمَـمُ

١٠ _ تَـوارَثَ العَدْلَ أَوْلاَكُمْ وَ آخِـرِكُمْ فَـعُـرْوَةُ المُلْكِ عَنْكُمْ ليْسَ تَنْفَصِمُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٣ .

٨٥

قال : خرجت إلى المزاحمتين... مع زين القضاة ابن الريغي، فرأيت ... وصنعت فيها عدة مقطعات....: [الكامل]

١ _ انْظُرْ جُـيُـوْشَ النِّيلِ قَدْ رَجَفَتْ ....مْ

٢ _ حَيْثُ الـمُزَاحِـمَتَانِ فِي رحْفٍ [٥٨] .... الـحِمَــامْ [٥٩]

٣ _ بِطُـبُــوْلِ رَعْـدٍ وَ الـسُّـيْـو فُ البـرَقِ وَ القَطْــرُ السِّهَـامْ

٤ _ وَ الزَّهْرُ أَبْكَـارٌ تَـطْـلَّـعُ فِيـ ـهِ مِــــنْ سَجْـفِ الكِـمَــــامْ[٦٠]

ومنها:

٥ _ أَ تَذْكُرُ لَـيْـلَـةً بِـتْـنَا بَـهِـيْمــًـا وَ دَنُّ[٦١] الكَأسِ لَـيْـسَ لَهُ فِطَامْ ؟

٦ _ وَ قَدْ نُـشِـرَتْ بُـنُودُ المَوزَ فِيْهَا عَـلَـى خَـيْـلِ فَـوَارِسُـهِا الـحِـمامُ

٧ _ وَ فُتِّـحَـتْ الأَزَاهِـرُ فِي رُبَاهَـــا كَـمَا رُفِـعْـتْ عَـلَـى أَرْضٍ خِـيَامُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨١.

٨٦

قال في حرزم وهي بساتين على نهر تحت ماردين [الوافر]

١ _ بِحَرْزَمَ عُجْ مَعِي إِنْ كُنْتَ مُغرَى بِأَنْ يَـبْدُوْ لَـكَ المَـرْأى الوَسِيْـمُ

---

[٥٥] الأَكَمُ: تلّ صغير، أو موضع يكون أكثر ارتفاعًا ممّا حوله.

[٥٦] القَرُّ: الماء البارد.

[٥٧] يبدو أن الكلمة المفقودة سقم.

[٥٨] رحْفٌ: ما شحذ من السيوف والسكاكين.

[٥٩] الحِمَامُ: الموت.

[٦٠] الكِمَامُ: غلاف الزهرة. والبيت ورد هكذا في الأصل مع ما به من خلل عروضي.

[٦١] دَنٌّ: صوت الخمرة.

٢ _ أَذَابَ الـحُـسْنُ رَوْنَـقَـهُ عَلَـيْـهَا وَ أُضْـحِـكَ فِـي مَطَـالِـعِـهَا الـنَّـعِيْمُ
٣ _ بِـحَيْـثُ النَّشْرُ مِنْـهَا فِي انْتِـشَـارٌ وَ قَدْ لَفَّ الـغُـصُـوْنَ بِـهَا الـنَّـسِـيْمُ
التخريج: عرائس الأدب: ١٩٠.

٨٧

قال من قصيدة: [الكامل]
١ _ وَالشَّمْسُ تَطْلَعُ اطِّلاَعَكَ عِنْدَمَا[٦٢] غَـفَلَ الـرَّقِـيْـبُ وَ صَـحَّـتِ الأَحْـلاَمُ
٢ _ بَسَطْتَ لِسَعْيِكَ لِي بِسَاطًا مُذْهَبًا وَ تَـرَفَّـعَتْ لِـشُـعَـاعِـهَـا أَعْـــلاَمُ
ومنها:
٣ _ كَمْ مَعْشَرٍ قَدْ عَظَّمُوْهُ فَعُظِّمُوْا خُـدِمُــــوْا لأَنَّــهُـمْ لَــهُ خُـــــدَّامُ
٤ _ لَـوْلاَ خُـضُوْعُ البَدْرِ وَاسْتَـجِـــدُ اوْه الشَّمْسُ المُـنِـيْرَةَ مَا كَسَاهُ تَمَامُ
٥ _ فَـخْرٌ يُـشَادُ بِهِ إِذَا هَمَسَ العِدَى تَـعْوِي الـذِئَـابُ وَ يَزْأَرُ الـضِّرْغَـــامُ
٦ _ يَهْتَزُّ كَالصِّمْصَامِ لَكِـنْ هَـزُّهُ عَـيْشٌ يَـطِـيْـبُ وَ هَزُّ ذَاكَ حِـمَـــامُ
التخريج: عرائس الأدب: ١٩٦.

٨٨

قال في التهنئة بقدوم كبير: [الوافر]
١ _ قُــدُوْمٌ لِلْحَـيَـاةِ بِـــهِ قُـــدُوْمُ كَـمَا عَـطَـفَتْ عَلَى الرَّوْضِ الـغُـيُوْمُ
٢ _ فَـجَدَّدَ مَا عَـهِـدْتَ مِـنَ الأَيَـادِي فَـمِنْ شُـكْـرِ الـعُـفَاةِ لَـهَا نَـسِـيْــمُ
التخريج: عرائس الأدب: ٢٠١.

٨٩

قال: [الكامل]
١ _ .... وَالغَـدِيْـرُ مُـذَرَّعُ وَ القُضْبُ[٦٣] سُمْرٌ وَ القِطَارُ سِهَامُ
التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٨.

٩٠

قال : [الكامل]
١ _ هَـاتِ الـمُـدَامَـةَ حِيْنَ غَابَ اللُّوَّمِ مَـا تَـمَّ إِلاَّ بِالـكُــؤُوْسِ تَـنـعُّـمُ
٢ _ كَـسَفَتْ بِـجُنْحِ القَارِ فَابْتَدَرَتْ أَبَا رِيْـقٍ رُكُــوْعٌ كَـيْ تُـجْلَّـى الظُّلَّـمُ
٣ _ فَلْتَخْرِجُوْهَا مِنْ سُجُوْنِ دِنَانِـهَا أَوَ مَا تَرَاهَا عِـنْـدَ ذَلِـكَ تَـبْـسِـمُ
التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٦.

---

[٦٢] كذا ورد البيت في الأصل مع ما بهمن خلل عروضي.
[٦٣] القُضْبُ: السيوف القاطع.

٩١

قال : [الوافر]

١ _ وَ لَيْلِ لِلْغَزَالَــــةِ فِي أَصِيـْـلِ كَسَا الآفَاقَ ثَـوْبًا مِـنْ سَقَـــامِ

٢ _ تَغَيَّرَ لَوْنُهَا وَ مَضَتْ سَرِيْعًا مَحَـــــاذَرَةُ عُقَابًا لِلْظَّـــلاَمِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٦.

٩٢

قال: [البسيط]

١ _ إِلَى مَقَامِ النَّدَى وَ البَأْسُ وَ الهِمَمُ شَوْقٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَ المَاءِ وَالضَّرَمِ[٦٤]

٢ _ لَوْ قُسِّمَ البَعْضُ مِنْهُ فِي الأَنَامِ غَدُوْا وَ لَيْسَ مِنْهُمْ خَلِيُّ مِنْ جَوَى الأَلَمِ

٣ _ شَـوْقٌ يُجَـرِّدُهُ فِي كُلِّ آونَــةٍ مَا تُبْصِرُ العَيْنُ مِنْ فَضْلٍ وَ مِنْ كَرَم

٤ _ وَ نِعْمَةُ المَلِكِ المَيْمُوْنُ طَائِرُهُ وَ دَوْلَةٌ أَطْلَعَتْ صُبْحًا عَلَى الظُّلَمِ

٥ _ لَوْلاَ أَوَامِرُهُ العُلْيَا لَطَارَ بِي الشَّـ شُوْقُ الذِيْ كَلَّ عَنْهُ مَنْطِقُ القَلَمِ

٦ _ حَتَّى أُطَالِعَ مَرآى لَوْ مَلأْتُ بِهِ طَرْفِي لَقَامَتْ لِيَ الدُّنْيَا عَلَى قَدَمِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٤ .

٩٣

قال: [الوافر]

١ _ أَلاَ خُـذْهُ فِيمَنُ الخَيْلُ فِيـهِ وَ قَـدْ وَافَـاكَ فِي خَجَـلِ الكِـرَامِ

٢ _ وَ لَمَّـا أَنْ تَبْـدَى لِي كَبَـرْق بَعَثْتُ بِـهِ إِلَى شِبْـهِ الغَمَـامِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٨.

٩٤

قال: [الطويل]

١ _ وَ أَشْهَبَ مَنْ بَارَاهُ فَهْوَ كَأَشْعَبِ قَوَائِمُـهُ تُزْرِي بِسَبْق القَوَادِمِ

٢ _ بَدَا لاَبِسَا ثَـوْبَ السَّحَابِ فَقَالَ لِيْ: أَلاَ تُدْنِيْنِيْ مِنْ سَمَاءِ المَكَارِمِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٨.

٩٥

قال في إهداء فرس أبيض: [الطويل]

١ _ وَ أَبْيَضَ مِثْلَ النَّجْمِ أَهْدَيْتُهُ إِلَى ذُرَاكَ لِيُضْحَى حَامِلاً لِلْغَمَائِمِ

٢ _ تَجَسَّدَ مِنْ جِسْمِ الصَّبَاحِ فَقَال لِي أَ يَطْلَعُ فَوْقِيْ غَيْرُ شَمْسِ المَكَارِمِ ؟

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٨.

---

[٦٤] الضَّرَمُ: النار المحتدمة.

٩٦

قال في إهداء كمثرى: [الوافر]

١ ـ وَ كُمْثَرَى بَعَثْتَ بِهِ نُهُوْدًا كَمَا طَلَعَتْ إِلَى خَيْرِ الكِرَامِ

٢ ـ كَمَا دَارَتْ كُؤُوْسٌ مِنْ نُضَارٍ وَ مَا فِيْهَا يَجِلُّ عَنِ المُدَامِ[٦٥]

٣ ـ يُنَاطُ بِهاَ مَعَالِيْقٌ تُرِيْكَ انْـ عِطَافَ الصُّدْغِ فِيْ خَدِّ الغُلاَمِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٩.

٩٧

قال في إهداء سرج: [الوافر]

١ ـ لِقَصْدٍ أَتْحَفَتْكَ يَدٌ تُرَجِّيْ قَبُوْلَكَ مِنْ أَيَادِيْكَ الجِسَامِ

٢ ـ بِمُقْتَعِدٍ كَمَا يَبْدُوْ هِلاَلٍ لِتَطْلَعَ فِيْهِ كَالبَدْرِ التَّمَامِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٠.

٩٨

قال: [الوافر]

١ ـ يَرُوْمُوْنَ امْتِدَاحِي دُوْنَ فَضْلٍ وَ أيْنَ طَلّى[٦٦] **يَلِيقُ بِهَا نِظَامِي ؟**

٢ ـ وَ لَوْ أَبْصَرْت مَيْلَ الدَّوْحِ فِيْهِمْ شَدَوْتُ بِمَدْحِهِمْ شَدْوَ الحَمَامِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٩.

٩٩

قال: [الكامل]

١ ـ لاَ تَنْكُرَنَّ مَذَلَّةً فِي غُرْبَةٍ وَ اصْبِرْ لِمَا تَلْقَى مِنْ الأَقْوَامِ

٢ ـ دُرُّ السَّحَابِ إِذَا تَغَرَّبَ لِلْثَرَى أَوَ مَا تَرَاهُ يُدَاسُ بِالأَقْدَامِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢١٢.

١٠٠

قال: خرجت بظاهر دمشق إلى المنزه المعروف بالجبهة، فقلت مخاطبا الفاضل نور الدين الأسعردي: [السريع]

١ ـ مَوْلاَيَ نُوْرُ الدِّيْنِ أَوْحَشْتَنِي مِنْ دَوْحَةِ الجَبْهَةِ حَيْثُ النَّعِيمْ

٢ ـ وَ العَصْرُ قَدْ أَقْلَقَ شَوْقًا إِلَى لُقْيَاكَ وَ اسْتَمْلَى حَدِيْثَ النَّسِيمْ

---

(٦٥) المُدَامُ: الخمرة.

(٦٦) طَلّى: ولد الظبية.

٣ـ وَ النَّهْرُ فِيْهَا رَاكِضًا خَيْلَهُ		**مِنْ أَشْقَرٍ أَوْ أَشْهَبٍ أَوْ بَهِيمْ**

٤ـ أَنَا الذِيْ تَعْرِفُهُ دَائِمًا		**فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ دِمَشْقٍ يَهِيمْ**

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٨.

١٠١

قال: [الوافر]

١ـ وَ غُصْنٍ فَوْقَهُ ثُعْبَانُ سُمٍّ		**وَ قَلْبِي فِي تَلَوِّيْهِ كَلِيمْ**

٢ـ شَكُوْتُ لَهُ الذِيْ أَلْقَى فَلَمَّا		**تَبَسَّمَ ضَاحِكًا.........**

٣ـ تَنْشَقُّ فِي النَّسِيْمِ أَرِيْجَ لَيْلَى		**فَنَالَ بِهِ الغَرَامُ مَعَ النَّسِيمْ**

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٩.

النون

١٠٢

قال في المحول[٦٧] ببغداد: [الكامل]

١ـ للهِ عَيْشٍ بِالمَحُوَّلِ إِنَّهُ		**مَا كَانَ قَطُّ وَ لاَ أَرَاهُ يَكُوْنُ**

٢ـحَيْثُ الغُصُوْنُ عَلَى الغَدِيرِ رَوَاقِصٌ		**وَ الطَّيْرُ قَدْ ....**

٣ـ وَ النَّهْرُ نَازَعَهُ النَّسِيْمُ رِدَاءَهُ		**فَمَضَى يَفِرُ كَأَنَّهُ مَدْيُوْنُ**

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٠.

١٠٣

قال من أبيات: [الخفيف]

١ـ حَيْثُمَا كُنْتُمْ تَمِيْلُ العُيُوْنُ		**وَ هَوَاكُمْ فِي كُلِّ قَلْبٍ جُنُوْنُ**

٢ـ وَ إِلَى وَصْلِكُمْ تَحِنُّ الأَمَانِي		**وَ لَدَى مَطْلِكُمْ تَضِيْعُ الدُّيُوْنُ**

التخريج: عرائس الأدب: ٢١٠.

١٠٤

ومن قصيدة [الطويل]

١ـ تَقَلَّصَتْ الآمَالُ فِيْكَ وَ كَدَّرَتْ		**صَفَائِيَ أَوْطَارٌ لَدَيْكَ وَ أَوْطَانُ**

٢ـ وَ قَدْ كَانَ ظَنِّي أَنْ أَكُوْنَ مُقَرَّبًا		**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قُرْبٌ لَدَيْكَ فَإِحْسَانُ**

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٣.

---

(٦٧) المَحُوَّلُ: بليدة حسنة طيبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والأسواق والمياه بينها وبين بغداد فرسخ. وهي محلة كبيرة هي اليوم منفردة بجنب الكرخ وكانت متصلة بالكرخ أولا.(ياقوت الحموي، ١٩٩٥م، ٥/٦٦).

١٠٥

قال مادحا الصلاح بن أيوب بعد إحسانه بإعانة الصاحب العالم كمال الدين ابن العديم ما أوجب أن مدحته بقصيدة، منها: [الخفيف]

١ _ سَوفَ تُثْنِي عَلَيْكَ شَرْقًا وغَرْبًا   إِذْ تَلافَيْتَ غُرْبَتَـــي الإلْفَـــانِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٥.

١٠٦

قال: [البسيط]

١ _ .... جَلّق فِي دَيبَاج زَهْرَتَـهَا   غَرَّاء تَرْفُلُ فِي حُسْن وَ تَحْسِيْن

٢ _ وَ كُلِّ زَهْر .... فِي جَوَانِـبِهَـا   مُرَنَّحٌ تَحْتْ أَنْـوَاع التَّـلَاحِيْـن

٣ _ وَ لِلْرَّيَاحِيْـــن فِي أَرْجَائِـهَـــا أَرَجٌ   وَ طِيْبُ ذِكْـرِكَ يُزْرِيْ بِالرَّيَاحِيْن

٤ _ عَرُوْسٌ...... لَهَا تَاجَان تَحْتَـهُمَا   سُلُوْكُ أَنْهَارِهَا مِثْل الثَّعَابِيْن

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٧.

١٠٧

ثم استولى السلطان الناصر على دمشق، فرفعت له قصيدة منها عصيان المدينة: [البسيط]

١ _ لَمَّا نَهَضْتَ إِلَيْهَا وَهْيَ عَاصِيَـةٌ   تَلَفَّعَتْ مِنْ حَيَـاءٍ بِالبَسَاتِين

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٧.

١٠٨

وقلت: [الطويل]

١ _ وَ واللهِ مَا فَـارَقْتُ جِلَّقَ بُغْضَةٍ   لَـهَـا أَوْ لِأَنِّي ...... عَلَى الحُسْن

٢ _ وَ لَكِنْ فِرارًا مِنْ وُجُوْهٍ تَرَوْقُنِي   وَمَالي منْهَا غَيْرُ مَا قَدْ رَأَتْ جِفْنِي

٣ _ إِذَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مَا لاَ تَنَالُهُ   فَغِبْ عَنْهُ أَوْ صَبْرًا تَمُوْتُ مِنَ الغُبن

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٩.

١٠٩

قال ارتجالا في غلام مورد الخد والثوب كثير الخيلان: [الرمل]

١ _ وَا بِرُوْحِـي مَنْ أَرَانِي قَـمَـرًا   طَـالِـعًا فِي شَـفَـق تَـيَـمَّـنِي

٢ _ نَـثَرَ المِـسْكَ عَلَى وَ جْنَـتِـهِ   وَ ارْتَدَى بِالـوَرْدِ فَـوْقَ الغُصْـن

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٦.

١١٠

قال : [المجتث]

١ _ يَـا مُنْكِـــرًا لِنَـسَـيْـبِـي   فِي كُـــلِّ مَـنْــــ رَاقَ جَفْنِي

٢ _ هَـبْـنِي حَـمَــــامًـا بِـدَوْح   أَشْـــــدُوْ عَلَـى كُـلِّ غُـصْــن

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٧.

١١١

قال : تفرجت مع نور الدين الأسعردي يوما في ميادين دمشق، فقال [الكامل]

مَـا لِـلْرِّيَـاضِ النَّـاظِـرَاتِ بِجِلِّـقٍ   أَبَـدًا يَـهِـيْـمُ بِنُـوْرِهَـا الـثَّـوْرَانِ

فقلت : [الكامل]

١ـ يَتَعَاطَيَان مِنَ المَعَانِي أَكْؤُسَا   فِي .... عَـنِ الأَوْطَـــانِ

فقال : [الكامل]

يَـثْنِيْـهِمَا مَـرَّ النَّـسِيْمِ لَطَافَـــةً   بـمَرَاتِـع الأَغْـزَالِ وَ الغُــوْلاَنِ

فقلت: [الكامل]

٢ـ وَ تَـرَاهُما يَـتَسَـابَقَـان لِغَـايَـةٍ   قَـصَبَاتُهَا الأَغْصانُ فِي الكُـثْبَـانِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٨.

١١٢

قال في إهداء إجاص: [مجزوء الكامل]

١ـ فَكَّـرْتُ فِي اتْـحَـــافِ مَـجْــ   دِكَ مِـنْ جَـنَـا ثَـمَـر الـجِـنَـــان

٢ـ فَبَـعَـثْـتُ أَحْـــدَاقَ العُـيُـــوْ   نِ بـمَـــنْ غَـــدَا عَـينَ الـزَّمَـان

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٩.

١١٣

قال في إهداء أبلق: [الوافر]

١ـ وَ أَبْـلَقَ لِلْصَّبَـاح وَ لِلْدَّيَـاجِـي   عَلـيْـهِ مَلاَبسٌ قَـيْـدَ الجُـفُـوْنِ

٢ـ بَـعَـثْـتُ بـهِ لِعَـينِ الـزَّهْـر لَـمَّـا   غَـدَا لِـلَّحْظِ فِي شَـكْلِ العُـيُـوْنِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٨ـ ١٩٩.

١١٤

قال : [الكامل]

١ـ وَ مُـعَـذَّرِيْنَ خَـلَـعَتْ عُذْرِيْ فِـيْهُمُ   فَـجَرَى العَـذُوْلُ هُنَاكَ مِلء عِنَـانِـهِ

٢ـ وَغَدَا يُـعِيِّبُ مَا اسْتَطَاعَ فَقُلْتُ: لا   تَـجْـهَلْ فَـحُسْنُ الـوَرْدِ فِي نُـقْصَانِـهِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠١.

١١٥

قال ابن سعيد: لم أعود خاطري الفكر في الهجاء إلا أتي دعاني الضجر مرة إلى أن قلت دون ذكر أحد: [الوافر]

١ـ أَطَلْتُمْ مَوْعِـدِي بُـخْـلاً وَ زُوْراً   وَ بَـعْـدُ فَـلَيْـسَ تُـنْـتَـصِفُوْنَ مِنِّي

٢ـ فَـكَمْ قَـطَّـعْتُ مِـنْ نَـعْلٍ عَلَيْكُمْ !   وَ كَـمْ وَاصَلْـتُ مِنْ ذَمٍ وَ لَـعْـنِ !

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٢.

١١٦

قال : [الخفيف]

١ـ لَكَ خَطٌّ مَا جَاءَ فِي حَاجَةٍ إلــ **لاَ وسُــدَّتْ أَبْـوَابِـهَـا فِي الحِيْنِ**

٢ـ وَلَدَيْهِ المَعْنَى الرَّفِيْعُ كَذِيْ النُّو **نِ وقَدْ حَلَّ فِي دَيَاجِيْ الـنُّوْنِ**[٦٨]

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٦.

١١٧

وفي مطلع: [الخفيف]

١ـ كَيْفَ أَبْصَرْتَ هَذِهِ الأَغْصَانْ **وَ ابْتِسَامَ الثُّغُوْرِ عَن أقْحُوَانْ ؟**

٢ـ وَ ابْتِهَاجَ الخُدُوْدِ عَنْ زَهْرَةِ الوَرْ **دِ وَ يُطْرَيْنَ هُنَّ بِالرَّيْحَانِ**

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٠ .

١١٨

قال: [المتقارب]

١ـ وَ رَوْضُ أتَيْنَاهُ فِي سَحْــرَةٍ **فَأَرْضُ مَسَاحَتُهُ وَ العُيُونْ**

٢ـ وَ لِلْنَّهْرِ ...... لَدَى عَطْفَة **أُمِيْلَتْ بِهَا....... كَالغُصُونْ**

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٨.

١١٩

قال: [الرمل]

١ـ ... بَعْضٌ مِنَ اللَّذَاتِ .... الدِّيُونْ **...... قَدْ نَامَ إلى ظِلِّ الغُصُونْ**

٢ـ .... الدَّوْح ...... لِلْعُيُونْ **............ [٦٩] ظِلْم الجُفُــونْ**

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٨.

١٢٠

قال في إهداء سوسن: [السريع]

١ـ بَعَثْتُ بِالسَّوْسَنِ لَمَّا غَــدَا **تَصْحِيْفُه المُبْهِج ....**

٢ـ وَ قُلْتُ لَمَّا أَنْ غَدَا رَافِعًا **أَنْمُلَهُ يَدْعُوْ بِهَذَا: أَمِيْنْ**

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٠.

---

[٦٨] ذكر المحققان: (الفراغ مطموس في الأصل).

[٦٩] ذكر المحققان: (الفراغ مطموس في الأصل).

الهاء

١٢١

قال من قصيدة: [البسيط]

١ _ ظِبَاهُمُ الخَمْرُ كَالنَّشْوَانِ حَينَ تَرى   بِأُفْقِهِمْ فَلِذَاكَ الطَّيْرُ تَغْشَاهَا

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٤.

١٢٢

قال في إهداء فستق وتين مشقق: [الكامل]

١ _ الفُسْتُقُ الشَّامِي وَالتِّيْنُ الذِي   أَبَتِ المَعَرَّةُ أَنْ تُرَى أَشْبَاهَهُ

٢ _ قَدَّمْتُه لِجَنَابِكَ السَّامِي فَقَدْ   وَافَاكَ يَفْتَحُ لِلْثَّنَا أَفْوَاهَهُ

التخريج: عرائس الأدب: ١٩٩.

١٢٣

قال في نهر بردى بظاهر دمشق: [الكامل]

١ _ لَمَّا بَدَا بَرْدى تَجُوْلُ فُرُوْعُهُ   بَيْنَ الرِّيَاضِ دَعَا إِلَى التَّشْبِيْهِ

٢ _ فَكَأَنَّهُ فِيْهَا سَبَائِكَ فِضّةٍ   وَ كَانَّهَا قِطَعُ الزَبَرْجَدِ فِيْهِ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٩.

١٢٤

ومن قصيدة: [البسيط]

١ _ خَطَّتْ دُمُوْعِي كِتَابَاً أَنْتَ تُمْلِيْهِ   يَا مَنْ ثَنَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنِي تَثَنِّيْهِ

٢ _ يَا مُخْجِلَ الغُصْنَ وَالأَوْرَاقُ تَسْتُرُهُ   وَ فَاضِحَ البَدْرَ وَ الأَنْوَارُ تُخْفِيْهِ

٣ _ يَا مُتْلِفِيْ بَدَلَالٍ مَا لَـهُ أَمَـدٌ   وَ قَاتِلِي بِهَوًى مَا زِلْتُ أُحْيِيْهِ

٤ _ تَدْرِيْ جُفُوْنَكَ مُذْ دَانَ الأَنَامُ لَهَا   أَنْ لَيْسَ يُفْلِتُ مِنْ بِاللَّحْظِ تُصْمِيْهِ

٥ _ مَا كُنْتُ أَرْقَبُ لَا شَمْسًا وَ لَا قَمَرًا   لَوْلاَ مُحَيَّاكَ جَلَّ اللهُ بَارِيْهِ

٦ _ وَجْهٌ عَلِيْهِ قَبُوْلٌ لاَ يُقَابِلُهُ   مَنْ لاَمَ حُبَّهُ إِلا صَبَا فِيْهِ

٧ _ ذُوْ غُرَّةٍ لَوْ يَغِيْبُ البَدْرُ لَيْلَتَهُ   ظَلَّتْ عَلَى رَغْمِ ضَوْءِ البَرْدِ تَهْدِيْهِ

٨ _ وَ وَجْنَةٌ لَوْ يُطِيلُ الوَرْدُ حَجَبْتَهُ   أَغْنَتْكَ عَنْهُ وَ مَاءُ الوَرْدُ مِنْ فِيْهِ

٩ _ نَادَمْتُهُ بِكُؤُوْسٍ لَا يُحَرِّمُهَا   مَا ظَلَّ يَتْلُوْهُ تَهْذِيْبِي وَ تَنْبِيْهِي

١٠ _ مِنْهُ إِلَيَّ وَ مِنِّي نَحْوَهُ أَبَدًا   وَ لَيْسَ يَبْرَحُ يَفْدِيْنِي وَ أَفْدِيْهِ

١١ _ هَذَا النَّعِيْمُ الذِي مَنْ لاَ يَفُوْزُ بِهِ   فَلَيْسَ مُلْكُ جَمِيْعِ الأَرْضِ يُغْنِيْهِ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٧ _ ١٧٨.

الياء

١٢٥

قال في غلام نبت له بدو عذار فحلقه: [السريع]

١ _ وَ حَيَّةُ الشَّعْرِ عَلَى خَدِّهِ لَمْ يُبْقِهَا مُوْسَى الهُدَى حَيَّهْ

٢ _ لَوْ لَمْ تَكُنْ وَجْنَتُهُ جَنَّةً مَا أُخْرِجَتْ مِنْ أَرْضِهَا الحَيَّهْ

التخريج: عرائس الأدب: ١٧٦.

الأراجيز

١٢٦

قال : [مجزوء الرجز]

١ _ كَأَنَّمَا الأُتْرُجُّ [٧٠] فِي دَرْجٍ لَهُ تَأَرَّجَا

٢ _ فَنَادِلٌ مِنْ ذَهَبٍ وَ الزَّهْرُ يَحْكِي سُرُجَا

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٦ .

١٢٧

قال وقد بلغه أن علم الدين أيدمر عتيق وزير الجزيرة الشاعر العالي الطبقة، قد رأس عند الترك بمصر ، وحضر وقعة الرمل، فقتل فيها: [مجزوء الرجز]

١ _ حَظِّي مِنْ الدَّهْرِ إِذَا أَتْعَبَ فِيْهِ مِنْ رَأسْ

٢ _ رَوْضٌ بِشَاطِي جَدْوَلٍ قُرْبَ الصَّبَاح وَ الغَلَسْ

٣ _ وَ الغَايَةُ القُصْوَى إِذاَ نَادَمْتُ وَجْهًا كَالقَبَسْ

٤ _ أَنَا الذِي تَعْرِفُهُ سَارِقُ لَذَّاتِ الخَلَسْ

٥ _ لاَ رَأْيَ لِي فِي صَفْةِ السْـ سَيْفِ وَ لاَ ظَهْرِ الفَرَسْ

التخريج: عرائس الأدب: ٢١٠_٢١١.

١٢٨

قال: [الرجز]

١ _ مَوْلاَيَ فَخْرَ الدِّيْنِ لَمْ قَطَّعتَ عَبْدًا قَدْ وَصَلْ

٢ _ أَوْلَيْتَهُ ظَهْرًا وَ قَدْ وَلَّى الشَّبَابُ وَ ارْتَحَلْ

٣ _ كَأَنَّك اسْتَثْقَلْتَهُ لأَجْلِ مَنْ فِيْهِ ثِقَلْ

٤ _ وَ إِنَّمَا قَارَنَهُ لِسُوْءِ حَظٍ قَدْ حَصَلْ

---

[٧٠] الأُتْرُجُّ: من أنواع الفاكهة الغريبة والنادرة، ذات أهمية غذائية وصحية وجمالية قديمة، وهي من فاكهة الماضي واحتل مكانها أخواتها من الحامض والبرتقال، رغم أنها كانت من موائد الملوك والأمراء. ولا عجب؛ إذ إن الناس لا يمكنهم طبخ الأترج أو الاستفادة منه إلا مربى ودواءً تقليديا لمعالجة الكثير من الأمراض.

٥ ـ وَ كَانَتْ الشَّمسِ لَظًى فَجِئْتُ فِي ظِلٍّ جَبَلْ

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٣.

١٢٩

قال : [الرجز]

١ ـ الحَمْدُ لله .... مِنْ سَهرٍ وَ مُهْجَتِي مِنْ حَزَنِ

٢ ـ كِلاَ الفَرِيْقَينِ ..... مِنْ كُلٍّ خَلَّصْتُ مِنْكُمْ ....

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٨ .

١٣٠

قال: [مجزوء الرجز]

١ ـ أَخْجَلَتْ مِنْهُ وَ جُنَةً مَوْتَى وَ مَا عِنْدِيْ حَيَا

٢ ـ فَقُلْتُ: مِنِّي وَرْدُهَا فَقَالَ لِي: مَاءُ الحَيَا

التخريج: عرائس الأدب: ٢١١.

الأشعار التي طمست قوافيتها

١٣١

ومن قصيدة:[الطويل]

١ ـ ....

٢ ـ وَخَلْفُ الذِي أَبْصَرْتَ مَا لَوْ عَلَمْتَهُ عَجِبْتَ وَ كَانَ العُذْلُ ....

٣ ـ تَنَاقَصَ صَبْرِيْ حِيْنَ دَارَتْ .... وَ لَوْلاَ .... لَمْ يَضِقْ ....

٤ ـ لَئِنْ غَيَرتْنِي الحَادِثَاتُ وريها........ فَمِنْ أَجْلِهَا قَدْ غيّر ....

التخريج: عرائس الأدب: ١٦٧.

١٣٢

قال : ركبت مرة من أول نهر إشبيلية عند البحر المحيط، وقد جئت من بر العدوة مركبا كان شراع... ثم اشتدت الرياح، فطار بنا إلى إشبيلية، فقلت: [الطويل]

١ ـ وَ هَبتْ رِيَاحٌ هَابَهَا كُلُّ رَاكِبٌ فَرَاشَتْ جَنَاحًا لِلْسَّفِين ......

٢ ـ فَقُلْتُ لَهُمْ: لاَ تُنْكِرُوْهَا فَإِنَّهَا رَأَتْ شَغَفِيْ ....

٣ ـ وَ قَالَ: مُحِبٌّ قَرَّبَ اللهُ دَارَهُ قَدْ أَبْصَرَتْ......................

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٢.

١٣٣

قال : [المنسرح]

١ ـ أَمَا تَرَى المُعْصِرَاتِ مَا فَعَلَتْ فِيْ الرَّوْضِ إِذْ ذَبَحَتْ.............

٢ _ أَدَارَ سَاقِيَا الحَيَا لأَغْصُنَهَا   مُدَامَ تِبْرٍ فِي أَكْؤُس............

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٧ .

١٣٤

قال: [الكامل]

١ _ عَاطَيْتُهَا شِبْهَ الغَزَالَةِ أَوْدَعَتْ   الغَزَالَةُ وَرْدَة ....

٢ _ فَتَنَبَّهَتْ زَهْرُ الرِّيَاضِ وَ قَدْ   ذُعُرَتْ لَهَا وَنَظَرنَ عَنْ ....

التخريج: عرائس الأدب: ١٨٧. قال المحققان: (ذهب آخر هذين البيتين بسبب الرطوبة).

١٣٥

قال : [الطويل]

١ _ وَقَدْ ضَاقَ خُفّي عَنْ .... حِيَن .... سَوْف ....

التخريج: عرائس الأدب: ١٩١.

١٣٦

قال : [البسيط]

٢ _ بَكَيْتُ دَمْعًا ..... البَرْقُ جَمْرَتُهُ   فَسَلْ جُفُوْنَكَ هَلْ أَطْفَأ........

التخريج: عرائس الأدب: ١٩١.

١٣٧

ومن أبيات: [الكامل]

١ _ يَا مَنْ يُزَخْرِفُ شَيْبَهُ بِخِضَابِهِ   عَلِمَ السَّلِيْمُ ....

التخريج: عرائس الأدب: ٢٠٣.

المصادر:

بعد القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود الكوفي

_ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ابن الخطيب الغرناطي، شرح وتعليق، يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣م.

_ **درة الحجال في أسماء الرجال**، ابن القاضي المكناسي، تحقيق، محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس، دت.

_ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ابن فرحون المالكي، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

_ **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ابن عبد المنعم الحميري، تحقيق، الدكتور إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، القاهرة، ١٩٨٠م.

_ **شعر ابن سعيد المغربي.. جمع ودراسة وتحقيق**، الدكتور هالة الهواري، مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشعرية، الكويت، ٢٠١٢م.

_ **عرائس الأدب**، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق، الأستاذ الدكتور صلاح جرار والأستاذ الدكتور بشار عواد معروف، دار البصائر، ط١، الإمارات، ٢٠٢٢م.

_ **فوات الوفيات**، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: احسان عباس دار صادر، بيروت، لبنان ،(د.ت) .

_ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ابن فضل الله العمري، تحقيق ، مهدي النجم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.
_ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥ م.
_ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المقري التلمساني، تحقيق، الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
_ **وسائل الشيعة**، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤م.

الرسائل الجامعية:

_ **شعر ابن سعيد الأندلسي (ت٦٨٥هـ) .. دراسة وجمع وتوثيق**، رسال ماجستير، جامعة القدس، كلية الدراسات العليا_ قسم اللغة العربية_، القدس الشريف، ٢٠١١م.

البحوث المنشورة في الدوريات:

_ **شعر ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ ١٢٨٦م) .. نقد وتصحيح واستدراك**، محمد يوسف إبراهيم بنات، مجلة المجمع، العدد ٨، سنة ٢٠١٤م.

“Al-Mustadrak” on The Poetry of Abi Al-Hasan Bin Saeed Al-Andalusi

Assis. Prof. Dr. Safa’a Abdallah Burhan

College of Islamic Sciences / University of Baghdad

Abstract

The research is a brief look of what the researchers collected from the poetry of Abi Al-Hasan Bin Saeed Al-Andalusi, in the context of an easy presentation of the two important works specialized in collecting his poetry, as well as the statement of the first review on them, which was unique by a number of critical and methodological notes regarding their work, as well as mentioning a number of new poetic pieces. After that, he rectified what was not mentioned of the poems of Abi Al-Hasan Bin Saeed in the three works according to what was available to the researcher of new poetic material, considering pages from the newly discovered book (Brides of Literature) in the Middle of Morocco (Algeria). As well as a number of new transcriptions of a number of poetic pieces that are mentioned in the three works; to increase the balance of the collected poetry from the production of Abi Al-Hasan Bin Saeed, which most of it was lost in different circumstances, and only a few of that production reached us, and this is the matter that happened to many of the Andalusia poets as a result of the ordeals of Andalusia.

Contemporary Iraqi Geography

A Study in Geographical Thought

Prof. Dr. Abbas Fadhil Al Saadi

Professor of Geography and Population Studies / University of Baghdad

Abstract

The aim of the research is to study the researches trends of contemporary Iraqi geographical thought in various disciplines. The research's problem is represented by the question: Where is the direction of the contemporary Iraqi geography researcher? As for the research's hypothesis, it emphasizes on the continuation of the prevalence of human geography research over the branches of natural geography and other disciplines, and the method of geographical description and spatial analysis has been used that fits the nature of this research.

The most important conclusions reached by the research are:

1. The published researches of human geography branches in periodicals ranked first (59%) which reflects the large number of teachers specializing in it. The researches of natural geography ranked second (19%) due to the small number of its specialists. While other branches of geography occupied the remaining percentage (22%).
2. The number of researches, in various disciplines, increased from ten in the fifties to 312 in the third millennium.

3. The sixties of the twentieth century witnessed an increase in the researches of Arab geographical thought, and in the eighties there was an increase in the military and political geography researches taking into account the conditions of the Iraqi-Iranian war. While the third millennium witnessed an increase in the researches of climate, water resources, the geography of industry and cities, the latest of it is tourism.
4. It became clear that the geographical area is devoid of an Iraqi (or Arab) geographic school that has its own philosophy and curriculum that impresses others.

Among the recommendations, it is necessary to reconsider the curricula of studying geography so that its goal is to graduate students whose vocabulary in high school and university is compatible with the available labor market. This requires transferring geography from its descriptive and theoretical fields to the applied one.

The Miracle in Alserfa in Front of The Quranic Challenge
-Verse - 88, Surah Al-Isra As an Example-
An Analytical Study of The Semantic Levels

Prof. Dr. Ali Kadhim Asad
College of Education for Humanities (Ibn Rushd)- University of Baghdad

Abstract:

This research selects this Quranic verse (88) of Surat Al-Isra as a material to respond to the term “Alserfa”, which is one of the research’s directions in the secrets of the Quranic Miracle, which says that the miracle is not in the Quran but Allah is the Miracle. And human beings are capable of opposing Him, but Allah made them incapable of doing so.

The research has chosen this verse for two reasons: -

- The first one is the explicit utterance of Allah’s challenge to mankind and Jinn at all times to imitate the Quran.
- The second reason is that it is a discourse in conveying God’s command to the unbelievers to bring the like of this Quran. It is an arbitrary and inevitable announcement that they never come up with the same. So the choice of this aya comes to its ruling from both sides.

The research takes the analysis tool of the individual, synthetic and semantic level of verse construction to clarify the meaning of generating the meaning by looking at the relationships of these elements with each other.

People's Names and Their Meanings

-An Analytical Study -

Prof. Dr. Mahdi Saleh Sultan

College of Arts / University of Imam Jaafar Al-Sadiq "pbuh"

Abstract:

The interest in the names is an interest of people's circulation of their language. It is a form of thinking that draws attention to the mutual impact between society and its language, especially the choice of eloquent expressions, structures and connotations, and what the names bear of the characteristics of goodness, ugliness, lightness, weight and wit, and the psychological and social effects they leave behind in names, especially ugly names that may inherit a complex of humiliation and psychological pressure.

The names of Arabs in the pre-Islamic era were expressive of their environment. They were transferred from what was going on in their minds of sensual and other things, and from their psychological, social, economic, political and security conditions that appeared in what they were called and what they hope, fear and contemplate. But the ugly name may bring distress, humiliation and mockery.

The Noble Prophet forbade naming in a way that offends the one who is named, offends his dignity and harms him. The Prophet changed some ugly names to good ones, because of the psychological harm and social impact that accompanies the one who is named and offends him. He also changed the names of some cities, especially his own city from Yathrib to Taybah, as if he hated the "thrib" because it is corruption in the speech of the Arabs.

People should choose the names of their sons and daughters as is permitted by the language, but what determines the name is culture, religious and social custom.

The Literary Criticism of Al-Abshihi’s Book “Al- Mustadhrif”

Prof. Dr. Faiz Taha Omar

Tikret/ Iraq

Abstract:

“Al-Mustatrif fi kul Fanin Mustadhrif” is one of the encyclopedic books in our Arabic cognitive heritage. Shihab Ad-Din Al-Abshihi, its author, has collected its content from many books arranging it in several categories and chapters. We have found, in his book, that there is a literary critical content worth to be studied. So, we have presented it, according to the issues that were discussed by the author, in the following order: speech and silence, eloquence and fluency, the purposes of poetry, the sections and levels of poetry, the approval of poetry, the poets’ ranks and falls, taking the meanings and their resemblance to poetry and others. We have also tried to root the views of Al-Abshihi in these issues, and monitor what he, distinctively, noticed in them.

From The Arabs' Days That Were Forgotten By The Books of Days

Prof. Dr. Abdul Latif Hamoudi Al Taie

College of Arts / Baghdad University

Abstract:

(Al-Ayam) is the plural of the word day, and it symbolizes the days of the Arab tribes and their raids among them in the pre-Islamic era and in Islam. So it represents a record of their feats, exploits and heroics and they have preserved it from loss and extinction, so they have transferred it from generation to another, immortalizing its memories in their poems. Al-Ayam is one of the most important documents of the Arab tribes in which they are cherished and proud. Perhaps the first to pay attention to its importance; wrote it down and memorized it in a book, the scholar and narrator Abu Ubaidah, when he collected the contradictions of Jarir and Al-Farazdaq and explained them. As the contradictions included the days of the Arabs and their glories, which were mentioned by Jarir and Al-Farazdaq in their contradictions, so Abu Ubaidah documented and explained them. However, this does not mean that what was mentioned in the Poems of Contradictions represents all the Arabs' days. Rather, there were many days that Jarir and Al-Farazdaq did not touch upon, and were not mentioned in their poems. So it was neglected and forgotten and time overthrew many of it, so it went unheeded and did not receive the care and preservation. History and other books transferred from Abu Obaidah and his book "Alayam" its news and documented it.

The Spanish Diplomatic and Political Activity Towards Morocco in The Late 19th and Early 20th Centuries

Dr. Anas Bo Salam

Educational Inspector of Secondary Education – National Ministry of Education, Primary Learning and Athletics- Morocco

Faculté Des Lettres et Des Sciences Humaines / Ain Chock / Université Hassan II De Casablanca

Abstract:

The study deals with the diplomatic and political activity of Spain towards Morocco at the end of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century, by relying on the agreements, treaties and conferences related to this activity, which has known an increase in its frequency and exceptionally during the mentioned period, with the exposure of Morocco's weakness on one hand, and Spain's desire to deduct what can be deducted as a compensation for what it had been lost in other regions of the world.

The study concluded that Spain, despite being a second degree colonial state, if not from the third degree, was able to cut for itself a wide area in Morocco, taking advantage of its location and geographical proximity to Morocco and the imperialist competition between the major colonial powers, especially the French- English competition.

Phonetic Guidance of Arabic Word Structure

Prof. Dr. Husam Saeed Al Nuaimi

Abstract:

The structure of the Arabic word and the change that occurs to it was discussed by Arabic scholars in what was called (Morphology), and they had views on the explanation of what was stated in the language, in contrary to the expected origin of the pronunciation, some of them match the modern phonetic sound, and some contradict it. So the conception of assets, for example, was the point of agreement, like saying that the origin of (qaala) was (qawala), and the origin of (estaAaada) was (estaAwada) as (estafAla), but the difference was in the perception of what happened in the mind of the native speaker (in the deep structure) so that (qawala) turned into (qaala) and (estaAwada) turned into (estaAaada) , and how the noun of the object turned from (qaala) and (baaAa), for example, to (maqool) and (mabeeA).

The most important difference reached by the phonetic laboratories is that there are no short vowels before the long vowels, whether in agreement with their sound or not, as well as the distinction between the sound of long vowels and semi vowels, even if they are drawn in the same shape, that the (yaa) in (narmee) is not the same (yaa) that in (lan narmeya). The first is a long vowel, which is the peak of the syllable in the syllable spectrum; it cannot be a base for it, and the second is a semi vowel (letter), so it is only a base for the syllable. Also saying that a linguistic sound changes into another, for example (qad taAlamoon) (d to t: qat taAlamoon), but we believe that the linguistic sound in speech like a living being in its group, it can be taken out of it and brought to it by others; but it cannot be turned from one self to another. In this research, the researcher tries to study in details, the points of difference, explaining the reasons for it, and he mentions what the phonetic lesson suggests in dealing with the problem, contenting with referring to what was agreed upon in its places.

The Syntax of The Qur’an

Prof. Dr. Mohammad Kadhum Al-Baka’a

Abstract:

This study has concluded that the Qur’an is a unique text when it comes to its syntactic structure. In this respect it differs from the Arabs’ speech in its prose and poetry. It is the third of three: prose, poetry and the Qur’an. This particular issue has encouraged the researcher to study the Quran’s syntax in accordance with its style and purposes to establish a new branch of Qur’anic studies, namely: (The Syntax of The Qur’an).

The legitimacy of this new science is the Qur’anic structures which are manifested in its surah, aya, and text as explained. Moreover, the religious purposes of the Qur’an require syntactic interpretations that are consistent with these purposes.

"Salwat Al-Hareef Bmnadarat Alrabea' Wa Alkharef"
-A Study, Analysis and Investigation-

Prof. Dr. Ibtesam Marhon Alsafar

Abstract:

The book "Salwat Al-Hareef Bmnadarat Alrabea' Wa Alkharef" is attributed to Al-Jahiz in the old written and printed version, and it is not according to this study that was based on the manuscript and the well known personalities mentioned in it.

This book was not mentioned among the books of Al-Jahiz.

The person who accompanied the journey at the beginning and end of the manuscript is called by the author: Nizamuddin Qawam Al-Mulk and it is one of the titles that were launched in the fifth century (AH). And there were well known names that negated the book's attribution to Al-Jahiz, are:

Al-Salami (D. 236 A.H.), Ibn Al-Mu'taz (D. 296 A.H.) and Ibn Tabataba (D. 322AH).

Al-Zafarani (D. 429 AH), Abdul Samad Al-Tabari (D. 461 AH) and Abu Al-Fath Al-Hatami (D. 443 AH).

The book is intriguing and exemplifying the culture of dialogue and debate that established an active culture in Arab thought including natural and material things and phenomena through the Arab heritage. The author has mentioned arguments between the seasons of spring and autumn, with spring being proud and autumn providing evidence and examples in response to it.

The Seeing Self, The Dreaming Self?

(Divan Abu Al-Qasim Al-Shabi as a Model)

"***L'homme est un mendiant quand il pense …***

mais un géant quand il rêve " , Hölderlin .[1]

Assis. Prof. Dr. Mohammad Al-Moez Jaafoura

Faculty of Arts and Humanities / University of Sousse / Tunisia

Abstract:

This work focuses on the effects of dreaming in the realization of Abi Al-Qasim Al-Shabbi's poetic statement. We draw the attention to this by the verb "to see" in the collection of poems. We claim that the Seeing Self is the same as the Dreaming Self. Therefore, we seek to study this verb in order to distinguish it from "look", and are concerned with its configuration. Also we are concerned with monitoring what the enunciator saw, and what he formed as visual paintings; and we try to interpret what he saw in order to reveal his connotations and world view.

[1] Cité in, Annie PIBAROT, *La présence du rêve dans les journaux personnels d'Henry Bauchau,* Revue internationale Henry Bauchau. L'écriture à l'écoute – n°5 – 2013. p.141.

Notes on Exploring the Quantitative Method in The Study of Civilizational History of Dr. Ahmed Al-Hasso and Dr. Hashim Al-Mallah

Dedicated to ((The Good Friend Ahmed Al-Hasso))

Prof. Dr. Hashim Al-Mallah

Member of the Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

The review examines the application of the quantitative methodology by both Al-Hasso and Hashim Al-Mallah in their studies of the history of the development of civilization and how the two historians influenced each other's work in applying the quantitative methodology to their research of the subject.

The study aims to raise the attention of the historians, and in particular the new generation, to the significance of the quantitative approach of the history study and to complete the experience of the two historians referred to and to build on it in the future.

Email: iraqacademy@yahoo.com, journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription: In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100) Dollars



IRAQI ACADEMY OF SCIENCES' JOURNAL

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No. 1

Vol. 70

Rajab 1444H
February 2023